

د/ عبد الباسط بدر

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

المدينة المنورة - ص.ب ٣٦٦٢

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

المدينة في القرن الرابع عشر الهجري

المدينة في القرن الرابع عشر الهجري

أول المستجدات:

استقبلت المدينة المنورة القرن الرابع عشر بهدوء تام، والناس فيها يعيشون حياتهم العادية والبسيطة، والأمن مستتب، ومواسم الزراعة حسنة، ومواسم الزيارة تسوق دخلاً لابأس به، وقوافل التجارة تتوالى مع قوافل الحج، وعلى فترات أخرى متقطعة.

واستمرت سنوات الحياة الهادئة لاجديد فيها يلفت النظر إلى مابعد منتصف العقد الثاني من هذا القرن، حيث يتبدد الصمت وتبدأ المستجدات في حياة المدينة، تبدأ بسيطة أول الأمر، ثم تتعقد وتشتد، ثم تصبح عاصفة تهز حياة الناس هزاً عنيفاً، وكان أول تلك المستجدات إنجازاً حضارياً وصل المدينة المنورة بعاصمة الدولة العثمانية، وبمدن أخرى كبيرة لتتبادل معها الأخبار والتعليمات.

هذا الإنجاز هو إنشاء محطة اتصال لاسلكي ضخمة أطلق عليها أهل المدينة اسم (التليسيس).

فمن المعروف أن السلطان عبد الحميد الثاني تولى العرش والدولة العثمانية في حالة سيئة من الضعف والاضطراب، حتى إن الدول الأوربية كانت تسميها (الرجل المريض) وكانت تعقد المؤتمرات السرية للإجهاز عليها واقتسام ممتلكاتها.

وكانت شخصية السلطان عبد الحميد الثاني قوية فذة، لذلك حاول أن يخلص دولته الواسعة الأطراف من حالة الضعف والتخلف وأن يجعلها قوية قادرة على التصدي لخصومها، وكانت أول خطوة في تقوية دولته تيسير الاتصالات والمواصلات بين أطرافها المترامية، وإقامة شبكة اتصالات حديثة بين العاصمة والولايات.

محطة اللاسلكي في المدينة المنورة:

كان أحدث ماوصلت إليه تقنية الاتصالات أجهزة اللاسلكي البعيدة المدى، وبخاصة التي تصنعها الشركات الألمانية المتطورة، فطلبت الدولة العثمانية من تلك الشركات تركيب عدد من الأجهزة الضخمة في الأقاليم والمدن الهامة.. وكانت المدينة المنورة واحدة من تلك المدن.

وفي أوائل عام ١٣١٨هـ وبينما العمل جار لإقامة الخط الحديدي الحجازي وصلت إلى المدينة المنورة بعثة من الفنيين الأتراك والألمان ومسحت المنطقة المحيطة بالعمران. واختارت أرضاً سهلة تقع شمالي المدينة على طريق العيون تبعد عن سور المدينة ألف متر، وتبعد عن جبل أحد أكثر من ألفي متر.. ووضعت المخططات لإقامة محطة اللاسلكي. وبدأ العمل في المحطة فأقيم سور كبير حول الأرض.. ووصلت أجهزة المحطة عبر ميناء ينبع، ثم نقلت على الجمال إلى المدينة المنورة، في الوقت الذي كان فيه البناؤون يبنون غرف الأجهزة وغرف الإدارة. ورأى أهل المدينة لأول مرة برجاً حديدياً عالياً جداً لم يروا برجاً بارتفاعه من قبل، تشده حبال معدنية طويلة من جهاته الأربعة ليستقيم في ارتفاعه وعمل عدد منهم في إنجاز المشروع سواء في أعمال البناء أو الخدمات. واختير أحد وجهاء المدينة ليكون المسؤول الإداري عن المحطة وهو: علي ناصر(١) وقبل نهاية العام كانت المحطة تبث البرقيات الرسمية إلى إستانبول وتتلقى منها البرقيات تحمل الأخبار والمراسيم والأوامر.

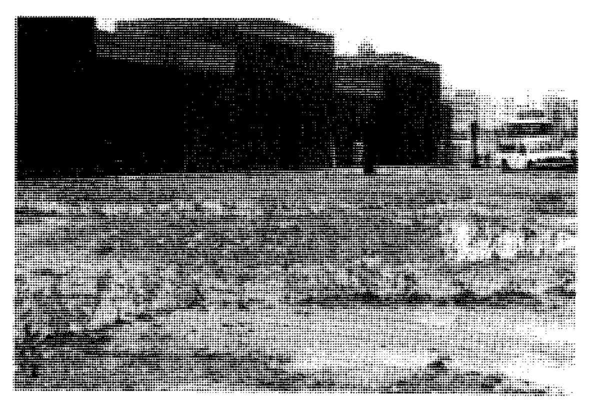
ثورة على المحافظ المتغطرس:

شهدت المدينة المنورة بعد سنوات قليلة من إنشاء محطة اللاسلكي أحداثاً متميزة ظهرت فيها فائدة هذه المحطة في تيسير الاتصال بالعاصمة العثمانية واحتواء فتنة كان من الممكن أن تراق فيها الدماء، كما ظهرت فيها

---

١) محمد حسين زيدان: ذكريات العهود الثلاثة ص ٣٩.

١ ـ البوابة الشرقية لمبنى محطة اللاسلكي.



٢ ـ مباني الإدارة والأجهزة الفنية لمحطة اللاسلكي بعد ترميمها لتحويلها إلى متحف تراثي.

إرادة ((أهل المدينة)) موحدة في مواجهة محافظ متسلط. ثم تطورت الأحداث واشتدت المواجهة وكادت أن تتحول إلى ثورة شعبية، الأمر الذي أقلق الدولة وأشعرها بخطورة الوضع، فلاينت أهل المدينة أول الأمر واستجابت لطلباتهم، ثم واجهتهم بالقوة واعتقلت عدداً من أعيانهم.

كانت بداية هذه الأحداث في عهد المحافظ علي باشا مرمحين الذي عين أواخر ١٣٢٠هـ.. كان مرمحين شديد الغطرسة والاستبداد والتهور، وقد أخاف بعض أهل المدينة، وفرض الرسوم والضرائب، منها ليرة عثمانية ذهب على كل فرد من أهل المدينة، فعظم ذلك على أهل المدينة، وتحولت النقمة إلى حركة مواجهة يقودها محتسب المدينة ((رئيس البلدية)) أنور عشقي.. ومع أن المحتسب واحد من كبار موظفي الدولة في المدينة، فإن ارتباط السيد أنور عشقي بمدينته، وطبيعة وظيفته التي تقاوم الفساد جعلته على رأس الناقمين على المحافظ وقائد المواجهة.

وفي أحد الأيام بلغت النقمة ذروتها في نفوس جماعة من أهل المدينة فتجمعوا خارج مقر المحافظ، عند باب القلعة الصغير، وعندما خرج المحافظ من مكتبه شغبوا عليه وطلبوا منه بشيء من الحدة أن يقلع عن تصرفاته القاسية ويلغي الرسوم والضرائب الجديدة، وأطلق أحد الغاضبين النار ببندقية يحملها ولكن الرصاصة لم تصبه، وأدرك المحافظ أن حرسه القليل لن يستطيع حمايته من هذه الجموع الغاضبة، فأسرع والتجأ إلى أقرب مبنى، ومن المصادفات العجيبة أن المبنى الذي التجأ اليه هو ((عش المحتسب)) أي مكتبه. ولكن المحتسب أنور عشقي لم يكن موجوداً فيه ولا مع تلك الجموع.. وجاء الشيخ تاج الدين الياس، وكان أحد عقلاء أهل المدينة صاحب مكانة ورأى خطورة الموقف وحاول تهدئة الجماهير الغاضبة، ودخل إلى عش المحتسب ولقي المحافظ المختبىء وحرسه القليلين وكلمه. فطلب المحافظ أن يسعى لحل الموقف، فخرج الشيخ تاج الدين الياس إلى الجماهير وطلب منهم

التعقل والحكمة والبعد عن الفوضى، ولكن صوته ضاع وسط صراخ الغاضبين الذين لم يجدوا في كلامه ما يحقق مطالبهم من المحافظ المتسلط، وأطلق أحد الغاضبين الرصاص في الفضاء قريباً من الشيخ تاج الدين.. وأدرك الشيخ تاج الدين أنه لن يستطيع حل المشكلة، كما أدرك ذلك المحافظ ورجاله المحاصرون، فسارع أحد الجنود إلى النافذة، وأخرج البوق منها، ونفخ فيه بشدة يستدعي زملاءه، وكرر العسكري طلب النجدة بالبوق... وكانت القلعة ومقر الحكم قريبين من عش المحتسب، فسمع العساكر صوت البوق وحملوا أسلحتهم وجاؤوا إلى الموقع، كما وصل الضباط من أطراف المدينة، ورأوا الموقف الصعب، ودخلوا إلى المحافظ المحاصر، فأمرهم بتفريق الجماهير وإطلاق الرصاص على من لاينصاع إلى الأوامر، فخرج الضباط إلى الجماهير، ورأوا عددهم يزداد شيئاً فشيئاً... فقد انتشر الخبر.. وسمع الكثيرون صوت الرصاص وصوت البوق، ورأوا العساكر تهرول إلى الجهة الغربية من المدينة فأسرعوا ليتحروا الأمر وما لبثوا أن انخرطوا مع من سبقهم في الحديث واللغط.

كان إصرار أهل المدينة على مواجهة المحافظ قوياً ولم تنفع وساطة الضباط، وكانت صلة كثير من هؤلاء الضباط بأهل المدينة قوية فبعضهم من أبنائهم وبعضهم من أصهارهم.. لذلك رفضوا أن يطلقوا النار على الحشود المجتمعة، واكتفوا بتحذيرهم من التعرض للمحافظ. وعندما يئسوا من حل الموقف جمعوا جنودهم وأبعدوا الناس عن عش المحتسب وشقوا طريقاً يحوطه الجند من عش المحتسب إلى بيت المحافظ، وقاموا بحراسة المحافظ، الذي خرج في غيظ شديد وسار وسط الجند وهو يسمع صرخات بعض أهل

المدينة تهزأ به وتهدده: مرمحين ياوجه القملة، مين قال لك تعمل دي العملة(١) ، إلى أن بلغ مسكنه فدخله وأمر بتشديد الحراسة وعدم السماح لأحد بالدخول والاقتراب.

كان تدخل الضباط مجدياً للمحافظ وللجماهير.. فقد خفروا المحافظ، واحترم أهل المدينة خفارتهم فلم يطلق أحد النار، وشعروا بقوة موقفهم، وتنادى كبارهم للذهاب إلى اللاسلكي ومحادثة السلطان عبد الحميد لعزل المحافظ المتسلط... فتحركت الجموع إلى مبنى المحافظة حيث اللاسلكي الحكومي القادر على الاتصال باستانبول.. ورابط معظم المحتشدين حول المبنى ودخل ((الكبار)) وعلى رأسهم أنور عشقي الذي وصل قبل خروج المحافظ بقليل، ولم يمانع الضباط من دخول المحتسب وعدد من أعيان المدينة إلى مبنى الحكومة.. فدخل هؤلاء وتوجهوا إلى مكتب (اللاسلكي) وأرسلوا برقية إلى دار الخلافة في استانبول باسم أهل المدينة، ويروي السيد حسين جمل الليل أحد المشاركين في تلك الأحداث أنهم اشتكوا فيها سوء معاملة المحافظ ورسومه الظالمة، وطلبوا عزله ورفع الرسوم فاستجيب طلبهم على الفور (٢) وفرح أهل المدينة بذلك وعادوا إلى بيوتهم وشاع الخبر بعزل المحافظ. ووصلت في اليوم التالي برقية إلى المحافظ تحمل مرسوم عزله وإلغاء الرسوم التي فرضها.. فحمل المحافظ مرمحين حقائبه وغادر المدينة بعد مدة وجيزة.

نزعة خاطئة:

وصل محافظ جديد عينه السلطان عبد الحميد هو حسن حسني باشا.

---

١) فصول من تاريخ المدينة ص ٤١.

٢) يقرر المؤلف ان المحتجين كلموا السلطان عبد الحميد بالهاتف مباشرة والثابت أنه لم يكن هناك اتصال هاتفي مع إستانبول آنئذ. وإنما كان الاتصال برقياً باللاسلكي. انظر فصول تاريخ المدينة ص ٤١.

ويبدو أن استجابة السلطان عبد الحميد المباشرة لأهل المدينة قد جعلت بعضهم يستشعر القوة إزاء السلطة التنفيذية وعلى المحافظ الجديد، يستسهل التمرد ورفض الأوامر. ولاشك أن أي إدارة تنفيذية ستخفق في ضبط أمورها إذا لم تجد الاستجابة الكاملة والطاعة، ولم تكن لها القوة القادرة على تطبيق قراراتها بالقوة إن لزم الأمر.. لذلك لم يطل الأمر بالمحافظ الجديد.. فقد شغب عليه بعض أهل المدينة، وأرسلوا الشكاوى ضده. فجاء الأمر بعزله أيضاً وعُين شيخ الحرم عثمان فريد باشا محافظاً جديداً للمدينة إضافة إلى منصبه الأصلي في مشيخة الحرم..

ويبدو أن العاصمة العثمانية قد قصدت بهذا التعيين الاستفادة من المكانة الدينية والاجتماعية لمنصب شيخ الحرم وتنفيذ قرارات (المحافظ) وتسيير الأمور بشكل أفضل. وكانت شخصية عثمان فريد باشا -كما تصورها كتابات معاصره اللواء إبراهيم رفعت باشا الذي التقى به أكثر من مرة- قوية فيها شيء من الحزم، فشدد على أصحاب النفوذ، وأمر بحبس من يرتكب المخالفات ولو كان من أعيان المدينة.

خط السكة الحديدية الحجازية يصل إلى المدينة المنورة:

شهدت المدينة المنورة في العقد الثالث من هذا القرن حدثاً حضارياً كبيراً كانت له آثار كثيرة وعميقة في حياتها مدة من الزمن..

هذا الحدث هو وصول خط السكة الحديدية إليها قادماً من دمشق ومتصلاً باستانبول. وبكل ما تتصل به هاتان المدينتان..

ويعد المؤرخون هذا الخط واحداً من مآثر السلطان عبد الحميد الكبيرة إن لم يكن أكبرها. كانت فكرة إقامة الخط موجودة قبل السلطان عبد الحميد لكن المسؤولين العثمانيين لم يتحمسوا لها لضخامة التكلفة، وصعوبة حماية الخط من البدو. وعندما تسلم السلطان عبد الحميد الخلافة تحمس لإنجاز المشروع، وكان يهدف إلى تحقيق غرضين كبيرين (الأول: خدمة حجاج بيت

الله الحرام وذلك بإيجاد وسيلة سفر عصرية يتوفر فيها الأمن والسرعة والراحة) (١) وقد أشرنا من قبل إلى الأخطار الكبيرة التي كان الحجاج يتعرضون لها وأهمها: هجوم بعض القبائل البدوية على قوافلهم.. وتعرضهم للقتل والنهب والسبي، ودفع الاتاوات الكثيرة، ثم طول المسافة ومشقة الرحلة في الطرق الصحراوية على الجمال، -وكانت الوسيلة الوحيدة الناجعة آنئذ- وما يترتب على ذلك من نفقات باهظة يتكبدها الحجاج.

لذا فإن وجود خط للسكة الحديدية سينهي كل تلك المشكلات ويوصل الحاج إلى المدينتين المقدستين بيسر وسهولة وتكلفة معقولة.

والثاني: دعم حركة الجامعة الإسلامية، وتقوية الصلات بين البلدان الإسلامية المختلفة، وقد جعل السلطان عبد الحميد قضية الوحدة الإسلامية الدعامة الأساسية للدولة العثمانية، واتخذها سياسة عليا للدولة، كي يلتف المسلمون حوله وتقوى أواصر الدولة العثمانية الضعيفة، وتستطيع مواجهة الأطماع الأوربية في العالم الإسلامي..

يضاف إلى هذين الهدفين أهداف اقتصادية واستراتيجية وحضارية أخرى.. ذلك أن المناطق التي يمر منها الخط الحديدي تزداد انتعاشاً وثراء(٢)

أوربا تحارب مشروع الخط الحديدي الحجازي:

أدركت الدول الأوربية الطامعة في العالم الإسلامي خطورة المشروع على أطماعها، فحاولت إفشاله.. وسعت أول الأمر لإقناع العثمانيين بالعدول عنه، فلما رأت إصرار السلطان عبد الحميد على تنفيذه حاولت وضع بعض العراقيل.. فمنعت إنكلترا جمع التبرعات من مسلمي الهند من أجله، ثم تراجعت عن موقفها تحت ضغط مسلمي الهند الذين تحمسوا له حماسة

---

١) د. محمد السيد الدقن: سكة حديد الحجاز ص ١١.

٢) مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية ص ١٣.

شديدة. وعرضت فرنسا على الدولة العثمانية أن تقدم لها قرضاً كبيراً لقاء ترك المشروع، ولكن السلطان عبد الحميد رفض العرض وأمر بتشكيل لجنة عليا برئاسة الصدر الأعظم وعضوية وزير الأشغال ووزير الترسانة البحرية وعدد من كبار المستشارين وعين كاظم باشا قائد الجيش الخامس مديراً عاماً للمشروع ومنحه صلاحيات واسعة ووضع تحت تصرفه إمكانات بشرية ومادية كبيرة..

حماسة إسلامية للمشروع:

لكي يصطبغ المشروع بثوبه الإسلامي صدر إعلان عام للمسلمين في جميع أنحاء الأرض يبين أهداف المشروع والنتائج الطيبة المأمولة منه ويهيب بالمسلمين أن يسهموا فيه بأموالهم.. وشكلت لجان لجمع التبرعات وعينت لجنة خاصة في إدارة المشروع لاستلامها..

وقد أثار المشروع حمية المسلمين في الدولة العثمانية وخارجها.. وانهالت التبرعات من أنحاء كثيرة.. وكان المسلمون في شبه القارة الهندية أسبق إخوانهم في مناصرة المشروع ودعمه، وقامت صحفهم بحملات إعلامية واسعة. وحاول الإنكليز الذين كانوا يحتلون الهند آنئذ منع جمع التبرعات، وصدر أمر الحاكم البريطاني للهند بمنع التبرعات بحجة عدم التأكد من أنها ستستعمل للغرض الذي جمعت من أجله(١) مرة، ومرة أخرى بحجة أن الأموال ستستعمل لبناء خط حديدي خارج حدود الهند(٢)، ولكن إصرار مسلمي الهند على دعم المشروع جعل الحكومة البريطانية تذعن لرغبتهم

---

١) انظر: سكة حديد الحجاز ص ١٠٣.

٢) السابق ص ١٠٧.

وتسمح لهم بإرسال الأموال إلى استانبول(١).

تبرعات المسلمين في العالم:

تدفقت الأموال على صندوق المشروع من معظم بلاد المسلمين، وأسهم عدد من السلاطين والأثرياء والمؤسسات بمبالغ كبيرة، افتتح السلطان عبد الحميد التبرعات بمبلغ ٣٢٠ ألف ليرة عثمانية من ماله الخاص، وتبعه في ذلك الملوك والأمراء المسلمون والهيئات والأفراد من داخل الدولة العثمانية وخارجها. أما من داخل الدولة العثمانية فقد تعهد خديوي مصر عباس حلمي بإرسال كمية عظيمة من مواد الإنشاء والبناء. وتبرع سلطان المكلا بـ ٢٠ ألف روبية وأمير الكويت الشيخ مبارك الصباح بـ ٥٠٠ ليرة عثمانية (وكان قد طلب منه التبرع بمائتي ليرة فقط)(٢) ومن خارج الدولة العثمانية تبرع شاه إيران بخمسين ألف ليرة عثمانية وسلطان مراكش بـ ٧٥٠ ألف فرنك(٣) وأمير بخارى ٤٠٠ فرنك وأرسل مسلمو ناتال ١٠٠٠ ليرة عثمانية ومسلمو سنغافورة أربعة آلاف جنيه استرليني(٤) أما مسلمو الهند ((فقد حازوا قصب السبق في التبرع وجمع الأموال للخط الحديدي فلم يجارهم أحد في هذا الميدان، وحسبنا أن نعلم أنه قد تشكل في الهند وحدها ١٦٦ لجنة لجمع التبرعات.. وأرسل أهل لكنو ٣٢ ألف ليرة عثمانية وأهل رانكون ومدراس ٧٣ ألف ليرة عثمانية(٥) وقامت الحكومة العثمانية بإجراءات مالية خاصة لتوفير مصادر أخرى للتمويل، فحولت ميزانية ((المحمل)) لصندوق المشروع، وفرضت بعض الضرائب الإضافية وحولت ريع مناجم الفوسفات بالقرب من

---

١) السابق ص ١٠٧.
٢) السابق ص ٩٨-٩٩.
٣) السابق ص ٩٩.
٤) السابق ص ١٠٠.
٥) السابق ص ١٠١-١٠٢.

الصلت وينابيع الكبريت عند الحمة للمشروع وفرضت على الحجاج أن يدفع كل حاج ريالاً واحداً وأمرت بجمع جلود الأضاحي وبيعها وتحويل أثمانها للمشروع (١) فامتلأ صندوق المشروع بالمال وغطى تكاليف الإنشاء كلها واستمرت الموارد تصب فيه حتى بعد وصول الخط الحديدي إلى المدينة وتوقفه عندها..

بدء التنفيذ:

بدأ المشروع مرحلته التنفيذية الأولى بعيداً عن المدينة المنورة. وقد وضع حجر الأساس في قرية المزيريب التابعة لمنطقة حوران قرب دمشق. وباشرت مصانع الإنشاء المختلفة أعمالها وفق مخطط دقيق فكانت فرق التسوية تتقدم لتمهد الأرض التي يسير عليها الخط.. بينما تقوم فرق أخرى بإنشاء الجسور والمعابر على ممرات السيول والمنحدرات وفرق أخرى تنشئ المحطات الرئيسة والفرعية..

لذلك لم تظهر آثار إنشاء هذا الخط في المدينة المنورة إلا عندما وصلت فرق البناء لتسوية الطريق الذي يصل إلى المدينة ولتأسيس المحطة الرئيسة فيها ولإنشاء الجسور والمعابر على مجاري السيول والأودية.

وللاقتصاد في النفقات وتوفير مستوى عال من الانضباط وحسن الأداء اعتمد كاظم بك مدير المشروع -وهو الرجل العسكري- على جنود الجيش العثماني.. وأقيمت لهم معسكرات يرأسها ضباط شبان للقيام بالأعمال الأرضية من الردم والتمهيد ومد الخط..

وكان الهر مسيز المهندس الألماني الشهير ذو الخبرة الواسعة في بناء

---

١) السابق ص ٥٦-٩٦.

الخطوط الحديدية كبيراً للمهندسين ومديراً فنياً لعملية بناء الخط(١) وقد استطاع هذا المهندس إدارة العمل ببراعة فامتد الخط بسرعة قياسية من دمشق إلى المزيريب ثم إلى عمان فمعان فتبوك. وجرى احتفال بوصول القطار إلى تبوك في ذكرى تسلم السلطان عبد الحميد السلطة أوائل سبتمبر ١٩٠٦م(٢).

شغب أم ثورة:

رأينا أن المحافظ الجديد للمدينة قرر أن يطبق سياسة حازمة، وبخاصة مع الأعيان الذين كانوا وراء الحدثين اللذين أديا إلى عزل سلفيه، وقد تضايق هؤلاء الأعيان وبدؤوا يلغطون في شخصية المحافظ وتصرفاته، ويشيعون الإشاعات الكثيرة عن شدته وسوء معاملته.

وحدث أن سُجن شخص من آل الكردي (واسمه موسى بك الكردي) في قضية اتهم بها، وسعى قريبه عبد القادر بن عبد الله الكردي -وكان أحد وجهاء المدينة آنئذ- لإطلاق سراحه فلم يقبل المحافظ شفاعته، فغضب عبد القادر، وكانت له صداقات كثيرة مع كبار أسر المدينة، رغم أنه من الذين قدموا إليها من استانبول منفيين، وقرر عبد القادر أن ينتقم من المحافظ (وانتفخت أوداجه لذلك، وأخذ يؤلب عليه أهل المدينة حتى تحالفوا معه على المصحف والسيف لينزلن المحافظ أو ليقتلنه)(٣).

كثر الإرجاف بالمحافظ لإشاعة النقمة عليه بين الناس، وما لبثت أن وقعت حادثة أوصلت القضية إلى حافة الانفجار، فقد حدث خلاف بين عدد من أسر المدينة على تركة رجلين وجيهين ثريين هما محمد علي الحجار، وأبي السعود، وتوسط بعضهم لحل الخلاف، وبخاصة المحاميين (عثمان أبو

---

١) السابق ص ١٢٧.

٢) السابق ص ١٥٦.

٣) مراة الحرمين ٢/١٠٥.

الطاهر) و(عبد الرحمن الياس) فلم تنجح الوساطة لتشدد الأطراف المتنازعة، ولتضارب الوثائق والبيانات، واحتد النزاع وبدا أن الصدام سيقع بين المتنافسين.

ولما علم المحافظ بالحالة المتوترة قرر أن يتصرف ويخمد الفتنة قبل أن تتفجر ويعجز عن ضبط الأمور، وذلك باستدعاء رؤساء المتنافسين وتحذيرهم، والتحفظ على من يخشى منه تفجير الصدام.

وتسربت الأخبار عن نوايا المحافظ، وتضخمت كماتتضخم كل شائعة تنتقل من بيت إلى بيت وتحولت إلى خبر مفزع يقول: إن المحافظ يعتزم قتل عدد من أعيان المدينة لحسم الخلاف وكسر شوكة الأقوياء فيها. ووجد الناقمون على المحافظ فرصة كبيرة لتضخيم الإشاعة وتهويل الأمر وإثارة الناس على المحافظ، وكان أول الثائرين الأعيان ووجوه العائلات، حتى المتنافسون على التركة تناسوا خصوماتهم وانخرطوا في موجة الغضب المتنامية ضد المحافظ، وكانت نشوة النصر على المحافظين السابقين دافعاً للكثيرين كي يسهموا في الحركة الجديدة وسرعان ما ظهرت على الألسن ظواهر الغضب والتمرد والإعلان الصريح عن العمل على الثورة لعزل المحافظ عثمان فريد باشا.

وفي صبيحة يوم من أيام العشر الأخير من ذي الحجة عام ١٣٢١هـ تجمع عدد كبير من الأعيان وتبعهم بعض أقاربهم وأتباعهم وذهبوا إلى المفتي عثمان داغستاني وطلبوا منه أن يستصدر قراراً من مجلس إدارة المحافظة -والمفتي أحد أعضائه البارزين- بطلب عزل عثمان باشا لرفعه إلى استانبول..

غير أن المفتي لم يتحمس لطلبهم، وحضر أعضاء مجلس الإدارة وواجههم الثائرون بطلبهم. وبرز موسى الكردي وحاول الاستفادة من الموقف والضغط على عدد من أعضاء مجلس الإدارة لإصدار القرار المطلوب، لكن

معظم أعضاء مجلس الإدارة رفضوا الطلب وأفهموا الثائرين بأن قراراً خطيراً كهذا لايمكن اتخاذه بناءً على ((شائعة)) تتناقلها الألسن..

غير أن ((الثائرين)) أصروا على طلبهم، ومنعوا أعضاء مجلس الادارة من الخروج من مجلسهم حتى يتخذوا القرار المطلوب. وأصر أعضاء مجلس الإدارة على موقفهم رغم الحصار المضروب عليهم وبدت بوادر مواجهة حامية بين الثائرين ومجلس الإدارة..

ووصل الخبر إلى عثمان باشا، وعلم أن الحشد المتجمع أكبر من أن يقاومه بعدد قليل من الحراس أو الجنود. فآثر السلامة، وهرب من مكتبه إلى بيته وأغلق عليه الأبواب. وعلم بذلك الثائرون المحاصرون لمجلس الإدارة عند الباب الصغير في المناخة. فتنادوا بالتوجه إلى منزل عثمان باشا -بعد أن يئسوا من حمل مجلس الإدارة على اتخاذ قرار طلب العزل- لمحاصرته وإجباره على الاستقالة والرحيل.. وسرت الحماسة بين عدد من الحاضرين، بينما ارتفعت بعض الأصوات المعارضة، تحذر من التعرض للمحافظ. غير أن المتحمسين لم يأبهوا للتحذير وتوجهوا إلى دار عثمان باشا في غرب المسجد النبوي الشريف حاملين السيوف والبنادق فاعترضهم المعارضون، وهددوا المتحمسين بالقتال.. وأرسلوا نذيرهم إلى عثمان باشا في بيته وإلى أهل الحي الذي يسكنه، وكان معظمهم من أنصاره والموافقين على سياسته..

فهبوا بأسلحتهم وأحاطوا بداره واستعدوا لقتال المهاجمين ووصل المتحمسون لعزل عثمان باشا فوجدوا أبناء مدينتهم يحمونه، فحاولوا إقناعهم بصحة تصرفاتهم وضرورة عزل عثمان باشا، ورفض المدافعون ذلك. وارتفعت حدة المناقشة وتحولت إلى جدل عالي النبرة تتخللها عبارات التهديد والوعيد.. وبدت نذر مصادمة كبيرة بين الأهالي أنفسهم..

انتشرت أخبار الفتنة في المدينة، وبلغت مسامع قادة الحامية في القلعة. وكان معظمهم غير راض عن عثمان باشا لتدخله في كل شيء ومحاولته



عثمان فريد باشا محافظ المدينة المنورة تعامل مع الثائرين عليه بذكاء وحكمة



صورة للمدينة المنورة آيام عثمان فريد باشا

تقليص نفوذهم.. فلم يحركوا ساكناً ولم يهبوا لنجدته رغم أنه أرسل في طلب النجدة، وكانوا موقنين بأن الثورة ستنجح في عزله قياساً على ماحل بالمحافظين السابقين، لذا ونظراً لعلاقتهم الوطيدة بأهل المدينة ومصاهرة عدد منهم لهم لزموا مواقعهم. باستثناء عدد قليل منهم انضم إلى المدافعين عنه.

برقيات وتقارير:

بينما انشغل الثائرون بملاقاة الحجاج وخدمتهم توجه عدد من الأعيان إلى مكتب البرق وطيروا برقيات إلى السلطان عبد الحميد في استانبول يطالبون بعزل عثمان باشا ويهددون من طرف خفي باللجوء إلى أناس آخرين إذا لم تستجب السلطة لطلبهم، ووقعوا البرقية باسم ٤٥ رجلاً من أعيان المدينة ينوب عنهم حسين جمل الليل ابن مفتي المدينة الأسبق والمعروف اسمه في استانبول. وسارع المحافظ عثمان باشا إلى كتابة تقرير ضاف عن الوضع العام في المدينة المنورة، بين فيه مارآه من اضطراب وتوتر بين العائلات، ومن تجرؤ بعض الأعيان على الدولة وإسهامهم في التوتر ثم الأحداث الأخيرة والشغب الذي حدث، وتباطؤ الحامية العسكرية وتواطؤ عدد من ضباطها مع المشاغبين.. وبين خطورة هذه الأحداث على المدينة المقدسة وعلى سمعة الدولة وهيبتها وطلب إرسال قوة عسكرية جديدة تعينه على ضبط الأمور والقبض على رؤوس المشاغبين ومحاكمتهم لاقتلاع جذور الفتنة ومعاقبة الجانين وردع من تسول له نفسه التجرؤ على الدولة وكان تقريره قوياً ومؤثراً..

قافلة الحجاج تحل العقدة:

اشتد التوتر أمام منزل المحافظ وكادت المصادمة أن تقع لولا ذلك الصوت الذي غير مجرى الأحداث كلها وأوقفت الثورة.. وكان صوت رجل من أهل المدينة يعلن عن وصول قافلة حجاج كبيرة ونزولها في طرف المناخة.

وهذا الخبر يعني الكثير عند أهل المدينة في ذلك الوقت.. فهو يعني ضرورة إسراعهم إلى القافلة، واستقبالها، وإسكان الحجاج القادمين بها، وتأمين احتياجاتهم من طعام وشراب وحفظ الأمتعة، وتعني أيضاً مبادلات تجارية مهمة. يشتري فيها أهل المدينة بعض ماجاءت به القافلة من أقمشة وأمتعة وكتب وغير ذلك من عروض التجارة. وتعني أيضاً بيعهم التمور ومنتجات المدينة الأخرى..

وقد اعتاد أهل المدينة أن يترقبوا وصول القوافل وأن يخرجوا لاستقبالها قبل أن تصل السور. ويرحبوا بالقادمين ويصحبوهم إلى المناخة ثم إلى بيوتهم و المنازل التي سيبيتون فيها.. وهي عادة عريقة يتمسك بها أهل المدينة بقوة، وقد شغلتهم الفتنة عن استقبال القافلة قبل دخولها المدينة، ولكنها لن تشغلهم عن استقبالها بعد دخولها. لذلك توقفوا عن الجدل والمناقشة.. وأسرعوا إلى القافلة ليؤدوا الواجب الأساسي والأهم.. وبقيت حامية بسيطة حول بيت عثمان باشا تضم جيرانه الأقربين وعدداً قليلا من الضباط والعساكر..

العاصمة العثمانية تتحرك:

يبدو أن المسؤولين في استانبول قد ملوا من طلبات أهل المدينة المتكررة، ورأوا أن ثوراتهم المتوالية على المحافظين مؤشر على وجود روح التمرد فيهم، وأن الأمر لايمكن أن يكون خطأ المحافظين في الحالات كلها.. لذلك رفضوا الاستجابة لطلبهم بعزل المحافظ، وأخذوا بوجهة نظر عثمان باشا، وأبرق الصدر الأعظم إلى الأخيار الخمسة والأربعين شخصاً الموقعين على برقية المطالب بأن العزل والتولية بيد أمير المؤمنين وأنه تعينت هيئة

للنظر في القضية(١)، وفي الوقت نفسه صدرت برقيات إلى القيادة العسكرية في اليمن والشام بإرسال قوات مسلحة على وجه السرعة إلى المدينة ووضعها تحت تصرف المحافظ..

تسلم أهل المدينة برقية الصدر الأعظم بدهشة وفتور، وتضاربت الآراء فيها.. فبعضهم أحسن الظن وفسرها بأن لجنة ستأتي للتحقيق مع المحافظ ونقله إلى استانبول.. وكان معظم هؤلاء من البسطاء والمتحمسين المنتشين بالانتصارات السابقة على المحافظين السابقين.. بينما فسرها معظم الأعيان بأن الدولة لم تستجب لطلبهم وستنحاز إلى صف المحافظ، وربما يكون بعدها عواقب وخيمة. لذلك بدأ بعضهم يحسب حسابها ويفكر بالخروج من المدينة. أما المحافظ فلزم بيته لايخرج منه، يحرسه حرسه الخاص وعدد من الضباط والجنود الذين هبوا لنجدته، وكانوا يترددون عليه وينقلون البرقيات والرسائل الواردة وأخبار البلد ويخرجون بأوامره وبتوجيهاته إلى كبار موظفيه، وأصبح يدير عمله من منزله.

التحقيق في الحادثة:

بعد انقضاء خمسة عشر يوماً على أحداث الثورة وصلت إلى المدينة قوة عسكرية ونزلت في ثكنة العنبرية وتوجه قائدها مع مجموعة من جنده إلى منزل المحافظ ووضع نفسه تحت تصرفه. فخرج المحافظ من منزله لأول مرة منذ أحداث الشغب محروساً بصفين من الجنود، وركب عربته واتجه إلى دار المحافظة قرب الثكنة وانتشرت دوريات القوة الجديدة في الشوارع الرئيسة وحول الحرم.. ومالبثت أن وصلت إلى ينبع قوة أخرى على متن أربعة سفن من اليمن قوامها ((أورطتان)) وتوجهت إلى المدينة وفي الخامس والعشرين من شهر محرم ١٣٢٢هـ. وصلت لجنة التحقيق المنتظرة برئاسة مدير القلم الكتابي في الباب العالي ((باقي بك)) وعضوية اللواء اسماعيل باشا واللواء

---

١) انظر فصول من تاريخ المدينة ص ٤٣.

صدقي باشا وأبي السعود أفندي أسعد وعمر بك للتحقيق مع العسكريين والمدنيين المتهمين بالشغب. وباشرت اللجنة تحقيقها على الفور فاستمعت إلى المحافظ وكبار موظفيه وشهوده، وسجلت أسماء (١٢١) شخصاً من المدنيين والعسكريين للتحقيق معهم.. وقامت القوة الجديدة بالمهمة فشكلت عدة دوريات في كل دورية ضابط ومجموعة من الجنود واتجهت إلى بيوت المطلوبين لإحضارهم.. وبدأ تجميعهم في ثكنة العنبرية للتحقيق معهم. وقد أحضرت الدوريات معظم المطلوبين.. باستثناء ثلاثة أشخاص هم حمزة غوث، وعباس سطيح، وإبراهيم زاهد سافروا هاربين حال سماعهم بالأمر قبل القبض على من قبض عليهم وقبل المحاكمة(١).

وفي الوقت نفسه استدعى عدد من ضباط القلعة وثكنة العنبرية وبدأ التحقيق معهم بتهمة التواطؤ مع أهل المدينة وعدم تنفيذ الأوامر، وعدم حماية المحافظ وإخماد الفتنة. وامتد التحقيق إلى جميع الضباط الذين لم يهبوا لنجدة عثمان باشا..

وانتهت لجنة التحقيق إلى حصر التهمة بـ ٤٢ مدنياً و٤٠ عسكرياً من الضباط وبرأت ساحة ٧٦ مدنياً موقوفاً وبقية العسكريين الذين استدعوا للتحقيق.. ورأت اللجنة التحفظ على المتهمين المدنيين والعسكريين وإطلاق سراح الآخرين، فسجن المتهمون الـ ٨٢ وأطلق سراح الباقين.. وسافرت اللجنة عائدة إلى استانبول تحمل نتائج تحقيقها وتوصياتها..

عقوبات قاسية:

بعد ٧٢ يوماً من سفر لجنة التحقيق وصل الأمر من الباب العالي بنقل المتهمين إلى سجن الطائف تحت حراسة مشددة وهذا يعني أن الجهات العليا أخذت بنتائج التحقيق ووافقت على الأحكام التي اقترحها فخرجت من المدينة المنورة قافلة طويلة من الجمال وفي (شقادفها) إثنان وثمانون من أعيانها

١) فصول ص ٤٣.

وضباطها مكبلين بالأغلال، وتحت كل (شقدف) أربعة جنود مسلحين وسلكت طريق ينبع إلى مكة فالطائف.. وعندما وصلت القافلة قرية المسيجيد على بعد ٨٠ كم تعرضت لها قبيلة الأحامدة وردتها إلى المدينة فرجع بها قائدها قليلاً ثم انعطف وسلك طريقاً آخر إلى ينبع حيث نقل المساجين إلى سفن أبحرت بهم إلى جدة ومنها سارت إلى مكة فالطائف..

ويروي السيد حسين جمل الليل أحد أولئك المسجونين أن أهل جدة حاولوا مساعدتهم والتمسوا من السلطان فك قيودهم.. فصدر الأمر بفك القيود فقط مع تشديد الحراسة. وفي مكة توسط الشريف عون لإطلاق سراحهم فلم تقبل وساطته. وقد استقبل أهل مكة والطائف المسجونين أحسن استقبال. وذبحوا لهم الخراف وأطعموهم مع حراسهم.. ومن الأعيان الذين سجنوا كما ذكرهم حسين جمل الليل أنور عشقي، عبد القادر بري، عبد الرحمن كشميري، عثمان عفان، عبد الرؤوف كردي، عبد الله حبشي، زين بري، محمد زاهد بن عمر زاهد، محمد دشيشه، أمين درندري، عبد القادرأدهم، درويش كردي، حسين برادة، عثمان داغستاني، يحيى دفتردار، محمد حمودة، وابنه، طاهر سنبل، أحمد أبو الجود، عيد بنا، قاسم طيار، محمد عطاس، منصور زللي، عثمان أبو الطاهر، عبد الرحمن إلياس، حسن جمل الليل، وحسين جمل الليل (راوي الخبر) واثنان من الأغوات(١).

وقد جرى التحقيق مع العسكريين في مكة، حيث استدعي عدد من كبار ضباط المدينة إلى مكة المكرمة ليحاكموا أمام لجنة عسكرية عليا، وكان ممن حوكم القائمقام نسيم بك، والبكباشي محمد شكري بك (قومندان) مدفعية

---

١) انظر فصول من تاريخ المدينة ص ٤٢.

المدينة(١) وقد شتتت القيادة السابقة فنقل الضباط إلى مواقع خارج المدينة رغم عدم إدانتهم بشيء، وحلت قيادة القوة الجديدة محلها.

آثار القضية:

كان لهذه الحادثة آثار كثيرة ومتنوعة. فقد أحس أهل المدينة أنهم لم يعودوا يملكون تلك الميزة التي كانوا يتمتعون بها سابقاً.. فالدولة لم تعد تصغي لطلباتهم كما كانت من قبل. وأحسوا بأن الحكم على المعتقلين بالسجن في الطائف كان قاسياً وأن المعتقلين مظلومون، لم يفعلوا مايتوجب كل هذا العقاب.. وامتزج شعور الحزن بالغضب. غير أنه غضب هادئ ليس وراءه ثورة أو تمرد، لذلك وجد أهل المدينة أن الطريق الوحيد لإخراج المعتقلين هو الشفاعة لدى الباب العالي. فاتجهوا إلى الشفعاء والوسطاء وتوالت الوساطات لإطلاق سراحهم دون جدوى إلى أن مر ١٨ شهراً على سجنهم في الطائف. وشعرت الدولة أن الأمن مستتب تماماً، وأن الدرس القاسي باق أثره في النفوس.. فاستجابت للوساطات وأمرت بإطلاق سراح المعتقلين. فعادوا إلى مدينتهم وإلى أهليهم وفي النفوس فرحة اللقاء، تمازجها مرارة، ونقمة تنتظر الفرصة السانحة لتظهر آثارها السلبية..

واستمر عثمان فريد باشا محافظاً للمدينة حتى عام ١٣٢٦هـ ونجحت سياسته الحازمة في صرف النشطين وأصحاب النفوذ من التفكير في التمرد أو الثورة أو حتى الشكاية على المحافظ، وساعد على ذلك ظهور شخصية حازمة أخرى في منصب إداري له أهميته الكبيرة في حياة المدينة. وهو محمد سعيد الشيصلي، الذي عين في وظيفة المحتسب (وقد تحول هذا المسمى إلى مسمى رئيس بلدية فيما بعد) فقد كان الشيصلي شديداً في عمله، رادعاً لمن

---

١) انظر مرآة الحرمين ١١٣/٢.

أراد العبث.. وكان أهل المدينة يخشونه(١) وكان يقوم بالأعمال التي يقوم بها رؤساء البلديات اليوم، يضاف إلى ذلك قيامه بأعمال تماثل أعمال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان له بحكم وظيفته نفوذ واسع، فهو يستطيع أن يحقق ويقرر وينفذ، ويعين العقاب والجزاءات في الجنايات والجرائم، وكل مايخالف الآداب والأخلاق ويأمر بالضرب والسجن(٢).

بداية مشروع الخط الحديدي في المدينة:

خلال فترة الهدوء التي أعقبت حركة التمرد الفاشلة على عثمان فريد، والعقوبات القاسية التي عوقب بها المدنيون والعسكريون، بدأ تنفيذ مشروع السكة الحديدية في المدينة المنورة.

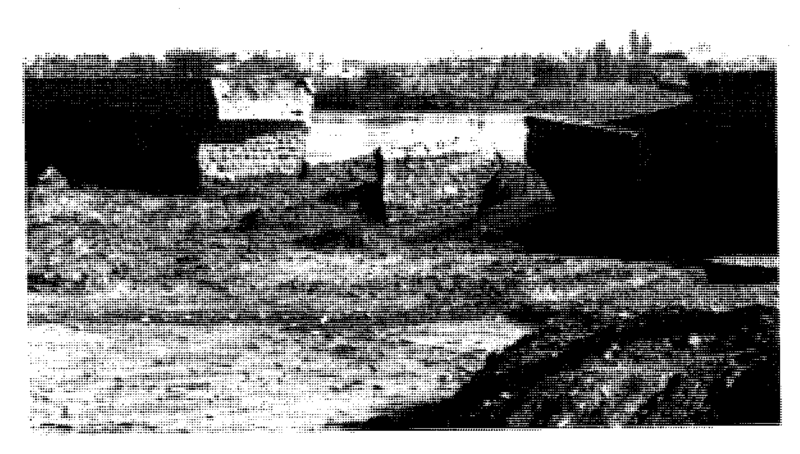
ففي منتصف عام ١٣٢٥هـ وصلت إلى المدينة المنورة أعداد من المهندسين والفنيين الأتراك والعرب وشرع هؤلاء على الفور في مسح المنطقة واختيار موقع المحطة الرئيسة للسكة الحديدية، والمسار الذي ستمد فيه القضبان الحديدية.. وتبعتها مجموعات متوالية من الجنود العثمانيين، الذين كلفوا بالعمل في المشروع.. ونزل بعضهم في الثكنات الموجودة غربي وشمالي المدينة وأقيمت للبقية معسكرات مؤقتة قرب الطريق المتجه إلى تبوك.. وبدأت القوافل ترد تباعاً تحمل معدات الحفر والتسوية والتشييد..

---

١) انظر المدينة عبر التاريخ ص ١٣٢.

٢) فصول من تاريخ المدينة ص ٤٦.

مسجد محطة السكة الحديدية بالمدينة المنورة



بقايا جسر على وادي العقيق

اختار المهندسون موقعاً غربي المدينة تماماً في مواجهة باب السلام. وخارج السور لإقامة المحطة الرئيسة وبدؤوا يرسمون على الأرض مسار الخط منها باتجاه العلا.. ووضعت الخرائط والرسومات، وعينت مواقع الجسور على مجرى العقيق ثم مجاري السيول الصغيرة ومالبثت مجموعات الجنود أن انتشرت على الطريق المرسومة للخط من المحطة الرئيسة -قرب باب العنبرية والتكية المصرية- وعمل الجنود والفنيون والمهندسون بحماسة بالغة ((بسبب تلك العواطف الدينية الجياشة التي تفيض بها نفوسهم))(١).

وأقيم احتفال كبير لوضع حجر الأساس للمحطة في المدينة المنورة حضره عثمان فريد باشا شيخ الحرم ومحافظ المدينة، وكبار الموظفين وعدد غفير من أعيان المدينة ورجالها.. وألقيت الخطب والقصائد ووضع الحجر الأساس لمسجد ((الحميدية)) قرب المحطة.. وقد صمم على الطراز العثماني الدقيق ليكون شاهداً على الأهداف الإسلامية البعيدة لهذا المشروع. ومالبثت أن وصلت صناديق ضخمة تحمل آلة توليد الكهرباء والأسلاك والمصابيح اللازمة. ولم تكن الكهرباء قد دخلت المدينة بعد. فاستبشر الناس، وبدأ الفنيون يعدون المكان -شمالي المسجد النبوي- لنصب محطة توليد الكهرباء لإنارة المسجد النبوي. ومدت الأسلاك ووضعت المصابيح. وجهز كل شيء لحفل الافتتاح الكبير الذي سيشهد وصول القطار إلى المدينة المنورة أيضاً.. وفي الوقت نفسه كان العمل على أشده في منطقة العلا باتجاه المدينة. وكان العاملون يشتعلون حماسة كلما اقتربوا من المدينة المنورة، وقد (حشد

---

١) السابق نفسه ص ١١٦.

العثمانيون في المنطقة ٥٠٠٠ جندي من العاملين بالخط)(١) ولم يعكر صفو هذا النشاط سوى قيام بعض قبائل البدو بالقرب من المدينة المنورة بالاشتباك مع الجنود العاملين بالخط، وتحطيم بعض أجزاء منه، غير أن الهيئات المشرفة على إدارة العمل بالخط قامت بشراء سكوتهم، فأغدقت عليهم الأموال(٢).

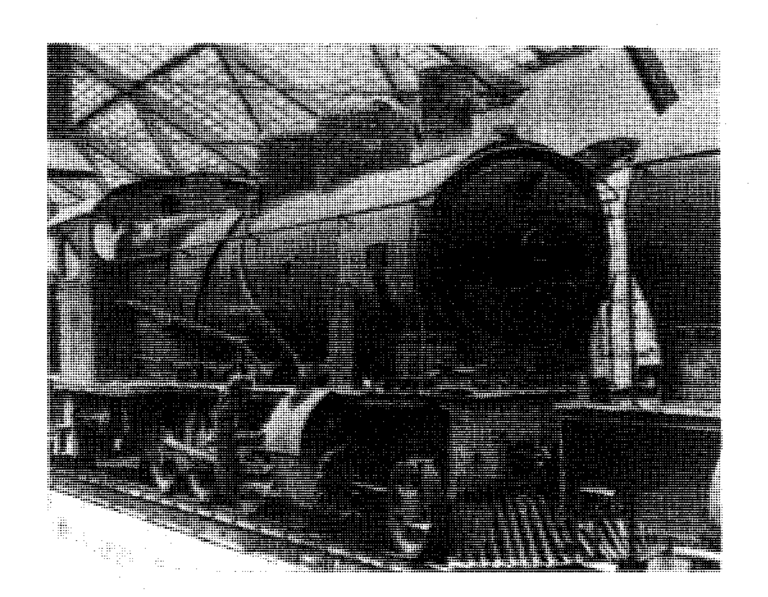
القطار يصل إلى المدينة المنورة:

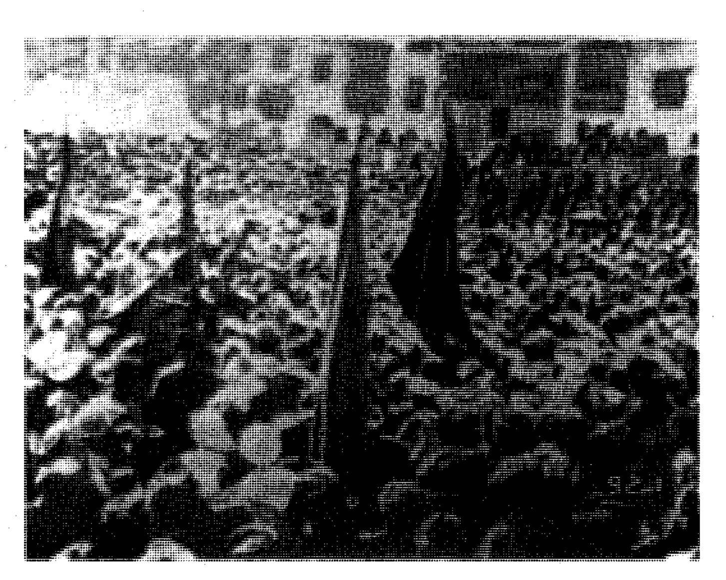
في أوائل شعبان عام ١٣٢٦هـ اتصل الخط من جهتي العمل. وكانت فرحة العاملين غير عادية، وسرى الخبر في المدينة المنورة ينشر معه مشاعر الغبطة والتوقعات الكثيرة. وخرج الكثيرون من أهلها يستقبلون أول قطار تدوي صفاراته في أطراف المدينة في الثاني والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٢٦هـ. والموافق للثامن والعشرين من أغسطس آب ١٩٠٨م وكان في المقطورة الأولى عدد من كبار المسؤولين بينهم كاظم باشا رئيس المشروع وكبار معاونيه ومختار بك رئيس المهندسين ومدراء أقسام المشروع. وعدد كبير من شخصيات الدولة العثمانية.. كان عثمان فريد باشا قد أعد مع عدد من أعيان المدينة وكبار المسؤولين خطة لإقامة احتفال كبير بهذه المناسبة.. وقد حدد لهذا الاحتفال يوم الخامس والعشرين من شعبان ١٣٢٦هـ والموافق للأول من سبتمبر أيلول ١٩٠٨م، وهو يوم ذكرى تسلم السلطان عبد الحميد للخلافة.. فنصبت الزينات وأعد مكان الاحتفال عند ميدان المحطة. ودعي لحضور الاحتفال عدد كبير من الشخصيات الإسلامية والإعلاميين من خارج المدينة، ويذكر بعض شهود عيان أنه كان من بين المدعوين علي كامل صاحب جريدة اللواء وشقيق مصطفى كامل الزعيم الوطني المصري ولطفي السيد صاحب جريدة الأمة. لسان حال حزب الأمة. والشيخ علي يوسف صاحب

---

١) السابق نفسه.

٢) السابق نفسه.





الاحتفالات بوصول القطار إلى المدينة



جريدة المؤيد(١) كما دعي لهذا الاحتفال ممثلو الصحف الأجنبية وكثير من الأجانب مما لم يسبق له نظير في الاحتفالات السابقة، هذا فضلاً عن الجموع الغفيرة من الأهالي التي حضرت هذا الاحتفال ابتهاجاً بهذا العمل الإسلامي الجليل، وقد جرى في هذا اليوم احتفال عظيم لم تشهده المدينة المنورة من قبل(٢) وافتتحت محطة الكهرباء في الوقت نفسه، وأنير الحرم والساحة المحيطة به طوال الليل قبل يوم الاحتفال.. وفي الصباح توجهت الوفود والجموع إلى ميدان المحطة. وبدأ الحفل بالقرآن الكريم ثم ألقيت الكلمات والقصائد وعزفت فرقة موسيقى الجيش عدداً من القطع الحماسية وتوقدت مشاعر الفرحة في الناس ((وكان سرور أهل المدينة عظيماً جداً. حتى إنهم من شدة فرحهم حملوا على أكتافهم المشير كاظم باشا الذي أنعم عليه السلطان برتبة المشيرية لكفاءته في إدارة المشروع وإنجاز العمل حملوه مع رئيس المهندسين مختار بك(٣).

طلب أهالي المدينة إعادة هذه الأفراح. فأعيد الاحتفال بحضور ثلاثين ألف شخص حيث أقيمت الزينات وألقيت القصائد والكلمات والأهازيج الشعبية، وعاش الأهالي يوماً مليئاً بالسرور(٤) ولقد كان هذا الاحتفال نقطة تحول كبيرة في حياة المدينة من الناحية الاقتصادية والعمرانية والسكانية. فهو البداية لنمو واسع وسريع في تلك الجوانب الثلاثة.

المدينة تعود مركزاً عسكرياً:

كانت المدينة مركزاً لحركة الفرق العثمانية المتجهة إلى نجد.. فقد كانت حروب عبد العزيز بن عبد الرحمن مع آل الرشيد الموالين للدولة العثمانية تقلق

---

١) ذكريات العهود الثلاثة ص ٣٨.

٢) السابق نفسه ص ١٦٢.

٣) السابق ص ١٦٣.

٤) محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية ص ٢٤٥-٢٤٦.

الباب العالي، ورغم وجود قوات لها في القصيم بقيادة صدقي باشا فإنها كانت تحتفظ بقوات إضافية في المدينة تتحرك وقت الحاجة، وعندما انتصر الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن على سميه عبد العزيز بن الرشيد في القصيم ((لم ترض حكومة آل عثمان عن صمت قائد جيشها صدقي باشا وجموده أمام ابن سعود.. فأوعزت إلى سامي باشا الفاروقي المقيم في المدينة المنورة بالسفر إلى القصيم ليحل محله(١) وخرج الفاروقي من المدينة مع قواته واستلم القيادة من صدقي باشا في ربيع الثاني عام ١٣٢٤هـ حاول سامي باشا التحرك في القصيم لمساندة خصوم عبد العزيز في حائل فأسرع عبد العزيز وجهز حملة إلى البكيرية وحاصر سامي باشا خيره بين أمرين: إما أن يرحل بجيشه خلال خمسة أيام وإما أن يتولى هو -عبد العزيز- ترحيل الجيش، وإذا رفض أحد الأمرين فسوف يهاجمه. ولم يكن سامي باشا قادراً على مواجهة عبد العزيز ورجاله فرضي مرغماً بالانسحاب وعاد إلى المدينة مع قواته(٢) وقد أرسل السلطان عبد الحميد بعد شهرين برقية يشكر فيها الأمير عبد العزيز على معاملته عساكر الدولة تلك المعاملة الشريفة(٣).

---

١) الزركلي: شبه الجزيرة في عهد عبد العزيز ص ١٧٣.

٢) السابق ص ١٧٤.

٣) السابق ص ١٧٥.

جامعة في المدينة المنورة:

تطلع دعاة الاصلاح الصادقون في الدولة العثمانية إلى إنشاء جامعة إسلامية تستقبل الطلاب من أنحاء العالم الإسلامي وتزودهم بثقافة إسلامية واسعة موحدة.. وتعدهم ليكونوا دعاة وبناة في مجتمعاتهم، وكان على رأس المتحمسين لهذه القضية الشيخ عبد العزيز الجاويش والشيخ عبد القادر المغربي والأديب شكيب أرسلان. وقد استطاع هؤلاء اقناع المسؤولين في استانبول بفكرتهم فصدرت الموافقة على إنشاء هذه الجامعة وتسميتها ((جامعة صلاح الدين الأيوبي)) وأوفدت الدولة العثمانية الأعلام الثلاثة لتنفيذ المشروع في المدينة، وزودتهم بالخرائط والأموال والتجهيزات اللازمة، ومنها مطبعة باللغة العربية.

وفي عام ١٣٣٠هـ وصل الرجال الثلاثة مع زمرة من المهندسين الأتراك إلى المدينة المنورة لاختيار البقعة المناسبة لإنشاء الجامعة. فاختاروا بقعة في الجهة الغربية من العنبرية، مقابل محطة السكة الحديدية وشرعوا في التنفيذ فوضعوا حجر الأساس ((ويقال أنهم وضعوا مع حجر الأساس لهذه الجامعة صورة من الأمر السلطاني ببناء الجامعة، وصورة من الخرائط، ومجموعة من النقود العثمانية))(١) وبدأ البناء وارتفع إلى نهاية الدور الأول.. وكان من المقرر أن يلتحق بهذه الجامعة الطلاب المتخرجون من دار المعلمين في المدينة، والطلاب الذين أكملوا الدراسة العالية في بلادهم في أنحاء العالم الإسلامي..

ولم ينتظر مؤسسو الجامعة انتهاء البناء، بل اعتبروها قائمة منذ صدور مرسوم تأسيسها، وعين عبد العزيز جاويش مديراً لها.. وأعلن عن بدء القبول، فتقدم عدد كثير من الطلاب -من المغرب والجزائر والعراق ومصر وكثير من البلاد العربية والإسلامية- تقدموا بطلب الالتحاق بجامعة صلاح

---

١) صور وذكريات عن المدينة المنورة عثمان حافظ ص ١٦٨.

الدين الأيوبي بالمدينة، وقبلت طلباتهم، وحولوا مؤقتاً لجامعة صلاح الدين بالقدس لينقلوا إلى جامعة المدينة متى تم إنشاء مبانيها(١) كما أوفد بعض الطلاب من المدينة إلى القدس للغرض نفسه(٢) وقد شرع في بناء الجامعة وفق المخططات والرسومات التي أحضرت من استانبول، وكان البناء بالحجر الأسود المنحوت وهو أقوى بناء عرف في ذلك الوقت، وتم إنشاء الطبق الأول من مباني الجامعة خلال سنتين.

في النصف الثاني من عام ١٣٣٢هـ أعلنت الحرب العالمية الأولى فتباطأ العمل في البناء.. ثم توقف بانتظار ماتنجلي عنه الأمور.. وكان هذا التوقف نهاية المشروع في ذلك العهد، ولم يقيض لهذه الجامعة أن تقوم إلا بعد سنوات طويلة وفي موقع آخر من المدينة. أما المبنى فقد استخدم جزء منه مستودعاً للمؤن والذخائر وركبت المطبعة في جزء آخر وكان لها دور كبير في السنوات التالية..

ثم تحول المبنى في أوائل العهد السعودي إلى مدرسة ثانوية، كانت أول مدرسة ثانوية في المدينة المنورة وسميت ثانوية طيبة، وبني طابق آخر.. وأما مشروع الجامعة فقد ظل مجمداً طوال مدة الحرب والعهد الهاشمي إلى أن قيض الله له من يحيه في العهد السعودي على نحو ما سيمر بنا بعد صفحات..

تغييرات كبيرة يحملها القطار:

أحدث وصول القطار إلى المدينة المنورة آثاراً كبيرة عليها في جوانب حياتها الاقتصادية والسكانية والعمرانية، والسياسية أيضاً ، وزاد من ذلك الأثر انتهاء الخط الحديدي عندها..

فقد حملت عربات القطار أكداساً ضخمة من السلع التجارية من بلاد

---

١) السابق نفسه ص ١٦٩.

٢) السابق نفسه ص ١٧١.

الشام ومن كل مايرد إلى بلاد الشام من آفاق العالم. وبالمقابل حملت من المدينة بعض خيراتها.. ومايصل إليها من نجد ومكة وجدة واليمن ومصر والهند. فأخذت الأسواق تكتظ بالتجار بائعين ومشترين، من الجنوب والشمال والشرق. وبنيت دكاكين جديدة وكان أهم مايجلبه القطار من المواد والأخشاب ومواد البناء والأدوات المنزلية والأقمشة والثياب المصنوعة والأثاث، ومن المواد الغذائية من الشام ((البرتقال والبطيخ اليافاوي والدقيق، القرفة وحنطة الجولان وأنواع الياميش.. كأنما المدينة أصبحت سوقاً لخيرات الشام))(١) وأهم ماحمله القطار من المدينة المنورة الخضار والتمور والجلود وبعض المصنوعات المحلية، فنمت الصلات التجارية نمواً جلب من الرخاء مالا يسهل اليوم تصوره، وكثر التعامل وكثرت الأموال في أيدي الناس وتحسنت أحوالهم المعيشية (٢) ولاأدل على هذا الانتعاش من أرقام السلع التي وردت بالقطار إلى المدينة فقد نقل القطار بعد إنشائه بعام واحد قرابة ٩٢ ألف طن من المواد الغذائية وارتفع الرقم بعد عام أي في عام ١٣٢٩هـ/١٩١٠م إلى ١١٢ ألف طن أي بزيادة قدرها ٢٠ ألف طن عن السنة السابقة(٣).

وكثر مجيئ الزوار إلى المدينة المنورة نتيجة لسهولة السفر بالقطار وتبعهم المجاورون والراغبون في الاقامة الدائمة والاستيطان وأغرى الازدهار كثيراً من الطموحين بالهجرة إلى المدينة وإنشاء مشاريع تجارية وصناعية وخدمات جديدة، فكثرت المطاعم وأصبح -كما يقول شاهد عيان- (من هب ودب مطبقانياً) أي صانع فطائر تتميز بها المدينة المنورة(٤) وكثرت الفنادق والورش الصناعية الصغيرة التي تصنع الأدوات وتجهيزات السفر وبعض

---

١) العهود الثلاثة ص ٣٧.

٢) السكة الحديدية ص ٢٧٨.

٣) السابق نفسه ص ٢٧٦.

٤) زيدان ص ٣٨.

البسط والمفارش وأدوات الزراعة ومستلزمات أهل البادية..

كان الوافدون إلى المدينة المنورة من أصقاع شتى الشام ومصر والمغرب وأفريقيا الوسطى - التكارنة - وبخارى التي احتلتها روسيا، كما وفد إليها بعض التجار من القصيم وشقراء والرياض واستوطنوها، وأدت كثرة الوافدين المستوطنين إلى زيادة سريعة في العمران فارتفعت أسعار الأراضي أضعافاً كثيرة، ونشط البناء داخل السور وغطى معظم المساحات الفارغة، ثم امتد خارج السور فبنيت بيوت كبيرة أشبه بالحصون والقصور في أطراف المدينة الثلاثة في الشمال على طريق أحد ومنطقة العيون، وغرباً وراء جبل سلع، وفي السيح، وجنوباً على طريق قباء وقربان إلى أطراف وادي الرانوناء. فارتفع عدد السكان من ٢٠ ألفاً عند افتتاح الخط ١٣٢٦هـ إلى ثمانين ألفاً عند بداية الحرب العالمية الأولى ١٣٣٤هـ أي أن عدد سكان المدينة المنورة قد تضاعف أربع مرات في ثماني سنوات(١) وهذا يعني تضاعف عدد البيوت وازدياد مساحة الأسواق والمستودعات ودكاكين الخدمات كالحلاقين والنجارين والحدادين والخبازين(٢) كما انتعش قطاع النقل في المدينة أيضاً لكونها المحطة الأخيرة للحجاج القادمين بالقطار وكثر الطلب على الجمال لتنقل الحجاج والزوار والمسافرين والبضائع من المدينة إلى مكة وإلى نجد.. وقدم عدد من البدو من أصحاب الابل وسكنوا في حزام المدينة.. وتبع ذلك تطور آخر فقد أغرت محطة الكهرباء التي أقامها العثمانيون شمالي الحرم لإنارة المسجد النبوي وساحاته عدداً من الميسورين لاستيراد مولدات كهربائية صغيرة لإنارة منازلهم الكبيرة ولتشغيل الورش الصناعية الصغيرة الناشئة.. فأنارت الكهرباء عدداً من بيوت أهل المدينة ودكاكينها واتخذ بعضهم المولدات مصدراً جديداً للكسب، فاستورد مولدات متوسطة الحجم توفر

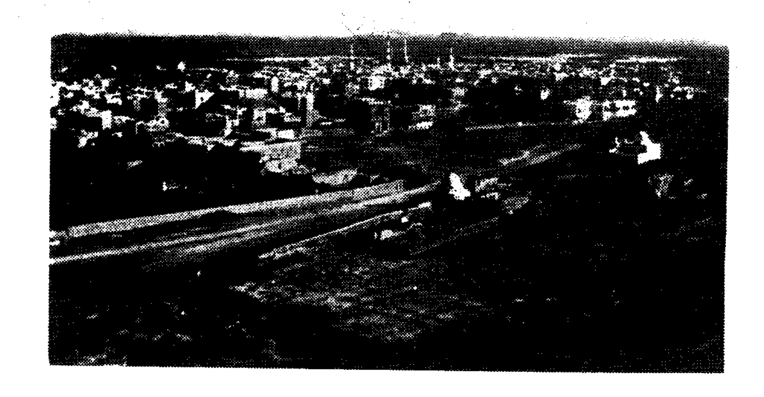
---

١) السكة الحديدية ص ٢٨١.

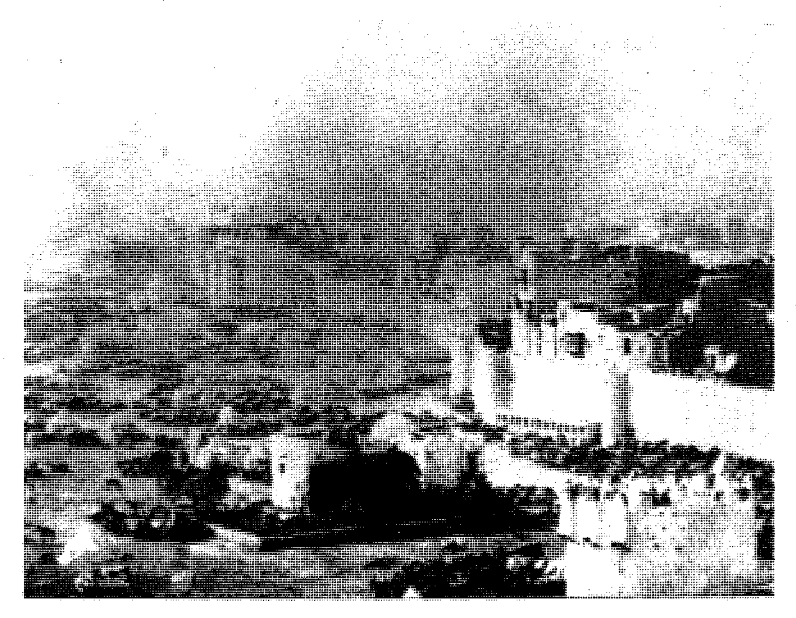
٢) تاريخ المملكة العربية السعودية ص ٤٠.



١ ـ مبنى أول محطة كهربائية لإنارة المسجد النبوي وساحاته.



٢ ـ تطور العمران في المدينة أوائل القرن الرابع عشر.



٣ ـ القوافل خارج سور المدينة، ويلاحظ ظهور منازل وأبنية أخرى خارج السور بعد أن كثر السكان في مطلع القرن الرابع عشر وإثر وصول الخط الحديدي إلى المدينة.

الإنارة لعدد من البيوت والدكاكين، ومد الخطوط الكهربائية بأجر معلوم لمن يرغب الاستفادة منها من جيرانه في البيت أو السوق..

المدينة تستقل عن مكة:

كانت المدينة متصرفية عثمانية (سنجق) وكان يتبعها إدارياً أربعة أقضية هي ينبع البحر -الوجه- سوارقية، العقبة أي أن حدود منطقتها تمتد من ينبع البحر إلى خليج العقبة(١) وكانت تابعة لشريف مكة من الناحية الرسمية، ورغم ضعف نفوذ الشريف فيها فقد كان له نائب يقيم فيها، وكان نفوذه يتأرجح قوة وضعفاً حسب قوة الشريف وضعفه. فيما نجد أحد الشرفاء يفصل في فتنة الأغوات، (يقيم الأحكام وتصدق الدولة العثمانية على حكمه، نجد الشريف عون الرفيق لايملك شيئاً من النفوذ فيها. وعندما أسندت إمارة الحجاز للشريف حسين عام حاول هذا الشريف أن يدعم نفوذه في المنطقة، وبدأ يتصل مع القبائل وسكان المدن والقرى الحجازية.. ولما تسلم الاتحاديون الحكم في استانبول أرادوا أن يحجموا نفوذه فسعوا إلى فصل المدينة إدارياً عن مكة، وجعلها منطقة مستقلة تتبع استانبول مباشرة..

وقد شجعهم على ذلك التطور الكبير الذي ظهر في المدينة بعد وصول السكة الحديدية وانتعاش الحياة الاقتصادية والعمرانية فيها. وكذلك وجود محطة اللاسلكي وتركيب خط التلغراف المتصل باستانبول..

ويبدو أن الاتحاديين قد رغبوا في تجنب إثارة الشريف حسين عليهم خاصة وأنهم لم يكونوا مطمئنين إليه، فأرادوا آن يظهروا أن يفصل المدينة عن إمارته إنما هو برغبة أبناء المدينة نفسها، فوجهوا محافظ المدينة علي رضا باشا الركابي كي يشجع أهل المدينة على رفع العرائض بذلك إلى استانبول..

---

١) انظر مملكة الحجاز ص ١٠٥، وسالنامة دولت علية عثمانية مطبعة عامر ز دار سهادت ١٣١٢هـ ١٨٩٤م ص ٥٠٦.

كان علي رضا الركابي عربياً أصيلا، من أهل سورية وكان حسن التصرف فأقام علاقات طيبة مع عدد من أعيانها، وزار بعضهم في بيوتهم وبخاصة رؤساء كبار الأسر العريقة وطرح القضية عليهم. فاعتذر بعضهم بسبب صلاته بالشرفاء وتردد بعضهم الآخر، وتحمس الشباب وبعض التجار.. وكتبوا عريضة بإيحاء من علي رضا الركابي وقع عليها الشيخ أبو الحسن السمان أحد كبار الوجهاء من الأسر العريقة. ووقع عليها أعداد من أبناء الأسر الأخرى ومن التجار والمزارعين وقد نظمت العريضة والتوقيعات بحيث تمثل معظم أهل المدينة.. ورفعت إلى استانبول. ولم يطل الأمر، فصدر مرسوم بفصل محافظة المدينة عن مكة في جميع شؤونها، وأصبح المحافظ هو المتصرف الأول في أمورها.. (والواقع -كما يقول محمد حسن زيدان أحد شهود ذلك العصر- أن هذا الفصل قد يسر كثيراً من الأعمال)(١) فأصبحت الأمور الإدارية وأمور التعليم والمالية والأوقاف ترجع في القضايا الكبرى إلى استانبول مباشرة، وكثيراً ماتحل في الدوائر المحلية بالمدينة، وأنشئت تبعاً لذلك مديرية للمعارف للاشراف على المدارس والمعاهد الموجودة في المدينة كما أنشئت مديرية للصحة. وقد غضب الشريف حسين لهذا الفصل وعاتب بعض أهل المدينة لتوقيعهم على العريضة(٢) لكنه لم يكن يملك سوى التسليم للأمر الواقع..

ولعل هذا العمل هو أهم ماقام به علي رضا الركابي خلال توليته محافظة المدينة. فقد نقل بعدها إلى بغداد وعين محافظ جديد هو سعد باشا ولم

---

١) العهود الثلاثة ص ٤٠.

٢) حسن زيدان ص ٤٠.

يمكث طويلاً فنقل.. وتلاه بصري باشا ثم فخري باشا(١) ويذكر الزركلي أن علي رضا الركابي عين في المدينة عام ١٩١٢م وهو مقابل ١٣٣٠هـ.

أول صحيفة في المدينة المنورة:

مما يذكر في عهد الركابي تأسيس أول صحيفة تصدر في المدينة المنورة وهي صحيفة غير منتظمة في صدورها رآها محمد لبيب البتنوني في زيارته للمدينة في موسم حج عام ١٣٢٧هـ. وقال عنها ((في المدينة جريدة اسمها (المدينة المنورة) تصدر باللغة التركية والعربية على مطبعة البالوزة -الحجرية- كلما كان هناك داع لصدورها، ومديرها حضرة الفاضل الشيخ محمد مأمون، وكانت تصدر مدة وجود الجناب العالي -الخديوي عباس-، شارحة حركاته اليومية، وناشرة كل ماكان يقدم لذاته الحلية من المدائح نظماً ونثراً، ومن ضمن مارأيت منها قصيدة لحضرة مديرها تهنئة للجناب العالي بقدومه قال في مطلعها:

البدر في أفق العلياء قد طلعا وكوكب السعد في إسعاده سطعا(٢)

المحتسب يصبح رئيس البلدية:

عندما تسلم الاتحاديون السلطة في العاصمة العثمانية، وشرعوا وبحماسة شديدة في اجراء تغييرات ادارية كبيرة، وكانوا يقصدون تحديث الدولة ومواكبة التقدم الذي وصلت إليه الدول الأوربية. وكان من بين التغييرات الإدارية التي أجروها الغاء الوظائف الإدارية العريقة، فأصدروا مرسوماً بالغاء وظيفة المحتسب واحداث إدارة جديدة باسم ((البلدية)) وبنقل صلاحيات المحتسب إلى رئيس البلدية وحددوا مسؤولياته وطبيعة عمله..

وقد ارتبطت بالبلدية مسؤوليات تخطيط المدن وتنظيم الشوارع

---

١) البرادعي ص ١٣٣.

٢) البتوني. ط الرحلة الحجازية ص ٢٥٥ مكتبة المعارف -الطائف د. ن.

والاشراف على المباني وفتح الطرقات والأسواق ومراقبتها -وكانت هذه هي المهمة الكبرى للمحتسب- وألغيت من مسؤلياته مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد طبق هذا الأمر في المدينة في عهد المحافظ السوري علي رضا الركابي، وهدمت عشة المحتسب عند الباب الصغير وأقيم مكانها بناء واسع للبلدية، وعين محمد سعيد الشصلي رئيساً للبلدية عام ١٣٣٠هـ -وكان هو نفسه المحتسب- وكان الشصلي جريئاً وحازماً فاستمر في عمله على النحو الذي كان عليه في المسمى السابق ولم يلحظ أهل المدينة أي تغير في التعديل الجديد.

خاتمة العهد العثماني في المدينة: ملحمة ومأساة

الأوضاع العامة في المنطقة العربية:

كانت المنطقة العربية تتهيأ لأحداث ضخمة قادمة، وكان الحجاز بالذات نقطة انطلاق تلك الأحداث، فالدول الأوربية تعقد المؤتمرات لاقتسام تركة ((الرجل المريض)) وتعد الخطط للاجهاز على الدولة العثمانية وإنهاء آخر وجود للخلافة الإسلامية.. رغم أنها تحولت إلى خلافة اسمية تماماً بعد سقوط عبد الحميد الثاني.

والاتحاديون الذين استولوا على الحكم في العاصمة العثمانية وقعوا في سلسلة من الأخطاء، أولها الاندفاع في موجة القومية العلمانية، وفرض سياسة التتريك على الولايات العثمانية كافة، والعربية بخاصة، ففقد العرب الإحساس بالرابطة الحقيقية التي كانت تربطهم بالخلافة العثمانية، رابطة الأخوة الإسلامية، وامتدت إلى النعرة القومية -وهي ردة فعل طبيعية للنعرة القومية الطورانية- وأسس بعضهم الجمعيات الناهضة للحكم الطوراني، وتطلع بعضهم الآخر إلى الانفصال عن العثمانيين تماماً وتأسيس دولة عربية... بينما كان بعض المصلحين المتفائلين يأمل في إصلاح الحكومة العثمانية وإعادة الخلافة إلى مركزها الحقيقي.

وكانت آخر أخطاء الاتحاديين الطورانيين في الدولة العثمانية وأخطرها قرارهم دخول الحرب العالمية الأولى التي اشتعلت عام ١٩١٤م إلى جانب ألمانيا، والمشاركة الفعلية في القتال ضد الحلفاء: بريطانيا وفرنسا وأمريكا من بعده. وكان الأوربيون ينتظرون هذه الفرصة للانقضاض على الدولة العثمانية واقتسام ولاياتها العربية وإقامة الكيان الصهيوني في فلسطين. وكانت الضحية الكبرى لأخطاء الاتحاديين بلاد الشام والعراق وكانت نقطة البدء من الحجاز.

فالشريف حسين الذي عينته الدولة العثمانية أميراً على الحجاز بعامة

إلى جانب الوالي التركي.. كان أحد المتطلعين إلى إقامة كيان عربي مستقل عن الدولة العثمانية تحت سلطته المباشرة، وكان أول من أدرك هذه الحقيقة وعمل على الاستفادة منها انكلترا، الدولة الرئيسية في مواجهة الدول المحور في الحرب العالمية الأولى... فبدأ وزير خارجيتها مكماهون يراسل الشريف حسين ويعده بمساعدته على تحقيق أحلامه مقابل أن يعلن الشريف الحرب على الدولة العثمانية ويحرك قواته والقبائل التي تدين له بالولاء، والعرب الذين يستجيبون، له لقتال العثمانيين وإخراج قواتهم من البلاد العربية.

نشاط الشريف حسين وأبناؤه:

نشط الشريف حسين وأبناؤه الثلاثة، عبد الله، وفيصل، وعلي، في الإعداد للمعركة الفاصلة، وتوزعوا المهمات الكبيرة، لازم عبد الله أباه وتولى الاتصالات مع الانكليز وحلفائهم لوضع الخطط السياسية والعسكرية واستقدام المعدات والأموال والمستشارين العسكريين الذين سيقودون الحملة، وعمل فيصل مبعوثاً مزدوج المهمة فهو مندوب والده لدى العثمانيين يموه عليهم ويظهر لهم ولاء الحجاز واستعداده للمشاركة مع الجيش العثماني في الحرب ضد الحلفاء من جهة، ومن جهة أخرى يتصل بزعماء الحركات والجمعيات الناقمة على العثمانيين في بلاد الشام، ويجمع كلمتهم، ويعد معهم الخطط للثورة.

وكان مهتماً باستمالة قادة الفرقة العربية المرابطة في بلاد الشام -وهي فرقة عسكرية أنشأها العثمانيون من العرب لترابط في البلاد العربية- لتكون محوراً رئيسياً في مواجهة الجيش العثماني، كما اهتم بتحريك القبائل العربية في الشام لتنضم إلى الفرقة العربية. وقام علي بمهمة الاتصال بالقبائل الحجازية والمنتشرة بين الطائف والمدينة المنورة للمشاركة في الثورة أيضاً، كما تولى قيادة جبهة القتال في المدينة المنورة فيما بعد.

واجتهد الشريف حسين وأبناؤه في التكتم والأخذ بأسباب الحيطة كي

لاينكشف أمرهم للعثمانيين قبل أن يستكملوا إعداد ثورتهم... وقد لاحظ الوالي العثماني في مكة كثرة اجتماع الشريف مع رؤساء القبائل وتحركات ابنه عبد الله وارتاب فيها وأبلغ العاصمة بشكوكه، ولكنه لم يتوصل إلى معرفة خطة الشريف حسين الحقيقية.

وفي استانبول بدأ كبار المسؤولين الاتحاديين يرتابون في تصرفات الشريف حسين، وينظرون إلى طلباته المتكررة بشك كبير. وكان من بينها إصدار قرار بتثبيت ولايته وأبنائه من بعده على الحجاز، وإرسال معونات كبيرة، فعهدوا إلى جمال باشا، الحاكم العسكري في الشام وقائد الجيش الرابع بمتابعة تصرفاته، ومراقبة تحركات ابنه فيصل. وكان فيصل قد وصل الشام في شهر صفر ١٣٣٤هـ الموافق مارس ١٩١٥م، والتقى بزعماء جمعيتي العهد والفتاة، وبعدد من زعماء مشايخ القبائل ووجوه أهل الشام، واتفق معهم لمباشرة العمل والإعداد للثورة. ثم سافر إلى القدس، والتقى بجمال باشا، وأكد له أن والده يعمل على مساعدة الدولة في الحرب ضد الحلفاء، ووعده بتجهيز ١٥٠٠ متطوع من أهل الحجاز وقيادتهم بنفسه إلى جبهة القتال في قناة السويس، ثم عاد إلى الحجاز.

اجتمع الشريف حسين بأولاده في الطائف بعيداً عن عيون الوالي العثماني بمكة، وتدارس معهم ماتم إنجازه، وقرر المجتمعون إنهاء الاستعدادات بأقصى سرعة... وعاد فيصل إلى الشام، واصطحب معه قوة طليعية من المتطوعين (٥٠ رجلا) للتمويه على الدولة العثمانية، ونزل في دار جمال باشا واتخذها مقراً لتجهيز متطوعين آخرين -كما أعلن للعثمانيين- وأخذ يلتقي برؤساء القبائل ومشايخ الشام لاكمال خطة الثورة على الدولة العثمانية. بينما سافر علي بن الحسين إلى المدينة المنورة للاتصال بأهلها وبالقبائل المقيمة حولها، وإعدادهم للثورة في الوقت الذي يحدده والده.

الإعداد للثورة في المدينة:

نزل علي بن الحسين في منزل يملكه أحد أصدقاء الشرفاء ((سليم مصطفى)) -وكان صاحبه قد فرغ من بنائه لتوه- ويقع خارج السور من الجهة الشمالية على درب التجار بين سقيفة بني ساعدة والعطن ليسهل عليه التحرك، وليكون بعيداً عن رجال المحافظ بصري باشا(١) وكان معه عدد من الرجال باسم المتطوعين أيضاً... وشرع علي بالاتصال بالأشراف وأهل العوالي وآبار علي وقباء ورؤوس عدد من عائلات المدينة ومشايخ القبائل المحيطة بالمدينة. وكان أول من استجاب له الأشراف وفي مقدمتهم الشريف شحات بن علي، وأخوه ناصر، وبعض بني عمرو، وأهل وادي الريان وأهل قرية الفرع وعلى رأسهم أحمد بن جميعان وأخوه ناصر.

وبدأ الشريف علي بن الحسين -بتوجيهات من والده- يتدخل في بعض الشؤون الادارية ويعطل بعض أوامر بصري باشا محافظ المدينة، وكانت المدينة قد فصلت إدارياً عن مكة وألحقت إدارياً بالشام وأصبحت تابعة لواليها، ولم يعد للشريف حسين أية سلطة فيها. لذلك تضايق بصري باشا وأرسل برقيات إلى العاصمة يشكو من تصرفات الشريف علي، فأبرق أنور باشا أحد كبار الاتحاديين المتنفذين في السلطة من استانبول إلى الشريف حسين يحذره من عاقبة تصرفات ابنه، ويطلب منه إرسال المتطوعين المجتمعين في مكة والمدينة إلى الشام، ليكونوا تحت قيادة فيصل، الذي سيظل ضيفاً على الجيش الرابع حتى انتهاء الحرب، وأرسل برقية أخرى إلى جمال باشا لتشديد المراقبة على فيصل ومنعه من مغادرة الشام ومراقبة تحركاته.

وقد نفذ جمال باشا الأوامر، كما شدد المراقبة على الذين يشك في ولائهم من أهل الشام، وأمر بالقبض على بعضهم وزج بهم في السجن.

---

١) العهود الثلاثة ٩٢.

وتوالت تقارير بصري باشا تشكك في تصرفات الشريف علي وتحذر من عاقبة اتصالاته، فاستدعى جمال باشا فيصل بن الحسين وعاتبه على تصرفات أخيه، فاعتذر فيصل بلباقة وتعهد بالكتابة لوالده وأخيه بهذا الشأن.

ويبدو أن المسؤولين في استانبول خشوا من أن يفلت الأمر من أيديهم وأن يستخدم الشريف حسين المتطوعين ضدهم، فأوعزوا إلى جمال باشا بملاينة فيصل والتباحث معه بشأن المعتقلين السياسين على أن يباشر والده إرسال المتطوعين. وأخبر فيصل والده بالتطورات الجديدة، فتظاهر الحسين بارتياحه لذلك، وأبرق شاكراً الحكومة على موقفها، وأبدى استعداده لإرسال المتطوعين.. وطلب أن يتوجه ابنه فيصل إلى المدينة ليقودهم بنفسه... كما أوعز إلى المتطوعين الموجودين في المدينة أن يبرقوا لجمال باشا راجين أن يقودهم فيصل بنفسه إلى فلسطين وجبهة السويس... وغايته من ذلك تخليص فيصل من قبضة جمال باشا.

استجاب الاتحاديون لطلب الحسين على الرغم من ارتيابهم المتزايد، والتقى جمال باشا بفيصل وأبلغه موافقته على السفر إلى المدينة لقيادة المتطوعين، ولحظ سرور فيصل لهذا القرار، فازدادت ريبته وأدرك أن الشرفاء غير صادقين في وعودهم ووردت تقارير جديدة من بصري باشا تحذر من خطر الشرفاء وتنصح بالقبض عليهم قبل أن يستفحل أمرهم، ولكن جمال باشا آثر التريث وتنفيذ أوامر العاصمة، وترك فيصلاً يسافر إلى المدينة، واختار واحداً من أكفاء ضباطه وأكثرهم جرأة وشجاعة هو فخري باشا وكلفه بالسفر إلى المدينة المنورة وتسلم القيادة فيها من بصري باشا والاشراف على جميع الأمور السياسية والعسكرية، ومراقبة الشرفاء، فسافر فخري باشا إلى المدينة ووصلها عقب وصول فيصل مباشرة.

نزل فيصل مع أخيه في بيت مصطفى سليم، وواصل الأخوان التظاهر بجمع المتطوعين وإقناع رؤساء العشائر والبيوت الكبيرة في المدينة بإرسال

أبنائهم معهما إلى السويس.. بينما كانا يجتهدان في اقناع من يلتقيان بهما بالثورة على الدولة العثمانية.

فخري باشا في المدينة:

وصل فخري باشا بالقطار إلى المدينة ووصلت معه أول سيارة تدخل المدينة المنورة وهي سيارته التي يتنقل بها وقد شحنها معه، وظلت السيارة الوحيدة في المدينة سنوات عدة(١) وسارع فيصل وأخوه علي للقاء فخري باشا والترحيب به، وأظهرا كل مودة له، فقد سبقت سمعة فخري باشا وصوله إليهما. وما لبث أنور باشا الزعيم الاتحادي الكبير أن وصل بالقطار إلى المدينة أيضاً لتفقد الأحوال فيها(٢) فسارع الشقيقان لملاقاته.. وتبودلت الدعوات والولائم ونجح الأخوان في تجميد شكوك فخري باشا وأنور باشا إلى حين.. بل وأشعراه بأنهما رهينتان عنده(٣).

وكان فخري باشا قائداً عسكرياً فذاً يجنح إلى المثالية فيه صلابة وعناد وثبات على المبدأ... لذلك عنى منذ وصوله بالقوات العسكرية والحرس والهيئات الإدارية الموجودة في المدينة عناية فائقة، وعمل على جعل المدينة مركزاً عسكرياً متكاملاً يحتوي على الخدمات الأساسية اللازمة.. من الطرق والمستودعات ووسائل الاتصال الداخلية والخارجية وغيرها.

فقد كانت المدينة ترتبط بالدولة العثمانية بخط برقي تمتد أسلاكه فوق الأعمدة الخشبية إلى معان فعمان فدمشق.. وتمر بالمدن التي تقع في هذه المنطقة، خيبر وتيماء وتبوك، ويتابع الخط البرقي سيره جنوباً إلى مكة، وقد أنشئ هذا الخط عام ١٣١٨هـ ، كما أنشئت في العام نفسه محطة اللاسلكي، وأنشيء خط برقي آخر مواز لخط السكة الحديد عام ١٣٢٦هـ ، وعندما

---

١) من حديث محمد حسين زيدان معي.

٢) مملكة الحجاز ص ٦٠.

٣) زيدان ص٩٢.



فخري باشا... العسكرية والمقاومة والعناد



٢ ـ الشريف علي بن الحسين.



٣ ـ الشريف عبدالله بن الحسين.



٤ ـ الشريف فيصل بن الحسين.

وصل فخري باشا اهتم بصيانة محطة اللاسلكي لتشغيلها مع خطوط البرق على أعلى مستوى. وبنى لها سورا واسعا ، ووصله بسور طويل يمتد جنوبا إلى باب القبارية قرب البقيع، وقد عملت المحطة بكفاءة عالية لسنين عدة وكانت الوسيلة الوحيدة لاتصال المدينة بالعالم عندما ضرب عليها الحصار مرتين..

وأسس فخري باشا أيضاً شبكة اتصال هاتفي داخل المدينة وأحضر مقسماً بسعة ٥٠ خط هاتفي ومد جنوده الأسلاك بين إدارات الجيش ومستودعاته ومراكز المراقبة الرئيسية والثكنات.. فصار مركز المدينة العسكري مركزاً متطوراً بالقياس إلى أي مركز آخر في الحجاز(١) غير أن فخري باشا قصر في جانب واحد شديد الأهمية بالنسبة للأحداث آنئذ، فلم ينشىء هيئة استخبارات تأتيه بحقيقة ما يجري في المدينة، ولم يخطر له أن يعين أحداً لمراقبة الشريفين، ورغم وجود عناصر عربية متعاطفة مع العثمانيين لم تستجب للشريفين فإنه لم يستعن بأحد من هذه العناصر، ولم يتأكد من صدق وعود الشريفين وحسن مجاملتهما.. حتى إن فيصلاً استقبل في بيته اثنين من كبار المعارضين والناقمين على الاتحاديين آنئذ هما محب الدين الخطيب وكامل قصاب، وكانا متنكرين في زي بدويين واستضافهما ثم رحلهما عن طريق العوالي إلى مكة ليكونا عوناً كبيراً للشريف حسين في إدارة أعماله دون أن يشعر فخري باشا بشيء... أما الأول محب الدين الخطيب فكان الصوت الإعلامي الكبير للشريف حسين بعد ثورته فأصدر له

---

١) انظر فصول من تاريخ المدينة ٣٤٥.

جريدة القبلة، وأما كامل قصاب فتولى إدارة مديرية المعارف(١) ولم ينتبه فخري باشا لوصولهما ولا لخروجهما.. لذلك كان فيصل وعلي يواصلان اتصالهما بطمأنينة ويطلبان من الدولة العثمانية مزيداً من المال لتجهيز المتطوعين، وقد أرسلت لهما الدولة مالاً عبر فخري باشا كما أرسلت لأبيهما ٦٠ ألف ليرة ذهبية للغرض نفسه.

قوة عسكرية في المدينة:

كانت الدولة العثمانية قد جهزت حملة تأديبية لإخضاع القبائل المتمردة في اليمن وتهدئة الأوضاع المضطربة فيها... فلما كثرت تقارير بصري باشا تحذر من الشرفاء وتبعتها تقارير عن تعرض بعض القبائل البدوية للحملة أثناء مرورها بأراضيها، أصدر جمال باشا أمره للحملة كي تتوقف عند المدينة المنورة. فتوقفت مع وصول فخري باشا محافظاً وقائداً عسكرياً للمنطقة كلها..

التعجيل بالثورة:

ثم توالت الأحداث في الشام واعتقل جمال باشا عدداً من زعمائها.. وكان فيصل قد اتصل بهم واتفق معهم على الثورة وتحريك الفرقة الرابعة، فخشي الشريف حسين أن ينكشف أمره وقرر أن يعجل بالثورة.

أرسل الشريف حسين إلى ابنيه في المدينة يبلغهما بقراره الجديد وطلب منهما أن يبدءا ثورتهما في المدينة في الرابع من شهر شعبان ١٣٣٤هـ الموافق للخامس من حزيران ١٩١٦م، وأبلغ الانكليز بذلك بواسطة ابنه عبد الله. وعندما وصل مبعوث الشريف حسين إلى فيصل وعلي التقى هذان بكبار مؤيديهم في المدينة وماحولها ووضعوا خطة بدء الثورة على النحو التالي:

خطة الثورة في المدينة:

ينسحب فيصل وعلي ورجالهما من المدينة دون أن يشعر بهما فخري

---

١) زيدان ص ١٠٤.

باشا ويذهبان إلى منطقة قريبة عند أنصارهما .. ويجمعان الرجال من القبائل ويهاجمان الجيش العثماني من خارج المدينة، بينما يهاجمها من الداخل مجموعات من الرجال بقيادة الشريف شحات ابن علي في العوالي وأحمد بن جميعان في آبار علي..

وانتشر الخبر بين رؤساء الأسر والقبائل وانتقل منهم إلى الكثيرين، وكاد أن يفشو بين الصغار والكبار(١) ولكنه لم يبلغ فخري باشا ورجاله ومما ساعد الشريفين وغطى على تصرفاتهما النفير العام واستنهاض الناس للتطوع في الجيش العثماني لقتال الحلفاء، ويروي محمد حسين زيدان وهو شاهد عيان ناشئ آنئذ أنه قبل بدء الثورة في المدينة بيومين أو ثلاثة نصب العلم عند باب المصري ووقف السيدان بافقيه ومحمد هاشم يناديان بصوت جهير: الجهاد يامسلمون.. إلى السويس.. الجهاد.. أخرجوا الانكليز من السويس. من مصر. وسمع أهل المدينة ذلك النداء فذهب الكثير إلى بيوتهم يستعدون للجهاد(٢).

بدء التنفيذ:

في المساء تسلل الشريفان متنكرين بزي بدويين ومعهما عدد من رجالهما وحراس من القبائل التي أطاعتهما، واتجها شرقاً في طريق عشيرة بين الحرة والخنق. ولم يكن في ذلك الطريق أحد من رجال العثمانيين أو الموالين لهم.. خلافاً للطريق السلطاني..

كتب الشريف علي رسالة لفخري باشا وتركها مع أحد رجاله ليسلمها له بعد يوم من رحيله وأخيه يقول فيها (بناء على الأوامر الصادرة من أبي سيقف نقل المتطوعين إلى فلسطين ولهذا عقدت النية على العودة بالمجاهدين إلى مكة بدلاً من ضياع الوقت هنا، وإني لآسف لاضطراري إلى الرحيل دون

---

١) انظر زيدان ص ٩٣.

٢) السابق نفسه ص ٩٣.

أن أودعك فالمرجو قبول عذري)(١) وعندما تسلم فخري باشا الرسالة سارع مع عدد من ضباطه إلى حيث ينزل الشريفان فلم يجد احداً، وأرسل بعض خيالته في طريق مكة ليقبضوا عليهما فلم يعثروا عليهما، وأيقن فخري باشا أن المواجهة مع الشرفاء قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى، وبدأ يتصرف بسرعة ومهارة، أرسل برقية إلى جمال باشا يخبره بما حدث ويطلب منه إمداده بالذخائر والمؤن على وجه السرعة ثم وزع بعض قواته على أطراف المدينة وأقام نقاط مراقبة متعددة وأمر بحفر الخنادق ونظم دوريات الحراسة حول المدينة كلها.

ووصل القطار يحمل كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر والمؤن، فأفرغ بسرعة ووزعت حمولته على مستودعات عدة في أماكن متفرقة من المدينة محروسة حراسة قوية. كان فخري باشا يتوقع هجوماً من الغرب، لذلك عزز تحصيناته في الجهة الغربية ووضع عدداً كبيراً من الجنود فيها، بينما كان فيصل وعلي يحشدان رجال القبائل الموالية لهما من الفرع ووادي ريدان.. وتجمع لهما مايزيد على ألف وخمسمائة رجل وعسكروا عند غدير (حجر) قرب آبار الماشي، ثم تحركوا باتجاه المدينة، ووصلوا إلى مشارف جبل أحد ثم التفوا من ورائه إلى أطراف الحرة الشرقية ومنها إلى العوالي جنوب شرق المدينة وكان في حسابهم أن يفاجئوا الجيش العثماني فيقبضوا على زمام الأمور بسرعة كبيرة..

غير أن تصرف فخري باشا السريع ضيع عليهم فرصة المفاجئة وكان الجنود في أبراج المراقبة يرصدون الحشود المقتربة وكانت المدفعية بانتظارهم أيضاً. وأمر فخري باشا بعدم اطلاق النار حتى يصبح المهاجمون في مرمى القذائف.، وتحصن الجنود في الخنادق والمتاريس..

---

١) ماضي الحجاز وحاضره ص ٥٣-٥٤.

انفجار المعركة: موقعة دامية وخاسرة:

فوجئ علي وفيصل بأنهما لم يحققا المباغتة، وأمرا باطلاق نار كثيف تمهيداً لهجوم قوي وسريع، ودوت أصوات الانفجارات ورد الجنود بعنف، واندفعت بعض خيالة المهاجمين لتقتحم المواقع الأولى لجيش فخري ولكنها فوجئت بنيران غزيرة من الخنادق والمتاريس وسقط عدد من القتلى والجرحى وأصيبت الخيل فارتدت على أعقابها.. وزحف المشاة ليعوضوا عن هجمة الخيالة الفاشلة فواجهوا ماواجههم زملائهم من قبل. وتترس كل فريق بما وجده من صخور ومرتفعات ترابية وأخذ المهاجمون يتحركون ببطء شديد يغيرون على المواقع التي تنطلق منها النيران لكنهم لايتقدمون خطوة واحدة حتى يتراجعوا خطوتين، وكثرت الاصابات فيهم، وتوالت قذائف المدفعية تنصب عليهم، فلجأوا إلى البساتين، فجابهتهم قوات فخري باشا بعنف وانصبت قذائف المدفعية على البساتين تصيب النخل والمتترسين وراءها فتقتل وتحرق، واستقدم فخري باشا عدداً آخر من قواته وبدأ يحاصر البساتين التي بداخلها رجال الهاشميين ويصلونها بنيران البنادق، وارتفعت ألسنة النيران من بعض البساتين، فقد أمر فخري باشا بإحراقها للقضاء على المتترسين فيها. وأحيط بالمحاصرين، وحاول بعضهم الهرب أثناء اطلاق النار فحصدهم رصاص الجنود واستسلم آخرون، ونجح قليلون في الفرار إلى البيوت القريبة، وتبعهم الجنود، وأمر فخري باشا بإحراق البيوت التي يطلق منها الرصاص.. وبدأ فيصل ورجاله في الصفوف الخلفية الانسحاب تحت وطأة المقاومة الشديدة، التي تحولت إلى هجوم ضخم، تدعمه المدفعية، وسقط عدد كبير من رجاله.. ونجح في التقهقر مع عدد من نجا منهم جنوباً..

وبينما المعركة في أولها في العوالي اشتعلت معركة أخرى في آبار علي، فقد قام أحمد بن جميعان وأخوه ناصر ومعهم عدد كبير من الموالين للهاشميين من جهينة وبعض الحربيين بالهجوم على نقاط الحراسة المتقدمة

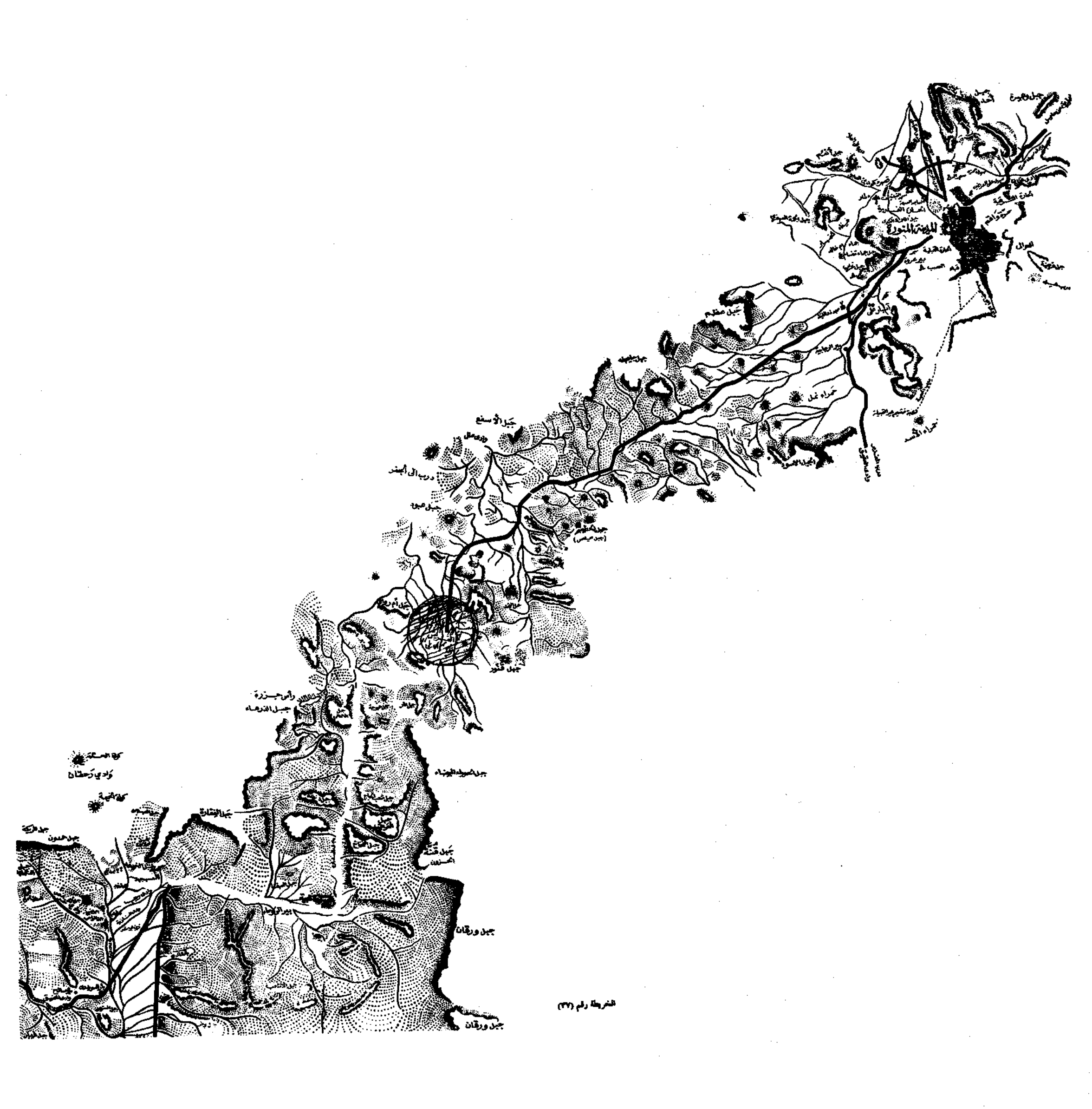
فقتلوا الجنود العثمانيين وتقدموا إلى وادي العقيق ووصلوا إلى قصر سعد وهاجموا مراكز المراقبة عند (عروة) وبلغ الخبر فخري باشا وهو منهمك في قياده الجنود الذين يواجهون قوة فيصل وعلي وشحات في العوالي فاستشاط غيظاً وقال كلمته التي رددها كثيراً فيما بعد. والتي أثرت في سياسته وخططه (عرب خيانات) ووجه أحد كبار ضباطه الأتراك ليقود قوة كبيرة من ثكنة العنبرية وقلعة سلع لمواجهتهم، وأمر بقصفهم بالمدفعية من جميع المرابض التي تصل قذائفهم إليهم.. وانصبت الحمم على ابن جميعان ورجاله، ثم هدأت لتفاجئهم نيران كثيفة من حشد كبير من الجنود يزحف باتجاههم. ولم تكن القوة متكافئة على الاطلاق. فتوقف زحف ابن جميعان ورجاله.. ثم أحسوا أن الجنود العثمانيين بدأوا يحيطون بهم من الأطراف الثلاثة.. وبدأت مجموعة في الجهة الشمالية تحاول الالتفاف وراءهم، فأمر ابن جميعان رجاله بالانسحاب تحت وابل النيران وسقط عدد كبير منهم(١) ثم تحول الانسحاب إلى هزيمة عشوائية لينجو من ينجو بنفسه وليتوجه غرباً إلى الفريش..

وهكذا انتهى الهجوم الأول بالفشل الذريع وبخسائر فادحة في الرجال في آبار علي. وفي الرجال والنخيل والبيوت في العوالي.. ولملم الهاشميون رجالهم واتجهوا جنوباً ثم غرباً ثم شمالا حيث التقوا برفاقهم في الفريش ونزلوا عندهم وأرسلوا الرسل طلباً لنجدة الرجال والسلاح والذخلئر وتوجه الشريف علي بنفسه ليجمع ما يستطيع جمعه من رجال القبائل الموالية لهم..

فوجئ الهاشميون بمقاومة فخري باشا وجنوده العنيفة، واضطروا إلى ايقاف المعارك لبعض الوقت بانتظار مزيد من العتاد والذخائر والمؤن والأموال لاستمالة قبائل أخرى وإشراكها في الهجوم على المدينة المنورة. ولحث مشايخ القبائل الذين ساعدوهم في الهجوم الأول على حشد أعداد أخرى من المقاتلين من قبائلهم. وكان الشريف حسين في مكة قد أعلن الثورة في

---

١) انظر زيدان ص٩٤.



تجمع قوات الهاشميين في الفريش وحركتهم في الهجوم على قوات فخري باشا في المدينة

العاشر من شعبان عام ١٣٣٤هـ التاسع من حزيران ١٩٠٦م -أي بعد بدئها في المدينة بخمسة أيام- وأطلق الرصاصة الأولى من شرفة قصره باتجاه الثكنات العثمانية في مكة وأمر رجاله بالهجوم على الجيش العثماني.. وعندما وصلت أخبار المعركة حول المدينة المنورة كانت المواجهات في أطراف مكة وجدة على أشدها بين رجال الشريف حسين بقيادة ابنه عبد الله وبمعونة عدد من المستشارين الانكليز وبين الجيش العثماني الذي فوجئ بالهجوم. وقد سارع عبد الله بن الحسين إلى طلب المعونه من حلفائه الانكليز لإمداد أخويه فيصل وعلي في المدينة. ولم يتأخر الحلفاء في إرسال المطلوب وأفرغت بعض البواخر الانكليزية صناديق الأسلحة والذخائر وبعض المدافع قرب شاطئ ينبع وحملها رجال القبائل الموالون للشرفاء إلى القوة المرابطة في آبار الماشي..

استمرار المعارك:

ما إن وصلت الإمدادت حتى انطلقت قذائف المدفعية تنصب على قوات فخري باشا.. وبدأ الهجوم الثاني تغطيه نيران غزيرة.. وتقدم المهاجمون حتى بلغوا آبار علي.. وتجاوزوها متقدمين إلى المدينة المنورة.. ووصلت قذائف المدفعية إلى أسوارها وإلى عدد من البيوت القريبة من السور. والتهبت حماسة فخري باشا وقواته.. وقاموا بهجوم مضاد قوي رد المهاجمين ثانية على أعقابهم، وأوقع فيهم خسائر كثيرة.. وسقط عدد من القتلى والجرحى بين جنود فخري باشا. وعاش أهل المدينة المنورة أياماً جديدة من الرعب والنيران والجدران المهدمة..

وبعد أيام شهدت المدينة هجوماً ثالثاً من الجهة الجنوبية ولكنه لم يكن أحسن حظاً من سابقيه.. بسبب يقظة جنود فخري باشا وضباطه، وفشل المهاجمون في مباغتة المدافعين رغم وجود بساتين النخيل التي يمكن أن تساعدهم على التستر والتمويه..

وقد جعلهم هذا الفشل يعيدون حساباتهم ويؤثرون التريث إلى حين وصول المزيد من القوات والامدادات. غير أن توقفهم كانت له نتائج سلبية على بعض القبائل الموالية لهم، فرجال القبائل لاصبر لهم على الكر والفر ومعاودة القتال وكانوا يتوقعون حسب وعود الهاشميين أن يدخلوا المدينة بعد أول هجوم، ويقتسموا ما سيتركه العثمانيون الشيئ الكثير. كما كانوا يتوقعون أن تصلهم أموال وافرة من الشرفاء. غير أن ماوصلهم كان دون طموحهم بكثير. لذلك بدأ بعضهم يظهر التململ، ويلوح بترك الساحة والعودة إلى مضارب القبيلة، ونفذ بعضهم تهديداته عندما فشل الهجوم الثالث وسقط عدد من أبناء قبيلتة قتلى وجرحى..

وبنهاية شهر شعبان توقف القتال عند الحد الذي وصل إليه. واستقبلت المدينة المنورة رمضان دون مدافع ولاطلقات بل بجبهات ساكنة مترقبة في الغرب والجنوب..

ونشر فخري باشا مجموعة من قواته على امتداد الخط الحديدي شمالا كي يحفظ طريق الامدادات. ولم تكن لدى الهاشميين قوات كافية للتوغل وقطع الطريق شمالا.. لذلك ظل الطريق إلى الشام مفتوحاً وظل القطار يصل إلى المدينة بعرباته المحملة بالذخيرة والمؤن طوال شهر رمضان. ورابط جيش الهاشميين عند الفريش بانتظار فرصة أخرى للهجوم واقتحام المدينة..

احتياطات غذائية:

لم يضيع فخري باشا الفرصة، فأمر ضباطه بشراء جميع الأغذية الموجودة في الأسواق.. ولاسيما القمح والدقيق والتمر والسكر والسمن.. وأقام مستودعات محروسة في البيوت المهجورة وداخل الثكنات وبعض المساجد.. فجمعت أكياس كثيرة من الدقيق وأكداس من التمر. فكلف مجموعات كبيرة من الجنود بضغط التمر في قوالب صغيرة وجعلها على شكل

مكعبات كي لايؤثر فيها الدود.. ووضع الجيش يده على معظم الأفران الموجودة في المدينة وأقيمت أفران جديدة في الثكنات العسكرية وانهمك الجنود في صنع نوع من الخبز يسمى (القنيطة) يجف بعد خروجه من الفرن مباشرة ويحفظ في أقبية البيوت فلا يصيبه العفن، وعندما يراد أكله يبل قليلا بالماء فيعود وكأنه خبز بالأمس(١) وقد أدت حملة فخري باشا هذه إلى ارتفاع الأسعار ارتفاعاً فاحشاً، وبدأ الناس يخبئون القمح والمواد الغذائية في أماكن خفية في بيوتهم وبساتينهم خشية تطور الأمر إلى مصادرات عامة. كما بدأ بعض أهل المدينة يخرجون منها عن طريق الجرف أو العوالي أو قباء.. ولم يكن جنود فخري باشا يمنعون العائلات الراحلة من الخروج ماداموا لايحملون أحمالاً من المواد الغذائية، وكذلك لم يتعرض الهاشميون لأحد من المسافرين.. ومر شهر رمضان ليس فيه سوى مناوشات قليلة، ومحاولات من رجال الهاشميين للتسلل وضرب بعض مواقع الجنود العثمانيين، تتبعها مطاردات قصيرة.. وكان الهاشميون ينتظرون مزيداً من الذخائر والمدافع ليهاجموا جيش فخري باشا. وكان فخري باشا ينتظر القطار من دمشق يحمل له المؤنة والذخائر. ووصل القطار عدة مرات وامتلأت مستودعات فخري باشا بالمؤن القادمة، كما امتلأت بالقمح والتمر من المدينة وضواحيها، كذلك وصلت الإمدادات إلى رجال الهاشميين المرابطين في الفريش..

---

١) انظر زيدان ص ٩٦.

ضراوة المعركة:

في شوال بدأ الهاشميون يتحركون لهجوم كبير، ولكن الجيش العثماني رد عليهم بقوة، ثم بدأ يطاردهم حتى وصل إلى معسكرهم في الفريش وعزم فخري باشا على القضاء عليهم فأمر باستمرار المعركة ومتابعتهم في انسحابهم، وحشد قوة كبيرة لذلك معززة بالمدفعية. ونجح هجوم فخري باشا وبدأ رجال الهاشميين بالتقهقر خلف الفريش. وسقط منهم عدد كبير وتبعهم الجيش يطاردهم من سهل إلى جبل ومن تلة إلى واد. وكان فيصل يقود الجيش، فقد سافر علي للقاء والده ولإحضار مزيد من الرجال من القبائل الموالية لهم وانسحب فيصل ومن معه حتى وصل إلى خيف البارك عند ينبع النخل..

ووقع فيصل ورجاله في حصار لم يكن في حسابهم.. فقد وصل فخري باشا بجيشه ومدافعه إلى ينبع النخل، ولم يعد بإمكانه التقهقر أكثر من ذلك، فوراءه ينبع البحر التي مازالت بيد العثمانيين وحاكمها بشير السعداوي أحد الموالين للدولة سيخرج له برجاله فيكون بين فكي كماشة.

وكانت هذه فرصة لفخري باشا يقضي فيها على فيصل ورجاله(١) قضاءاً مبرماً.. بل يطفئ قسماً مهماً من ثورة الشرفاء.. ولو قدر له أن يضرب الضربة القاضية فلربما تغيرت أحداث التاريخ في المنطقة.

أحس فيصل بالخطر الشديد. فأرسل بعض رجاله يتسللون من الحصار إلى أكثر من جهة.. ذهب بعضهم إلى والده في مكة وذهب بعضهم الآخر إلى العياشية يستصرخ أبناء عمه الشرفاء، ونجح الرسول في النفاذ إلى العياشية وأوصل الاستغاثة إلى الشريف عبد الكريم بن بديوي.. فجمع عبد الكريم بن بديوي الرجال من جهينة، وكانوا يطيعونه وهاجم جيش فخري باشا من الخلف ونجح في مباغتته وإيقاع بعض الخسائر فيه..

---

١) انظر زيدان ص ٩٦.

وفي الوقت نفسه كان الشريف حسين يطلب من حلفائه الانكليز بواسطة ابنه عبد الله أن يتدخلوا ويفكوا الحصار عن فيصل.. وأصدرت القيادة الانكليزية أوامرها إلى البوارج الموجودة في البحر الأحمر أن تتجه إلى شاطئ ينبع. ومن هناك بدأت تقصف الجيش العثماني قصفاً شديداً ومركزاً

أحس فخري باشا بالخطر، وخشي أن يهاجمه رجال القبائل من الجهة الجنوبية فيستحكم الحصار عليه، وهو بعيد عن مركز قيادته ومستودعات ذخيرته وتموينه وليس معه من الذخيرة والمؤن إلا مايكفي لقتال أيام معدودة. لذلك غير خطته، وأوقف الهجوم على فيصل ومن معه والتفت إلى عبد الكريم بن بديوي الذي عسكر في الشمال الشرقي من مناطق انتشار جنوده وشن هجوماً واسعاً عليه. ولم يكن في مقدور عبد الكريم بن بديوي أن يواجه جيش فخري باشا لذلك سارع بالانسحاب وأمر فخري باشا بمتابعتهم وهو ينوي سحب جيشه بعيداً عن قذائف المدمرات الانكليزية وليعود به تدريجياً إلى المدينة دون أن يقطع الطريق عليه أحد..

ونجحت خطة فخري باشا وعاد الجيش خلال أيام إلى المدينة بعد أن فر عبد الكريم ابن بديوي ورجاله. ولم يخرج فيصل من الخيف الذي حوصر فيه..

غلطة فخري باشا:

كان انسحاب فخري باشا ناجحاً من الناحية التنفيذية ولكنه كان خطأً كبيراً من الناحية العسكرية البعيدة ((الاستراتيجية)) لأنه كان يملك حسم الموقف نهائياً لصالحه، وكان في إمكانه طلب المدد من عسكره في المدينة ليحمي ظهره ويبعد عنه عبد الكريم بن بديوي.. ولو اقتحم الخيف الذي لجأ إليه فيصل ورجاله وأسرهم لانتهت هذه الجبهة تماماً ولاستطاع أن يرد على المدمرات الانكليزية ويبسط سلطان الدولة على المنطقة كلها.. بل ويحاصر الشريف حسين ورجاله الذين لم يكونوا قد حسموا الأمور لصالحهم بعد..

ولم يفوت فخري باشا فرصة النصر وحسب، بل أعطى خصومه فرصة

ذهبية للتحول من الدفاع إلى الهجوم، ومن الهزيمة إلى بداية الانتصارات المتوالية..

فبعد انسحاب فخري باشا بأيام وصلت إمدادات جديدة لفيصل.. ووجدت قيادة الحلفاء الفرصة سانحة لبدء العمل من ينبع البحر ذاتها ولفتح جبهة طويلة باتجاه بلاد الشام، فأوعزت إلى فيصل أن يشن هجوماً على ينبع البحر ويستولي عليها لتكون مركز إنزال الجنود والضباط والمستشارين من قوات الحلفاء.. وساعدته بتوجيه قصف شديد على مواقع الجيش العثماني في ينبع، وعلى بعض المراكز الهامة.. ووقع بشير السعداوي والجيش العثماني بين جبهتي النار البرية والبحرية. فالمدمرات الانكليزية تهاجم الميناء وتقذف قنابلها المحرقة من الغرب وفيصل يهاجم من الشرق. وتحت ضغط النيران الكثيفة انسحب السعداوي والجيش العثماني من ينبع البحر ودخلها فيصل ورجاله. واستقبل فيها الضباط الانكليز..

غلطة ثانية:

مثلما ضيع فخري باشا جبهة ينبع ضيع فرصاً أخرى، لو استفاد منها لعادت عليه بالنتائج الكبيرة. فقد وصلته رسالة من سلطان نجد آنئذ عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أعرب له فيها عن استعداده لمساعدته ضد الشريف حسين لكن فخري باشا لم يستغل هذه الفرصة اعتقاداً منه بالقدرة على المحافظة على المدينة بمقاومتها المحلية واعتذر لابن سعود (١) وقد أدرك فخري باشا فيما بعد الهفوة التي ارتكبها، فحاول إصلاحها ووجه الدعوة إلى عبد العزيز بن سعود في ١٧ ايلول ١٩١٦م لزيارة المدينة والبحث

---

١) مملكة الحجاز ص ٢٨٥.

في التعاون ضد الشريف حسين وإعداد الظرف المناسب لذلك(١) ولكن عبد العزيز كان مشغولاً بمعارك الأحساء والشرقية فلم يلب الدعوة..

الشريف حيدر باشا.. والمدينة عاصمة الحجاز:

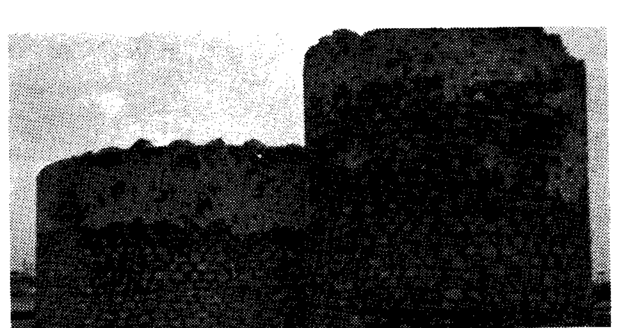
أعلن العثمانيون عزل الشريف حسين إثر ثورته، واختاروا ابن عمه الشريف حيدر من أبناء الشريف غالب المقيمين في الأناضول ليحل محله ومنحوه لقب الباشوية، وقصدوا بذلك أن يواجهوا الشريف حسين بأقربائه وأن يجمع الشريف حيدر أنصاره ويألبهم على الشريف حسين.. وقد زود الشريف حيدر بالأموال اللازمة وأرسل مع حاشية بالقطار إلى المدينة المنورة، ووصل معه -في أوائل ذي القعدة ١٣٣٤هـ تموز ١٩١٦م- وفد يحمل كسوة للكعبة المشرفة صنعت في تركيا، وخرج فخري باشا وأعيان المدينة لاستقباله في محطة القطار وقدم الجنود له التحية، وخصص له مقر مؤقت مقابل ((الديوان)) مقر فخري باشا ومركز المحافظة، وأقيم له ((سبيل)) وصارت المدينة العاصمة المؤقتة للحجاز عند العثمانيين إلى أن يتم القضاء على ثورة الشريف حسين. واستقبل الشريف حسين وجوه أهل المدينة وكبار الموظفين في مقره. واتصل بالشريف حيدر عدد من رجالات القبائل الموالين للعثمانين والمحايدين ولكن الشريف حيدر لم يحسن التفاهم معهم، ثم اتصل به سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود وأبدى استعداده لدعمه والتعاون معه لضرب الشريف حسين، وجاء في رسالته التي بعثها إليه بعد شهر من وصوله إلى المدينة ((إن عائلة الحسين لم تقدم بثورتها هذه سوى الفساد والضرر.. إنه يطمح في الاستقلال بأية طريقة كانت، ولهذا انغمس بكل أنواع الخداع والحيل ضارباً سكان الجزيرة العربية بعضهم ببعض خدمة

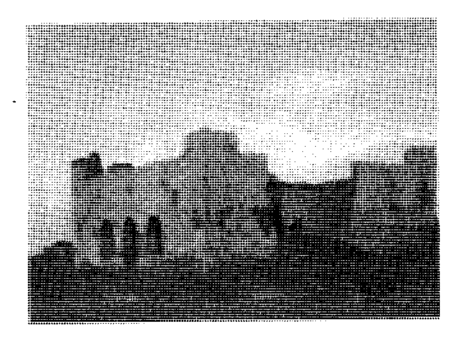
---

١) السابق نفسه.

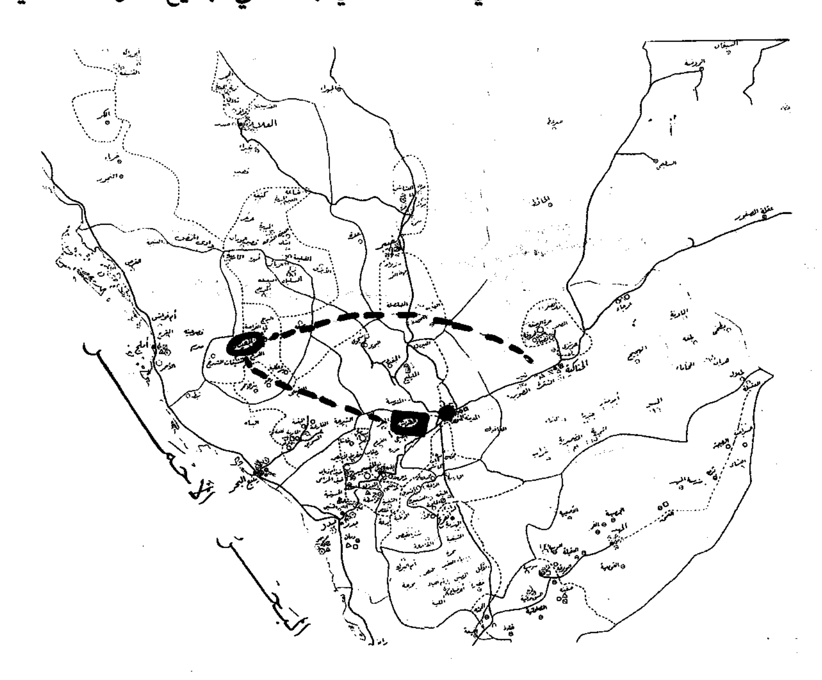


قلعة قباء...





من مراكز المراقبة والمدفعية التي بناها فخري باشا في جميع أطراف المدينة



مواقع القوات الهاشمية في الغريش والعيص تحاصر قـوات فخري بـاشا المتمركزة في المدينة في المرحلة الثانية من الحصار

لمآربه الخاصة(١) ولاشك أن حيدر باشا قد ضيع فرصة ذهبية إذ لم يستفد من هذا العرض كما ضيعها فخري باشا من قبل، ولو توحدت جهود عبد العزيز وحيدر باشا أو تناسقت لانتهت حركة الشريف حسين في حينها. فقد كان عبد العزيز يملك قوة كبيرة وكانت علاقاته مع الشريف حسين متوترة وربما يكون لموقف فخري باشا أثر في موقف الشريف حيدر السلبي وفخري باشا لم يكن يحسن الظن بأحد من القبائل العربية(٢) كما أن الخلفية التاريخية للعلاقات العثمانية السعودية لها أثر أيضاً..

المهم أن حيدر باشا وفخري باشا لم يكونا واقعيين ولم يستفيدا من الفرص الكثيرة التي سنحت لهما لإقامة جبهة طويلة عريضة ضد الشريف حسين وأبنائه، بل إن الشريف حيدر الذي علقت عليه الدولة العثمانية الآمال لم يحسن الاتصال بالقبائل. وربما تكون إقامته الطويلة في الأناضول قد جعلته غير قادر على إقامة الصلات الناجحة.. لذلك اكتفى باستقبال من يفد إليه ومحادثته عن خيانة الشريف حسين والنهاية القريبة القادمة بينما كان فخري باشا ورجاله يقومون بالأعمال العسكرية والمدنية داخل المدينة..

أول جريدة رسمية في المدينة المنورة:

عندما عين العثمانيون الشريف حيدر والياً على الحجاز وأقاموا له مقراً مؤقتاً في المدينة أرادوا أن يظهروا استمرار سيطرتهم على الحجاز ومحاصرة تمرد الشريف حسين، ولتأكيد ذلك أمر فخري باشا بإصدار جريدة رسمية في المدينة، تحمل القرارات والأخبار والمقالات التي تظهر وجهة نظر الدولة، وكلف كبار رجاله باختيار الأشخاص المناسبين لإدارتها وتحريرها، واستفاد من المطبعة التي أحضرها شكيب أرسلان ورفقاءه للجامعة الإسلامية التي كانوا يعتزمون انشاءها.. وشكلت هيئة تحرير للجريدة يرأسها حمزة غوث

---

١) المملكة الهاشمية ص ٢٨٤.

٢) كما يقول زيدان ص ٩٦.

ويشارك فيها بدر الدين نعساني. وكان المحرك الحقيقي للجريدة، وعبد القادر الشلبي الطرابلسي ومحمد العمري وصدرت أعدادها الأولى تحمل مقالات نارية ضد الشرفاء وبعض الأخبار واستمرت مدة طويلة فاختاروا لها كلاً من حمزة غوث وعبد القادر شلبي الطرابلسي ومحمد العمري.. وبدر الدين النعساني.. وأقيم مكتبها في الجامعة الإسلامية الذي لم يتم منه سوى الدور الأول.. وركبت المطبعة التي أحضرها مؤسسو الجامعة: عبد العزيز جاويش وشكيب أرسلان وعبد القادر المغربي وعين بعض العمال لإدارتها وكانت تدار باليد.. لها عجلة يديرها العامل فتتحرك أسنان المطبعة وكانت عملية شاقة. كما درب عمال آخرون على صف الحروف ورصها. وخرجت الجريدة ووزعت في المدينة وكان بدر الدين النعساني أول محرريها. ومالبث أن صار محور العمل والانجاز فيها وكتب حمزة غوث والطرابلسي مقالات نارية ضد الشريف حسين وأبناءه.. وسميت الجريدة ((الحجاز)) بينما كانت الجريدة التي تصدر في مكة تسمى ((صوت الحجاز)) وقد ظلت تصدر إلى أن فرغت معظم المدينة من أهلها..

من الهجرة إلى التهجير..

كثرت هجرة العائلات من المدينة، وكان رجال فخري باشا يساعدونهم على الهجرة، وبدأ القطار يحمل أسراً كاملة إلى الشمال.. بينما سار على درب القوافل أعداد قليلة من العائلات المتجهة إلى مكة المكرمة.

وبدأ فخري باشا ينصح الأسر التي بها صلة بالدولة بالرحيل.. وأبرق إلى الشام واستانبول لاستقبالهم وصرف مخصصاتهم حيث ينزلون.. وبدأ بشيخ الحرم فرحله وعائلته ثم كبار الغائلات ذات الصلة القديمة بالدولة وأبرق إلى الشام بزيادة عدد القطارات الموجهة إلى المدينة وزيادة رحلات القطار.

واستجاب عدد كبير من العائلات لنصائح فخري باشا ورجاله وانتقلوا إلى الشام واستانبول واستقبلت الأفواج الأولى استقبالا حسناً ورتبت لهم

أماكن للاقامة وصرفت مخصصاتهم المعهودة. فكان القطار يأتي من الشام بالمؤونة والذخائر ويعود بالأسر المهاجرة أو المهجرة.. وأغلقت بيوت كثيرة حمل أهلها ما خف حمله وغلي ثمنه وتركوا كل شيء على أمل العودة غير بعيد... وبدا التناقص في السكان واضحاً في الشوارع والأسواق، وتزايدت أعداد الدكاكين التي هجرها أصحابها بعد أن باعوا ما فيها ولم يعد في مقدورهم إحضار بضائع جديدة.

الحصار الطويل:

ومع بداية عام ١٣٣٥هـ وصلت الأخبار إلى المدينة بأن الشريف علي قد عاد إلى الفريش وأقام فيه ((العرضي)) أي معسكر الجيش، وبدأ رجاله يفتشون القادمين إلى المدينة المنورة والخارجين منها، ويمنعون إدخال شيء من الأرزاق إليها.. بينما بدأ فيصل -الذي استولى على ينبع البحر وامتد منها إلى ينبع النخل- وبدأ يستقبل سفن الإمداد والتموين تحمل التجهيزات والمؤن لحملة قادمة.

اتخذ فخري باشا ثكنة العنبرية مقراً لقيادة الدفاع، ووزع المهام الكبرى على كبار ضباطه وكان يشرف بنفسه على كثير من الأعمال الموكلة إليهم وينتقل من مكان إلى آخر ويراقب الحراسة يفاجئ الدوريات وأبراج المراقبة بزيارات تفقدية مفاجئة وشدد المراقبة على الأقسام المسؤولة عن التموين والطبخ وإطعام الجيش.. وكان يعقد اجتماعات يومية مع ضباطه ليسمع منهم تقاريرهم عن الأعمال المسندة اليهم، وحل موسم جني التمر فوزع مجموعات من الجنود على البساتين لجمعه وتكدس المحصول كله -إلا مانجح أصحابه في تهريبه واخفائه- في مستودعات الجيش كما تكدس الخبز المنشف.. وبدأ أهل المدينة يشعرون بوطأة الحصار.. فالدكاكين شبه فارغة، وليس في الأسواق إلا ماتخرجه البساتين من خضار، يأخذ الجيش قسماً كبيراً منها ويترك الباقي ليباع بسعر مرتفع، ودكاكين البر مغلقة منذ بداية الحصار وما

ادخره الناس من قبل في بيوتهم منه بدأ ينضب وارتفعت الأصوات إلى المسؤولين: أحمد صافي وغالب شعلان وعبد الرحمن باشا في ((السراي)) وكلم هؤلاء فخري باشا كي يوزع على الناس بعض ما تضمه المستودعات الكثيرة.. فلم يستجب فخري باشا وأشار على مراجعيه أن ينصحوا أصدقائهم بالرحيل عن المدينة.. ثم سمح فخري باشا بتوزيع كميات محدودة على الأسر المحتاجة والأسر التي تستعد للسفر..

وبدأت تظهر في المدينة ((سوق سوداء)) فقد نجح عدد محدود من المغامرين بتمرير كميات من الدقيق والسمن والزيت من ينبع وإدخالها في غلس الليل إلى المدينة عبر بساتين العيون، وعلم بذلك فخري باشا فأمر بتشديد المراقبة على مداخل المدينة وتكثيف الحراسة ليلاً، كما أمر بمراقبة ٣ بيوت ومداهمة من يشكون بوجود مخزون من الغلال الوارده فيه، فخاف الناس وبدأوا يخبئون ما يشترونه في أماكن خفية وتفننوا في تمويهها، فكان بعضهم يلصق المؤنة بالجدار ثم يبني عليها جداراً جديداً ويترك جزءاً متحركاً يموهه ببراعة، فاذا احتاج إلى كمية من المؤنة فتح الجزء المموه وأخرج حاجته ثم أعاد الأمر إلى ما كان عليه.. واستخدم بعضهم الآخر الآبار القديمة والسقائف (الصندرة) وكل ما يكون مخبئاً أميناً.

كانت حركة الجنود دائبة في المدينة وحولها، وكانت المهمات تصدر إليهم يومياً ليقوموا بأعمال كثيرة، ترميم السور وتدارك الأجزاء المتصدعة والثغرات، والحراسة والمراقبة على أطراف المدينة، وتفتيش البساتين كي لايهرب منها شيء أو يتسلل منها أحد، مراقبة الأسواق والوافدين إلى المدينة على قلتهم، حفر الخنادق، بناء أبراج جديدة على التلال، وإقامة مرابض مدفعية على سفوح الجبال والتلال، والاستمرار في صنع الخبز المنشف وقوالب التمر المضغوط.. وكان فخري باشا يطوف بنفسه على المستودعات ويراجع سجلات الإدخال والإخراج ويعاقب بشدة من يثبت إخراجه شيئاً من

المخزون دون إذن مسبق. وتبدلت حياة المدينة.. كانت هادئة ناعمة قبل تفجر الثورة عمل في النهار وكسب وفير.. وسهرات في الليل وأفراح ما بعدها أفراح (١) أصبحت الآن كئيبة ثقيلة.. العمل قليل والأسعار فاحشة والناس ترحل أفواجاً متوالية إلى الشام وتركيا وإلى مكة وإلى نجد، ودوريات الجيش تطوف الأسواق والبساتين ولجان البلدية بأمر من فخري باشا إلى رئيس البلدية أحمد صافي تدخل البيوت تفتش عن المؤنة.

كان فخري باشا حازماً صارماً شديد الانضباط ونزيهاً أيضاً، وكان يراقب رجاله مراقبة شديدة ويبطش بمن يظهر خلل في نزاهته، وقد أعدم بعض الجنود الذين ثبت أنهم سرقوا شيئاً من المخازن وباعوها لبعض الأهالي، فكان إعدامهم عبرة لبقية الجنود، وكان يشارك جنوده طعامهم في بعض الحالات، ويطوف في الليل على المحارس والمستودعات ويراقب الدوريات، وقد عرف عنه ذلك فأصبح الجميع يرهبونه ويحسبون له ألف حساب.. وكان في جيشه عدد من الضباط العرب الكبار مثل غالب باشا شعلان وسالم أفندي الليبي وحسني علي المقدسي(٢) وكان بعض القبائل المحيطة بالمدينة موالية له، أمثال بنو محمد وزعيمهم طلق السكراني الذين كانوا ضد الهاشمين لثأر قديم بينهم، ولكن فخري باشا لم يحسن الاستفادة منهم وسيطر عليه هاجس ((العرب خيانات)) وعندما بدأ يدرك هفوته كانت الفرصة قد فاتته.. فقد أرسل -كما ذكرنا- إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود في نجد يدعوه لزيارة المدينة، ولبحث التعاون معه ضد الشريف حسين.. ولكن عبد العزيز كان مشغولاً بجبهة الاحساء والشرقية فاعتذر عن قبول الدعوة واكتفى بالسماح بإرسال المؤنة إلى المدينة.. وقد وصلت عدة أحمال من الجمال فيها القمح والرز فتلقاها رجال فخري باشا ووزعوا بعضها

---

١) انظر زيدان ٩٢.

٢) زيدان ٩٦.

على الضباط والموظفين وكبار أسر المدينة.

الحصار وفرص المغامرة:

بدأت آثار الحصار تشتد على أهل المدينة، فقام بعض المغامرين بالسفر إلى ينبع، حيث كانت الأرزاق كثيرة ورخيصة وابتاعوا منها السكر والسمن والشاي والدقيق.. وعادوا بها من طريق غير مأهولة ليتجنبوا المرور بـ ((عرضي الشريف علي)) ونجحوا في دخول المدينة عبر بساتين العيون وسيد الشهداء.. وباعوها بأسعار فاحشة وجنوا أرباحاً طائلة، وأفادت هذه المغامرات في تأخير المجاعة لبعض الوقت.

ومالبثت الأمور أن ازدادت سوءاً داخل المدينة عندما وصلت الأخبار بأن فيصلا ورجاله قد ساروا شمالا على طريق الساحل إلى الوجه ومنها إلى تيماء وتبوك، وأن القبائل تنخرط معه في مواجهة الجيش العثماني.. وهذا يعني أن الحصار سيصبح محكما على المدينة من جميع أطرافها وأن النجدة المتوقعة من بلاد الشام قد لاتأتي. وهنا تحولت نصائح فخري باشا ورجاله لأهل المدينة بالرحيل إلى أوامر. وخرج المنادون يبلغونهم بضرورة الخروج والسفر بقطار الشام إلى أية جهة شمالا، وأعلن فخري باشا أنه لن يكون قادرا على توزيع شيء من التمر والخبز المجفف وأنه لايضمن الأرزاق التي تفد إلى المدينة وربما يحتاج إليها الجيش.

حملات التهجير القاسية:

كان فخري باشا يخشى أن يستولي الهاشميون الزاحفون شمالا على خط السكة الحديدية ويمنعوا وصول القطار من الشام. لذلك أراد أن يهجر أكبر عدد من أهل المدينة بالقطار قبل أن يتوقف.. فبدأ رجاله يطوفون على الشوارع والبيوت وينذرون الناس بضرورة السفر بالقطار إلى أي مكان يصل إليه أو بغير قطار. وقد استجاب الذين كان لهم أقارب في الشمال أو معارف. أما الذين لم يكن لهم معارف ولم تكن لديهم أموال كافية فاغتموا

لذلك غماً شديداً، فهم لايدرون أي مكان يقصدون.. ثم كيف سيجدون المأوى والطعام والحاجيات الأساسية وهم لايملكون من المال إلا القليل. ورغم وعود رجال فخري باشا بأنهم سيجدون في الشام مأوى ورعاية فإن القلق قد ملأ نفوسهم وتباطأت حركة السفر.. فغضب فخري باشا وأمر رجاله بالقبض على الناس في الشوارع وزجهم في القطار وترحيلهم قسراً لأنهم -في اعتقاده- لم يفهموا الوضع الصعب الذي سيتعرضون له.. الحصار الطويل أو المعركة الفاصلة، وفي الحالتين سيكونون ضحايا سهلة. ونفذ رجاله الأوامر. فشهدت المدينة مآسي فظيعة، عائلة كاملة يقبض عليها وتزج في عربة القطار، رجل يخرج إلى السوق يفتش عن طعام لأسرته فيقبض عليه رجال فخري باشا ويزجونه في القطار المسافر إلى الشام. امرأة وابنتاها كانتا تمشيان في الشارع قاصدتين بعض البيوت فأمسك بهن العسكر وزجوهن في القطار وسافرن إلى الشام وحيدات.. فماتت الأم وضاعت إحدى البنتين وعادت الإخرى بعد سنوات(١).

كانت عملية الترحيل قاسية. وكان وصول القطار إلى المدينة يدخل الرعب في القلوب ويحبس الناس في بيوتهم..

واستطاع فخري باشا قبل نهاية النصف الأول من عام ١٣٣٥هـ أن يخلي ثلاثة أرباع المدينة. فضلاً عن الذين رحلوا طواعية شرقاً أو جنوباً.

نقل نفائس المدينة:

كان هاجس المعركة الكبيرة (التي لم تقع أبداً) سيطر على فخري باشا ولكونه عسكرياً مدركاً لأبعاد المعركة الكبيرة وآثارها المدمرة، فإن حرصه الشديد على إخلاء منطقة القتال المتوقعة لم يقتصر على السكان، بل امتد إلى نفائس المدينة وكنوزها المالية والثقافية. وكانت هذه الكنوز تتركز في جانبين كبيرين هما: الهدايا النفيسة التي كانت تضمها الحجرة النبوية، والمكتبات

---

١) انظر العهود الثلاثة.

العريقة في المدينة المنورة. وقد توقع أن تمتد إليها آثار المعركة المدمرة بأي شكل من الأشكال. تدميراً أو إحراقاً أو نهباً. لذلك قرر إخلاء هذه النفائس والكنوز على نحو إخلاء السكان. وتخير مجموعة من رجاله الثقات من المدنيين والعسكريين، وأمر بصفته شيخ الحرم والحاكم العسكري تغليف الموجودات الأثرية والهدايا في الحجرة النبوية ووضعها في صناديق محكمة وشحنها إلى استانبول. واشتغل المختارون لهذا العمل بجدية وحرص وبمشاعر من الإجلال. ونقلت التحف والهدايا والآثار بالصناديق المقفلة إلى محطة السكة الحديدية بسرعة تامة وحراسة مشددة حيث حملها القطار مع حراسها إلى دمشق ثم إلى استانبول..

وعندما نجحت عملية النقل وصلت برقية تشعر بوصول الأمانة. فشرع فخري باشا بنقل موجودات مكتبة عارف حكمت الشهيرة والغنية بكتبها القيمة، وكانت تزيد على خمسة آلاف مجلد والمكتبة المحمودية. ووضعت الكتب في الصناديق بعناية، وحملت إلى محطة السكة وسار بها القطار إلى دمشق. حيث أنزلت ونقلت إلى مسجد التكية السليمانية حيث وضعت في عدد من الغرف الملحقة به والمخصصة لطلاب العلم، ولم تنقل إلى استانبول. وكانت هذه الشحنات من أواخر ماحمله القطار الخارج من المدينة قبل تحرك الشريف علي لقطع الطريق نهائياً على القطارات المتجهة المتجهة من المدينة وإليها(١).

توقف القطار:

تحرك الشريف علي ليضايق فخري باشا ورجاله فأرسل مجموعة من رجاله وخربوا جزءاً من الخط الحديدي. وعلم بذلك فخري باشا فأرسل فرقة من الجنود فأصلحته. وكانت هذه العملية إرهاصاً بعملية قادمة أكبر من ذلك.

---

١) انظر مكتبات المدينة المنورة للتونسي ص ١١ ومحمد سعيد دفتردار: مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت مجلة المنهل ص ٨٥٢ لعام ١٣٧٩، ص ١٤٣-١٤٤.

ففي أواخر عام ١٣٣٤هـ أرسل الحلفاء إلى الحسين عدداً من الضباط العرب الذين أسروا في الحملات الفاشلة على قناة السويس. والذين تركوا صفوف الجيش العثماني ووصلت إمدادات وافرة إلى فيصل وجيشه بعد تقارير الكولونيل لورنس -ضابط المخابرات الانكليزية- وصدرت الأوامر إلى الشريف عبد الله بن الحسين أن يتوجه إلى المدينة بعد سقوط الطائف(١) فتوجه إليها وكان أخوه فيصل يعسكر في رابغ وأخوه علي يعسكر في بئر درويش غربي المدينة. وتحرك الشريف عبد الله ابن الحسين من الطائف واتجه شمالا لايجد مقاومة والتف حول المدينة حتى نزل في (العيص) (على بعد ٢٢٠ كم إلى الشمال الغربي من المدينة) وأقام ((العرضي)) معسكره فيها، فقطع الطريق من الشام إلى المدينة. وبقي طريق نجد وحده المفتوح. وأرسل الشريف حسين إلى سلطان نجد عبد العزيز آل سعود يطلب منه أن يمنع السابلة إلى المدينة، أي يمنع سفر التجار والقوافل. ولم يرد عليه عبد العزيز. وأخيراً حلت الضربة الكبيرة، وعندما نسف الشريف عبد الله قسما كبيرا من السكة الحديدية التي تمر قرب معسكره نسفه عند مرور القطار القادم من دمشق عليه، فكانت ملحمة دموية وقتل الجنود الذين يرافقون القطار وانفجرت الذخائر وتبددت الأقوات. وأصبحت المدينة في عزلة كاملة.. كان رد الفعل لدى فخري باشا إقامة مزيد من التحصينات في جميع أطراف المدينة، ولاسيما الجهة الشمالية، وبناء مراكز جديدة للمراقبة وإقامة مرابض للمدفعية على امتداد الطريق إلى أحد، والضغط على من بقي من أهل المدينة كي يرحلوا بأية واسطة بعد أن توقف القطار.

شبح المجاعة في المدينة:

اشتد الحصار على المدينة بعد توقف القطار، وانقطعت الامدادات الغذائية، ولاح شبح المجاعة، فالأسواق خالية من الأرزاق إلا ماتأتي به

---

١) تاريخ مكة ص ٦١٠.

بساتين الخضرة في المدينة، والتمر عزيز لايباع جهراً خشية رجال فخري باشا، وبساتين النخل يجز تمرها الجنود ويأخذونه إلى الثكنة كي يكبس في قوالب ويخزن في المستودعات. والجيش نفسه بدأ يعاني من تقنين الطعام. فقد أصبح معظم طعامه التمر والخبز المجفف. وبين الحين والحين يوزع عليه شيء من لحم الابل. وظهرت آثار سوء التغذية على الجنود المرهقين. وكثر المرض وبدأت الوفيات تزداد عن المعدل الطبيعي. ثم ظهر مرض غريب بين الجنود والأتراك. يصاب الجندي بحمى شديدة وينتفخ رأسه ويموت بعد أيام قليلة. وقد حصد هذا المرض مئات الجنود. ولم يستطع أطباء الجيش أن يفعلوا شيئاً. والعجيب أن هذا المرض -كما يقول بعض شهود عيان- لم ينتقل إلى أهل المدينة. انما أصيب بعض أهل المدينة بمرض آخر في الركب أعراضه آلام شديدة في المفاصل لايستطيع معها الرجل أن يقف على قدميه فيسقط على الأرض ويحمل إلى البيت(١) ويبقى على هذه الحالة عدة أيام ثم يشفى. ولم يمت أحد بهذا المرض. واشتدت الضائقة وصارت مجاعة حقيقية، وأصبحت المواد الغذائية -إن وجدت- فاحشة الأسعار تدل على حجم المجاعة(٢) وهانت الأموال والممتلكات والعقارات أمام كيس من الرز أو القمح أو بعض السمن واللحم.. وباع بعض الملاك عقاراتهم بكميات ضئيلة من الرز أو القمح. ويذكر محمد حسن زيدان أن ((بيتاً من ثلاث طبقات باعه صاحبه بكيس رز))(٣) وأعد أحد الميسورين آنئذ طعاماً لثلاثة ضباط من العرب في جيش فخري باشا (تيساً لايبلغ وزنه أربعة كيلوات وحفنات من الأرز)

---

١) زيدان ص ٩٨.

٢) مقابلة مع بعض السنوني وانظر زيدان.

٣) انظر زيدان ص ١٠٨.

بخمسين جنيهاً عثمانياً(١). واستمر الحصار وفرغت المدينة من أهلها أو كادت إلا من استطاع أن يجد شفاعة عند فخري باشا فسمح له بالبقاء. كان المستشفعون عنده من كبار الضباط العرب وكبار الموظفين والشيوخ أبناء غالب الشعلان وعبد الرحمن باشا والشيخ ألفا هاشم شيخ التكارنة المقيمين في المدينة. وقد نجح الشيخ الفا هاشم في إقناع فخري باشا بالاستفادة من التكارنة فهم أقوياء البنية ومخلصون لمن يحسن التعامل معهم. وقبل فخري باشا الفكرة ليعوض عن الجنود الذين حصدهم المرض والجوع. وأمر بتجنيد من يرغب التطوع من التكارنة. وأقام لهم دورة تدريبية مكثفة في الثكنة العسكرية. وأشرف بنفسه على تدريبهم، فأعجبه مارآه فيهم من قوة ونشاط، واختار المتفوقين منهم وأقام لهم دورة ضباط، فكان منهم الجنود والضباط(٢)

المدينة في ذروة الأزمة:

أصبحت المدينة معزولة تماماً. جزيرة شبه خالية من السكان تعج بالجنود العثمانيين، محاصرة بقوات الشرفاء، وازداد الطين بلة منذ أن قرر الحلفاء أن تمضي جيوشهم شمالاً غير آبهين بالجيب العثماني المحاصر، ومضى جيش فيصل بعد ان احتل ينبع شمالاً حتى بلغ أقصى شبه الجزيرة العربية وحاصر معان ثم العقبة والجيش العثماني المنهك يتراجع وراءه. ثم حاصر جمال باشا في دمشق فأصبح فخري باشا ورئيسه جمال باشا محاصرين تماماً ومنقطعين عن الاتصال عدا الاتصال اللاسلكي عبر المحطة الوحيدة والمحروسة تماماً شمالي المدينة المنورة. ويذكر زيدان طرفة تستوقف من يتأمل تاريخ هذه الحقبة. خلاصتها أن جمال باشا وهو محصور في دمشق طلب من فخري باشا أن يمده بالمال، وتحير فخري باشا كيف

---

١) زيدان ص ٩٧.

٢) انظر زيدان ص ٩٧.

يرسل المال ((فالسكة الحديد مقطوعة، وأي ضابط تركي مهما تنكر لايستطيع أن يصل بالمال إلى جمال باشا، فلم يجد أمامه إلا السيد طه حسين عثمان. فأعطاه أربعة آلاف جنيه ذهباً عثمانياً. وخرج السيد طه بها إلى نجد حيث اشترى بها قمحاً وتمراً بمعونة أصدقائه هناك وسافر بها عبر الفلاة إلى دمشق وباعها في دمشق فكانت عوناً للجياع وحمل قيمتها إلى جمال باشا. فتسلمها وهو يربط حقائبه للرحيل عن دمشق وقال كلمته المشهورة (أبيت ياسيد طه إلا أن تثبت أن العرب أمناء)(١) وفضلاً عن قضية الأمانة يعجب المرء لوجود هذه الوفرة من المال بين يدي فخري باشا في الوقت الذي كانت فيه المدينة تعاني من ضائقة شديدة ويعجب لعدم استفادته من تلك الوفرة في استمالة القبائل حوله وتأليبها ضد خصومه مثلما يعجب من تقوقعه بجيشه الجرار في المدينة مفضلاً المقاومة السلبية على المبادرة والهجوم. ولو أنه استفاد من هذه القوى التي بين يديه -قوة الرجال والعتاد والذخيرة والمال. وأحسن توظيفها في مواجهة خصومه في المنطقة- لاستطاع أن يمنع الجنرال اللنبي من التقدم شمالاً إلى القدس. ثم إلى الشام ويحمي جمال باشا وقواته. بل ويطرد القوة الانكليزية التي نزلت في ينبع وقادت جموع الأعراب التي حشدها فيصل بن الحسين شمالاً، ولاستطاع أن يشتت جموع الأعراب نفسها سواء باستمالتها بالمال -وماأسهل ذلك آنئذ- أو بالمواجهة العسكرية الحاسمة. ولكن فخري باشا اختار اسلوباً خاطئاً كل الخطأ بالقياس إلى ماكان بين يديه من مال وعتاد ورجال. اختار التقوقع في المدينة والاقتصار على الدفاع عنها، فكان أن تركه الحلفاء ليذوب في قوقعته مع الزمن ولتضيع مقاومته الفائقة في البقعة التي حصر نفسه فيها ومضوا يبددون الجيش العثماني فرقة بعد فرقة ويحتلون بالجيوش المختلطة الأرض العربية كلها إلى أن دقوا أبواب العاصمة العثمانية نفسها. وفخري باشا في

---

١) انظر زيدان ص ١٠٢-١٠٣.

بطولته الخيالية المحصورة.. فضاع.. وأضاع... وقاسى أهل المدينة الجوع والتشرد والأمراض، وخلت الشوارع من أهلها حتى كادت أن تكون مدينة أشباح.

انجازات ضائعة:

والمدهش أنه رغم التناقص الفظيع في عدد سكان المدينة، فإن فخري باشا كان يتصرف فيها وكأنها مدينة حية ويعد العدة لمعركة مرتقبة قادمة في ضواحيها، لذلك كان يفكر دائماً في عدم ترك أية ثغرة قد تصبح نقطة ضعف ومبتدأ هجوم، فاهتم بفتح طريق لامداداته العسكرية إلى قباء، يبدأ من باب قباء في السور وينتهي بمسجد قباء و وكانت المنطقة مجموعة بساتين متصلة، بينها طريق متعرج، فجند فخري باشا رجاله لشق طريق مستقيم قدر الامكان عبر البساتين، وأمر بهدم الأسوار التي تعترض الطريق وقلع الأشجار واختراق البساتين التي يمر بها وتسوية المرتفعات والمنخفضات. وانتشر الجنود بالمعاول والمساحي ومعهم مهندسو الجيش الذين وضعوا خريطة الطريق، وتوزعوا على أجزائه. وفوجئ أصحاب البساتين الذين لم يرحلوا بعد بشق الطريق وسط بساتينهم ولم يكونوا يملكون الاعتراض أو الشكوى بسبب ظروف الحرب وبحجة تأمين الحماية للمدينة المنورة وضواحيها..

وعمل الجنود بجهد كبير رغم قلة الطعام ورداءته، وفتح الطريق إلى قباء وسارت عليه القوافل العسكرية تقيم مزيداً من التحصينات بين المدينة وقباء(١)

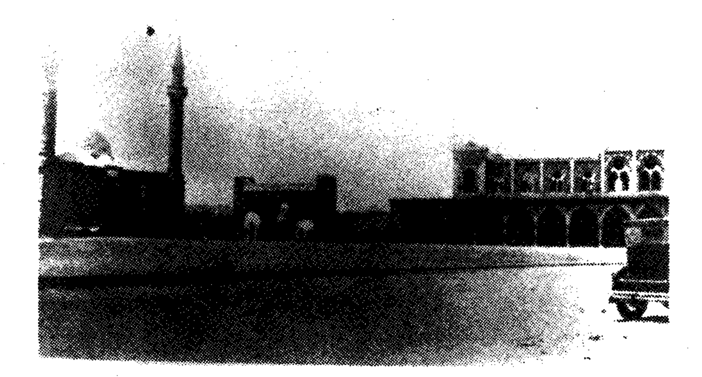
ومما ينسب إلى فخري باشا في هذه الفترة أيضاً أنه شق شارع العينية، من المناخة، حيث كان مقره العسكري إلى باب السلام وهدم الدور المعترضة في الطريق، وصار من السهل عليه أن يصل إلى المسجد النبوي بسرعة.

---

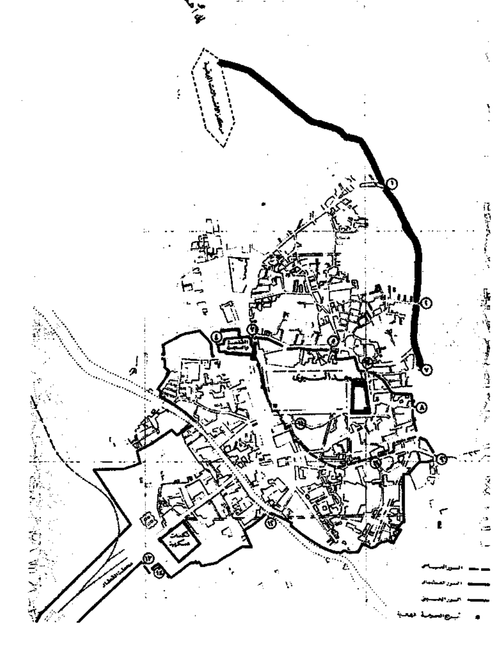
١) انظر ماضي الحجاز وحاضره ص ٥٧.



شارع العينية الذي أنجز في أوائل الأيام الصعبة التي عاشتها المدينة المنورة في عهد فخري باشا



خط السكة الحديدية الذي مده فخري باشا من المحطة إلى جوار المسجد النبوي



السور الذي بناه فخري باشا شرقي المدينة من باب القبارية إلى محطة اللاسلكي

وقد اتخذ فخري باشا المسجد النبوي مقراً ليلياً له. وفي الجهة الشمالية، حيث كان يوجد طابق علوي فوق القسم الذي تشغله الكتاتيب في غير أوقات الصلاة، وكان أشبه بسقيفة محصنة. وزودها بكل مايحتاجه للعمل، وبالقرب منها مستودع صغير للمواد الغذائية، وخارج المسجد النبوي أكثر من مستودع للذخائر والأسلحة..

عملية غير مجدية:

وإمعاناً من فخري باشا في تفريغ المدينة ممن بقي فيها من الشباب أمر أشرف بك -وهو أحد الذين نفاهم الاتحاديون إلى المدينة منذ مدة- أن يجمع جيشاً من الشباب الذين بقوا في المدينة، على ألايكون فيه تركي واحد. فجمع أشرف بك من وجده من الشباب والرجال وكان معظمهم من العاطلين عن العمل والعربجية والحمالين، وأغراهم بالأموال والوعود وسلحهم فخري باشا بالأسلحة الخفيفة، وأمرهم أن يهاجموا معسكر الشريف عبد الله في وادي العيص..

وسار أشرف بك بمن جمع وكانوا (من رجال العصا والمشكلة أي الفتوة لا من أل البندق والمدفع) واتجه الجمع خارج المدينة عن طريق العيون. ورصدهم عيون الشريف عبد الله بعد خروجهم من المدينة. فانتدب إليهم الشريف عبد الله (رجاء بن خليوي) ومعه مجموعة من الفرسان فباغتوهم وأحاطوا بهم وقتلوا بعضهم وفر عدد قليل منهم وأسر الباقون، ونقلوا موثوقين إلى مخيم الشريف في وادي العيص وكانت سياسة الشريف أن يتألف من يستطيع تألفه من أهل المدينة لذلك اكتفى بتأديبهم ثم عفا عنهم

وأكرمهم (١) ولئن كان فخري باشا قد نجح في التخلص من مجموعة من الرجال والشباب العاطلين، وتخفيف العبء الغذائي شيئاً ما. فإنه في حقيقة الأمر قد خسر قوة كان من الممكن أن يستفيد منها مثلما استفاد من التكارنة الذين انخرطوا في جيشه، كما أنه خسر قدراً آخر من ثقة أهل المدينة به.

تفاقم الوضع في المدينة المنورة في الأشهر الأخيرة من عام ١٣٣٦هـ فالحصار المحكم حولها يمنع دخول المواد الغذائية، فالشريف عبد الله شمالا والشريف علي جنوباً وغرباً، والمخازن المليئة بالتمر والخبز المجفف محروسة بشدة، والأمراض تفتك بعدد كبير من الجنود، وآثار الهزال والشحوب باقية على وجوه البقية الباقية من أهل المدينة ومع ذلك ما يزال فخري باشا يتحرك بحيوية ورباطة جأش كبيرتين ويصمم على المقاومة..

بداية النهاية:

وتوالت الأخبار تحمل أنباء سقوط دمشق وبقية سورية وانسحاب جمال باشا وقواته وزحف جيش الحلفاء إلى الأناضول واستيلائها عليها ثم حصارها لاستانبول نفسها، وكانت الأنباء تصل متأخرة.. وكانت محطة اللاسلكي تحمل البرقيات الرسمية ونزراً يسيراً من الأوامر والتعليمات العادية، وفخري باشا لايتأثر بشيء من هذه التغيرات ولا يغير عمله اليومي.. تفقد المواقع والمخازن والدوريات والحراسة، استطلاع أخبار من بقي في المدينة، وتلمس أية أخبار عن تحركات الهاشميين، العمل العادي في مناطق من المدينة المنورة، كاستكمال طريق قباء ورصف شارع العينيه، واللقاء بالضباط العرب والأتراك..

كان الضباط المحيطون بفخري باشا يطلعون على البرقيات الواردة، ويدركون حقيقة الوضع المتردي في قلب الدولة العثمانية.. غير أن بقية الضباط والجنود كانوا في شبه جهالة.. فليست هناك إذاعات أو صحف تنقل

---

١) انظر زيدان ص ١٠٣-١٠٤.

إليهم الأخبار، والشائعات التي يرددها بعض أهل المدينة نقلاً عن من التقى برجال الهاشميين أو مر بهم خارج المدينة قليلة ومضطربة..

وكان الهاشميون يتلقون الأخبار أولاً بأول ويشعرون وينشرون هذا الشعور بأن موعد سقوط فخري باشا ورجاله قد اقترب، وينشرون هذه الأخبار بين رجالهم ومن يمر بهم، وعندما سقطت الأناضول في يد الحلفاء أشاعوا الخبر بقدر ما استطاعوا، وكانت الإتصالات بين الشريف عبد الله في وادي العيض ووالده متواصلة وأخبار الانتصارات تتوالى إليه ولكن الشريف عبد الله لم يكن يفكر أن يشن هجوماً يستخلص فيه المدينة من فخري باشا ورجاله فما زال الجنود العثمانيون يشكلون قوة يحسب حسابها، وما زالت هيبة فخري باشا تؤثر في النفوس... فضلاً عن أن المدينة أصبحت شبه خالية.. ويروي بعض شهود عيان أن عدد من بقي فيها من الأهالي في أواخر هذا العام قد بلغ واحداً وأربعين ساكناً فقط..

نهاية المأساة:

وفي شهر محرم ١٣٣٧هـ أعلنت الدولة العثمانية قبول الاستسلام للحلفاء، وتوقف اطلاق النار وبدأت المفاوضات بين الجانبين بعد اتفاقية (الباخرة أغاممنون)(١) الشهيرة، وكانت بنودها الأولى تنص على تخلي الدولة العثمانية عن جميع المناطق التابعة لها خارج حدود تركيا.. وبدأت القيادة العسكرية في استانبول تنفذ الاتفاقية، وأبرق وزير الخارجية إلى فخري باشا يطلب منه تسليم المدينة المنورة للقوات المتحالفة والعودة مع جنوده إلى تركيا.. وصعق فخري باشا وهو يقرأ البرقية التي حملها إليه ضابط الإتصالات.. ولم يصدق الكلمات المكتوبة فيها، وأبرق إلى قيادته في استانبول يستوضح ما جاء في البرقية ويؤكد قوة موقفه وعدم قدرة الأعداء على اقتحام مواقعه، فجاءه الرد مؤكداً الأمر السابق ومشيراً إلى الاتفاقية الدولية التي

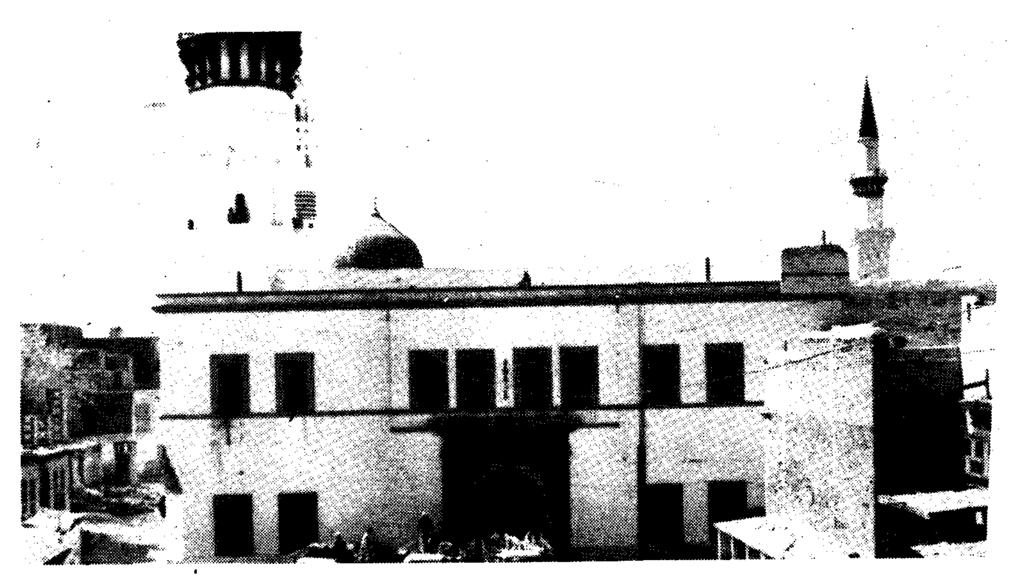
---

١) التاريخ الإسلامي ٢٢٢/٨.

وقعتها الدولة وضرورة التنفيذ.. غير أن فخري باشا رفض التنفيذ وأكد لكبار ضباطه أن في الأوامر خدعة، وأن القيادة في استانبول لايمكن أن تضيع المقاومة الطويلة وتستسلم وتسلم بهذه السهولة للحلفاء، وأمرهم بالاستمرار في أعمالهم والحذر واليقظة والاستعداد.

عناد فخري باشا:

وفي معسكر الهاشميين وصلت الأخبار من الشريف حسين عن طريق الحلفاء بأن العاصمة العثمانية ستسلم المدينة المنورة وتسحب فخري باشا وجنوده.. وعمت الفرحة في قلوب الجميع وبدأت الاستعدادات لتسليم المدينة.



مقر قيادة فخري باشا في الطابق العلوي من مبنى المسجد النبوي من جهة باب المجيدي

وأمر الشريف عبد الله بعض رجاله أن يقتربوا بحذر من مواقع جيش فخري باشا ويحادثوا الضباط حول التسليم والإنسحاب.. وقام بالمهمة أحد أبناء المدينة الذين انحازوا للمعسكر الهاشمي.. ولكن المهمة لم تنجح، فقد رفض الضباط التحادث في هذا الشأن وهددوا بإطلاق النار على من يقترب من مواقعهم. وأخبر عبد الله والده بالموقف، وجرت اتصالات سريعة نتج عنها أن أرسلت استانبول برقية إلى القيادة العسكرية في المدينة تأمرها بتنفيذ الأوامر السابقة بالتسليم والانسحاب تحت طائلة المسؤولية.. وقرأ ضابط اللاسلكي البرقية وأطلع عليها عدداً من ضباط القيادة قبل أن يطلع عليها فخري باشا.. وأيقنوا بجدية الأمر وضرورة تنفيذه، وتشاوروا في كيفية إقناع فخري باشا بالتسليم.. وقرروا محادثته مباشرة.. وحمل ضابط الإتصالات البرقية الجديدة إلى فخري باشا... فازداد فخري باشا غضباً وأخذ يهدد ويتوعد ويتهم الآخرين بالخيانة والجبن، ودخل عليه ضباطه وحاولوا تهدئته ولكنه ازداد ثورة واصراراً على عدم التسليم وكان حوله بعض الضباط المخلصين الذين ينفذون أوامره دون أي تردد، فلم يجرؤ الذين دخلوا عليه أن يناقشوه في الأمر وأظهروا اقتناعهم بما يقول واستعدادهم للاستمرار في المقاومة.. وعندما خرجوا من مكتبه كانوا جميعاً مقتنعين بضرورة إيجاد حل لهذه المعضلة، وتنفيذ أوامر القيادة وإقناع فخري باشا بذلك أو حمله عليه.

وعاود الهاشميون اتصالاتهم بالضباط ولاسيما الضباط العرب الموجودون في المدينة عن طريق بعض أهل المدينة الذين يعرفونهم، وأكدوا لهم نهاية الحرب في كل مكان والاتفاق بين الحلفاء والدولة العثمانية على التسليم وانسحاب الجيش العثماني من المدينة، وطلب الضباط العرب مهلة لبحث الأمر مع فخري باشا والقيادة العسكرية في المدينة ووعدوا محادثيهم خيراً.

الانقلاب الخفي

أدى عناد فخري باشا ورفضه الإستجابة لأوامر القيادة إلى ظهور تمرد خفي بين عدد من كبار ضباطه، فقد أصبحت حالة فخري باشا أقرب إلى المرض، وأصبح سريع الغضب والهيجان، قاسياً في مخاطبته وأوامره. وكانت الحالة في المدينة قد بلغت حداً لايطاق فلم يعد فيها إلا الواحد والأربعون ساكناً.. والجنود قد تناقص عددهم بسبب الأمراض والوفيات والمواد الغذائية باستثناء المخزون شبه منعدمة.. والحصار مضروب من كل طرف، وأخبار انهيار الدولة العثمانية واحتلال جيوش الحلفاء لعدد من مدن تركيا نفسها أصابت الكثيرين باليأس والقنوط، لذلك مالبث كبار ضباط فخري باشا أن اتفقوا على تنفيذ الأمر وتسليم المدينة للشريف عبد الله ورجاله والانسحاب ببقية الجيش إلى تركيا عن طريق ينبع، وكانت العقبة الوحيدة عناد فخري باشا والقلة القليلة من رجاله المخلصين، لذلك لم يكن هناك بد من تجميد حركة فخري باشا وعزله من قيادته والقبض على من يرفض تنفيذ الأوامر من بقية الضباط.. وسرعان ما رسمت خطة بارعة لذلك ،

سقوط رجل الصمود والمقاومة:

وبدأ تنفيذ الخطة قبل أن تطلع خيوط الفجر الأول، حيث توجه عدد من الضباط إلى المسجد النبوي مقر إقامة فخري باشا الليلية، ودخلوا عليه قبل أن يستيقظ.. وأيقظوه بأدب جم واحترام كاملين، وأبلغوه قرار ضباط القيادة في المدينة جميعاً بتنفيذ أوامر وزير الحربية، وطلبوا منه أن يعتبر نفسه معزولاً عن القيادة بناء على أمر وزير الحربية نفسه.

انهار فخري باشا تماماً وأدرك أنها النهاية التي لم تخطر بباله، فرجاله هم الذين يطلبون منه التسليم والإستسلام بلا معركة ولا نصر ولا هزيمة ولانيل من الخصوم.. وكاد فخري باشا أن يجن.. لكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً سوى أن يعرض عن محادثيه ويقول افعلوا ما تشاؤون...

اجراءات التسليم:

وقامت القيادة بعمل كبير في ذلك اليوم.. بدأت الإتصالات بواسطة عدد من الضباط العرب مثل حسني العلي المقدسي، وعبد المجيد الباقي وسالم أفندي الليبي ومهدي معروف.. وشاركهم بعض الضباط الأتراك أمثال ضياء الدين بيك، وأخذوا يبحثون مع الشريف عبد الله وكبار قادته كيفية التسليم والمحافظة على سلامة الجنود والضباط وانسحابهم.. وما يأخذونه وما يتركونه، وتم الإتفاق على أن يترك الجيش المنسحب جميع الأسلحة الثقيلة والعتاد ويخرج بشكل منظم إلى ينبع، حيث ستنقله البواخر تباعاً إلى تركيا، ويبقى من شاء أن يبقى في المدينة من الضباط العرب والأتراك بمعزل عن العمل العسكري، الا من ينضم إلى جيش الشرفاء أو شرطته.

وتم التسليم في الخامس من ربيع الأول عام ١٣٣٧هـ وحضر الشريف عبد الله والشريف شحات والضباط العرب المشاركون في جيش الهاشميين وعدد من زعماء القبائل الذين كانوا في صحبة الشرفاء، وكان التسليم في المناخة، ونقل فخري باشا وكبار معاونيه إلى بير درويش(١) ويذكر بعض الرواة أن فخري باشا عندما رأى الشريف ورجاله استقبلهم وقال: لو كنت أعلم أن هذا جيشهم لسحقته، وقد سلم فخري باشا لبلاده بعد مدة. وطويت صفحة طويلة من تاريخ المدينة وما زالت سطور كثيرة منها لم تقرأ بعد، لعل كتاب التاريخ يعرضونها فيما بعد..

---

١) تاريخ الدولة السعودية ابن سعيد ٢/٨٥.

الحياة العلمية في المدينة المنورة في العهد العثماني

كانت المدينة المنورة واحدة من المراكز القليلة التي لم تنطفئ الشعلة الثقافية فيها إبان العهد العثماني، بل ظلت متوقدة تنقل العلم والأدب من جيل إلى جيل، ويرجع السبب في ذلك إلى عوامل عدة أهمها :

أولا : المسجد النبوي، وهو أول سبب وأعظمه، فالمسجد النبوي أعرق مركز للثقافة في المجتمع الإسلامي، ورغم الأحداث الكثيرة التي شهدتها المدينة المنورة في رحلة القرون والعقود المتوالية، فإن أعمدة المسجد النبوي لم تفقد العلم والعلماء قط، كان الشيوخ يتصدرون الحلقات ويتجمع حولهم طلابهم ليقرأوا عليهم كتاباً أو يسمعوا منهم تأليفاً جديداً ويكتبوا عنهم، وكانت الدراسة فيه متنوعة وشاملة تبدأ من الكتاتيب وتنتهي بالإجازات التي يمنحها الشيوخ لمن نضج من الطلاب وأصبح قادراً على أن يعلم الأخرين، وقد ظل المسجد النبوي طوال العهد العثماني محور الحركة العلمية في المدينة المنورة، ودرس فيه أفواج متوالية من العلماء في كافة العلوم الإسلامية والعربية، فكنت تجد فيه عالماً في القراءات وعالماً في التفسير وعالماً في الفقه وعالماً في الأصول، وعالماً في النحو.. إلخ، وكان بعض العلماء بارعاً في أكثر من علم يدير أكثر من حلقة، فيلقي درساً في التفسير في وقت من الأوقات ثم يلقي درساً في الفقه في وقت آخر، وكانت الدروس تبدأ بعد صلاة الفجر، حيث حلقات القرآن الكريم ترتيلا وتجويداً وقراءات، وليس هناك نظام محدد أو منهج معين فلكل شيخ نظامه ومنهجه، هو الذي يختار العلم الذي يدرسه، والكتاب الذي يقرأه أو يمليه وربما يؤلفه، وقد تستمر الدروس إلى وقت الضحى، ثم تستأنف بعد صلاة العصر، وبعد صلاة المغرب أيضاً، وقلما تعقد حلقات بعد صلاة العشاء إذ كان المسجد النبوي يغلق أبوابه ليتسنى للقائمين عليه خدمته وتنظيف سجاده فضلاً عن أن الإنارة كانت عملية تتطلب جهداً ومالاً وحرصاً شديداً من أن تحدث حريقاً، ولم تدخل الإنارة الكهربائية

المسجد النبوي إلا في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وكان التدريس في المسجد النبوي مفتوحاً لمن يشاء، فأي عالم يستطيع أن يجلس إلى عمود ويدرس العلم الذي يتقنه، ولم يكن العلماء يتقاضون أجراً أول الأمر، وما لبثت الحكومة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني أن خصصت مرتبات لبعض الشيوخ الذين يدرسون في الحرم، ثم وضعت لهم مخصصات ثابتة في ميزانية الخزانة النبوية، وقد بلغ عددهم ثمانية عشر مدرساً تتراوح مرتباتهم بين ١٥٠ قرشاً و ٥٠٠ قرش سنوياً على نحو مايصرف لمدرسي المسجد الحرام، والملاحظ أن عدد المدرسين المعينين من الدولة قليل بالقياس إلى عدد مدرسي المسجد الحرام الذين يبلغ عددهم أربعة وأربعين مدرساً، وأنهم كانوا يدرسون المذاهب الثلاثة فقط الحنفي والشافعي والمالكي، غير أن التدريس في المسجد النبوي لم يقتصر قط على الذين يتقاضون رواتب من الدولة، بل كان فيه عدد أكبر من المدرسين المتبرعين الذين يعتمدون على ثرواتهم الخاصة أو لهم عمل أو متجر أو بستان يؤمن لهم حاجاتهم، وكان بعضهم يتلقى هبات من الموسرين ومن الزائرين والأموال المرسلة إلى المسجد النبوي، وبخاصة موسري الهند.

ثانياً: العلماء المجاورون:

شهدت المدينة المنورة طوال العهد العثماني قدوم أعداد كبيرة من العلماء من الشام ومصر والمغرب وآسيا الوسطى والهند، وقد سكن هؤلاء المدينة مدة من الوقت تتراوح بين السنة وعدة سنوات للمجاورة، أي للتعبد في المسجد النبوي وكان هؤلاء العلماء يعقدون حلقات التدريس في المسجد النبوي يحضرها طلاب العلم، وقد يتحول هؤلاء العلماء إلى مستمعين في حلقات علماء آخرين، استزادة في العلم، وتضلعاً في أبواب اشتهر بها أولئك العلماء، وتواضعاً، ونجد في تراجم الأعلام إشارات كثيرة إلى رحلة هؤلاء الشيوخ إلى المدينة ومجاورتهم فيها وتدريسهم في المسجد النبوي وقراءتهم

بعض مؤلفاتهم أو مؤلفات غيرهم على الطلاب.

ثالثاً: الكتاتيب:

الكتاتيب مراكز تعليمية عريقة في المجتمعات الإسلامية ترجع إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رأينا، وقد قامت هذه الكتاتيب بمهمة كبيرة في تعليم أولاد المسلمين القرآن الكريم منذ نعومة أظفارهم وكان لها الفضل في تخريج أجيال من حفاظ القرآن، فإذا تخرج الصبي منها تحول إلى حلقات الشيوخ المختلفة، لذلك نمر -خطفاً- بهذه المرحلة ونحن نستعرض الحياة الثقافية في العهد العثماني، والمعلومات التي لدينا تختص بالمرحلة الأخيرة من العهد العثماني، مطلع القرن الرابع عشر، ونعتقد بأن المراحل الأخرى لم تكن تختلف في هذا الشأن وأن عدد الكتاتيب كان يزداد وينقص بنسبة مايزداد عدد السكان أو ينقص.

كان بعض الكتاتيب في المسجد النبوي وبعضها الآخر في بيوت معلميها في أحياء مختلفة من المدينة، وقليل منها في الأربطة، وعندما أعيد بناء المسجد النبوي في عهد السلطان عبد المجيد خصصت للكتاتيب ست غرف في الجهة الشمالية وبني فوقها طابق آخر لمكتبة المسجد، وعين لكل كتاب معلم وعريف، يأخذان رواتبهما من الخزانة النبوية -ميزانية المسجد النبوي- وكان الشيخ يتقاضى مائتي قرش والعريف يتقاضى مئة قرش، وقد ذكرت السالنامة هذه الكتاتيب منسوبة إلى شيوخها الذين يعلمون فيها على النحو التالي:

١ - كتاب الشيخ مصطفى بن أحمد فقيه، بدأ التعليم فيه سنة ١٢٧٣هـ أي إثر انتهاء البناء المجيدي مباشرة وقد خلف الشيخ مصطفى أخوة إبراهيم.

٢ - كتاب الشيخ مصطفى الزهار بدأ التعليم فيه سنة ١٣٠٠ وقد خلف الشيخ مصطفى الشيخ محمد التابعي ثم الشيخ عبد الفتاح أبو خضر.

٣ - كتاب الشيخ بشير المغربي بدأ التعليم فيه سنة ١٣٠٠هـ

٤ - كتاب الشيخ إبراهيم الطرودي بدأ التعليم فيه سنة ١٣٠٠٠هـ.

٥ - كتاب الشيخ أحمد الطرودي ولا توجد أية معلومات أخرى عن تاريخ التعليم فيه.

٦ - كتاب الشيخ عبيد السفاري، والشيخ الحافظ حمدي أفندي الذي كان يعلم الخط واللغتين التركية والفارسية.

إضافة إلى تلك الكتاتيب وجدت كتاتيب أخرى داخل الحرم فقد ذكر علي بن موسى ان عدد كتاتيب الحرم ١٢ كتاباً أي ضعف عدد الكتاتيب الموجودة في الغرف(١) وخارج المسجد النبوي قامت كتاتيب أخرى موزعة في أحياء مختلفة ولم يكن معلمو هذه الكتاتيب وعرفاؤها يتقاضون رواتب من الخزينة النبوية، بل كانوا يتقاضون أجوراً محددة من أولياء الطلاب، بلغت آخر العهد العثماني عشرين قرشاً للشيخ وعشرة قروش للعريف كل شهر، فضلاً عن مبالغ أخرى غير محددة يدفعها عند تسجيله في الكتاب وعند حفظ الطالب للجزء الأول ثم لربع القرآن ثم لنصفه وفي شهر رمضان وفي العيدين يدفع مبلغاً جيداً وهدايا قيمة من ضمنها جبة وعمامة للشيخ عندما يختم الطالب القرآن، ويقيم الولي مأدبة يدعو إليها الشيخ والعريف والأصدقاء كما يوزع الحلوى على طلاب الكتاب جميعاً(٢) وأهم الكتاتيب التي كانت موجودة خارج الحرم في أواخر العهد العثماني:

١ - كتاب الشيخ عبد القادر بشير في العنبرية.

٢ - كتاب الشيخ حامد في المرادية بالسيح.

٣ - كتاب الشيخ محمد الغطي في المناخة.

٤ - كتاب الشيخ عبد القادر الشامي في مسجد علي بن أبي طالب.

٥ - كتاب الشريف المغربي في المسحرية.

---

١) انظر رسالة وصف المدينة ص ٥٢.

٢) انظر التعليم في مكة والمدينة للشامخ ص ٩٥-٩٨.

٦ - كتاب الشيخ جلال إلياس في مسجد السبق.

٧ - كتاب الشيخ محمد خليل في قباء.

٨ - كتاب الشيخ إسحق التركي في القباتين.

ويعدد علي بن موسى ثمانية كتاتيب أخرى خارج الحرم يعين أماكنها كما يلي:

١ - كتاب في مسجد القزلار حافظ بهرام أغا في العنبرية.

٢ - كتاب عند سبيل أبي جيدة.

٣ - كتاب عند المرادية وعضل.

٤ - كتاب عند فرق الميري أسسه سليم بك المابنجي.

٥ - كتاب في حوش التاجوري.

٦ - كتاب في بيت الخليفتي.

٧ - كتاب عند واجهة المناخة.

٨ - كتاب في زاوية القشاشي.

٩ - كتاب في زقاق النخاولة.

وقد بلغ مجموع الكتاتيب في الحرم وخارجه ٢٤ كتاباً -كما يذكر أحد شهود العيان-(١) فضلاً عن الكتاتيب المخصصة للبنات والتي أشار إليها علي بن موسى ولكنه لم يحصها ولم يسم واحداً منها(٢) كانت الدراسة في هذه الكتاتيب تركز على قراءة القرآن الكريم ثم تجويده ثم حفظه، وليس هناك سن محدد لدخول الكتاتيب ولكنه يبدأ غالباً بعد الخامسة، وقد يلحق الولد بالكتاب بعد ذلك بعدة سنوات، فالأمر متروك لوالده أو ولي أمره، أما المدة التي يقضيها الطالب في الكتاب فمردها إلى قدرته على الحفظ وكثيراً ما يترك المتعلم الكتاب ليخرج إلى الحياة العملية بعد أن يحفظ بعض السور وبخاصة

---

١) السابق.

٢) انظر ص٥٢.

إذا وجد صعوبة في الحفظ والمتابعة، ونظام الكتاتيب متوارث منذ قرون طويلة، لم يتغير فيه شيء فالشيخ هو المدرس الوحيد غالباً لجميع طلابه، أياً كان عددهم، يساعده العريف، وقد يكون العريف طالباً متقدماً أو متخرجاً من عند الشيخ، ويكون في الكتاب الطالب المبتدئ، ويكون فيه المشارف على الحفظ الكامل، يقرأون جميعاً في وقت واحد، فكل طالب ينتحي جانباً بالجزء الذي هو فيه ويقرأ بصوت غير عال، والشيخ يسمع لطالب واحد الحصة المقررة عليه في الحفظ، ويصحح له أخطاءه فإن رضي حفظه أمره أن يحفظ حصة جديدة قد تكون بضع أيات وقد تكون سورة كاملة، وإن لم يرضى حفظه أمره باعادة الحفظ وربما عاقبه على سوء حفظه بضربات من عصاه وإذا تكرر الإهمال استحق الطالب الضرب على الرجلين (الفلقة) وكذلك إذا بدر منه إساءة كبيرة أو شغب، وكان الطلاب النجباء يساعدون الشيخ في الاستماع لمن هم دونهم في المرحلة أو المبتدئين قبل أن يستمع إليهم الشيخ ليتأكدوا من حفظهم وليوفروا الوقت للشيخ فيأمروا الطالب بإعادة الحفظ وإتقانه إذا أراد أن ينجو من العقاب، وكثيراً ما كان طلاب الكتاتيب يخرجون من كتاتيبهم إلى الحياة العملية مباشرة مكتفين بما حصلوا عليه من حفظ القرآن أو بعض سوره، وبفك الحرف وتعلم بعض الحساب، فمعظم الكتاتيب كانت تعلم أيضاً القراءة والكتابة الأولية إضافة إلى القرآن الكريم، لذا تعد الكتاتيب المدرسة الشعبية العامة أو المرحلة التي يتخرج منها معظم الناس أما المراحل التالية مرحلة المدارس، فكانت تقتصر على طلبة العلم الذين يختارون أو يختار لهم أولياؤهم أن يتفرغوا له وليس هؤلاء بالكثيرين، ويدلنا ذلك على قلة عدد المدارس بالنسبة لعدد الكتاتيب وقلة طلابها أيضاً، وسنقف في الفقرة التالية عليها بشيء من التفصيل.

رابعاً: المدارس:

مر معنا أن السلطان قايتباي أمر ببناء مدرسة قرب المسجد النبوي، ورتب لها أوقافاً تضمن استمرارها في استقبال الطلاب والانفاق عليهم ودفع رواتب المدرسين والعاملين الآخرين، وقد كانت هذه المدرسة أكبر ما بني من المدارس في المدينة حتى نهاية العهد المملوكي.

وعندما بدأ العهد العثماني لم يتغير الأمر عما كان عليه فلا نجد أية إشارة إلى بناء مدرسة جديدة طوال القرن العاشر الهجري، وأول إشارة لمدرسة جديدة نجدها في القرن الحادي عشر الهجري سنة ١٠٣١هـ حيث بني رباط قره باشا ليكون رباطاً ومقراً لمدرسة العلوم الشرعية.

وقد ظلت هذه المدرسة قائمة بمهمتها إلى نهاية العهد العثماني، وكان فيها مكتبة لابأس بها.

بعد ذلك نجد أخباراً عن عدة مدارس تنشأ في هذا القرن والقرنين التاليين، وكان معظم المنشئين من أصحاب السلطة والثروة، بعضهم من السلاطين العثمانيين كالسلطان محمود والسلطان عبد الحميد، وبعضهم من الوزراء، كالوزير علم الدين، وبعضهم من كبار الموظفين في الدولة العثمانية مثل حسين باشا وأحمد أفندي الكبرلي، وبعضهم من الأثرياء الذين قدموا إلى المدينة للمجاورة مثل إبراهيم الصاقزلي.. وقد بنى كل من هؤلاء مدرسة وأوقف لها بعض العقارات في المدينة المنورة أو خارجها للانفاق على مدرسيها وطلابها ولضمان استمرارها بعد وفاة مؤسسيها..

واستمرت بعضها تقوم بالمهمة التي أسست لأجلها إلى نهاية الدولة العثمانية بينما توقفت الدراسة في بعضها الآخر أو تحولت إلى رباط..

ومن المؤسف أن أخبار هذه المدارس قليلة جداً ومتناثرة في الكتب بعضها يرد في سياق ترجمة أحد الأعلام الذين درسوا أو درسوا فيها.. وبعضها الآخر لانجد الا اسمها. ونذكر فيما يلي أسماء المدارس التي عثرنا

عليها والنتف القليلة من أخبارها.

المدرسة الرستمية:

من المرجح أن هذه المدرسة من المدارس التي بنيت في أول عهد العثمانيين، ولا نعرف شيئاً عن مؤسسها سوى أنه رستم باشا الذي سميت باسمه.. والأغلب أنه أحد كبار الموظفين في الدولة العثمانية وقد يكون (الصدر الأعظم) أقيمت هذه المدرسة وسط حارة الأغوات، ويذهب الباحث صالح مصطفى لمعي إلى أنها بنيت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري بسبب تشابه نمط بنائها مع أبنية أنشئت في هذا الوقت، كمسجد علي بن أبي طالب في المناخة الذي أنشأ عام ١٢٦٩هـ، وكمدرسة حسين آغا التي أنشئت عام ١٢٧٣هـ، وهو سبب غير مقنع لأنه يحتمل العكس.. أي يكون كل من مسجد علي بن ابي طالب ومدرسة حسين آغا بنيا على نمط الممدرسة الرستمية.. وقد أورد الشيخ عبد الرحمن الأنصاري في كتابه تحفة المحبين مايدل على وجود هذه المدرسة منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري.. ففي سياق ترجمته للشيخ محمد علي المدرس الرومي أنه (سافر إلى الديار الرومية سنة ١٠٧٠هـ وتقرر -أي عين- في مدرسة الرستمية) ويذكر أن ابنه أحمد قد خلفه في التدريس فيها إلى أن توفي سنة ١١٣٥هـ(١)

ويذكر علي بن موسى في رسالته عن المدينة المنورة (١٣٠٣هـ) أنها أصبحت مخصصة لجلوس ومعايدة الأغوات رابع يوم عيد الفطر(٢) ويوضح ذلك في حديثه عن احتفالات أهل المدينة بعيد الفطر فيقول ((واليوم الرابع يزين الأغوات دكة الرستمية الكائنة بحارتهم المخصوصة بجلوسهم دائماً ويلبسون أعمدتها وجدرانها بأستار الحرير الأخضر المعلقة داخل شبكة

---

١) تحفة المحبين ص ٤٣٨.

٢) ص ٤٦ـ٤٧.

الحجرة المعطرة، ويلعب عبيدهم ومواليهم عندها بالسيف والدرقة والطياس، تضرب لمن جاء لمعايدتهم، ويجلس الكبير والصغير منهم بأجمل الملابس إلى وقت الظهر، وذلك يوم عيدهم وعيد الساكنين حول الحرم الشريف..))(١) ويوحي كلام علي ابن موسى أن المدرسة قد توقف التعليم فيها وتحولت إلى مجلس خاص بالأغوات لأنه لم يذكر هذه المدرسة بين المدارس التي كانت قائمة في وقته لذا لاندري متى توقفت الدراسة فيها.. رغم أن بنائها ظل قائماً إلى أن هدمت حارة الأغوات وأدخلت في توسعة المسجد النبوي وقد صورها الباحث صالح مصطفى لمعي وأورد وصفاً لنمط بنائها وغرفها. ولا نملك تفصيلات عن حجم هذه المدرسة وعدد غرفها وطريقة التدريس فيها، ولكن الوصف الذي أورده الباحث صالح لمعي يبين أن المبنى قد دخلته بعض التعديلات فتغير مدخلها وأنه كان فيها حوش مستطيل يدور حوله غرف، أمامها رواق يفتح على الحوش عن طريق عقود مدببة، والمبنى من طابق واحد(٢).

مدرسة قره باشي:

لعلها أول المدارس التي أنشئت في العهد العثماني، أنشأها القاضي الذي عينته الدولة في مكة المكرمة عام ١٠٣١هـ وقد أنشأ مدرسة مثلها في مكة وأوقف لكل منها عدة عقارات، فإذا لم تكف واردات إحداهما يؤخذ من واردات الثانية لتغطية احتياجاتها وبالعكس، وقد تحولت المدرسة إلى رباط ما زال قائماً حتى الآن رغم تغير المبنى بسبب دخول المبنى الأول في مخططات توسعة المسجد النبوي، ويبدو أن الدراسة فيها قد توقفت قبل مطلع القرن الرابع عشر الهجري إذ لم يرد ذكرها بين المدارس في رسالة علي بن موسى ولا في إحصائية السالنامة، ولكن وقفها محفوظ في يد مديرية أوقاف المدينة

---

١) ص ٧٨.

٢) ص ٢١٨.

المنورة وفيه مايشعر أنها كانت مدرسة، وكذلك ذكرها شكيب أرسلان عندما زار المدينة المنورة عام ١٣٣٢هـ وقرر أن بها مكتبة(١).

مدرسة محمد آغا (دار السعادة):

هي من المدارس التي أنشئت في فترة مبكرة من العهد العثماني ايضاً، فقد كانت قائمة في نهاية القرن الحادي عشر للهجرة يدرس فيها الشيخ يوسف أفندي الشرواني (نسبة إلى مدينة شروان بالديار الرومية) وقد قدم الشيخ يوسف المدينة عام ١٠٩٠هـ وتولى التدريس فيها بعده ابنه مصطفى، فانتزعت منه بقرار من الآستانة، انتزعها السيد جعفر برزنجي الذي عاش في الفترة من (١١٢٨-١١٧٧هـ) محتجاً بأنها كانت لوالده السيد حسن برزنجي، وقد حاول مصطفى وأخوه أحمد من بعده استرجاع المدرسة بقرار من استانبول ولكنهما لم يفلحا وبقيت في يد آل البرزنجي وربما تغير اسمها بعد ذلك أو أغلقت إذ لانجد لها ذكراً بين الأسماء التي ذكرتها السالنامة ولا ذكراً لأحد من آل البرزنجي في التدريس بالمدارس المذكورة(٢).

مدرسة الشفاء:

أنشأها شيخ الإسلام فيض الله الهندي عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م، وهو من علماء الدولة العثمانية، تولى منصب شيخ الإسلام مرتين، كان سخياً ينفق بسخاء في إنشاء المساجد والمدارس والمبرات الخيرية، وله أوقاف عدة في استانبول وأرضروم ودمشق.. وقد زار المدينة وبعد عودته أرسل الأموال اللازمة لشراء الأراضي وإقامة المبنى، فأقيم في حارة ذروان، وتحتوي على أكثر من عشرين غرفة، واحدة للناظر، وأخرى للمكتبة وأخرى لحافظ الكتب، وأخرى للمدرس وأخرى للتدريس وست عشرة غرفة لإقامة الطلاب ومسجد ومطبخ، وقد أوقف لها عدة عقارات في المدينة وخارجها، وظلت تؤدي دورها

---

١) مجلة المجمع العلمي بدمشق مجلد ١٨ ع ٣ و٤ سنة ١٩٥٣ ص ٤٩٤-٤٩٥.

٢) انظر تحفة المحبين ص ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣. والسالنامة ع ١ ١٣٠٣هـ ص ١٤٨.

إلى نهاية العهد العثماني(١).

• مدرسة الساقزلي:

بنيت هذه المدرسة عام ١١٢٥هـ على نفقة السيد أحمد بن إبراهيم الصاقزلي، وهو تاجر قدم إلى المدينة من آسيا الوسطى وأقام فيها، ثم سافر إلى الهند للتجارة فحقق أرباحاً كبيرة اشترى بها عقارات عدة أوقفها للإنفاق على المدرسة، وكان طلابها من القادمين من آسيا الوسطى لطلب العلم والمجاورة، وقد أشرف عليها مؤسسها مدة حياتة ولما مات تولاها أخوه إذ لم تكن للسيد أحمد ذرية.. ثم تولاها بعده الشيخ محمد بن أبي طاهر طول زادة وصار مدرسها، وتتألف هذه المدرسة من ١٥ غرفة واحدة للمدرس وواحدة للمكتبة، وواحدة للموظف المقيم فيها وواحدة للمهمات (المستودع) وواحدة للتدريس، وعشر غرف لإقامة الطلاب. وكان موقعها في شارع الساحة.

وتعد هذه المدرسة من أغنى المدارس بالأوقاف، فمن أوقافها حوش عميرة الذي يحوي ٢٥٠ داراً، وستة دور أخرى وست دكاكين وبستان، لذلك ظلت هذه المدرسة قائمة إلى نهاية العهد العثماني، وكان لها مكتبة قيمة(٢).

المدرسة الجديدة أو مدرسة كبرلي:

بنيت عام ١١٥٠هـ على نفقة أحمد أفندي الكبرلي، ويبدو أنه أحد الميسورين في آسيا الوسطى (بلاد الروم) وقد أرسل المال من هناك وكلف بالإشراف على البناء موسى الطرنوي، وليس لدينا معلومات عن عدد غرفها.

تولى التدريس فيها شيوخ قدموا من بلاد منشئها منهم أحمد أفندي الكركوكي ومحمد أفندي المسعودي ومحمد سعيد بيت خادم، وكان الأخير يسافر إلى الآستانة ويعود بالمال الوفير، وقد خصص له مرتب سنوي من

---

١) انظر المكتبات العامة في المدينة ص ٣٩.

٢) انظر المكتبات العامة ص ٣٧. وانظر السالنامة ع ١٣٠٩ ص ١٤٨.

الخزانة النبوية قدره ٥٠٠ قرش وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت..

ظلت هذه المدرسة قائمة إلى أواخر العهد العثماني وورد ذكرها في السالنامة ومدرسها آنئذ خليل أفندي الخربوني(١).

مدرسة بشير آغا:

لانعرف شيئاً عن مؤسسها سوى اسمه الأول الذي أطلق عليها، وربما كان أحد الموظفين الكبار في الدولة العثمانية، وقد بنيت هذه المدرسة كما جاء في صك وقفيتها عام ١١٥١هـ ويتألف مبناها من طابقين وهو على شكل مستطيل وسطه ساحة واسعة، وفيه ثلاثون غرفة، وكان للمدرسة مكتبة قيمة.. وقد أوقفها مؤسسها على طلاب العلم من الأروام، ووضع لها نظاماً دقيقاً للدروس والموظفين، ورتب لها أوقافاً تدر عليها مايؤمن حاجة الطلاب والمعلمين والموظفين.

ظلت المدرسة قائمة إلى عهد التوسعة الأخيرة للمسجد النبوي حيث هدمت ودخلت أرضها في مرافق المسجد(٢).

المدرسة الحميدية:

أنشأها السلطان عبد الحميد الأول الذي تولى الخلافة من ١١٨٧ إلى ١٢٠٣هـ. وتقع في منطقة الساحة آخر البلاط عند حارة الخزارة. وليست لدينا معلومات عن مبناها، غير أن وجود مكتبة كبيرة فيها يدل على أنه كان كبيراً. وقد ظلت قائمة إلى آخر العهد العثماني وورد ذكرها في رسالة علي بن موسى وفي السالنامة وفي رحلة البنتوني(٣).

---

١) انظر تحفة المحبين للأنصاري ص ٣٣٩، ٤٥٦، ٤٦٤. والسالنامة ع١ سنة ١٣٠٢ هـ ص ١٤٩.

٢) انظر وسائل تاريخ المدينة ص ٥٢ نزهة الناظرين ص ٣٨، الرحلة الحجازية للبنتوني ص ٢٥٥.

٣) انظر رسائل في تاريخ المدينة ص ٥٢، السالنامة ع ١، البنتوني ص ٢٥٥.

١ ـ مواقع المدارس والكتاتيب في المسجد النبوي وبجانبه مدرسة قايتباي والتي تحول اسمها إلى المدرسة المحمودية ثم المكتبة المحمودية.



٢ ـ مبنى المدرسة المحمودية ملاصقاً لباب السلام

المدرسة المحمودية:

أمر ببنائها السلطان محمود الثاني سنة ١٢٣٧هـ. ويرى التونسي أنه جددها وأنها هي مدرسة قايتباي ولكنه وسعها وألحق بها مكتبة(١) وذكر علي بن موسى أن بالمدرسة نحو الأربعين حجرة منها سكن للمدرس وحديقة صغيرة في وسطها وحديقة في جنبها الغربي(٢) وتقع المدرسة في منطقة مجاورة للحرم بين باب السلام وباب الرحمة، وتطل نوافذها من جهة الشرق عليه مباشرة لايفصله عنها سوى زقاق ضيق.

ويبدو أنها كانت حسنة التنظيم حتى إن علي بن موسى جعلها أشهر مدارس المدينة وأعظمها. ونظراً لقربها من الحرم فقد بني فيها ((ميضات)) عامة وفيها بيوت الخلاء، وتوجد صورة لمبنى المدرسة تبين أنه كان مبنى واسعاً يتضمن عدداً من الغرف للإقامة ومطبخاً للطعام وغرفاً للتدريس، ولا ندري عدد الحلقات أو الفصول التي كانت بها، فمن المؤسف أن تاريخها لم يدون رغم شهرتها الواسعة.. ولعل السبب الكبير في شهرتها هو مكتبتها القيمة التي انشئت قبل مكتبة عارف حكمت، وظلت أكبر مكتبات المدينة إلى أن فاقتها مكتبة عارف حكمت، وقد جاء في إحصائية السالنامة عام ١٣٠٩ أن عدد الكتب الموجودة بها هو ٤٥٦٩ كتاباً، وكانت حتى ذلك الحين مدرسة.

جاء في صك وقفها مايلي: وقف السلطان الغازي محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان.. المدرسة الكائنة بالمدينة المنورة بين باب السلام وبين باب الرحمة التي بناها مجددة والمستغنية عن التجديد، المعروفة لدى الجميع والمشتملة على ٢٣ غرفة ومحل للتدريس ومحل للكتب والمرافق اللازمة

---

١) التونسي ص ٢.

٢) ص ٤٤.

لها(١) أوقف لها دارا للمدرس وداربن لحافظي الكتب.

أزيلت هذه المدرسة عام ١٣٧١هـ عندما بدأ مشروع توسعة الحرم.

مدرسة حسين آغا:

أنشأها ناظر التكية المصري حسين أغا عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م بعد أن تقاعد من وظيفته وقرر المجاورة في المدينة المنورة وسماها باسمه ويبدو أنها كانت تحوي مكانا للإقامة والطعام (تكية) وتضم مكتبة فيها ١٠٠٠ كتاب.

تقع هذه المدرسة في حي الأغوات أيضا وقد ظل مبناها قائما إلى أن أزيل في مشروع تحسين شوارع المدينة، ورد ذكرها في كتابات عدد ممن كتبوا عن المدينة مثل إبراهيم رفعت وعلي بن موسى وصالح لمعي وقد وضع مؤسسها حجرا على بابها دون فيه بالتركية تاريخ إنشائها وتخصيصها لتدريس العلوم الدينية.. وورد ذكرها في السالنامة أواخر العهد العثماني وذكر أن مدرسها آنئذ أحمد أفندي البوزغاني(٢).

المدرسة الإحسائية:

أسسها رجل يدعى مصطفى بن عبد الرسول بن سلمان بن عبدالرحمن بن عبد الرحيم عام ١٢٧٥هـ ويعتقد أنه من الهند. وتقع في حارة الأغوات في أخر الزقاق إلى البقيع، وقد أوقف عليها عدة عقارات منها سبعة دور وخمسة عشر دكاناً.

ولا نعرف شيئاً عن مبناها سوى أنه يتألف من طابقين وأن احدى غرفها مكتبة تضم ٤٦١ كتاباً وقد ترك مؤسسها صكاً وقفياً يبين فيه رواتب المدرسين والعاملين الآخرين فيها والطلاب وبفضل هذا الوقف ظلت المدرسة

---

١) التونسي ص ٤.

٢) السالنامة ع ١ ١٣٠١هـ ص ١٤٨.

قائمة إلى آخر العهد العثماني وورد ذكرها في السالنامة(١).

مدرسة الوزير علم الدين:

أنشأها -كما ذكرت الكتابة الموجودة على واجهتها- الوزير علم الدين عام ١٣٠١هـ أحد وزراء الدولة العثمانية ذلك الوقت. وتقع في منطقة الداودية، ويتألف مبناها من ثلاثة طوابق تحوي سكناً للطلاب والمجاورين ومطبخاً.

والمدهش أن هذه المدرسة لم تذكر في قائمة المدارس التي أوردتها السالنامة مع أنها أسست قبل صدور السالنامة بفترة قريبة

مدرسة حسن باشا:

لانعرف متى أنشئت ومن أنشأها ولكنها كانت مفتوحة للتدريس في القرن الثاني عشر الهجري. فقد جاء في ترجمة صالح أفندي شيخي الرومي أنه جاء إلى المدينة مع أخيه محمد أفندي وعمل فيها مدرساً إلى أن مات فأعقبه ابنه أحمد وكان رجلا عالماً فخلف اباه في العمل مدرساً في المدرسة المزبورة(٢).

مدرسة كيلي ناظري:

أسسها مصطفى كيلي ناظري عام ١٢٥٤هـ ويتكون مبناها من ثلاثة أدوار ومضيف وتضم ٢٤ غرفة، منها سكن للناظر وآخر للمدرس وغرفة للمكتبة ومسجد واسع هو مقر الدراسة وغرف لإقامة الطلاب ومطبخ.

والطريف أن مؤسسها اشترط أن يكون طلابها من الأحناف فقط. وكان للمدرسة أوقاف داخل المدينة المنورة. وقد ظلت قائمة إلى عام ١٣٨٠هـ(٣).

المدرسة القازانية:

أنشأها عبد الستار القازاني عام ١٣١١هـ ويقع مبناها في زقاق جعفر،

---

١) انظر السالنامة ٣٠٨/١، والمكتبات العامة في المدينة ص ٣٦.

٢) تحفة المحبين ص ٣١٧.

٣) انظر المكتبات العامة ص ٤١.

ويتألف من طابقين فيها ستة وثلاثون غرفة ومكتبة جيدة. وقد أوقفها منشؤها على طلاب العلم التتار القادمين من جهة قازان.. ويبدو أنها تحولت إلى رباط بسبب هذا الشرط(١).

المدرسة العرفانية:

أسسها محمد عارف بن مصطفى طوقاي عام ١٣١٤هـ، ولعلها آخر مدرسة أهلية أنشئت في العهد العثماني، وكان منشئها مدرساً في مدرسة بشير آغا ثم تركها وبنى هذه المدرسة ليدرس فيها، تضم المدرسة ١٢ غرفة زادها الناظر عمرعادل التركي أربع غرف بعد ذلك، وفيها مكتبة جيدة، ولها أوقاف تضم ١٧ دكاناً وسبعة دور وقطعة أرض.

مدرسة الخاسكية:

أنشأتها إمرأة تدعى خاسكي سلطان في الجنوب الغربي من المسجد النبوي، على طرف مجرى وادي (أبو جيدة) ومقابل باب قباء، ويبدو أن التدريس قد توقف فيها بعد مدة من تأسيسها فتحولت إلى مقر دار حكومة ثم صارت (خاستة خانة) مستشفى للعساكر النظامية، وفيهاحديقة صغيرة ومسجد ومنارة ظريفة(٢).

وثمة مدارس أخرى ورد ذكرها في السالذامة وفي رسالة علي موسى وليست لدينا أية معلومات عن تاريخ إنشائها ومنشئيها ومبانيها، ويغلب على الظن أنها بنيت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، ومن هذه المدارس :

مدرسة ثروت أفندي، مدرسها أحمد أفندي.

مدرسة أمين أفندي القنابرجي، مدرسها أحمد أفندي الجاللي.

مدرسة أوز بك، مدرسها أخو نجا أفندي بخاري.

---

١) انظر مكتبات المدينة ص ٣٣.

٢) انظر رسائل في تاريخ المدينة ص ٤٠.

المدرسة الجليلية، مدرسها عمر لطفي أفندي.

مدرسة أمين باشا شيخ المسجد النبوي في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة وهو غير أمين أفندي القنابرجي(١).

وهكذا نجد في المدينة المنورة ثلاثاً وعشرين مدرسة خلال العهد العثماني لم تكن موجودة كلها خلال وقت واحد ولكن مايزيد على النصف قد وجد في القرن الأخير من العهد العثماني على أقل تقدير. وهذا العدد معقول جداً بالقياس إلى عدد السكان منذ بداية العهد العثماني إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، قبل أن تشهد المدينة الطفرة الكبيرة التي أحدثها الخط الحديدي الحجازي.

وهنا يثور سؤال مهم: مادامت كل هذه المدارس موجودة في العهد العثماني فلماذا كانت الأمية متفشية بين معظم السكان داخل المدينة وخارجها؟ ولماذا نجد صورة قاتمة للحياة الثقافية في العهد العثماني في معظم الكتابات التي أرخت للمدينة أو تحدثت عنها في هذه الفقرة؟

كي نصل إلى إجابة دقيقة نبين حقيقتين مترابطتين أدتا إلى تلك الصورة الأولى وهي أن تلك المدارس كانت محدودة العطاء، بسبب نظامها الداخلي، فرغم أن إنشاء أية مدرسة يقتضي مبالغ كبيرة لشراء الأرض وإقامة المبنى وكانت المباني واسعة وصل عدد غرف بعضها إلى خمسة وأربعين غرفة إضافة إلى غرف الخدمات (المطبخ، المكتبة، الناظر، المسجد)، ومثل هذه المدرسة يمكن أن تستوعب في عصرنا هذا ألف طالب على الأقل ولكنها في ذلك الوقت لم تتسع لأكثر من خمسين طالب، ذلك أن معظم الغرف مخصصة لإقامة الطلاب، وأما التدريس فتخصص له غرفة أو مسجد المبنى، ويقيم الطلاب في المدرسة إقامة دائمة، وتكون لكل طالب غرفة مستقلة، وقد تكون للمدرس غرفة أيضاً، وكذلك يكون لكل مدرسة مدرس واحد غالباً، وفي حالات

---

١) انظر مرآة الحرمين ٢٤٣/١، وانظر السالنامة ٦٠٣-٣٠٨ ع١٣٠٩/٩.

قليلة يكون العدد إثنان أو ثلاثة، وهذا النظام يهيئ لطالب العلم تفرغاً كاملاً وهو أشبه بمرحلة الدراسات العليا في عصرنا حيث مشرف واحد وطلاب قليلون، يخرج العلماء، فهو مرحلة الفئة الممتازة، ولكن هذه المرحلة تسبقها في عصرنا مراحل أخرى هي الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية، تستوعب الأعداد الكبيرة من الطلاب وتقدم قدراً وافراً من الثقافة للجميع، فمن كانت له مؤهلات المتابعة وظروفها دخل مرحلة الدراسات العليا، وهؤلاء قليلون دائماً لأن الحياة تشد القسم الأكبر من الدارسين ليخوضوا فيها، فيكون في المجتمع فئات مثقفة كثيرة ومتنوعة تقوم بخدماته الأساسية، وهذا مالم تكن تصنعه المدارس الأهلية القديمة، فلم تكن تستوعب الأعداد الكبيرة من الطلاب، ولم تكن تقتصر على تقديم العلم دون الإقامة والطعام، كانت تتسلم طالب العلم بعد أن يتخرج من الكتاب وتتولى رعايته حتى يتخرج عالماً، وقد تتسلمه من حلقات المسجد وتكمل له تعليمه، لذلك ووفق هذا النظام لم يكن في طاقتها أن تستوعب عدداً كبيراً يقضي على الأمية ويخرج أنصاف المثقفين، ولو تصورنا وجود عشرين مدرسة في وقت واحد في المدينة المنورة فلن يزيد عدد طلابها عن خمسمائة طالب، بعضهم من أهل المدينة وبعضهم من الوافدين إليها من البلاد الإسلامية، وربما تكون هذه الفئة هي الأكثر، إذن سيبقى مستوى التعليم بين عامة الناس قليلاً وستكون خدمة هذه المدارس ممتازة لعدد قليل.

المدارس الحكوميــة

وفي عهد السلطان عبد الحميد تنبهت الدولة العثمانية لهذه القضية وبدأت تفتح المدارس الحكومية في المدن، ولا نعرف بالتحديد متى افتتحت المدرسة الحكومية في المدينة المنورة، ولكننا نجد في رسالة علي بن موسى عبارة يقول فيها (صار في زمن سلطاننا عبد الحميد الغازي بن عبد المجيد مكتب

رشدية لتعليم الصبيان الخطوط وسائر اللغات)(١) وجاء في إحصائية السالنامة أن عدد طلاب هذه المدرسة كان ٢٥ طالباً في عام ١٣٠١هـ وارتفع عام ١٣٠٥هـ إلى ٥٥ طالباً واستمر على هذا العدد إلى عام ١٣٠٩هـ، وكانت المدرسة الرشدية (نسبة إلى والي الحجاز رشدي باشا) تحتل إحدى الغرف الشمالية في المسجد النبوي بجانب غرف الكتاتيب الستة، ثم انتقلت إلى قرب باب الصغير حيث تحولت فيما بعد إلى المدرسة الفيصلية، ونلاحظ قلة عدد الطلاب رغم أنها لاتقدم خدمة المبيت والطعام.

وعندما بدأت طفرة التطور في المدينة المنورة وازداد عدد سكانها افتتحت الدولة أربع مدارس تحضيرية، يتكون كل منها من أربعة فصول، وثلاث مدارس ابتدائية يتكون كل منها من ستة فصول ومدرستين ليليتين لتعليم الأميين، وليست لدينا معلومات دقيقة عن تاريخ افتتاحها، ولكننا نستنتج من عدم ذكرها في السالنامة /١٣٠٩هـ أنها افتتحت بعد هذا العام، وقبل عام ١٣١٧هـ كما يذكر السيد عثمان حافظ الذي درس في واحدة منها في ذلك التاريخ(٢) وفي عام ١٣١٧هـ افتتحت الدولة العثمانية مدرسة اعدادية في المدينة المنورة يدخلها المتخرجون من المدارس التحضيرية، وكانت ذات خمس فصول، وقد أضيف إليها فصل سادس باسم (إحضاري فصلي جامعي) وهو بمستوى الثانوي، وكانت الحكومة العثمانية تبتعث كل عام أربعة من خريجي هذه المدرسة إلى استانبول أو دمشق أو القدس لإكمال دراستهم الجامعية، ومن هؤلاء المبتعثين الشيخ محمد المغيربي فتيح والشيخ عمر قازاني والشيخ عبد القادر عبد الجواد والشيخ سليمان حماد والشيخ كامل حواري والشيخ حسين قباني والشيخ ناظر طرابزوني والشيخ عمر توفيق والشيخ حسن عنبر خان والسيد رفاقت علي الذي درس الطب وعاد ليمارسه

---

١) ص٥٠.

٢) انظر التعليم في مكة والمدينة ص٧٤

في المدينة والسيد جميل أحمد (١) وكان هؤلاء المبتعثون رواد الحركة التعليمية الجديدة فيما بعد فقد صار معظمهم أساتذة ومديرين وأصحاب مناصب حساسة.

وكان آخر ما افتتح في العهد العثماني من المدارس معهد المعلمين، بدأ التدريس فيه عام ١٣٢٧هـ لتخريج مدرسين للمراحل التحضيرية الابتدائية وقد خصصت الحكومة رواتب للطلاب لتشجيعهم على الالتحاق بها، ولكن عدد طلابها لم يزد على ٥٠ طالباً بعد أربع سنوات من إنشائها، ولم يتخرج منها -كما يذكر الأستاذ محمد حسين زيدان- سوى دفعة واحدة تتألف من أربعة طلاب فقط.

وأغلقت المدرسة بسبب الحرب العالمية الأولى وأرسل طلابها المتفوقون إلى كلية صلاح الدين الأيوبي بالقدس والمدرسة السلطانية بدمشق، ، وكما ذكرنا من قبل بدأ الإتحاديون الذين خلعوا السلطان عبد الحميد بإنشاء كلية في المدينة المنورة وقدم عبد العزيز جاويش مديراً لها ومعه شكيب أرسلان وعبد القادر المغربي وشرعوا في تأسيس المبنى وانتهوا من الطابق الأول ثم قامت الحرب العالمية الأولى وبدأ حصار المدينة فطوى المشروع ولم تفتح الكلية.

تلك هي الصورة العامة للمدارس والتعليم في المدينة المنورة في العهد العثماني.

---

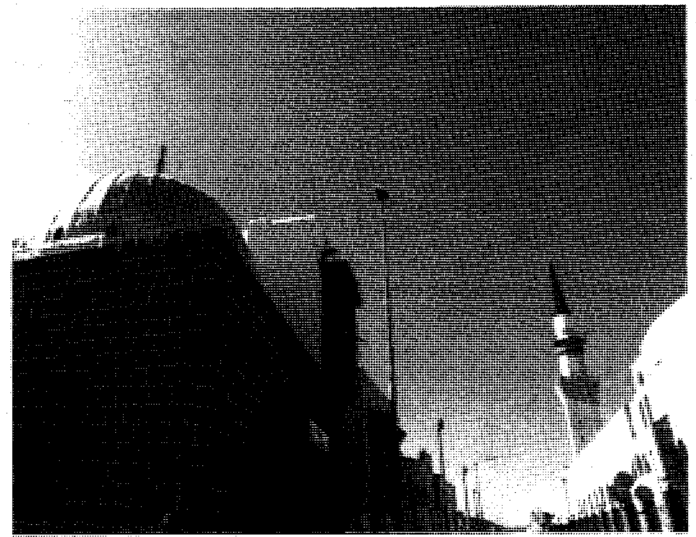
١) انظر مقدمة الخطراوي لديوان عمر إبراهيم بري ص٢٦.

مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني

كانت المكتبات المحور الثقافي الثاني في المدينة المنورة في العصر العثماني. فإضافة إلى خزائن الكتب في المسجد النبوي والأربطة والمدارس التي كانت قائمة في عهد المماليك أنشئت عدة مكتبات جديدة بعضها ملحق بالأربطة والمدارس، وبعضها مستقل عنها، ولأول مرة تظهر مكتبة عامة غير مرتبطة بمدرسة أو رباط أو مسجد في المدينة المنورة، مهمتها استقبال القراء وتقديم الخدمات لهم، كما أن بعض العلماء الذين أسسوا مكتبة خاصة بهم فتحوا بيوتهم لاستقبال طلاب العلم، وسمحوا لهم باستخدام مكتباتهم الخاصة.. وسمحت بعض الأربطة والمدارس بإعارة الكتب مقابل تأمين يودعه المستعير في مكتبتها إلى أن يعيد الكتاب.. وقد تطور إنشاء المكتبات خلال العهد العثماني الطويل، فكان بطيئاً أول الأمر، مرتبطاً بإنشاء رباط أو مدرسة.. ثم ازداد وبلغ ذروته في القرن الثالث عشر الهجري، وفيه أسست أشهر مكتبات المدينة، وربما أشهر المكتبات في الدولة العثمانية كلها. وقد بلغ عدد المكتبات في أواخر العهد العثماني ثمانية وثمانين مكتبة مابين مكتبة عامة وخاصة، وسنعرض فيما يلي أهم المكتبات التي أنشئت في العهد العثماني بقدر ما تسعفنا الإشارات التاريخية القليلة.

مكتبة عارف حكمت:

نالت هذه المكتبة أوسع شهرة نالتها مكتبة عربية قديمة.. وتعد من ذخائر المدينة المنورة ومن المكتبات التراثية المتميزة، لما تحتويه من مخطوطات نادرة. أسسها أحمد عارف حكمت عالم تركي المنشأ، يرجع نسبه للحسين بن علي رضي الله عنهما، تولى قضاء القدس ثم قضاء مصر ثم قضاء المدينة المنورة عام ١٢٣٩هـ، ثم نقل إلى عدة وظائف في استانبول وانتهى به الأمر إلى أن عين شيخ الإسلام عام ١٢٦٢هـ واستمر في هذا المنصب قرابة ثماني سنوات، ثم أقيل عام ١٢٧٠هـ فتفرغ للعبادة والعلم إلى أن مات في



استانبول عام ١٢٧٥هـ.

وقد أنشأ المكتبة التي سميت باسمه بعد أن أقيل مباشرة عام ١٢٧٠هـ، وأرسل أموالاً وافية لإنجاز بناء خاص بها قرب المسجد النبوي من الجهة الجنوبية، ثم بدأ يرسل مجموعات متوالية من المخطوطات النادرة والكتب المطبوعة ((وبذل في اقتناء كتب مكتبته وشرائها أموالا كثيرة وجهوداً كبيرة حتى تجمعت له من أقطار الأرض أنفس الكتب وأجملها خطاً وأعلاها شأناً وأغلاها قيمة، وقد كتب بيده على صفحة عنوان أحد المخطوطات أنه دفع مبلغ أربعمائة جنيه عثماني ذهبي لشرائه، وعلاوة على حرصه أن تكون المخطوطة مكتوبة لأشهر الخطاطين، فإن بعض المخطوطات الفارسية كتبها بيده رحمه الله))(١) وقد حرص أحمد عارف حكمت على أن تكون مكتبته مركزاً ثقافياً حقيقياً ومستمراً عبر الأجيال في نشر الثقافة، فوضع شروطاً لاختيار الموظفين ونظاماً للاستفادة من الكتب الموجودة. وأوقف لها عقارات كثيرة في استانبول والمدينة المنورة أيضاً/ ((وأما ما أوقفه عليها بالمدينة فهو خمسة دور، الأولى بجوار التاجوري، والثانية بباب المجيدي، والثالثة في زقاق الطيار، والرابعة كانت في حوش التكارنة، والخامسة كانت في زقاق القشاشي، ولم يكن دخل هذه الدور شيء يذكر.

وأما ما أوقفه في استانبول فقد ورد في صك الوقفية أنه أوقف جملة أبنية فيه: خان يشتمل على أربع غرف واصطبل وفرن ودكان بقالة ودكان حلاقة وصوندرمة (سقيفة) وخان (فندق) وأبنية أخرى متصلة بهذا الخان فيها مصنع وفرن كبير وبئر ماء، وأوقف أيضاً بستاناً كبيراً فيه أشجار مثمرة وعدة آبار وحماماً عامة وثمانية دكاكين. وذكر في الصك أن مساحة هذه العقارات ٥٥٥٩ ذراعاً مربعاً وأن دخلها السنوي لايقل عن خمسة عشر

---

١) د. محمد عيد الخطراوي مقدمة كتاب عارف حكمة. حياته ومأثرة لشهاب الدين الألوسي. مكتبة دار التراث بالمدينة ومؤسسة علوم القرآن ص ٣٢.

ألف جنيه ذهبي عثماني.))(١).

وقد وضع منشىء المكتبة نظاماً دقيقاً للانتفاع بها أورده في صك الوقفية، من أهم بنوده:

١ - يعين مدير للمكتبة وأربعة موظفين (من العلماء الصالحين الذين صاروا فارغي البال محمودي الخصال) وخادم يقوم بوظيفة البواب والفراش والسقاء.

٢ - تفتح المكتبة بعد طلوع الشمس بساعة وتغلق قبل الغروب بساعة.

٣ - يبدأ الموظفون عملهم بقراءة جزئين من القرآن كل يوم يقرأهما إثنان بالتناوب.

٤ - لايجوز منع أي مرتاد عن الاستفادة من الكتب داخل المكتبة ولا يجوز إخراج أي كتاب من المكتبة.

٥ - يتم جرد المكتبة كل ثلاث سنوات مرة بإشراف قاضي المدينة المنورة.

٦ - يتم ترميم الكتب التي تحتاج لذلك وإعادة تجليدها.

وقد وضع المؤسس شروطاً دقيقة لاختيار المدير والموظفين، ومنع توريث وظائفهم لأبنائهم وأمر بصرف من لايحسن القيام بعمله وتوظيف غيره، وحدد رواتب الموظفين بمبالغ مناسبة في ذلك الوقت..

وقد بلغ عدد الكتب التي حوتها هذه المكتبة حسب إحصائية السالنامة ٥٤٠٤ كتاباً(٢).

تميزت هذه المكتبة بخدماتها الكبيرة للقارئ حتى إنها كانت تقدم لهم مايلزمهم من ورق وأقلام وأدوات وخلافها، وتؤمن لهم جو الراحة والهدوء. تضم هذه المكتبة مخطوطات نفيسة منها أمهات الكتب الشرعية واللغوية

---

١) مقدمة الخطراوي ص ٣٢-٣٣، التونسي ص ١٧.

٢) ع ١٣٠٩ ص ١٠٦.

والأدبية(١)./

المكتبة المحمودية:

أنشأها السلطان محمود الثاني عام ١٢٣٧هـ حسب ماذكر في صك وقفيتها، وبنى لها مقراً ملحقاً بالمدرسة المحمودية. وقد زارها محمد لبيب البنتوني صاحب (الرحلة الحجازية) عام ١٢٣٧هـ وقال عنها: وهي وإن كانت أصغر من كتبخانة عارف حكمت وأقل منها نظاماً إلا أنها جميلة ومرتبة(٢) وذكرت السالنامة أن عدد كتبها ٤٥٦٩ كتاباً.

وتضم هذه المكتبة حوالي ثلاثة آلاف مخطوط بعضها من المخطوطات النادرة، ويذكر التونسي أن عدداً من العلماء أوقفوا كتبهم لها، منهم المحدث المشهور الشيخ محمد عابد السندي، الذي ولاه محمد علي باشا مشيخة علماء المدينة، فقدم إليها وأقام فيها، وكانت لديه مكتبة نفيسة أوصى بوقفها بعد موته(٣).

مكتبات المدارس:

أنشئت في المدارس مكتبات كانت تخدم طلابها في المقام الأول، وتخدم الشيوخ وطلاب العلم الذين يقصدونها للقراءة فيها.. وكان بعضها يسمح بالإعارة الخارجية مقابل تأمين يسلمه المستعير لخازن المكتبة، ويسترده عندما يعيد الكتاب. وقد أوردت السالنامة العثمانية إحصائية لهذه المكتبات وما فيها من الكتب ضمن الإحصائية العامة لمكتبات المدينة المنورة، وهي بحسب تسلسل عدد كتبها كما يلي(٤):

مكتبة مدرسة بشير آغا	٢٠٦٣ كتاباً

---

١) التونسي ص ٢١.

٢) الرحلة الحجازية ص ٢٥٥.

٣) انظر الأعلام ٦/١٨٠.

٤) انظر السالنامة عدد ١٣٠٩ ص ٣٠٦، ٣٠٧.

مكتبة مدرسة السلطان عبد الحميد خان الأول	١٦٦٩ كتاباً
مكتبة مدرسة عمر أفندي قره باش	١٢٦٩ كتاباً
مكتبة مدرسة الشفا	١٢٤٦ كتاباً
مكتبة مدرسة الساقزلي	٥٩٣ كتاباً
مكتبة مدرسة الأحسائية	٤٦١ كتاباً
مكتبة مدرسة الكبرلي	١٥٧ كتاباً
مكتبة مدرسة أمين أفندي	١٠٠ كتاباً
مكتبة مدرسة حسين آغا	١٠٠ كتاباً

وذكر التونسي إضافة إلى هذه المكتبات، مكتبة المدرسة القازانية ومكتبة مدرسة كيلي ناظري ومكتبة العرفانية، ولم يذكر عدد كتبها ولكنه قال: إن فيها كتباً كثيرة جيدة أوقفها عدد من الأشخاص.

وفي الغالب يرتبط افتتاح هذه المكتبات بافتتاح المدارس الموجودة، وربما تأخر افتتاح بعضها عدة سنوات إلى أن توافرت لها الكتب.

ونلاحظ أن المدارس الأخرى التي ذكرتها في مبحث المدارس لم تشر إحصائيات السالنامة إلى مكتباتها، ومن غير المعقول أن توجد مدرسة بلا مكتبة، لذا نرجح وجود مكتبات محدودة في بقية المدارس التي ظهرت في العهد العثماني ونرى أنها كانت مقصورة على طلابها وحسب، لذا لم يشع ذكرها ولم تشر إليها السالنامة.

المكتبات الخاصة:

عرفت المدينة المنورة في العهد العثماني عدداً من العلماء الذين نشأوا فيها بقية حياتهم، وكان لهؤلاء العلماء مكتبات متفاوتة، اشتهر بعضها لكثرة ما فيها من كتب، أو لما تحويه من كتب نادرة، وكان بعضهم يفتح مكتبته لطلاب العلم كي يستفيدوا منها، بل إن منهم من جعلها أشبه بمكتبة عامة، وخصص لها خادماً يستقبل المطالعين ويقدم لهم الكتب التي يطلبونها سحابة

النهار، ومن هؤلاء أمين باشا الذي تولى مشيخة الحرم مدة من الزمن ولما صرف المنصب إلى سواه تفرغ للعلم وفتح مكتبة للطلاب، والشيخ عمر حمدان الذي قدم من تونس واشتهر حتى لقب بمحدث الحرمين.. وقد أهملت كتبه بعد وفاته وبقي فيها ٩٠٨ كتاب ضمت للمكتبة العامة بالمدينة.. وسليم بك الذي ذكرت السالنامة أن في مكتبته ٥٠٠ كتاب، وعبد الغفور أفندي البخاري، ومحمد ثروت أفندي، ومكتبة أحمد البساطي وكان فيها ١٠٥٠ كتاباً... وكثير غيرهم نجد في ترجماتهم إشارات خاطفة إلى سعة مكتباتهم... وقد أسهمت هذه المكتبات في الحركة الثقافية العامة بالمدينة المنورة، وكان لها أثر واضح في شخصيات أصحابها وفي طلاب العلم الذين استفادوا منه...

مكتبات الأربطة والزوايا:

كانت الأربطة مكاناً لإقامة المجاورين وطلاب العلم وعابري السبيل الذين يقصدون المدينة المنورة، وكان بعضها مخصصاً لأهل إقليم معين أو لفئة محدودة كرباط الجبرت المخصص للقادمين من الحبشة، ورباط الأرناؤوط المخصص للقادمين من بعض بلاد البلقان (ألبانيا)، وورباط الروم المخصص للقادمين من آسيا الوسطى، وبعضها الآخر عام يمكن أن ينزل فيه أي قادم للمدينة من المجاورين وطلاب العلم إذا وافق ناظر الرباط على استقباله.

وكان معظم نزلاء الأربطة من العلماء وطلاب العلم والمجاورين الذين يترددون على حلقات الشيوخ.. ويذكر علي بن موسى أن الأربطة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري كانت كثيرة(١).

وكان معظم هذه الأربطة يحوي مكتبة فيها نسخ من القرآن الكريم وبعض التفاسير وكتباً في الفقه والحديث.. غير أن بعض هذه الأربطة كان له مكتبة كبيرة كرباط سيدنا عثمان بن عفان الذي حوى مكتبة تضم الكثير من كتب الفقه المالكي، ورباط قرة باشا ورباط الجبرت وغيرهما من الأربطة..

---

١) ص ٥٣.

وكانت معظم كتب الأربطة وقفاً يوقفه الشيوخ أو طلاب العلم الذين يقيمون فيه.

أما الزوايا فهي في الأصل مقراً لأحد الشيوخ يستقبل فيه طلابه ومريديه.. وقد شاعت هذه الزوايا في المدينة بسبب قدوم عدد من شيوخ الطرق الصوفية إليها وإقامتهم بها.. أو قدوم بعض أتباع تلك الطرق، وكان بعضها يسمى باسم شيخ الطريقة نفسه، وقد ذكر علي ابن موسى أشهر تلك الزوايا اثنتي عشر زاوية، وأشار إلى وجود زوايا كثيرة غيرها..

وكان المترددون على تلك الزوايا يقيمون الأذكار المقررة في طريقتهم ويستمعون إلى دروس مختلفة يلقيها شيوخهم، ويقرأون في الكتب التي ألفها الشيوخ الأوائل..

وفي الغالب كان لكل زاوية مكتبة محدودة فيها نسخ من القرآن الكريم وبعض التفاسير وبعض الكتب الصوفية..

وقد استمرت هذه الزوايا إلى آخر العهد العثماني.

المدينة المنورة في العهد الهاشمي

دخول المحاربين.. بداية مزعجة:

دخل الهاشميون المدينة.. وكان بين رجالهم عدد من أهل المدينة والقبائل والقرى المجاورة.. وكانت المدينة شبه خالية، والبيوت مغلقة على ما فيها من أثاث ورياش.. وقد سلمت هذه البيوت أو سلم معظمها طوال مدة الحصار.. ولكنها لم تسلم بعد ذلك، فبعد خروج جنود فخري باشا كان الأمر أقرب إلى العشوائية.. فلا حراسة منظمة ولا شرطة.. بل رجال مسلحون يطوفون هنا وهناك.. وآخرون يدخلون البيوت المغلقة يحملون ما تصل اليه أيديهم، والعجيب أن (العسكر) العثمانيين الذين انسحبوا في حالة رديئة من الجوع والحرمان لم يسرقوا (وإنما السراق من غير العسكر، وكان كل من قدم لم يجد شيئاً فتكلف الكثيرون من العمل غير قليل)(١) ونكبت بيوت كثيرة على أيدي الأعراب والمرتزقة، وعندما تم دخول الهاشميين من الشمال والغرب والجنوب استقرت الأمور في المدينة وتوقفت السرقات..

وطارت البرقيات إلى دمشق باستلام المدينة، وشاع الخبر ووصل إلى النازحين من أهل المدينة فشرعوا يستعدون للعودة إلى ديارهم.

ترتيبات إدارية جديدة:

عين الحسين ابنه الشريف علي أميراً على المدينة واستدعى ابنه الآخر عبد الله ليكون بجانبه.. وبدأ الشريف علي يشكل إدارته المحلية في المدينة، فعين الشريف شحات نائباً له، وعين الشريف أحمد بن منصور مساعداً له وهو من أشراف مكة، وعين الضابط شكري الأيوبي قائداً للقوة العسكرية فيها، وكان الأيوبي ضابطاً في الجيش العثماني شارك في الثورة عليه واعتقل وعذب ثم أفرج عنه فالتحق بالجيش العربي وأرسله فيصل إلى أخيه الشريف علي، وأعاد شكري الأيوبي تنظيم القوة العسكرية واستعان بالضباط العرب الذين كانوا في الجيش العثماني وانتقضوا عليه واستقدم بعضهم من بلادهم..

---

١) ذكريات العهود الثلاثة ٩٧ وانظر ١٠٩.

وأشار على الشريف علي أن يستفيد من التكارنة الذين طوعهم فخري باشا في جيشه ودربهم تدريباً عالياً.. وكان وضعهم صعباً إذ أنهم لم ينسحبوا مع الجيش العثماني المنسحب لأنهم مرتبطين بالمدينة المنورة ولم يكونوا موالين للهاشميين.. فأصدر الشريف علي عفواً عنهم وقدموا له الولاء ضباطاً وجنوداً فضمهم شكري الأيوبي إلى القوة العسكرية ووزعهم على فرقها في أطراف المدينة.. وقد أبدى هؤلاء إخلاصاً عجيباً فاختار الشريف علي بعد ذلك عدداً من ضباطهم وجنودهم ليكونوا ضمن حرسه الخاص(١).

عودة المهاجرين:

بدأ أهل المدينة الذين نزحوا يعودون إليها.. وكان أولهم وصولاً الذين لم يبعدوا عنها وبخاصة الشرفاء الذين تفرقوا في بعض قرى المدينة وفي ينبع ومكة والقصيم والرياض، ثم المستوطنون الآخرون الذين هاجروا إلى تلك المناطق.. وبدأت البيوت المغلقة تفتح بيتاً بعد بيت، وكان عدد كبير منها قد امتدت إليه الأيدي فأخذت منه ماأخذته... وعدد قليل قد سلم برياشته ومختبآته. وفي دمشق حيث حمل القطار المهجرين طوعاً والمهاجرين جبراً قبل سنتين تقريباً أعلنت الحكومة العربية التي شكلها الشريف فيصل أنها آعدت الترتيبات لإعادة المهاجرين الراغبين في العودة إلى المدينة، وطلبت منهم التجمع في محطة السكة الحديدية ليحملهم القطار إلى رياق ثم بيروت، ومن هناك تحملهم باخرة إنكليزية إلى ميناء ينبع...

ووصلت القافلة الأولى إلى ينبع وكانت تحمل عدداً كبيراً من العائلات بعضها ممن لم يلق في هجرته عنتاً.. وبخاصة الذين هاجروا في الدفعات الأولى ولقوا عناية الإدارة العثمانية، وبعضهم ممن لقوا عنتاً شديداً وبخاصة الذين هجروا قسراً وحملوا إلى القطار بالقوة وألقى بهم القطار في دمشق فاتجهوا إلى المساجد والمدارس ثم أخذوا يبحثون عن أقرباء ومعارف ممن

---

١) السابق ص ٢١.

سبقوهم ليعينوهم على حياتهم الجديدة.. وما لبثوا أن لقوا العون.. وقد بذلت حكومة فيصل لهؤلاء مساعدات مالية لتعينهم على الرحلة والعودة.. واقترض بعض المهاجرين من إخوانهم الميسورين، وعادت الأفواج الأولى لتبعث الحياة في شوارع المدينة وبيوتها المهجورة.. وتوافد الناس إلى بيوتهم يعوضون عما فقدوه مما معهم أو مما يعينهم به إخوانهم الذين سبقوهم في العودة، فبعضهم لم يجدوا شيئاً مما تركوه -وكان كثيراً- فلا رياش ولا فراش ولاحنفيات ولا أدوات مطبخ.. وكل ذلك ضاع(١) وقصد بعضهم الشريف علي والشريف شحات ولقوا عندهم شيئاً من العون.. وأمر الشريف علي بتوظيف من كانت لديه خبرة سابقة في الأعمال الحكومية..

وشيئاً فشيئاً بدأت المدينة المنورة تستعيد حيويتها، لكنها لم تستعد حالة الازدهار التي وصلتها قبيل الحرب.. فلم يعد كل سكانها.. وقرر الذين وجدوا في مهاجرهم استقراراً حسناً أن يتريثوا في العودة، وعاد بعضهم بعد حين عندما أصلح خط السكة الحديدية وسار القطار من دمشق إلى المدينة وبالعكس، وكانت الرحلة تستغرق تسعة أيام(٢)، وافتتحت الحكومة أربعة مدارس، كما افتتحت مستشفى سمي مستشفى الغرباء يضم الأقسام الاعتيادية المتعارف عليها، وهي العيادة الخارجية، وغرف المرضى الراقدين، وصيدلية، وغرفة العمليات وقد أجريت فيه بعض العمليات الجراحية(٣).

جبل التمر والخبز المجفف:

عندما انسحب آخر جندي من قوات فخري باشا تسلم الضباط في جيش الهاشميين المواقع ووزعوا الجنود على المباني التي كان يشغلها الجنود وعلى المخازن ومستودعات الأسلحة، وكان الضباط العرب في الطرفين صلة الوصل

---

١) السابق ١٠٩.

٢) انظر: محمد بهجة البيطار: الرحلة النجدية الحجازية ص ٣٨.

٣) مملكة الحجاز: ص ١٢١.

بين العثمانيين والهاشميين، وكان من شروط الانسحاب أن يترك الجيش العثماني كل الأسلحة والمستودعات على حالها ويخرجوا إلى ينبع في حماية معقولة.. ونفذت الشروط بدقة.. وتسلم رجال الهاشميين مستودعات كثيرة متفرقة في أنحاء المدينة بدءاً بالقلعة الصغيرة والكبيرة ومروراً بالبيوت الخالية من السكان التي حولت إلى مستودعات ووصولاً إلى بعض المساجد التي شحنت بالذخائر..

ومع عودة الأفواج الأولى من المهاجرين إلى المدينة ودخول رجال الهاشميين من الشمال والجنوب والغرب ونظراً لشح المواد الغذائية فقد أمر الشريف علي بإخراج المواد الغذائية التي خزنها رجال فخري باشا، وجمعها في طرف ساحة المناخة عند مسجد الغمامة لبيعها للناس بسعر رخيص.. وفتحت البيوت والمخازن، وبدأ الرجال ينقلون أكياس التمر المضغوط إلى الساحة.. وتوالت الأكوام والأكياس ووضعت في كوم كبير أخذ يعلو كلما فتح مخزن جديد.. حتى صار شبه جبل من التمر وبجانبه وضع كوم آخر للخبز المجفف (القنيط).

وفي الوقت نفسه بدأت الخيرات تتوافد إلى المدينة من أطرافها، فقد أقبلت الركائب من القصيم وخيبر وينبع تحمل الأرز والسكر والشاي والقمح الجديد والسمن والزبد، وكانت الكميات وافرة تزيد عن حاجة العدد الذي وصل إلى المدينة، فنزلت الأسعار نزولا شديداً(١) وزهد الكثيرون في جبل التمر المخزون والخبز المجفف، فلم يشتر منه إلا عدد قليل من الناس واشترى بقيته بعض التجار لأغراض مختلفة سوف تتسبب في بعض المشكلات

---

١) ذكريات العهود الثلاثة ٩٧.

لاحقاً(١).

مراكز القوة في النظام الجديد:

واستكمل الهاشميون بناء إدارتهم الجديدة وظهرت أربعة مراكز رئيسة للسلطة أو مايمكن أن نسميه بالحكام الحقيقين للمدينة والمتنفذين في أمورها..

المركز الأول هو الإمارة.. وفيها الشريف علي نفسه. غير أنه لم يكن يطلع على الأمور التي تجري في المدينة وكان رئيس ديوانه هو المسير الحقيقي لكثير من الأمور، وقد تولى رئاسة الديوان أول الأمر حامد حمد الله ثم خلفه رشيد أفندي.

والمركز الثاني هو: نائب الأمير وقائمقام المدينة الشريف شحات وكان له جلساء خاصون بعضهم من المقربين الذين استفادوا وأقاموا لهم نفوذاً وسلطة باسم الشريف شحات..

المركز الثالث هو: وكالة الإمارة. وكان فيها الشريف أحمد بن منصور وكان رجلاً عاقلاً حكيماً وقد اختار لرئاسة ديوانه رجلاً مثقفاً يحسن مقابلة الناس والتعامل معهم هو محمد حسين شويل فكان نعم العون له..

المركز الرابع هو: مركز القوة العسكرية. والشرطة والجيش. وقد كان أول دخول الهاشميين المدينة مؤلفاً من رجال القبائل وبعض الضباط والجنود العرب. ولكن عندما تسلم شكري الأيوبي رئاسة هذا المركز عمل على إعادة رجال القبائل إلى مواطنهم إذ قطع عنهم الأعطيات الكبيرة التي كانوا ينالونها من قبل وحدد رواتبهم وفق النظام الذي وضعه لمرتبات أفراد الجيش والشرطة فانفضوا من حوله وقصدوا الشرفاء ونالوا مانالوه، وأخذوا ماوجدوه في البيوت المهجورة ثم عادوا إليه.. فتحول الجيش إلى مجموعة من الضباط والجنود القادمين من البلاد العربية فضلاً عن الضباط والجنود التكارنة وأقلية

---

١) السابق ١١٠.

من أهل المدينة..

وأعلن الشريف علي العفو العام عن جميع الذين عملوا مع فخري باشا والإدارة العثمانية ولم يحاسب منهم أحداً ، حتى المحررون الذين كتبوا المقالات الملتهبة ضدهم وعلى رأسهم حمزة غوث وعبد القادر الشلبي الطرابلسي ومحمد العمري ولاسيما وأن الجريدة قد توقفت عندمل اشتد التهجير، ومالبث الشريف علي أن عين الشيخ عبد القادر الشلبي مديراً للمدرسة الاعدادية التي أعيد فتحها بعد عودة قسم من أهل المدينة وتسلم إضافة إلى الإدارة وكالة المعارف أي الإشراف على الحركة التعليمية ومدارسها في المدينة المنورة، وقد يكون لصداقته مع عدد من الضباط الشاميين الذين جاؤوا مع القوة الهاشمية أثر في ذلك(١) وتسلم رئاسة البلدية حسين بن محمد داغستاني.

عودة الحياة الطبيعية إلى المدينة:

وخلال الأشهر الثلاثة التالية لرحيل فخري باشا عادت الحياة إلى المدينة المنورة مصغرة أربع مرات على الأقل عما كانت عليه. ويقدر الذين شاهدوا المدينة المنورة عدد سكانها بعد عودة الأفواج الكبيرة إليها بخمسة عشر ألف نسمة(٢)، ويعني هذا أن ثلاثة أرباع البيوت ظلت مهجورة وآلت إلى الخراب. وبخاصة البيوت التي ظهرت في أطراف المدينة، والتي سكنها قادمون حديثو العهد بالمدينة قبل أن تبدأ الحرب العالمية الأولى. فالمهاجرون الذين جاؤوا للعمل وأحلام الثروة تبددت أحلامهم. لذا لم يعد منهم إلى المدينة إلا عدد قليل، أما الذين جاؤوا المدينة بدوافع غير اقتصادية فقد عاد معظمهم وأسهم في الحركة العلمية ودروس الحرم. ويقدر شاهد عيان زار المدينة بعد سنة من رحيل فخري باشا عدد الذين عادوا من سكان المدينة الأصليين بـ ١٥٪ فقط

---

١) المدينة عبر التاريخ ص ١٤٠.

٢) فصول من تاريخ المدينة ص ٤٩.

والباقي من أعراب وأغراب من المهاجرين(١) وقد أصلح خط السكة الحديدية وعاود رحلاته من دمشق إلى المدينة وكان يقطع المسافة بين دمشق والمدينة في تسعة أيام، -كما مر آنفاً- ويتعرض في حالات كثيرة لغارات الأعراب والنهب والسلب(٢) وقد تسلمت إدارته الحكومات المحلية في كل من دمشق وعمان والمدينة وقلت رحلاته بعد تضخم الخلاف بين الأشراف والملك عبد العزيز ثم توقفت باستثناء رحلات خاصة نادرة.

انفجارات تهز المدينة:

ترك فخري باشا ترسانة ضخمة من الأسلحة والذخائر مخزونة في مواقع كثيرة أهمها: القلعة العسكرية الكبيرة عند باب الكومة على أحضان جبل سلع.. وبعضها الآخر في المخازن والمساجد المنتشرة في أطراف المدينة..

وعندما تسلم الضباط الهاشميون المواقع أفرغوا المخازن الفرعية والمساجد من الأسلحة والذخائر ونقلوها إلى القلعة الكبيرة فتكدست قنابل المدفعية وصناديق الرصاص في المخازن وضاقت بها فوضعت البقية في الساحة الخارجية عند جدران القاعة وغطيت ببعض القش والقماش.

ولم تسلم هذه الأسلحة من أيد تأخذ بعضها خلسة، وبخاصة الأسلحة الفردية، البنادق والمسدسات، فانتقلت من بعض الجنود إلى المشترين -بثمن بخس- في أطراف المدينة والقبائل المحيطة بها.. ورغم ذلك ظلت أكداس الأسلحة والذخائر تملأ غرف القلعة وأطراف ساحتها الداخلية..

ومرت شهور الشتاء والربيع، وأقبل الصيف بحرارته اللاهبة يزيد من وطأتها حجارة سلع السوداء، التي تختزنها وتفيض بها عند الظهيرة فتزيد الجو حرارة وتجعله أشبه باللهيب.

وطبيعي أن يؤثر ذلك على أكداس الذخيرة الموجودة في القلعة وبخاصة

---

١) انظر الرحلة النجدية الحجازية ص ٣٧.

٢) انظر السابق ص ٢٠-٣٠.

تلك التي وضعت خارج الغرف لايحميها ساتر يخفف عنها الحرارة.. والتي حرمت أيضاً مزية التبريد التي رتبها المسؤولون عن المخازن في جيش فخري باشا ((فقد أوجدوا سراديب بجانبها ينساب فيها ماء دائم، مع التهوية اللازمة.. وعندما استولى الأشراف على المدينة أهملوا هذه الناحية في القلعة))(١).

وفي يوم السبت ٣٠ ذي القعدة ١٣٣٨هـ بلغت الحرارة أشدها بعد الظهر.. وفجأة دوى انفجار عنيف هز المدينة بأرجائها وارتفع لهيب النار والدخان إلى عنان السماء.. وتوالت الانفجارات تنطلق بكثرة وسرعة متوالية بعضها خلف بعض وبعضها فوق بعض، وانطلقت القذائف وكتل النار من أطراف النيران تعلو في السماء ثم تسقط بصورة عشوائية على ما جاور القلعة فتهدم ما تسقط عليه من بيوت ودكاكين وتشعل النار في أخشاب السقوف المنهارة وأثاث البيوت الذي لم يتبعثر..

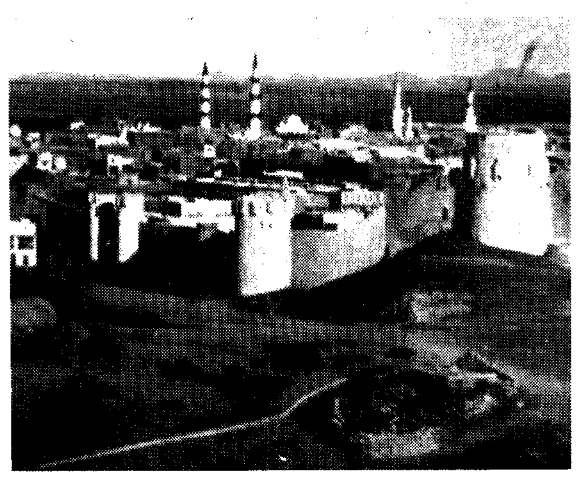
وفزع أهل المدينة فزعاً شديداً، وخرج كل من كان حول القلعة ولم يسقط عليه السقف أو يتهدم فوقه البيت وجروا بعيداً عن مركز الانفجارات المتوالية وسقط بعضهم على الطريق عندما وقعت عليه كتلة نارية.. ولجأ أحد الناجين الحاج محمد المغربي إلى المسجد وذهب للمواجهة في مواجهة القبر الشريف، فحدث انفجار ضخم واهتزت نافذة من نوافذ المواجهة من القصف وسقطت عليه فتوفي في الحال(٢).

وتسلل -من أصيب سقف بيته ولم يسقط بعد- هارباً... ولم يجرؤ أحد على الاقتراب من مواقع الأنقاض خشية أن تسقط عليه قذيفة من القذائف المتطايرة في السماء.. وخرج كل من في القلعة هارباً ممن لم تقتله الانفجارات أو تلتهمه النيران.. وبدت القلعة كأنها بركان صغير يتفجر تباعاً

---

١) فصول من تاريخ المدينة: ٥٤.

٢) السابق ص ٥٤.





موقع القلعة... وخطر الانفجارات فيها على الأحواش المجاورة

وتتطاير الحمم منه لتسقط هنا وهناك..

وتوافد كبار المسؤولين إلى منطقة قريبة من مكان الانفجار على رأسهم الشريف علي ونائبه وكبار الضباط والموظفين.. ولكن لايستطيع أحد أن يفعل شيئاً فليس في المدينة قوة خاصة لمعالجة الحرائق.. فكيف بالانفجارات. وأجمع الضباط على أن الانفجارات تقع في الذخيرة المخزونة في القلعة وأنه لايستطيع أحد الاقتراب منها، وأن جدران القلعة امتصت بعض آثار الانفجار وحمت ما خلفها من الدمار الشديد.. وأن الشيء الوحيد الذي يمكن فعله الآن هو الانتظار إلى أن تنتهي الانفجارات وإخلاء المنطقة وما حولها تماماً وإنقاذ من احتبس تحت الأنقاض.

كانت بعض القنابل تتطاير وتنفجر في الهواء، وكانت الانفجارات الضخمة تدوي عندما تصل النيران إلى صناديق الديناميت.. ويشاء الله أن تظهر الريح الشرقية فتمنع القذائف أن تشرِّق فلم تصل شظية إلى المسجد النبوي حماية من الله سبحانه وتعالى واتجهت الشظايا إلى الجنوب الغربي.. ووصلت القذائف إلى بيت السيد علوي السقاف وحوش سرقان وبيت ذياب ناصر وحوش كرباش وحوش العبيد وبيت المفتي الداغستاني...

وظلت الانفجارات تتوالى بشكل متقطع تهدأ حيناً وتشتد حيناً آخر إلى مابعد العصر فبدأ يقل وتتباعد فتراته إلى أن هدأ آخر الليل.. غير أن ألسنة النيران لم تخمد وظلت تتصاعد من أطراف القلعة وبعض البيوت التي أصيبت حولها، تعلوها سحابة من الدخان تزداد مساحتها شيئاً فشيئاً..

وخرج معظم أهل المدينة الذين يقطنون غربي المسجد النبوي من منطقتهم وأوى بعضهم بأسرته إلى منازل العوالي وقباء وبساتينها..

وفي الصباح جاء عدد من الضباط والجنود إلى المنطقة وتفقدوا البيوت التي سقطت وبدؤوا بإزالة الأنقاض من المواقع التي يشتبه بوجود أحد داخلها... واقترب بعض الضباط بحذر من القلعة ورأوا النار التي تتصاعد من

أحد مستودعات التجهيزات العادية والمطابخ، ورأوا الذخيرة التي لم تصل إليها النيران بعد فأمروا جنودهم بنقلها إلى خارج القلعة.. ونقلت إلى طرف باب الكومة شرقاً ووضعت في ساحة فيها أكداس من التراب. وعمل آخرون على إطفاء النيران في الأخشاب اليابسة ونقل الماء والتراب وإلقائه على الألسنة المتصاعدة فخفت تدريجياً إلى أن انطفأت وتحولت إلى خيوط من الدخان تتصاعد من تحت الأتربة..

يوم آخر من الانفجارات:

استمر العمل إلى قرب الظهر حيث اشتد الحر فانصرف الجميع إلى بيوتهم. وما كادت الظهيرة تشتد وينزل الناس إلى الغرف المنخفضة والأقبية التماساً للبرودة.. حتى دوى الانفجار من جديد وتوالى أقل مما كان عليه في اليوم السابق، ففزع أهل المدينة ثانية وخرج كل من كان قريباً من غربي المسجد النبوي مابين باب قباء وباب الشامي. وابتعدوا إلى شرقي الحرم، وتوالت الانفجارات وعلت الحمم وسقطت في المنطقة التي كانت تسقط فيها من قبل.. واقترب بعضها من جدران المسجد النبوي لكنها لم تصبه، وسقطت بيوت جديدة في باب الكومة وحوش سرقان وحوش العبيد، وتهدمت بعض الدور الكبيرة التي أصيبت في اليوم السابق كدار المفتي والرفاعي والسيد علوي سقاف والحكيم والشيخ دياب ناصر، ونجا معظم أهلها، ولكن دوراً أخرى أصيبت إصابات شديدة لم ينج أهلها، كبيت الشيخ نور الذي قتل فيه تسعة أشخاص(١) فقد أخذهم الانفجار على حين غفلة وسقطت قذائف ملتهبة على البيت فهدمت الغرفة التي تجمعوا فيها. واستمر الحال على ذلك إلى الليل أيضاً وارتفعت ألسنة النيران من البيوت المحترقة ولم يجرؤ الناس على الاقتراب من مواقع سقوط الحمم إلا لإخراج من لم يخرج بعد، وأصيب عدد منهم بحروق بسيطة، وسكت القصف آخر الليل وبقيت النيران تلتهب..

---

١) مقابلة مع حسن مصطفى صيرفي.

انفجارات اليوم الثالث:

في الصباح التالي كان الخوف يسيطر على الجميع من معاودة الانفجارات لذلك لم يقتربوا من القلعة البتة ولا من المواقع التي تحوي شيئاً من الذخيرة.. وترقب الجميع بحذر شديد معاودة الانفجارات، ولم يخب ظنهم.. فعند اشتداد الظهيرة حدثت انفجارات أخرى وكان بعضها خارج القلعة عند باب الكومة، فقد انفجرت بعض الذخيرة التي نقلت من القلعة وكان جانبها بعض الحجارة السوداء، غير أن الانفجارات كانت قليلة في هذا اليوم وانتهت بسرعة. وما لبثت ألسنة اللهيب أن خمدت بعد فترة من هبوط الظلام..

وفي الليل أمر الشريف علي القائد العسكري شكري الأيوبي أن يعمل على عدم تكرر ما حدث في الأيام الثلاثة وأن يبكر الجنود ومن يستعينون بهم من العمال في تفريغ المخازن التي لم تنفجر... ونفذ القائد العسكري -شكري الأيوبي- وحشد الجنود والضباط قبل الفجر وشرع الجميع في العمل مع خيوط الفجر الأولى فدخلوا القلعة التي تهدم جزء كبير من سورها ومستودعات الذخيرة.. ولم ينج من التدمير إلا بعض الغرف الجانبية والأقبية والسجن العام وأثاث في أقبية في القلعة الصغيرة ودار البلدية والإمارة وبعض البيوت الخالية ووضعت عليها حراسة، ونقلت كميات كبيرة من المياه وأسيلت إلى الغرف المدمرة خشية أن يكون فيها بعض القذائف أو الصناديق التي لم تنفجر، كما غطيت القذائف المخزونة في طرف باب الكومة بالتراب... وظل العمل مستمراً إلى الظهر حيث اشتد لهيب الشمس ولم يعد الجنود يطيقون العمل فأعيدوا إلى ثكناتهم ووضعت وحدات صغيرة للمراقبة، ونجحت الخطة، فلم يحدث أي انفجار ولم يشب حريق.. ومع ذلك ظل الناس على حذر إلى نهاية اليوم.. وبدأت الطمأنينة تعاودهم في اليوم التالي الذي مر بهدوء أيضاً.. وأيقن الجميع أن القضية قد انتهت تماماً.

أمر الشريف بالتحقيق في الانفجار وشكل القائد العسكري لجنة خاصة

من كبار ضباطه بدأت تستجوب ضباط القلعة الذين لم يصابوا وجنودهما.. وثارت الشبهات حول بعض المسؤولين عن المخازن، كما ثارت الشكوك حول بعض الضباط العرب والتكارنة الذين كانوا من رجال فخري باشا وشملهم العفو ودخلوا في جيش الهاشميين... ودار على ألسنة المسؤولين وغير المسؤولين ظناً ورجماً. واستدعي المظنون بهم إلى المحكمة العسكرية برئاسة القائد العسكري نفسه، وسئلوا عن كمية الذخائر التي كانت موجودة في عهدتهم، وسئل أتباعهم ومن حولهم عما إذا كانوا قد لاحظوا نقصاً في العهدة أو سرقات.. وما إذا كان الحريق بفعل فاعل -كما كان يدور على الألسنة- لتغطية السرقات أو للانتقام من الهاشميين الذين طردوا فخري باشا ورجاله. وطالت المحاكمات والأسئلة عدة أيام، ولكن لم يثبت شيء من التهم للمحكمة.. واقتنع الجميع بأن الأمر لايتعدى سوى سوء التخزين وارتفاع الحرارة المفاجئ إلى درجة لم تشهدها المدينة في السنوات القريبة الماضية، ويؤكد ذلك توالي الانفجارات في اليومين التاليين، وفي الوقت نفسه، وقت اشتداد الحر.

والعجيب أن اللجنة التي حققت والمحكمة التي حاكمت المظنون بهم لم تهتم بتقدير حجم الخسائر.. وربما لم يكن في قدرتها ذلك، لأن أكداس الذخيرة التي تسلمها الهاشميون من رجال فخري باشا لم تسجل تسجيلا دقيقاً، خاصة بعد أن نقلت من المساجد والمخازن الفرعية إلى القلعة وكدست إلى جانب الأكداس الموجودة فيها من قبل.

أما الخسائر المدنية فكانت باهظة وعظيمة، فقد هدمت بيوت كثيرة لم تحص أيضاً، ولم تقدر مبالغها ولم يعوض أصحابها... وتوفي تحت الأنقاض عدد لم يحدد.. وجرح وأصيب بالحروق عدد آخر غير قليل. وحل الرعب في قلوب معظم أهل المدينة ولازمهم مدة طويلة، وبخاصة أولئك الذين يجاورون ثكنات أو محارس أو مناطق عسكرية.. وظل الكثيرون لايعودون إلى بيوتهم تلك مدة من الزمن.

تحسن الأحوال في المدينة:

ازدهرت الأحوال الاقتصادية وظهرت آثار الازدهار في نهاية السنة الأولى، إذ استعاض الذين عادوا شيئاً من أموالهم، وعادت بساتين النخل التي رجع إليها أهلها إلى العطاء، وافتتحت أعداد لابأس بها من الدكاكين في سوق المناخة والعنبرية وباب الكومة وباب المصري وحول المسجد النبوي.. ولكن مازالت دكاكين أخرى مغلقة، وبخاصة المتطرفة ودكاكين الأحياء والتي خارج السور، وعاد سكان الأرياف المحيطة بالمدينة إلى تجارتهم فحملوا السمن والزبد والصوف واللبن والخراف إلى الأسواق.. وحملوا منها التمر والقمح والسكر والشاي.. وعاد خط التجارة بين المدينة وينبع إلى الازدهار شيئاً ما، كما وفدت بعض القوافل من القصيم تحمل خيرات وفيرة ومن مكة وجدة تحمل بضائع الهند واليمن.. وأقبل عدد وافر من الحجاج في موسم ذلك العام فازداد انتعاش الحياة الاقتصادية. وانتهى عام ١٣٣٨هـ والمدينة في حالة لابأس بها من الأمن والوفرة..

فترة الاستقرار والبناء:

وباستثناء انفجار القلعة المروع لم تشهد المدينة في السنة الأولى من دخول الهاشميين أي حدث مفزع، وبالعكس من ذلك بدأت معالم الاستقرار تترسخ أكثر وأكثر.. والإدارات تستكمل تشكيلها تدريجياً.

فقد ورثت المملكة الهاشمية التي أقامها الحسين بن علي تركة صعبة في

المدينة المنورة، فمعظم المرافق فيها معطلة أو مهجورة منذ أن اشتد الترحيل، وباستثناء المؤسسة العسكرية الضخمة التي يديرها فخري باشا ويوظف كل طاقات المدينة لها لم تكن هناك خدمات تذكر، إذ لم يبق من سكان المدينة مقيماً فيها إلا النذر اليسير.. ولم يبق من الهيكل التعليمي الكبير الذي وصل ذروته قبل الحرب العالمية الأولى.. وتعطلت حلقات العلم في المسجد النبوي وتوقفت المدارس الأهلية عن التدريس بسبب رحيل طلابها ومعظم شيوخها، والمدارس الحكومية أغلقت أبوابها.. وصار الشغل الشاغل لمن بقي في المدينة تأمين الطعام وترقب الغد المجهول..

فلما رحل فخري باشا وجنوده وبدأت عودة المهجرين إلى ديارهم بدأت العافية تدب في مرفق التعليم بجناحيه الأهلي والحكومي، وكان المسجد النبوي أول ميدان تعود إليه حركة التعليم فمن بين الذين لم يغادروا المدينة وصبروا على متاعب الحصار وأخطاره عدد من العلماء والشيوخ الذين كان يدرسون في المسجد النبوي أمثال الشيخ عبد القادر الشلبي والشيخ ألفا هاشم والشيخ محمد الأمين الجنكي والشيخ محمود شويل.. ومالبث أن عاد عدد من الشيوخ أيضاً أمثال الشيخ محمد الطيب الأنصاري والشيخ إبراهيم بري والشيخ عمر الكردي الكوراني والشيخ أحمد كماخي مفتي المدينة والشيخ أحمد شمس الشنقيطي والشيخ خضر الشنقيطي(١) وقد ازدادت الدروس العامة التي لاتقتصر على طلاب العلم بل يحضرها معهم عامة الناس، وكانت في موضوعات العقيدة والتفسير والفقه. أما حلقات العلوم المتخصصة كأصول الفقه والقراءات والنحو فأصبحت أقل مما كانت عليه قبل الحرب العالمية الأولى.

بدأت الحركة التعليمية تتزايد، وأنشأت الدولة مديرية للمعارف وأسندت إدارتها إلى عبد القادر الشلبي الطرابلسي.. وبادر الأهالي إلى إنشاء عدد من المدارس الأهلية، فتجربتهم السابقة مع التعليم الحكومي في أواخر العهد

---

١) انظر الرحلة النجدية الحجازية ص ٣٧.

العثماني جعلتهم لايطمئنون إليه.

كما أعادوا افتتاح بعض المدارس التي كانت موجودة من قبل، وأنفقوا عليها من الأوقاف التي يديرونها ومن أموالهم الخاصة إن شحت أموال الأوقاف، فضلاً عن حلقات العلم التي نشطت ثانية في المسجد النبوي وتصدر لها مجموعة من العلماء الأفاضل أمثال: الشيخ محمد الطيب، والشيخ إبراهيم بري، والشيخ حسن الشاعر، والشيخ ابراهيم الكوراني، والشيخ عبد الباقي الأيوبي، والشيخ حمزة بساطي، والشيخ محمد صادق الجزائري، والشيخ محمد الخضر الشنقيطي، والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، والشيخ عمر حمدان، والشيخ عبد الحق رفاقت علي، والشيخ حميدة الطيب الجزائري.. وآخرون.(١) وظهرت كتاتيب كثيرة في الحرم النبوي ومساجد المدينة الأخرى وبعض البيوت حتى لايكاد يخلو شارع من شوارع المدينة المأهولة من أحدها.

ومالبثت المدينة المنورة أن استعادت صناديق الكتب التي كانت تضمها مكتبة عارف حكمت والمكتبة المحمودية، فقد أرسلها فيصل بن الحسين من دمشق مع آخر العائدين الذين حملتهم البواخر إلى ينبع.. وكان بعضها قد أصابه الماء أثناء تخزينه في مسجد السليمانية بدمشق. إذ أن نهر بردى فاض في العام السابق ودخل بعض الغرف التي فيها الصناديق، ودخل الماء إليها قبل أن يسارع القائمون على المسجد بإنقاذها.. ومازالت بعض الكتب تحمل آثار مياه بردى في الحبر المنساح على السطور والأوراق المنكمشة. ولكن ماأصيب قليل جداً.. وعادت نفائس المخطوطات لتتربع على رفوف الدار التي أوقفها عارف حكمت للمكتبة، كما عادت كتب المحمودية إلى رباطها قبل أن تنتقل ثانية إلى غرفة المسجد النبوي.

أما التعليم الحكومي فقد افتتحت الحكومة العربية بعد تسلم المدينة أربع

---

١) انظر مقدمة ديوان عمر بري ص ٢٩.

مدارس تحضيرية وهي العبدلية والفيصلية والزيدية والعلوية نسبة إلى أبناء الملك حسين: عبد الله، وفيصل، وزيد، وعلي. ويحدثنا شاهد عيان زارها عام ١٣٣٨هـ أي بعد سنة من افتتاحها أن (كل مدرسة منها كانت تضم ثلاثين تلميذاً، ولكل مدرسة مدير ومعاون، ودروس كل منها القرآن الكريم والتوحيد والفقه الإسلامي والحساب، وليس للغة العربية فيها أثر، وقد سألنا عن سبب ذلك فقالوا إن النظام الموضوع من قبل المعارف لايساعد، لأنها مدارس ابتدائية)(١) وكان التعليم الحكومي يلاقي معوقات مالية كثيرة، فميزانية الدولة ضيقة وقد شغل الناس أمر المعاش وتأمين الحاجيات وقلة الموارد(٢) والمدارس الأربع هي مدارس تحضيرية تعتبر أولى المراحل الدراسية، ومدة الدراسة فيها عامان فقط(٣) وقد افتتحت بعد ذلك مدرسة أعلى راقية(٤) ويطلق عليها اسم المدرسة الابتدائية الراقية ومدة الدراسة فيها أربعة أعوام يدرس الطالب فيها القرآن مجوداً، وعلم التجويد، وأصول التفسير، وعلم التوحيد، وعلم الفقه، والتربية والنحو والصرف والبلاغة وآداب اللغة العربية ويتدرب على الخطابة والإملاء وتاريخ العرب والجغرافية والحساب ومبادئ الهندسة ومبادئ مسك الدفاتر والحديث وأصوله، ويتدرب على الخطابة، فضلاً عن الرياضة اليومية(٥) ويشترط لقبول الطالب فيها أن يجتاز المرحلة التحضيرية(٦).

---

١) الرحلة النجدية الحجازية ص ٣٦.

٢) السابق ص ٣٥.

٣) المملكة الحجازية ص ١١٥.

٤) جريدة القبلة ع ٢٧٧، ١٢ نيسان ١٩٢٠ م.

٥) القبلة ع ٢٢٦ - ٢٥ محرم ١٣٣٧ - تشرين الأول ١٩١٨م.

٦) المملكة الحجازية: ص ١١٥.

بوادر غير مطمئنة:

مع بداية العام التالي ١٣٣٩هـ بدأت بوادر غير مطمئنة في المدينة مصدرها تعدد السلطة وتداخلها أحياناً بين المراكز الرئيسية الأربعة: الإمارة، ووكالة الإمارة، والقائمقام، والإدارة العسكرية.. فكل جهة تتصرف دون التنسيق مع الجهات الأخرى، وأوامر تصدر من الإمارة تنفذ وأوامر أخرى غير متوافقة معها تصدر بعد حين من الوكالة أو من القائمقامية تنفذ أيضاً، وكان أول من أحس بهذه الثغرة القائد العسكري شكري بيك الأيوبي، وكان رجلاً واعياً وطموحاً، لذلك قرر أن يترك المدينة ويلحق بفيصل بن الحسين الذي أصبح ملكاً على سورية، فقدم استقالته للشريف علي، وغادر المدينة ليصبح بعد ذلك من رجال فيصل المقربين، ووالياً على بيروت، وعين مكانه نائبه جميل الراوي -وأصله من العراق- في منصبه.

عوامل الخلل:

كانت العلاقات الشخصية والصداقات مؤثرة تأثيراً كبيراً في الأوامر التي تصدر، والتف رجال من القبائل حول كل مركز من مراكز الحكم الأربعة، وظهرت آثار الشفاعات والوساطات في الإعفاءات الضريبية والمنح وصكوك الأراضي والتغاضي عن المخالفات في البناء والأسعار ثم في بعض الاعتداءات... وضعفت آثار الشرطة في المدينة فالشفاعات السريعة تطلق سراح من يقبض عليه من المخالفين أو المشاغبين، وظهرت آثار التهاون في الحكم عندما تناقل الناس أخبار عدد من الأشخاص يصنعون الخمر في بيوتهم ويبيعونه للمتفلتين والعاطلين.. وبدا أن بعض الذين اشتروا ((جبل التمر)) الذي أخرج من مخازن فخري باشا وجدوا بضاعتهم لاتتفق مع محصول التمر الجديد الوافر، فاستحلبوه وخمروا نقيعه وصاروا يبيعونه لمن يطلبه من ضعاف النفوس، وشجعهم على ذلك تهاون بعض المسؤولين الذين نما إليهم الخبر فلم يحركوا ساكناً.. بل إن أحدهم كما شاع بين الناس كان من جملة

زبائنهم(١) وكانت آثار السكر تظهر عليه بين الحين والآخر، رغم اجتهاده في إخفائها، وأمره بجلد من يقبض عليه في حالة سكر شديد.

استفحال الخلل.. ونذر السقوط:

ومع مرور الأيام ازدادت آثار التهاون في ردع المشاغبين والمفسدين.. وشاعت حوادث السرقة من الدكاكين والبيوت وحوادث الاعتداء والانتقام بالضرب والشبح.. وكانت العقوبات تطال بعضهم ولاتصل إلى بعضهم الآخر وبخاصة إذا كان المشاغب أو المجرم قريباً لأحد المقربين.. وحدثت بعض حوادث الثأر، وكان رد فعل السلطة ضعيفاً، فازدادت جرأة المتجرئين.. وبدأ الناس يسمعون بحوادث قتل متفرقة في أطراف المدينة وأحياناً في سوقها وأحياناً في بعض مقاهيها.. وينجو القاتل ولاتتعقبه السلطة إلى موطنه في قبيلته..

وازداد الأمر سوءاً عندما ظهر مسلح يسمى عيسى العقيد يتعرض للمارين ويسلب بعضهم بالقوة.. وكان عيسى خارجاً على قبيلته الأحامدة.. وقد تبرأت منه فتحول إلى قاطع طريق، وسلب عدداً من الناس أموالهم وثيابهم (ولم يرسل الحاكم جنوداً يمسكونه)(٢) وشاع بين الناس أن المحافظة على الأمن قد أصبحت مسؤولية كل منهم، وما لبث الحاكم العسكري جميل الراوي أن استقال أيضاً لما رآه من تهاون الحكام ونفوذ بعض القبائل والمحيطين بالحكام.. وعين مكانه عبد المجيد باشا.. من مواليد العراق أيضاً وأحد الضباط العرب الذين التحقوا بالهاشميين خلال الحرب العالمية الأولى

ويروي الشاهد الكبير على تلك الفترة الأستاذ محمد حسين زيدان أن الجريمة قد تصاعدت بعد ذلك إلى حد خطير حتى (لقد كان القتل لايخلو منه يوم، والحاكم لايتصرف، وفي ضحى يوم وأمام مكابس المناخة قتل ابن سمرة

---

١) مقابلة مع حسن الصيرفي، وانظر ذكريات العهود الثلاثة: ١١٠.

٢) السابق: ١١٢.

من شيوخ بني رشيد ولم يمسك أحد بالقاتل، وبعد ساعتين أو أقل قتل واحد من قبيلة ولد محمد في حوش درج وذهب القاتل، وبعد العصر من ذلك اليوم قتل أحد الرحلة من قبيلة الرحيلي... والناس جالسون لايتحركون..)(١) وصار من السهل على المتخاصمين أن يصفوا حساباتهم آمنين من عقوبة السلطة، ولو وصلت هذه الحسابات إلى حد الثأر بالقتل.. وصار بعض الناس ينام وبجانبه البندقية فإذا سمع خشخشة يطلق الرصاص حتى يهرب ذلك المخشخش (٢) واهتم كل رب أسرة باقتناء السلاح الناري، ولم يكن ذلك صعباً بسبب وفرة ما خلفه رجال فخري باشا وما استولى عليه الذين خلفوهم أو الذين كانت مخازن الأسلحة في متناول أيديهم.. وظهر سوق محدود للسلاح في بعض بيوت العوالي وبساتين قباء والقبلتين.. ولاشك أن هذه الأحوال تنذر بتهاوي الحكم داخلياً قبل أن يتهاوى خارجياً.

الخط الحديدي الحجازي:

سعت الحكومة الهاشمية إلى إصلاح الخط الحديدي الحجازي، وطلبت من بريطانيا معونات كبيرة لذلك ولكن بريطانيا لم تستجب لطلبها.. فقامت (عمالة) محلية بإصلاح الخطوط المعطوبة والمنسوفة والتعويض عن الخطوط المقتلعة بشكل أولي.. بحيث أصبح في إمكان القطار أن يسير إلى المدينة، ولكن تسييره بشكل تجاري كان يقتضي إعادة الهيكل الفني والإداري للخط بعد أن حل الهيكل الذي كانت تتفق عليه الإدارة العثمانية، ولم يكن في وسع الهاشميين ذلك.. لذا ظل القطار متوقفاً.

التركيبة السكانية في المدينة:

كانت التركيبة السكانية في المدينة المنورة في أوائل الأربعينات مزيجاً من العائلات المدينة العريقة، وسلالات العائلات التي هاجرت إليها قبل أكثر

---

(١) السابق: ١١٠.

(٢) السابق: ١١١.

من قرنين من المغرب ومصر والشام والعراق وتركيا... وعائلات أخرى وفدت من أطراف المدينة من قبائل جهينة، وعائلات أخرى من شمال المدينة من قبائل تميم، وعائلات سبق أن وفدت من القصيم بسبب الأحداث التي جرت في نجد.. فقد تمكن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود من توحيد مناطق نجد تحت إمرته وقضى على منافسيه من القبائل والإمارات المشتتة في حائل وبريدة وعنيزة... وكانت هذه العائلات ظاهرة في المدينة أهمها آل الخريجي وآل القاضي والأطرم وبعض آل الرشيد ، وكانت بينهم وبين الشريف شحات صداقة كبيرة، وعاش أهل المدينة على اختلاف طوائفهم في جو من التآلف والتمازج.

مقدمات الأحداث الكبرى التالية:

بينما كانت الحياة تجري على منوالها في المدينة المنورة، تصفو حيناً وتضطرب حيناً آخر لضعف السلطة أو تهاونها مع المشاغبين والمفسدين وأصحاب الثأر، كانت العلاقات السياسية بين مكة ونجد تصنع مقدمات الأحداث الكبيرة التي ستغير تاريخ المنطقة كلها، بما فيها المدينة المنورة ذاتها. وكان لتلك العلاقات السياسية تاريخ طويل يحفل بمواقف الخصومة والعداء.. فجذوره ترجع إلى الدولة السعودية الأولى عندما وقف الأشراف ضد السعوديين وكانوا عوناً لجيش محمد علي باشا وقدموا له التسهيلات والمساعدات التي مكنت جيشه من اقتحام الدرعية وإنهاء تلك الدولة. وقد أسهم الأشراف في بناء الصورة المضطربة في أذهان الناس للحركة السلفية ووقفوا ضدها فكراً وسياسة. وعندما بدأ عبد العزيز بن عبد الرحمن في إعادة بناء الدولة السعودية ومحاربة الأمراء الذين تقاسموا منطقة نجد كان أشراف مكة مؤيدين لبعض خصومه، وبخاصة آل الرشيد في حائل.. وقد استقبلت المدينة المنورة الهاربين والمهزومين منهم كما استقبلت عائلات كثيرة هاجرت من ضغط الأحداث والمعارك.

ولما عين العثمانيون الشريف حسين أميراً على الحجاز عام ١٣٢٦هـ قاد حملة إلى عسير لفك الحصار عن القوة العثمانية المحاصرة في أبها.. وكان يحاصرها آل عائض والإدريسي، وهما من حلفاء عبد العزيز آنئذ، فكان موقفة هذا إعادة لمظاهر الخلاف والخصومة بين الشرفاء وآل سعود.

وقد تطورت هذه الخصومة بعد ذلك بسبب الخلاف على الحدود بين نجد والحجاز وكانت نقطة الخلاف الرئيسية هي مدينة الخرمة التي يعدها الحسين تابعة للحجاز، ويعدها النجديون تابعة لهم، وقد حسم أهل الخرمة الخلاف عندما استجابوا للدعوة السلفية وبدؤوا في تطبيقها في بلدتهم وأعطوا البيعة لعبد العزيز.. فغضب الحسين وأمر ابنه عبد الله بشن الغارة عليها، فشن ثلاث غارات متوالية ثم حشد قواته في منطقة قرب تربة استعداداً لهجوم كبير.

وعلم عبد العزيز بالحشد فأمر بمواجهته ومبادرته بالهجوم واحتشدت قبائل عتيبة وسبيع ورجال من أهل الخرمة بقيادة أميرها وقوات من نجد.. وهاجمت قوات الشريف عبد الله ليلة الخامس والعشرين من شعبان عام ١٣٣٧هـ واحتدم القتال في معركة كبيرة على مشارف تربة فهزمت قوات الشريف عبد الله هزيمة منكرة وقتل منهم خمسة آلاف جندي وكاد الشريف عبد الله نفسه أن يقتل لولا أن فر مع بقية من رجاله(١) وكان من نتائج هذه المعركة فتح الطريق أمام السعوديين إلى مكة وجدة ((غير أن بريطانيا أرسلت إنذاراً شديداً إلى عبد العزيز تحذره من التوغل في البلاد الحجازية وذلك في ٥ رمضان ١٣٣٧هـ الموافق ٤ يونيو ١٩١٩م وكان المكتب العربي في

---

١) انظر مديحة درويش: تاريخ الدولة السعودية ٩٣ ـ ٩٤ وأمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية الأولى ٩١.

القاهرة يفكر في ارسال طائرات وبوارج حربية لحماية الحجاز))(١).

وبدأ الهاشميون يرتبون أمور دولتهم، فعادت قضية الحدود مع نجد للظهور ثانية.. وأصبحت الفتيل الذي سيشعل النار بين الطرفين ثانية... وقد زاد هذا الاحتمال الموقف الذي وقفه الشريف حسين من الحركة السلفية بعامة.. إذ استمر في رفضها واتهامها بتهم شتى.. والتحذير من التعاون معها، فأصبحت السلفية ((تهمة)) إذا ألقيت على أحد الناس أو إحدى المؤسسات فإنها تدينهم إدانة شديدة. وقد أغلق مدير المعارف في المدينة المنورة عبد القادر الشلبي الطرابلسي مدرسة العلوم الشرعية بتهمة ميل أصحابها إلى السلفية.

وبلغت المغالاة في معاداة السلفية أن وصمت بالانحراف عن دين الله والكفر ومنع أهل نجد من أداء فريضة الحج، وكانت حركة توحيد نجد والقضاء على التشرذم قد نجحت إلى حد كبير وأنهت إمارات حائل والإحساء ومن قبلها الرياض والخرج والمنطقة الشرقية.. حاول الشريف حسين الضغط على السلطان عبد العزيز بتشجيع خصومه وتأليب آل الرشيد في حائل وآل الصباح في الكويت وقبائل عسير ضده(٢) فتعمقت الخصومة بين الطرفين، وفشلت محاولات الصلح والتفاهم عدة مرات في أن تضع نهاية قاطعة للخصومة رغم أنها رسمت الحدود بين مناطق نجد والحجاز..

وبدأت المجابهة العسكرية الصارمة بين السعوديين والأشراف بسبب خلافات حدودية بين نجد والحجاز عام ١٣٣٩هـ-١٩٢١م... وهاجم السعوديون بعض القرى والمناطق التي يعدها الأشراف تابعة لنفوذهم.. ورداً على ذلك منع الشريف حسين أهل نجد من الحج، غير أن أصدقاءه الإنكليز نبهوه إلى خطورة تصرفه، وإمكان تأليب قبائل نجد وحلفائها ضده وطلبوا منه التراجع

---

١) مديحة درويش ص ٩٤ وتاريخ الدولة السعودية الأولى ٩٣.

٢) أضواء على الاستراتيجية العسكرية ١٣٠-١٣١.

عن قراره، فسمح للنجديين بالحج، ثم عاد فمنعهم مرة أخرى بدعوى أنهم يثيرون القلاقل في الحجاز، واشترط للسماح لهم أن يرفع عبد العزيز يده عن الجوف وتربة وكافة المناطق التي يعتبرها الشريف تابعة للحجاز(١).

وقد أدى منع الشريف النجديين من الحج أو التضييق عليهم إلى غليان القبائل النجدية ودعوتها عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى وضع حد لتسلط الشريف حسين على مقدسات المسلمين وتحكمه فيها، ولاسيما أن الأرض المقدسة هي للمسلمين جميعاً ولايجوز منع أحد من أداء المناسك. وفي أحد المجالس التي يعقدها عبد العزيز مع رؤساء القبائل والعلماء قال سلطان بن بجاد أحد رؤساء القبائل ((نحن نريد الحج، ولانستطيع أن نصبر أكثر مما صبرنا على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتنا عليه، وليست مكة ملكاً لأحد، ولايحق لأحد أن يمنع المسلمين أو يصدهم عن أداء فريضة الحج.. نريد أن نحج ياعبد العزيز، وإذا منعنا شريف مكة دخلناها بالقوة، وإذا ترون تأجيل الحج هذا العام فلا بد من غزو الحجاز لتخليص بيت الله الحرام من أيدي الظالمين والمفسدين))(٢) وعندما أعلن الشريف حسين نفسه ملكاً للعرب رفض عبد العزيز إعلانه، كما رفضه آخرون وتفاقمت الخلافات وأصبحت مهيأة للانفجار في أي وقت.

الشريف علي يغادر المدينة:

في موسم حج ١٣٤٢هـ عزم أمير المدينة الهاشمي الشريف علي على الحج، فغادر المدينة المنورة في أواخر شهر ذي القعدة ومعه ركب كبير وبصحبته ٨٠٠ جندي.. فأدوا مناسك الحج، وبقي الشريف في مكة عندما حدث الصدام الكبير بين السعوديين والهاشميين، فقد زحف السعوديون إثر موسم الحج مباشرة إلى منطقة الطائف واحتلوا مخافرها المتقدمة في أول

---

١) مديحة درويش ١٠٠ ـ ١٠١.

٢) تاريخ ملوك آل سعود ١٥١ وانظر تاريخ الدولة السعودية الأولى ١٤٦.

صفر ١٣٤٣هـ. فطلب الشريف حسين من ابنه أن يسير برجاله إلى الطائف للدفاع عنها ووقف زحف السعوديين، فتحرك الشريف علي برجاله إلى الطائف يوم ٢ صفر ولكن الطائف سقطت بيد السعوديين في ٧ صفر عام ١٣٤٣هـ وانسحب الشريف علي مع بقية الجيش الهاشمي إلى منطقة الهدا(١) ومالبث السعوديون أن هاجموه في ليلة ٢٦ صفر ١٣٤٣هـ فدارت معركة حامية استمرت بضع ساعات وانتهت بانسحاب الجيش الهاشمي إلى (بازان) وانسحب الشريف حسين إلى جدة. واجتمع أعيان الحجاز في ٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ وقرروا خلع الحسين ومبايعة ابنه الشريف علي ملكاً على الحجاز فتسلم الشريف علي الملك(٢) وغادر الحسين جدة يوم ١١ ربيع الأول إلى العقبة(٣) وحاول الملك الجديد أن يصلح الأمور مع عبد العزيز. ولكن عبد العزيز رفض المهادنة إلى أن تتحرر الحجاز من الهاشميين(٤) وفي ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـ وبعد وساطات كثيرة بين السعوديين والهاشميين عقد مؤتمر في الكويت لرسم الحدود بين نجد وجاراتها الحجاز والعراق والأردن.. وحضر وفد العراق والأردن، ولم يرسل الشريف وفده رغم وساطة الانكليز.. وقد فشل المؤتمر بسبب غياب وفد الحجاز وتشدد وفد الأردن في مطالبه، ((وربح ابن سعود معركة مؤتمر الكويت السياسية الأمر الذي جعل حلفاء الشريف يقتنعون بصعوبة التعاون معه، ويتوقفون عن مساندته ضد خصمه عبد العزيز ويرفضون مساعدته مكتفين بالوقوف على الحياد))(٥).

وفي ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣هـ الموافق ١٦ اكتوبر ١٩٢٤م دخل الجيش

---

١) تاريخ الدولة ١٥٤.

٢) تاريخ الدولة السعودية الأولى ١٥٨.

٣) السابق ١٦٢.

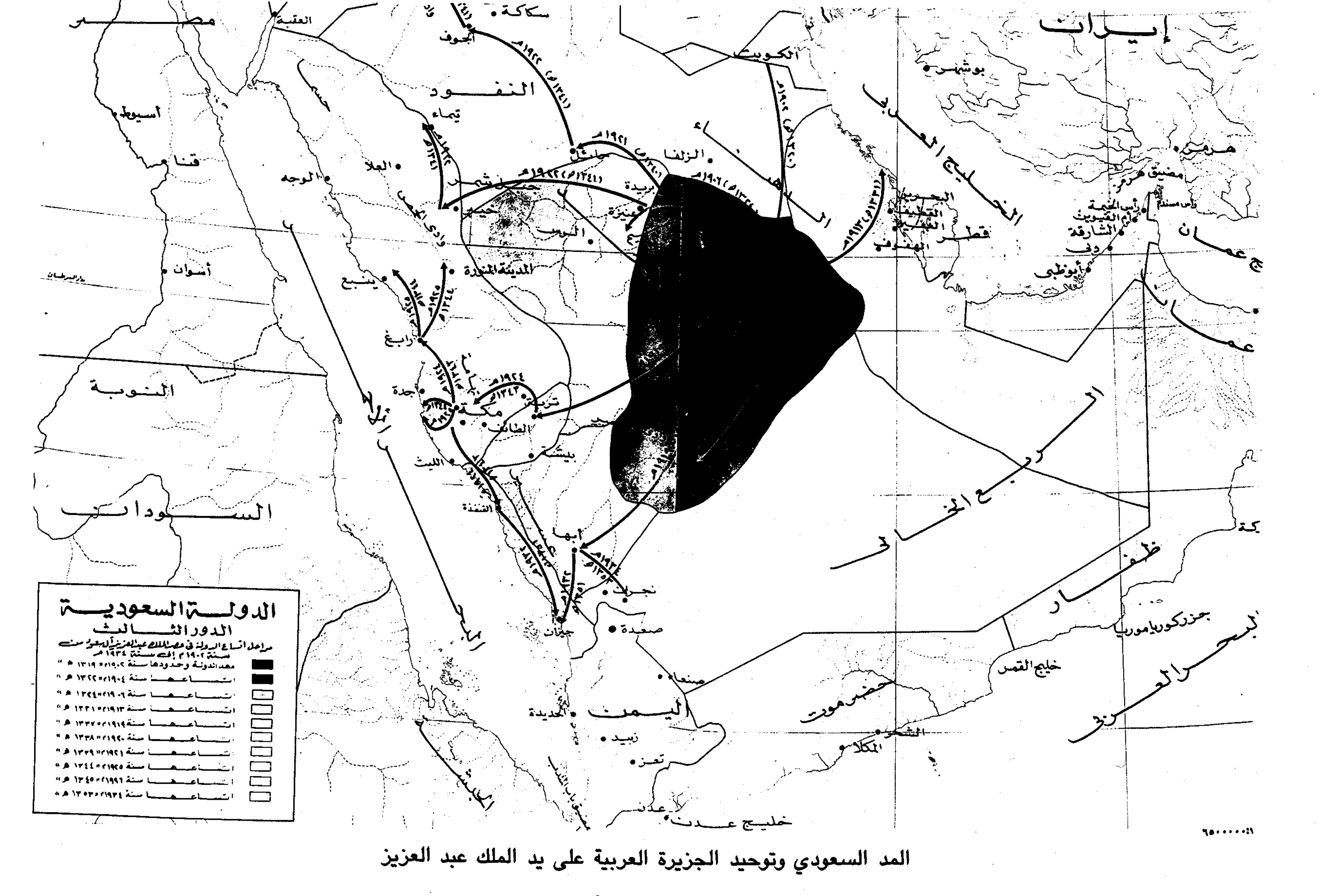
٤) السابق ١٦٣.

٥) انظر تاريخ الدولة السعودية الأولى ١٤٦.

السعودي مكة دون اراقة دماء. وبدأت الوسطات بين الملك الظافر والشريف علي للصلح بينهما، وشارك في الوساطة أمين الريحاني والشيخ المراغي مبعوث الملك فؤاد، ولكن عبد العزيز أصر على رحيل الشرفاء. وتحرك الجيش السعودي فضرب الحصار على جدة في جمادى الثانية ١٣٤٣هـ، وتوجه شطر منه إلى المدينة ليضرب الحصار عليها أيضاً، وليمنع أي اتصال بين مناطق الشرفاء، ولينهي سلطتهم على المدينة المنورة(١).

---

١) انظر أضواء على الاستراتيجية العسكرية ١٠٥ـ ١٠٧.



المد السعودي وتوحيد الجزيرة العربية على يد الملك عبد العزيز

وبدأت صفحة جديدة من تاريخ المدينة المنورة... صفحة الحصار الرابع.

المدينة في الحصار:

غادر الشريف علي بن الحسين المدينة إلى مكة وترك وكيله أحمد بن منصور والقائمقام الشريف شحات بن علي والقائد العسكري عبد المجيد أحمد باشا ومدير السكة الحديدية عزت عمير متنفذين حقيقيين فيها.

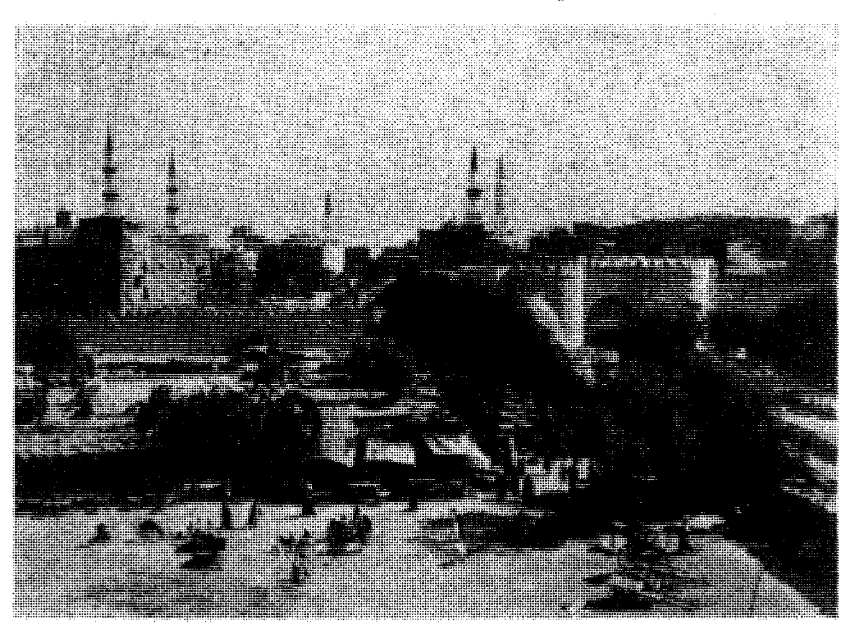
وتطورت الأحداث في مكة المكرمة بسرعة كبيرة في غير مصلحة الشريف حسين، فالحلفاء لم ينفذوا شيئاً من عهودهم، وآثار معركة تربة قد صعدت الخلاف مع سلطان نجد عبد العزيز، ومَنْعُ أهلِ نجدٍ من الحج أوصل بذلك الخلاف مرحلة الذروة، وجعل النجديين يطلبون من عبد العزيز أن يحسم الأمر ويقتحم مكة ويخلصها من الشرفاء(١) وتفاقمت الأمور وانسحب الشريف حسين إلى جدة وتنازل عن العرش لابنه الشريف علي أمير المدينة، ودخل عبد العزيز مكة ثم فرض حصاراً على جدة، ولم تفلح جهود الوساطة بين الرجلين، واتخذ عبد العزيز مقره في قرية بحرة، وأخذت قواته تناوش قوات الشريف علي.

ولكي يضيق على الهاشميين وينهي قوتهم أمر فرقة من رجاله بالتوجه إلى المدينة وحصارها، وعلى رأس هذه القوة صالح بن عدل، وأدرك أهل المدينة منذ أن بلغهم خبر دخول الجيش السعودي مكة المكرمة أن المدينة ستكون هدفاً قريباً لهذا الجيش، وأن السلطان عبد العزيز ينوي تخليص الحرمين الشريفين من الهاشميين، وما لبثت الأخبار أن عززت التوقعات، وسبقت القوة المتوجهة إلى المدينة، وسرعان ما اجتمع قادتها الثلاثة أحمد بن منصور والشريف شحات وعبد المجيد باشا، ودرسوا الأمر وقرروا مقاومة القوة القادمة، وتحصين المدينة، وتعهد عبد المجيد باشا بالدفاع عنها بكل ما يملكه من قوة وإمكانات.

---

١) انظر تاريخ ملوك آل سعود ١٥٠-١٥١.

١ ـ الضخامة والمتانة في أبواب السور وأبراجه مساعدان على المقاومة.



٢ ـ أحد أطراف السور في امتداده حول بيوت المدينة وقد ضرب الحصار خارجه.

كان عبد المجيد باشا ضابطاً ذا كفاءة عالية، تلقى علومه الإسلامية في استانبول، وحارب في صفوف الجيش العثماني في قناة السويس، وأسر، ثم أرسل إلى الجيش العربي مع بقية الضباط العرب، واستقر به الأمر في المدينة ضابطاً كبيراً ثم نائباً للقائد العسكري جميل الراوي ثم قائداً عسكرياً، وكانت القوة التي يديرها محدودة بعد رحيل أبناء القبائل من الجيش والاقتصار على الجنود النظاميين ويقدر عددهم بأربعمائة جندي، وكان فيهم الجنود والضباط التكارنة وبعض العرب وبعض أبناء المدينة وما حولها، غير أن هذه القوة كانت تملك مخزوناً كبيراً من الأسلحة والذخائر، ورغم أن انفجار القلعة قد بدد جزءاً من المخزون وكذلك السرقات المتوالية من المستودعات، رغم ذلك فإن ما بقي في المخازن الأخرى كان كافياً للمقاومة مدة من الوقت، وبدأ عبد المجيد باشا بتحصين المدينة، فوزع قواته على منافذها، وحفرت الخنادق، وأقيمت الكمائن، ونظفت مدافع القلعة وجهزت للعمل ثانية، وجمع الشريف أحمد وجهاء أهل المدينة ورؤساء عائلاتها، وحضر الشريف شحات الاجتماع وتداول الجميع أمر مواجهة القوة القادمة والدفاع عن المدينة وتعهد عدد من الوجهاء بحض الشباب والرجال على المشاركة في الدفاع، وطلبوا توزيع الأسلحة والذخائر اللازمة فوافق الشريف أحمد على ذلك، وسرت في المدينة حركة عاطفية متحمسة، ووزعت البنادق والرصاص وقسمت المدينة إلى ست مناطق دفاعية تحت قيادة الضباط، وتمركز في كل منطقة عدد من الجنود ومعهم المتطوعون.

المنطقة الأولى شرقي المدينة عند شارع أبي ذر إمتداداً إلى الجنوب وتشمل أراضي الصدقة.

المنطقة الثانية مركزها باب العوالي.

المنطقة الثالثة مركزها بستان الماجشونية وتشمل مناطق قربان.

المنطقة الرابعة مركزها باب قباء.

المنطقة الخامسة مركزها باب الكومة.

المنطقة السادسة مركزها المساجد السبعة وتمتد إلى أن تتصل بالمنطقة الأولى شرقاً.

سلكت القوة السعودية الطريق الشرقي إلى المدينة بقيادة صالح بن عدل ثم اتجهت وتمركزت شمالها أول الأمر لتقطع الطريق على أية إمدادات قد تأتيها من الأردن(١) ولم يدخل صالح بن عدل منطقة السور بل انطلق إلى الشمال الشرقي من المدينة وهاجم القبائل التي كانت موالية للشرفاء، وانتشرت أخباره بين القبائل فسالمه أكثرها وأعطى البيعة للسعوديين(٢) وقاتله أقلها وخسروا المعركة أو فروا بعيداً، واستطاع صالح بن عدل أن يطوع القبائل المنتشرة في شرق المدينة(٣) ثم اتجه إلى المدينة وضرب الحصار عليها، وبدأ أهلها يستعيدون ذكريات قاسية عن الحصار السابق قبل ثماني سنوات، حينما فتك الجوع بالكثيرين وشردت العائلات، غير أن الأمر مختلف هذه المرة، فالحياة داخل المدينة لم تكن بالطريقة التي كانت عليها في ظل فخري باشا وقيادته العسكرية.

كانت الإدارة المدنية هي التي تصرف الأمور غير الحربية، والشريف أحمد بن منصور والشريف شحات يستقبلان الناس، وكان حديث الحصار والحرب لايغيب عن كثير من المجالس، ولكنه لم يكن مقترناً بالفزع الذي غلب على الناس في الحصار السابق، وكان من بين جلساء الشريفين عدد من أهل القصيم كآل القاضي وآل الخريجي والأطرم وبعض آل الرشيد، وكانت بينهم وبين الشريف أحمد بن منصور صداقة وكانت هذه الصداقة فيها الحماية

---

١) انظر أم القرى ع ١ ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٤.

٢) انظر أم القرى ع٣ جمادى الأخرة ص ٣ ١٣٤٣.

٣) انظر ذكريات العهود الثلاثة ص ١١٠.

والرعاية لأهل القصيم المقيمين في المدينة(١)، وأما الأمور العسكرية فكان يديرها عبد المجيد باشا مع ضباطه وجنوده، وكان مركزالقيادة في قصر الخالدية وقد تحول إلى إدارة الشرطة، وكان رؤساء الضباط عزت الشامي ومنصور الديري وعبد القادر الديري وقاسم الديري وجميل عجيب، ويقدر بعض مؤرخي تلك الفترة القوات الهاشمية المحاصرة بـ ٤٠٠ مقاتل، والقوات السعودية التي تحاصر المدينة بنحو ألفين وخمسمائة من المقاتلين(٢) وقد تقدم أن السلطان عبد العزيز لم يرغب في اقتحام المدينة، لما سيسببه ذلك من أذى لأهلها وتخريب لأماكن عزيزة على قلوب المسلمين، وأنه أمر قائده صالح بن عدل بحصارها فقط حتى يستسلم الهاشميون فيها، وأنه توقع أن تسقط المدينة وتسلم إذا حوصرت في أقل من سنة(٣) وكلف رجلاً آخر من الذين يعتمد عليهم هو -إبراهيم النشمي- بقيادة قوة أخرى تشارك في الحصار، فسار النشمي برجاله، ونزل في الجهة الشمالية من المدينة، فاكتملت حلقة الحصار حول المدينة: الإخوان الذين بنوا القصر من الجنوب وجزء من الغرب، والنشمي من الشمال وبقية الغرب، وصالح بن عدل من الشرق

الآثار الأولى للحصار:

بدأت آثار الحصار تظهر على المدينة بعد أن أغلقت المنافذ الشرقية التي كان يأتي منها المدد، وبدأ المخزون في البيوت يشح، وتضاءلت البضائع في الدكاكين إما لنفاذها وإما لأن أصحابها توقعوا ارتفاعاً فاحشاً في الأسعار على نحو ما حدث أيام فخري باشا فأخفوها.. وبدأ الضيق يظهر على عدد من أهاليها.. غير أن الحالة لم تبلغ بعد مرحلة الإرهاق.. وبدأ بعض الأهالي

---

١) انظر السابق ١١٠.

٢) أضواء على الإستراتيجية ص١٤٨.

٣) السابق - انظر أم القرى ع ٢٢/ رمضان ١٣٤٣هـ ١٧ ابريل ١٩٤٥ خبر صالح بن عدل.

يخرجون إلى الزهرة حيث المعسكر الذي يقيم فيه إبراهيم النشمي بمنطقة العيون، وكان من أوائل الخارجين أولئك الذين لهم معرفة سابقة بالنشمي عندما كان يتاجر مع أهل المدينة، ورأى رجال النشمي القادمين عزلاً لايحملون السلاح فأحاطوا بهم ثم أخذوهم إلى قائدهم.. فأكرمهم النشمي وسمح لهم أن يأخذوا بعض الحب والرز والسكر والشاي ويعودوا بها إلى أسرهم فصار يخرج كل يوم ما بين ٣٠-٤٠ رجلا إلى الزهرة وكل واحد يأتي بـ٣ أمداد حب ورز وسكر وشاي(١).

مخيم للهاربين من الحصار:

تتابع الخارجون من المدينة بعد ذلك، وأقاموا مخيماً في منطقة الزهرة عند بستان آل محروس، وصنعت بعض العائلات بيوتاً بسيطة من الخشب والجريد والخيام وبدأت هذه البيوت تتزايد عندما اشتد الحصار وتجاوز الأشهر الستة.. وكان رجال النشمي يستقبلون الخارجين من المدينة ويستضيفونهم ويقدمون لهم التمر وبعض الطعام ويسمحون لهم بالذهاب إلى المخيم الذي كانوا يدعونه (العرضي) وكان الخارجون إلى المخيم يحملون معهم المال وما خف من المتاع فإذا وصلوا إلى المخيم وجدوا من يبيعهم الشاي والسكر والأرز والسمن فقد كان بعضهم يأتي بهذه البضائع من رابغ وينبع ويبيعها للقرى حول المدينة، وكان بعضهم يهرب شيئاً منها إلى المدينة ليلاً فلما اشتد الحصار وخرجت العائلات إلى العرضي في الزهرة وجدوا زبائن جدداً فتحولوا إليهم... ويروي أحد شهود العيان أن بعض أهل المدينة الذين خرجوا إلى العرضي أخذوا يشترون الأرزاق ويهربون مايستطيعون حمله لداخلها وأن إبراهيم النشمي علم بذلك فتغاضى عنهم رأفة بأهل المدينة الذين اشتد عليهم الأمر.

وفي داخل المدينة كان القادة المدنيون الشريفان أحمد و شحات

---

١) محمد حسن زيدان: المدينة في التاريخ ص ١٣.

والعسكريون: عبد المجيد باشا وضباطه مصرين على المقاومة، يأملون في أن تصلهم الإمدادات من الشريف علي الذي تسلم مقاليد الأمور بعد استقالة أبيه.. وكانت الاتصالات اللاسلكية متواصلة بين الطرفين، الشريف علي يطلب من أهل المدينة الصمود والمقاومة والقيادة في المدينة تطلب المدد الغذائي وتعد بالصمود وعدم التسليم.

ورغم عدم تكافؤ القوة المحاصرة والقوة المحصورة في المدينة فإن بقية ترسانة الأسلحة والذخائر التي خلفها فخري باشا كانت تشجع القيادة العسكرية على الصمود وتقنعها بإمكانية صد أي هجوم.. ولا سيما وأن المدفعية المنصوبة في أبراج القلعة وبعض الأماكن الأخرى قادرة على إنزال خسائر جسيمة في المهاجمين.. وقد أثرت بشكل فعال على الهجمات التي حدثت بعد ذلك(١).

كانت الأموال عند الشريف شحات وافية تعين على مزيد من الصبر ورغم ارتفاع أسعار السلع المتبقية في المدينة والمهربة إليها فقد استطاعت الإدارة تأمين المواد الغذائية الأساسية للمحاصرين ومعظمها من التمر والخبز وبعض اللحم مرة في الأسبوع.. وبدأت ضائقة حقيقية تظهر على بقية أهل المدينة، فأخذت العائلات التي لاتملك مدخرات وافية تخرج إلى العرضي، يشجعها على ذلك الأخبار التي نقلها العائدون إلى المدينة والمتسللون ببعض المواد الغذائية عن توافر المؤونة فيه، وعن مساعدة النشمي للخارجين من المدينة وضيافته لهم.. ولم يجد قادة المدينة والعسكريين بأساً في خروج هذه العائلات لأنها تخفف الطلب على ما بقي في المدينة من طعام وتكون في مأمن من آثار القتال إذا اندلع، لذا كان حراس الأبواب عند السور يفتحون الباب الشرقي (باب البقيع) والباب الشمالي (الباب الشامي) نهاراً ولا يمانعون أحداً من الخروج.. وكانت هذه المنطقة آمنة لايجري فيها أي اشتباك..

---

١) انظر ذكريات العهود الثلاثة: ص ٦٥ـ٦٦.

قيادة المحاصَرين تبيع السلاح:

ومرت الأسابيع... وبدأت الأموال تتناقص في إدارة الشريفين بسبب الإنفاق اليومي على المقاتلين، فقرر الشريف شحات أن يبيع بعض الأسلحة المكدسة إلى الأهالي فحملت أعداد من البنادق وصناديق من الذخيرة إلى سوق المناخة والعالية واشتراها عدد من أهالي المدينة المقتدرين، ويروي زيدان أن بعض هذه الأسلحة انتقلت إلى رجل اسمه (دغيمان) في العوالي ومنها انتقلت إلى رجال عبد العزيز أنفسهم، وأن الشريف شحات علم بذلك ولم يفعل شيئاً، بل استمر في بيع هذه الأسلحة بين الحين والآخر ليحصل على المال(١) وقد بلغ ما أنفقه من مدخراته ومما جمعه من بيع السلاح خمسة عشر ألف جنيه ذهبي.. غير أن الإنفاق كان مكرساً للجانب العسكري أي كانت إعاشة الجند والمتطوعين هي المصرف الأول والأهم.. أما الموظفون فبدأت رواتبهم تتأخر وتنقطع، ثم توقفت، وكان أتعسهم حظاً المعلمين الذين توقفت رواتبهم قبل الحصار منذ بدء الاضطرابات.. حتى ان بعضهم لم يقبض راتباً لمدة ثمانية وعشرين شهراً ومع ذلك لم يتوقف أولئك المعلمون من تعليم الطلاب في المدارس(٢).

معركة محدودة:

مرت أشهر الحج هذا العام ولم يأت إلى المدينة أحد، بل إن الحج في مكة وعرفة كان قليلاً، وكان معظم الوافدين من الداخل، ودخل شهر محرم عام ١٣٤٤هـ، وفي هذا الوقت كان فيصل الدويش متجهاً إلى الشمال على رأس قوة من الإخوان لتنضم إلى قوى أخرى يقودها الأمير سعود بن عبد العزيز

---

١) السابق ص ١٨٦ـ١٨٨.

٢) السابق ص ١٨٦.

وليسير الجميع إلى بني سالم المقيمين في بعض الضلعان(١) وكان طريقها يمر قرب المدينة، فلما وصلت إلى أطراف العوالي خرج إليها بعض أهل العوالي وشكوا إلى الدويش ماتعانيه المنطقة من الجوع والقتل والاضطراب الإداري، وشجعوه على دخولها وتخليصها من أوضاعها الحالية، فأجابهم فيصل الدويش -كما تقول أم القرى- بأن الأوامر لدينا من القيادة العليا بألا نتوجه لقتال المدينة وأهلها، ولكن إجابة لطلبكم فنحن ننزل العوالي ونفاوض أهل المدينة بالتسليم وسنستشير القيادة العليا فيما عرضتموه علينا، وعلى ذلك فقد دخل الإخوان العوالي ونزلوا في ملك الشريف شحات وأخيه محمد، ودخلوا مسجد قباء وأرسلوا بما تم عليه أمرهم إلى مركز القيادة(٢) والمعروف عن فيصل الدويش أنه يميل إلى الحسم ولو باستخدام العنف، ورغم أن مهمته لم تكن دخول المدينة -كما تقول أم القرى- فإن استجابته بسرعة لطلب الذين طلبوا منه التدخل أدى إلى اشتعال المواجهة.

وفي صباح يوم ٢٣ محرم هاجمت قوة الدويش مخفر العيارية بجوار المدينة، فواجهتها حامية من قوة المدينة، وأطلقت النيران بغزارة، وبدأت المدفعية من داخل المدينة تصب قذائفها على المهاجمين فاضطر المهاجمون إلى التراجع إلى مدى لاتبلغه القذائف.

وفي اليوم التالي اتجهت قوة من الإخوان شمالاً وهاجمت المدينة من جانبها الغربي، ففتحت مدافع سلع نيرانها عليها، وأطلق الجنود المدافعون النيران بغزارة أيضاً، واستمر القتال سبع ساعات متوالية وسقط عدد كبير من القتلى، وتحركت قوة من الجند والمدافعين خارج السور، ودار القتال حول البيوت المتناثرة خارج السور، وانسحب المدافعون ليتيحوا الفرصة لنيران المدفعية كي تنصب على المهاجمين حول تلك البيوت فتهدم كثير منها.

---

١) انظر أم القرى ع٣٥ ٨ صفر ٢٨/١٣٤٤ أغسطس ١٩٠٥ ص٣.

٢) أم القرى، العدد السابق نفسه.

وانسحب المهاجمون.

وفي عصر اليوم نفسه صوبت المدفعية نيرانها إلى نزلة دغيمان حيث شوهد بعض الإخوان، وأمر عبد المجيد باشا بإطلاق النار بغزارة إلى كل جهة يمكن وجود المهاجمين فيها بما في ذلك بساتين النخيل والبيوت(١)، وعندما هبط الليل تسللت مجموعة من جنود المدينة إلى قباء حيث نزل بعض الإخوان ونسفوا عدداً من البيوت بالديناميت، وقابل الإخوان ذلك بإطلاق غزير لنيران البنادق ووقع عدد من الضحايا من الطرفين(٢).

ضجة بعد المعركة:

أرسل الشريف شحات والقائد عبد المجيد البرقيات إلى الشريف علي يخبرونه بالمعركة مع الإخوان، كما أرسل برقيات أخرى إلى عدد من السفارات الموجودة في جدة ومنها سفارة مصر وسفارة إيران ووصلت أخبار البرقيات إلى مندوب وكالة رويتر في القاهرة، فصاغ خبراً مليئاً بالإثارة، ووزعته الوكالة على الإذاعات والصحف، فانتشرت الأخبار بأن المدينة تشهد معارك ضارية بين السعوديين والهاشميين، وأن قصفاً شديداً ينصب على بيوت المدينة ومواقعها المقدسة، وأن القبة الخضراء في المسجد النبوي أصيبت بأضرار من هذه المعارك.

انتشرت الأخبار في أرجاء العالم العربي مهولة ومطبلة، وكان لها صدى شديد، فقد أبرق الملك فؤاد في الحادي عشر من شهر صفر إلى عبد العزيز يقول : الحرب القائمة حول المدينة المنورة قد أقلقت خواطر المسلمين قاطبة، لما عساه يحدث من تأثيرها في الأماكن المقدسة النبوية التي نحبها جميعاً ونحافظ على آثارها الكريمة، ولا يخفى على عظمتكم مالهذه الأماكن من الحرمة التي توجب أن تكون بعيدة عن الأذى، رغم ما يقتضيه أي نزاع أو

---

١) أم القرى ع٣٨ ٢٩ صفر ١٣٤٤.

٢) أم القرى العدد السابق ذكره.

خلاف، ولكن ما نعتقده في شديد غيرتكم الدينية ما يطمئن قلوبنا والمسلمين على صيانة الحرم النبوي الشريف وآثار السلف الصالح في المدينة المنورة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(١).

كان الملك عبد العزيز في هذه الأثناء يحاصر جدة، لذلك لم يتعجل الإجابة على الملك فؤاد، بل أبرق إلى قائده إبراهيم النشمي يستفسر منه عن صحة مانشرته الأنباء وعن المعارك التي تجري حول المدينة وأثرها على المسجد النبوي، فأجاب النشمي بحقيقة ماحدث، وطمأن الملك عبد العزيز بأن المسجد النبوي لم يصب بأي أذى، وأن إطلاق النار كان بعيداً عنه تماماً وأن القوات السعودية لم تطلق أية قذيفة مدفعية، وباستثناء رصاص رجال الدويش لم يحصل شيء يذكر، فأرسل الملك عبد العزيز إلى الملك فؤاد بتاريخ ١٦ صفر ١٣٤٤ البرقية التالية:

إني أشكر جلالتكم من صميم فؤادي على غيرتكم الدينية، وإني أقدر لجلالتكم ما شرحتموه في برقيتكم حق قدره، إن حرم المدينة كحرم مكة، نفديه بأرواحنا وجميع ما نملك، وإن ديننا يحمينا عن الإتيان بأي حدث في المدينة وسنحافظ على آثار السلف الصالح وكل ماهو في المدينة مما يهم كل مسلم المحافظة عليه، إن العدو يريد ان يشوه سمعتنا ووجه جهادنا بما يفتريه من الكذب والبهتان، ويحاول أن ينال بالبهتان ماعجز عنه بالسيف، ولكن الحق أبلج، والله مؤيد بدينه وآخذ بنصرة أهله ولو كره المبطلون، هذا وأرجو أن تقبلوا تحياتي(٢).

كانت صحف الشريف علي في جدة تروج أخباراً مختلفة عن معارك حول المدينة ترفع معنويات جنودها حتى إنها نشرت مرة خبراً عن معارك طاحنة عند العاقول قرب المدينة المنورة وزعمت فيها أن قائد القوات السعودية

---

١) تاريخ ملوك آل سعود ص ١٧٣.

٢) تاريخ ملوك آل سعود ص ١٧٤ -١٧٥

إبراهيم قد ذبح على يد علي بن الشريف شحات(١).

وعلى أثر ذلك أمر السلطان عبد العزيز قائده فيصل الدويش التوجه إلى نجد لتأديب بعض القبائل التي شغبت في غيبته، وأمر قوة سعودية أخرى بقيادة عبد المحسن الفرم أن تتحرك لتحل محل فيصل الدويش ورجاله، وعبد المحسن هذا واحد من شيوخ بني علي، ومن أهل العوالي، بايع السلطان عبد العزيز وصار من رجاله، فتحرك الفرم ووصل المدينة بسرعة، وعسكر جنوبها من جهة العوالي والحرة الشرقية، وكان أقرب من الدويش إلى بيوت المدينة والمسجد النبوي، ولو أطلق الرصاص لأصاب من بداخل المدينة، ولكن الفرم جاء يحمل أمراً بالحصار فقط دون القتال، إلا للدفاع عن النفس.

غادر الدويش ورجاله منطقة قباء وأخلاها لرجال عبد المحسن الفرم وإبراهيم النشمي الذين حلوا محلهم، فهدأت الجبهة الوحيدة التي كانت تشتعل فيها النار، وأصبحت المدينة كلها محاصرة في سكون، فالمحاصرون يكتفون بالدوريات المتحركة للمراقبة، والمجموعات الأخرى متمركزة في نقاط متفرقة، والمحصورون يتناوبون الحراسة والمراقبة الحذرة، دون أن تطلق قذيفة واحدة.

إيران والحصار:

- مثلما أرسل الملك فؤاد برقية للملك عبد العزيز يظهر فيها قلقه لما نشر من أنباء حول القتال في المدينة أرسل شاه إيران برقية احتجاج، وكانت لهجة البرقية قاسية تتخذ من الأخبار التي نشرتها رويتر وتناقلتها وسائل الإعلام عنها حقائق قاطعة، لذلك أبرق إليه الملك عبد العزيز يكذب الأنباء المغرضة ويتحدى أن تكون الأماكن المحترمة في المدينة قد أصيبت بضرر، واتصل السفير الإيراني بالملك عبد العزيز، وكان يقيم في منطقة بحرة محاصراً الشرفاء في جدة، وطلب منه أن يسهل زيارته للمدينة للاطلاع على حقيقة الأمر فيها، وجاء هذا الطلب موازياً للتحدي الذي ظهر في برقية عبد العزيز،

---

١) بريد الحجاز ع٥٢ ٢٩ ذوالقعدة ١٣٤٣هـ/ ٢١ يونيو حزيران ١٩٢٥.

فوافق عبد العزيز على الفور، واستقبل الوفد الإيراني ويتكون من وزير إيران المفوض في مصر وقنصل إيران المعين في الحجاز(١) وأرسل مع السفير الإيراني رسالة إلى قائده إبراهيم النشمي، الذي أصبح قائداً عاماً للقوة السعودية حول المدينة يوصيه بحماية السفير وإكرامه وتيسير دخوله إلى المدينة، وأرسل معه أحد رجاله -أحمد لاري- ليصحبه إلى النشمي، ووصل السفير في أواخر صفر ومعه بعض رجال السفارة وأحمد لاري وخفارة من رجال عبد العزيز، واستقبله النشمي وأضافه وأمر بعدم التعرض لركبه المتوجه إلى المدينة، وجرت اتصالات برقية بين السفارة الإيرانية في جدة والقيادة في المدينة، ورتب دخول السفير عبر الحصار، ودخل السفير يرافقه بعض موظفيه واستقبله رئيس البلدية محمود عبد الجواد ومدير المالية زكي باشا، وزار الشريف أحمد والشريف شحات، وتفقد المسجد النبوي والبقيع وبعض الأماكن في المدينة المنورة واجتمع إلى عدد من أهلها، ثم خرج ليبرق إلى الشاه بتقريره، فلم يكرر الشاه الاتصال بعبد العزيز بهذا الشأن(٢).

عالم يعظ ويرشد:

قلق السلطان عبد العزيز للمعارك التي خاضها الدويش ورجاله ضد حامية المدينة وأراد ألا تتكرر هذه المعركة، فهو يريد أن تستسلم المدينة سلماً، حفاظاً على سكانها، واحتراماً لمكانتها، فأرسل أحد كبار علماء نجد ليكون مع القوة السعودية وهو الشيخ عمر بن سليم، ووصل الشيخ عمر قبل أن يغادر فيصل الدويش المدينة، وقرأ عليه وعلى رجاله، ثم على بقية القوات السعودية، الأحاديث التي تتعلق بالمدينة وفضائلها، وأبلغهم أمر عبد العزيز بعدم مهاجمتها كيلا يصيبها شيء من الأذى والإكتفاء بالحصار إلى أن

---

١) انظر حافظ وهبة: جزيرة العرب ص٢٧٤، وانظر بريد الحجاز ع٥٥ ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٤.

٢) انظر ذكريات العهود الثلاثة ١٢٠.

تستسلم الحامية(١).

مقاومة يائسة:

وبدأ الحصار يؤتي ثماره، وبدأ بعض أهل المدينة يخرجون منها بمعدل ١٥٠ شخصاً يومياً يتوجهون إلى مخيم النشمي فيستقبلهم ويكرمهم ثم يتابعون الطريق إلى الزهرة ومنهم من يسافر إلى مكة، وقد قدر عدد الذين وصلوا إلى مكة من أهل المدينة بأربعة آلاف شخص(٢)، وقرر عبد المجيد باشا أن يرسل بعض جنوده الأشداء في غارات مفاجئة على مواقع القوات السعودية لزعزعتها، ولرفع معنويات الحامية والمحاصرين، وفي ١٢ ربيع الأول تسللت مجموعة من جنود الحامية إلى الخنادق الأمامية للجنود السعوديين وعند الفجر فوجئ الجنود السعوديون -بعد فراغهم من الصلاة- بنيران البنادق تنصب عليهم من أماكن قريبة وسقط بعض القتلى والجرحى، وصبت مدفعية المدينة قذائفها بغزارة فوقع هرج ومرج وسقط عدد من الجرحى والقتلى، وهب السعوديون من كل جهة ليواجهوا النيران بمثلها، وانقسمت قواتهم إلى قسمين قسم ركز على القوة المهاجمة من جهة باب قباء وقسم واجه القوة من جهة العوالي والحرة الشرقية، واستمر إطلاق النار إلى مابعد طلوع الشمس حيث انسحبت القوة المهاجمة من جهة باب قباء، وتحركت القوة المهاجمة الأخرى إلى جهة الحرة الشرقية وتترست بها، واستعانت بقوة ترابط هناك، فاشتدت المعركة ودامت إلى صلاة الظهر حيث انسحب المهاجمون إلى المدينة ودخلوها، وأراد السعوديون أن يتبعوهم ولكن

---

١) انظر أم القرى، ع ٤٣ في ربيع الثاني ١٣٤٤هـ ٢٣ اكتوبر ١٩٢٥م.

٢) انظر أم القرى ع٤٦ /٢٣ ربيع الثاني ١٣٤٤

الشيخ عمر سليم نهاهم عن ذلك وذكرهم بأمر السلطان(١).

تشديد الحصار:

أمر النشمي بتشديد الحصار بعد أن خرج قسم كبير من أهل المدينة، واحتجز من يحاول التهريب، وضاعف الدوريات الليلية حول منافذ المدينة كلها، فازدادت الحالة سوءاً داخل المدينة، وبدأ التقنين الشديد للطعام وازداد عدد الخارجين من العائلات، وأحس الشريفان بأن موقفهما يسوء يوماً بعد يوم، فأرسلا البرقيات إلى الشريف علي ليرسل نجدة من الطعام، ولم يكن حال الشريف علي ورجاله أفضل من حال المحاصرين في المدينة، فقد شدد عبد العزيز الحصار على جدة من أطرافها الثلاثة، ولم يبق إلا المنفذ البحري، ولا يستطيع الشريف علي إرسال شيء عن طريق البحر إلى المدينة لأنه سيقع في يد الذين يحاصرون المدينة من أطرافها الأربعة.

ومر شهر ربيع الأول، ونقص الطعام نقصاً شديداً، وبدأت آثار الجوع والإعياء تظهر على الحامية، وبدأ المال الذي في خزانة المالية ينضب فليست هناك موارد جديدة، ولم يعد بالإمكان بيع المزيد من السلاح، والمبلغ الذي دفعه الشريف شحات قد نفذ في شراء المؤن اللازمة، ومع أن أهل المدينة لايبخلون في مساعدة الحامية إلا أنه من غير المعقول الاعتماد على مساعداتهم لذلك بدأ عبد المجيد باشا وضباطه يبحثون الأمر بشيء من القلق، واستطاع نظام التقنين الذي اتبعه عبد المجيد أن يمد في عمر المؤونة المخزونة شهرين آخرين، وعندما انتصف شهر ربيع الثاني ولم تصل إلى المدينة أية أمدادت بدأ التفكير يتجه إلى حل حاسم، وتداول الشريفان مع عبد المجيد وضباطه قضية التفاوض مع القوة السعودية، ثم اتسعت المداولات، وشملت وجوه أهل المدينة خاصة وأن البرقيات الواردة من جدة رغم لهجتها الواثقة أصبحت تكرر الاعتذار عن إرسال المعونات، وأيقن الشريفان أن وضع

---

١) انظر أم القرى ع٤٣ ٥ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ.

الشريف علي سيء وأنه لن يقدر على نجدة المدينة.

قرار المفاوضة والتسليم:

وقبل أن ينتهي ربيع الثاني علت الأصوات في مداولات القيادة المدنية والعسكرية حول المفاوضات والصلح، اجتمع وجوه أهل المدينة مع الشريفين، وأبدوا بصراحة تامة رغبتهم في إنهاء هذه الأزمة ومصالحة السعوديين، ورغم أن القائد العام للقوة السعودية إبراهيم النشمي قد أبدى ليناً مع أهل المدينة فإن رغبات المطالبين بالمفاوضة والصلح اتجهت إلى مخاطبة عبد العزيز مباشرة، وطلب الصلح معه والتسليم له على أن يرسل أحد أبنائه ليتسلم المدينة، آمنة مؤمنة بمن فيها وما فيها، واتفق المجتمعون على أن يقوم بهذه المهمة واحد من تجار المدينة البعيدين عن مداخلات الخصومة هو مصطفى عبد العال، وهو تاجر معروف في المدينة وله علاقة مع عدد من تجار أهل القصيم، ومنهم من يشارك في حملة عبد العزيز وحصاره لجدة والمدينة، وكتب الشريف شحات بنفسه رسالة طلب الصلح إلى عبد العزيز، وخرج بها الرسول مع الخارجين من المدينة دون أن يفطن إليه أحد من رجال النشمي، واشترى جملاً وسافر مسرعاً إلى بحرة حيث يعسكر عبد العزيز ويدير حصار جدة، وكانت رسالة الشريف شحات تشترط للتسليم تأمين أهل المدينة والمقيمين فيها والموظفين والعسكريين على أرواحهم وأموالهم وألا يعاقب أحد بسبب المعارك التي حدثت، وأن يتسلم المدينة أحد أبناء عبد العزيز.

استجابة السلطان:

وصل مصطفى عبد العال إلى السلطان عبد العزيز في (بحرة) حيث كان مركز قيادته في حصار جدة، وسلمه رسالة الشريف شحات، وحدثه عن طلبات أهل المدينة، فوافق عبد العزيز على الطلبات التي وردت في الرسالة، وأمر ابنه الأمير محمد أن يسير إلى المدينة بصحبة مصطفى عبد العال، فتوجه إليها في ٢٣ من شهر ربيع الآخر يرافقه رهط من حاشية أبيه ومائتان

من رجاله، ووصلت الأخبار للنشمي فاستقبل الأمير وركبه، وبدأت الاستعدادت لتسليم المدينة(١).

محاولات الشريف علي:

تسرب الخبر إلى الشريف علي في مكة بأن المدينة المنورة عازمة على التسليم، فأرسل برقيات متوالية تحض القادة على الصبر وعدم التسليم وتعد بإرسال الإمدادت العاجلة والأموال فوراً، فأبرق عبد المجيد باشا في الخامس من شهر جمادى الأولى -ولم يكن الرسول المرسل إلى عبد العزيز قد عاد بعد- يخبر الشريف علي أن الأرزاق قد نفدت ولم يعد لدى الحامية طعام، وذكره بوعوده السابقة بإرسال النجدة بالطائرة، فتلقى برقية جوابية تؤكد إرسال النجدة، ومر اليوم ولم يصل شيء فأبرق عبد المجيد في اليوم التالي: انقضى الأمر ولم يعد في اليد حيلة والجنود ماعندهم أرزاق إلا لثلاثة أيام، فإن لم تصل الطائرة غداً الظهر سنفاوض العدو بالتسليم.. فأجابهم الشريف علي.. إن الطائرة تأتيكم غداً، فأبرق عبد المجيد ثانية أن من الواجب مجيئ الطائرة ففي ذلك فوق مهمتنا الأساسية إرهاب العدو وتقوية معنوية الجيش، ومر اليوم التالي ولم تصل الطائرة، ووصل الرسول، وعاد إلى أبواب المدينة ليخبر الحامية بقدوم الأمير محمد ولإعداد الترتيبات لتسليم المدينة.

شيء من التردد:

غير أن برقيات الشريف علي قد غيرت موقف الحامية والشريف شحات، وجعلتهم يؤثرون انتظار مجيئ الطائرة ويعتقدون أن وصولها سيقلب الموازين ويسهم في فك الحصار، ووصلت برقية في اليوم التالي تطلب منهم الانتظار

---

١) انظر أم القرى ع ٤٦ ٢٣ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ تاريخ ملوك آل سعود ١٧٥-١٧٦ ويذكر الكاتب أن سفر الأمير محمد بن عبد العزيز كان يوم ٢٣ ربيع الأول والصحيح أنه ربيع الآخر.

عشرة أيام لعدم وجود الوقود اللازم للطائرة كي تصل إلى المدينة(١) فقررت القيادة الانتظار، وكان الشريف علي يعاني من أزمة كبيرة في جدة فالحصار يحكم عليه براً، وأصدقاؤه الإنكليز أدركوا ضعف موقفه فأخذوا يتهربون من مساعدته ويتعللون بعلل شتى، كان الشريف علي يلح عليهم لتجهيز الطائرة الموجودة في مطار جدة وإرسال المعونة بها إلى المدينة ولكن الإنكليز اعتذروا بعدم إمكانية تأمين الوقود، ثم عدم وجود الطيارين.

وفي مخيم القوة السعودية المحاصرة استبطأ الأمير محمد عودة الرسول الذي دخل المدينة لإعداد ترتيبات التسليم، فأرسل بعض رجاله لمخاطبة الحامية وطلب الجواب، ولكن الحراس لم يسمحوا لهم بالأقتراب ولم يردوا عليهم بالجواب المنتظر، فأمر الأمير محمد بتشديد الحصار ومراقبة جميع منافذ المدينة مراقبة دقيقة، ومرت بقية الأيام العشرة ولم تصل الطائرة الموعودة فأبرق عبد المجيد: نريد تأمين معيشة الجند، فمنذ ثلاثة أيام لم يجر عليهم الطعام، إن اليوم هو آخر عهدنا دبروا لنا اليوم وإلا فنحن نسلم.. وجاءت برقية جوابية تطلب منهم الصبر، ولكن الصبر قد نفد والكيل قد طفح(٢).

قرار التسليم:

اجتمعت قيادة المدينة وتداولت في الأمر وأجمعت على التسليم، فالنجدة ميؤس منها والوعود المتوالية لم يتحقق منها شيء، وكلف عبد المجيد بعض ضباطه أن يخاطب أحد قادة القوة السعودية، ويطلب منه إبلاغ رسالة مهمة إلى الأمير محمد، وتمت المخاطبة، ووصلت الرسالة إلى الأمير محمد تطلب منهم أن يجيبهم إلى مقابلة اثنين من الضباط، فوافق الأمير محمد وأرسل

---

١) تاريخ ملوك آل سعود ١٧٦-١٧٧ وانظر أم القرى ع ٥١ في ٢ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ.

٢) تاريخ ملوك آل سعود ١٧٦.

بعض الخيالة لاستقبالهم، وفوجئ الجميع بقدوم قائد الحامية نفسه عبد المجيد باشا ونائبه عزت بك، فاحتفى بهما الأمير وبالغ في إكرامهما، وخاطباه بشأن التسليم والشروط التي وافق عليها والده، فقبل الأمير محمد هذه الشروط، وتم الاتفاق على التسليم في صباح اليوم التالي، عاد عبد المجيد وعزت إلى المدينة لإنجاز ترتيبات التسليم والتقى بالشريفين أحمد وشحات، وأخبرهما بنتيجة المفاوضات، وحضر أعيان المدينة، وأبلغ الجميع بخبر التسليم، وانتشر الخبر في بيوت المدينة وبات الجميع بانتظار صباح اليوم التالي(١).

---

١) انظر أم القرى ع٥١ تاريخ ٢ جمادى الثانية ١٣٤٤ - ١٨ ديسمبر ١٩٢٥.

المدينة المنورة في العهد السعودي

اليوم الفاصل:

بدأت الاستعدادات لتسليم المدينة بعد عودة قائد الحامية العسكرية عبد المجيد باشا ومعاونه عزت باشا من مقابلة الأمير محمد بن عبد العزيز مباشرة، وبُلغ الضباط والجنود بالقرار، وطُلب منهم تجهيز المواقع والمستودعات لتسليمها للقوات السعودية.

وفي صباح اليوم التالي: السبت التاسع عشر من شهر جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ خرجت مجموعة صغيرة من ضباط الحامية وخيالتها إلى المعسكر السعودي، وكان فيها عبد المجيد باشا ومعاونه عزت باشا وعبد القادر الديري وقاسم الديري، وكان في استقبالهم الأمير محمد وكبار قادته، ومنهم إبراهيم النشمي وعبد المحسن الفرم، وبعد السلام على الأمير وقادته أعلن الوفد عن التسليم، وطلب حضور القوة السعودية لتسلم المرافق العسكرية والإدارية، فأمر الأمير محمد أحد رجاله، وهو(١) ناصر بن سعود الفرحان أن يتوجه بمجموعة من الجنود مع الوفد إلى المدينة لاستلام تلك المرافق ولإحلال الجنود السعوديين فيها محل جنود عبد المجيد والحامية، وعاد الوفد يصحبه ناصر بن سعود الفرحان، وبدأ بتسليم القلعة والمستودعات التي فيها الثكنة في باب العنبرية، ثم المحارس ثم مقر الإمارة نفسه، وكلما تسلم موقعاً انسحب رجال عبد المجيد منه وحل محلهم عدد من رجال القوة السعودية، وعند العصر كان الجنود السعوديون منتشرين في أرجاء المدينة وقلعتها وسورها ومقر قيادتها العسكرية ومقر الإمارة، ولم تحدث أية مشاحنة بينهم وبين رجال الشرفاء، وبدا الأمر وكأنه تبديل فرقة عسكرية بأخرى شقيقة، وبقي ناصر بن سعود الفرحان وعدد من رجاله مع عبد المجيد وكبار ضباطه يتبادلون أحاديث هادئة، ثم كتبت وثيقة الصلح، كتبها عبد الله القين وصالح رفة، ونقلت إلى المدينة كميات من الأرزاق، ووزع الطعام على أفراد الحامية

---

١) أنظر زيدان: ذكريات العهود الثلاثة: ١٠٩، وملوك آل سعود ١٧٧.

١ ـ المدينة المنورة من داخل السور في مطلع العهد السعودي وتبدو في الصورة مآذن المسجد النبوي الخمس قبل التوسعة السعودية.



٢ ـ الأمير محمد بن عبد العزيز أول أمير سعودي للمدينة

المنهكة، كما وزع على عدد من أهل المدينة الذين شكوا من نفاذ طعامهم، وسارع عدد من المقيمين في العرضي الذين كانوا يترقبون تنفيذ الصلح والتسليم للعودة إلى المدينة، وبقي الآخرون ينتظرون اليوم التالي ليحملوا أثاثهم البسيط والأرزاق التي اشتروها إلى بيوتهم المغلقة.

وقبل أن تغلق المدينة أبوابها -كعادتها كلما حل الظلام- كانت صفحة من التاريخ قد طويت نهائياً وفتحت صفحة جديدة.

وفي اليوم التالي، الأحد الواقع في العشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ توجه الأمير محمد بن عبد العزيز المدينة ومعه حاشيته وجنوده، إلى المدينة، فاستقبله على أبوابها الشريفان: أحمد وشحات، وقائد الحامية عزت باشا، وكبار ضباطه، وعدد من أعيان المدينة، فسلموا عليه، وأعلنوا ولاءهم له ولوالده، وتوجه الركب إلى المسجد النبوي الشريف، حيث صلوا فيه، ثم سلموا على النبي ﷺ وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم توجهوا إلى مقر الإمارة، وبدأ الأمير يستقبل الأهالي، وظل الشريفان وكبار القادة والأعيان في معيته، وتناول الجميع طعام الغذاء على مائدة الأمير(١).

مبايعة بقية أهل المدينة:

وعلى مدى ثلاثة أيام ظل الأمير محمد يستقبل أهالي المدينة ويسمع منهم ويحاورهم، ويوزع عليهم الأعطيات من الرز والقمح والمال، وكان الهاشميون قد أنشأوا (تكية) لتوزيع الطعام على غرار التكية المصرية، ولكنهم مالبثوا أن اغلقوها لاضطراب أمرهم وضعف إمكاناتهم، ففتحت وجعلت مركزا لتوزيع الأرزاق على المحتاجين، وقد بلغ جملة ماوزع على أهل المدينة آنئذ أكثر من ألف كيس من الأرز، وألفي كيس من الحنطة وشيئاً كثيراً من النقد، أمر بها السلطان عبد العزيز تخفيفاً عن أهل المدينة.

---

١) انظر: ذكريات العهود الثلاثة ١٠٩، وملوك آل سعود ١٧٧، وجريدة أم القرى ع ٥٥ في ٣ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ.

وفي اليوم الرابع عقد الأمير محمد بن عبد العزيز اجتماعاً كبيراً مع أعيان أهل المدينة وكبار موظفيها في دار البلدية، وتحدث إلى الموجودين، فكرر إعلان العفو العام، وخيّر القاطنين في المدينة من الضباط والموظفين الشوام والعراقيين والليبيين الذين كانوا يعملون في الإدارة مع الهاشميين، والنجديين الذين كانوا بين خصوم آل سعود، بين البقاء في المدينة أو الرحيل إلى أية جهة يشاؤونها لايعترضهم أحد، وقد استأذنه في الرحيل عدد منهم، فسافر الشريف أحمد إلى وادي فاطمة ورئيس ديوانه الخاص عبد الله بن عمير وعمر كردي شاعر الهاشميين وكبير فقهائهم وعبد المجيد باشا، وطمأن الأمير محمد جميع الموظفين ورجال الشرطة الذين يريدون البقاء في مناصبهم أنهم لن يعزلوا، كما طمأن أهل المدينة أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم وأن شرع الله سيطبق على الجميع.

وأرسل الأمير محمد بن عبد العزيز برقية إلى والده يخبره أن أهل المدينة بايعوه نيابة عن أبيه، وطلبوا منه إبلاغ والده بالبيعة، وأبرق رئيس البلدية والقاضي ورئيس الحرم برقيات مبايعة للسلطان، نشرتها جريدة أم القرى، ورد عليهم السلطان ببرقيات رقيقة(١).

الإدارة والموظفون:

قرر السلطان عبد العزيز تعيين ابنه محمد أميراً على المدينة، بعد أن طلب أهلها أن يكون تسليمها لأحد أبنائه، إشعاراً بمكانتها، وتكريماً لأهلها، كما قرر تعيين إبراهيم السبهان وكيلاً لأميرها.

وخلال إقامة الأمير محمد في المدينة نظر في إداراتها وموظفيها، فثبت الموظفين الذين لم يرحلوا في مناصبهم كما وعدهم، حتى ديوان الإمارة أبقى

---

١) أنظر أم القرى ع٥٥، في ٣٠ جمادى الثانية ١٣٤٤، ١٠ يناير ١٩٢٦.

فيه إسماعيل حفظي رئيساً له وهو نفسه الذي كان يرأسه زمن الهاشميين(١) كذلك ثبت قائد الشرطة مهدي بك في منصبه، والمحكمة الشرعية ثبت فيها قاضيها الأول إبراهيم عبد القادر البري وهو من أهل المدينة، وولى إدارة الخزينة النبوية -وهي التي تجمع إدارة المسجد النبوي وهيئة الأوقاف- لمحمد إبراهيم القاضي من المقيمين في المدينة، وضمت المالية إلى إدارة البلدية وعين فيها دياب ناصر حيث استقال زكي بك العراقي من إدارة المالية، وعين الشيخ زين العابدين مديراً للحرم وعين الشيخ أحمد كماخي لإدارة المعارف مكان الشيخ عبد القادر الشلبي الطرابلسي الذي كان يجاهر بالعداء للسلفيين في العهد الهاشمي، حتى إنه أغلق مدرسة العلوم الشرعية بتهمة الميل إلى الوهابية، فلما بدأ العهد السعودي عزل من منصبه ولكن لم يلحقه أي أذى، وسمح له أن يفتح مدرسة خاصة(٢).

السبهان يدير أمور المدينة:

آثر الأمير محمد بن عبد العزيز أن يلازم والده ليكون عوناً له في مواجهة المستجدات المتوالية، وترك لوكيله إبراهيم السبهان إدارة شئون المدينة بعد أن استتبت أمورها، فغادرها في الثالث من رجب عام ١٣٤٤هـ إلى جدة، التي فتحت أبوابها للسلطان عبد العزيز، ورحل عنها الشريف علي وأسرته(٣) كما غادرها إبراهيم النشمي عائداً إلى بلدته في القصيم، وأصبح السبهان هو الذي يدير شئون المدينة، فإمارة الأمير محمد -كما أسلفت- هي إمارة تكريم ووفاء لأهل المدينة.

كان إبراهيم السبهان واحداً من أعيان حائل، له صلات مع عدد كبير من أهل المدينة، وكان اختياره موفقاً لإرضاء أهل المدينة وتطمينهم، وفي

---

١) زيدان ١٢٣.

٢) زيدان ١٦٣.

٣) أم القرى ع٥٦، ٨ رجب ١٣٤٤.

الأسبوع الأول من رمضان ١٣٤٤هـ عين الملك عبد العزيز واحداً من أهل المدينة هو حمزة غوث معاوناً للسبهان(١).

السبهان والتغييرات الأولى:

كان السبهان لين الجانب رفيقاً بالناس، فمرت مرحلة التغيير الأولى دون صعوبة تذكر على أهل المدينة، ومراحل التغيير ليست سهلة في العادة وبخاصة في أوائلها، وإذا ذكرنا أن المدينة منذ أن دخلها طوسون باشا عام ١٢٢٦هـ عادت إليها كثير من البدع والمظاهر التي ستتغير في العهد السعودي، ولم تكن نفوس الكثيرين من أهل المدينة قد استوعبت هذا التغيير أو تقبلت مدلولاته، وبخاصة إزالة مقام محمد ذو النفس الزكية في طرف المدينة وهدم القباب الكثيرة المقامة على القبور في البقيع، وهدم الأبنية التي أقيمت للتبرك في عدد من أطراف المدينة، وقد شرع الإخوان منذ الأيام الأولى لدخولهم في إزالة هذه المظاهر(٢) وتصدوا لمظاهر البدع في العبادات والسلوك وداخل المسجد النبوي وكان في تصرفات بعضهم شيء من الشدة لم يألفها الحجازيون، وكان بعضهم يجتهد فيقع في بعض التجاوزات، وكان من الممكن أن تؤدي هذه التغيرات إلى مشكلات كثيرة، وكان السلطان عبد العزيز يداري الإخوان لإخلاصهم ويستجيب لطلباتهم في حالات كثيرة، وقد أمر بهدم مسجد حمزة المقام في المكان الذي استشهد فيه سيد الشهداء رضي الله عنه وقرب قبره استجابة لطلبهم، وأوقف العمل بمحطة اللاسلكي بعض الوقت إلى أن يتهيأ له إقناعهم(٣) وخلال فترة وجيزة (نجح في إقناع بعضهم، وتجاوز

---

١) أم القرى ع٦٦، ١٩ رمضان ١٣٤٤، ٢ إبريل ١٩٢٦.

٢) انظر حافظ وهبة جزيرة العرب ص٢٨.

٣) السابق ص ٢٩٤-٢٩٧.

الذين لم يقتنعوا، وفرض استخدام اللاسلكي والسيارات)(١).

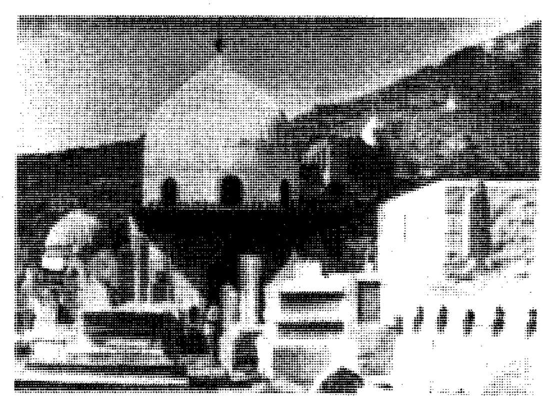
هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان لحماسة بعض الإخوان بعض الأثر في ولادة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويصف عبد الله الشهيل هذه الحالة -وهي تنطبق على المدينة- فيقول: (عند دخولهم الحجاز -يقصد الإخوان- رأوا فيه مالم يألفوه، نظراً لأوضاعه المختلفة فظنوا أن كل من يختلف معهم ليس على صواب، واعتقدوا عن حسن نية أن كل مظهر لايتفق مع ماهم عليه منكر من الواجب إزالته، وهذا صحيح بيد أن المشكلة في معرفتهم الناقصة، فنصب كل منهم نفسه حاكماً، فأخذوا يضربون المدخنين، ومرتدي الأزياء الغريبة عليهم، ويقبضون على المجتمعين لذكر أو تلاوة على اعتبار أنها بدع لم تكن موجودة عند السلف الصالح، الأمر الذي وجد معه عبد العزيز ضرورة إيقافهم عند حدهم، حرصاً على راحة الحجازيين وخوفاً من أن تمتد أيديهم -الإخوان- إلى الحجاج، مما قد يعرض علاقاته مع الدول للتوتر، وهو الذي يسعى من أجل كسب السمعة الطيبة، وثقة المسلمين، وإظهار القدرة على الضبط والربط، هذه التصرفات وضع لها الملك المؤسس حداً فبادر بتعيين مجموعة من حرسه الخاص الأشداء المعروفين بالمرونة ودماثة الأخلاق والورع، والطاعة لولي الأمر، وضع هؤلاء الحرس الذين هم محل ثقته لتأديب كل من تخوله نفسه تجاوز حدوده، وعين قاضياً للنظر فيما يحدث من تعديات الإخوان، وممارسات الأهالي والوافدين لبعض العادات المخالفة لحقيقة الدين، ومما

---

١) السابق.

يمكن اعتباره نوعاً من البدع(١) وأرسل تعليمات مشددة لتطبق في أرجاء الحجاز خلاصتها منع الجند والإخوان من ضرب المواطنين وشتمهم، وتغريم من يدخن بدلاً من جلده، وإقامة مناظرين من البلدية ليراقبوا من يتخلف عن الصلاة وتحويله إلى هيئة الأمر بالمعروف لتقرير الجزاء الشرعي عليه(٢) وقد نجح السلطان عبد العزيز في ضبط الأمور وكبح جماح المندفعين.



١ ـ القباب الضخمة على القبور والأبنية الحجرية على القبور أزالها السعوديون عند دخولهم الحجاز وعادت في عهد محمد علي باشا والعهد العثماني الثاني. ثم أزيلت نهائياً بعد دخول الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الحجاز.



٢ ـ واحد من المزارات التى كانت تملأ المدينة قبل العهد السعودي وقد كتب عليه: هذا قبر سيدنا عبدالله والد النبى ﷺ.
والمعروف أنه لا يوجد أي دليل تاريخي على صحة ذلك. وقد اهتمت جماعة الأمر بالمعروف بإزالة المزارات.

---

١) عبد الله محمد الشهيل - فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ص٧٩-٨٠.
٢) انظر معجزة فوق الرمال ١٠٤.

الانقلاب الكبير:

رأينا في التاريخ الطويل للمدينة وماحولها ماكان يعانيه الحجاج والمسافرون من قبل بعض القبائل والأفراد، والضريبة التي كانت الوفود تدفعها للقبائل المجاورة لطريق الحج لقاء تركهم يمرون بسلام. والمرتبات التي اعتاد شيوخ القبائل على قبضها من الدولة العثمانية.. بل ومن المماليك من قبلها، لقاء عدم تعرضهم للحجاج والمعتمرين.. وكان هذا أشد ما يعانيه المسلمون في حجهم.. وقد استمر تسلط قبائل المنطقة على الطريق، واستمر حصولهم على الإتاوات حتى أصبح عرفاً وحقاً يقاتلون من أجله ويستبيحون دماء المسلمين وأموالهم.. وأصبحت الإتاوات، أو ماينهبونه من القوافل المورد الوحيد أو الأكبر لتلك القبائل..

والمدهش أن أياً من الدول والإمارات المتعاقبة على الحجاز لم تستطع أن تلغي هذا العرف الإجرامي، حتى الدولة العثمانية التي بذل بعض سلاطينها الكثير في سبيل راحة الحجاج وخدمة الإسلام والمسلمين لم يستطيعوا معالجة قضية الأمن في طرق الحج وما حول المشاعر المقدسة، فتراكمت تركة القرون، وأصبح تغييرها يتطلب جهداً فائقاً وحزماً شديداً، وكان هذا العمل هو أول وأهم عمل بدأ به الملك عبد العزيز في الحجاز، إضافة إلى بناء الدولة وتنظيمها، وقد اتبع في ذلك أسلوباً ناجحاً آتى ثماره سريعاً ، فاستفاد من الآثار المباشرة لانتصاراته المتوالية في معارك الحجاز، وانسحاب الشريف علي، واستفاد من الحملات التي قام بها قائده صالح بن عدل على القبائل المحيطة بالمدينة، إذ انتشرت أخبار هذه المعارك وخلفت انطباعات قوية في نفوس القبائل بأن الملك عبد العزيز هو البطل الذي لايقهر، والإمام الذي يطبق حدود الشريعة بحزم شديد من جهة، وهو -من جهة أخرى- يعطي المحتاجين بسخاء.

استدعى الملك عبد العزيز جميع زعماء قبائل حرب وجهينة وبلى في

أواخر رجب ١٣٤٤هـ ولقيهم في منزله، ووعظهم وأكرمهم وأعطاهم، وأعلمهم بانتهاء عهد الخوف والغزو والسلب، وضرورة استتباب الأمن والاستقرار وتأمينهما، وقيام الدولة بمسؤولياتها في هذا الشأن بالاستعانة بالقبائل نفسها، وجعل كل عشيرة مسؤولة عن المنطقة التي تعيش فيها، وشيخ العشيرة هو الذي يمثلها ويتحمل المسؤولية الكبرى، فإن استطاع إدارة أمور عشيرته وتحقيق الأمن ثبت في مشيخته ونال أعطيات الدولة وإلا عزل وبدل أو عوقب(١) وربما يطلب من شيخ العشيرة المجاورة التدخل لحفظ الأمن فإن أبطأ أو عجز تدخل الجيش ليفرض النظام ويوطد الأمن، وقد أبلغ الملك عبد العزيز شيوخ العشائر العقوبات الصارمة التي ستطبق على المخالفين، ثم قسم الحجاز إلى مناطق، وحددها، وبين حدود كل قبيلة، واشترط عليهم :

١ - الالتزام بشرع الله.

٢ - أن يؤدوا الزكاة.

٣ - المشاركة في الجهاد عندما يقتضي الأمر.

٤ - المحافظة على عابري السبيل من الحجاج والجمالين والمسافرين.

وأعلن أنه ليس لهم شيء من الحقوق على الحجاج ولا على غيرهم من عابري السبيل، وأن جميع الحقوق السابقة باطلة، وليس لهم إلا مايتفضل به عليهم جلالة الملك من بيت مال المسلمين على عادته من أعطياته لرعاياه وغيرهم، ومنع العشائر من أن تقيم مضاربها على الطرق العامة، ليبقى المسافرون أكثر شعوراً بالاطمئنان على أنفسهم وأموالهم وتجارتهم، وكان هذا أول عمل جاد وحاسم ينهي مشكلة الأمن وطريق الحج التي امتدت أكثر

---

١) انظر جزيرة العرب ص ٢٢٤.

من عشرة قرون(١).

كان الملك عبد العزيز شديد الحزم في تطبيق العقوبات والحدود الشرعية، ليزرع الهيبة في نفوس القبائل التي اعتادت على العصيان وعاشت تقطع الطرق الحجاج والمعتمرين.

وقد ألغى عبد العزيز نظام المخافر التي كان العثمانيون قد أقاموها على الطريق واكتفى بتحويل مسوؤلية الأمن إلى القبائل نفسها، ومراقبة تصرفاتها ومعالجة الحالات الشاذة بسرعة وشدة. وقد أتت هذه الطريقة ثمارها ونجحت في معالجة تلك المعضلة التاريخية نجاحاً منقطع النظير. وارتفع عدد القادمين للحج فبلغ في موسم ١٣٤٥هـ مائة ألف حاج(٢) وفي السنة التالية تضاعف عدد الحجاج إلى ثلاثة أضعاف، منهم أربعون ألف حاج جاؤوا عن طريق البحر فتضاعف عدد القادمين إلى المدينة المنورة(٣).

ترتيبات إدارية جديدة:

بعد انتهاء الحكم الهاشمي مباشرة، ومبايعة الحجازيين للملك عبد العزيز شكلت في مكة هيئة تأسيسية من أربعة عشر عضواً من أهل جدة ومكة فقط وثلاثة من مستشاري الملك عبد العزيز، ولم يشارك فيها أحد من أهل المدينة، ووضعت مجموعة من التنظيمات سميت (التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية) ونشرت في جريدة أم القرى في ٢١ صفر ١٣٤٥هـ ٣١ آب ١٩٢٦م، وبموجب هذه التعليمات أصبحت الحجاز مملكة عاصمتها مكة المكرمة، منضمة إلى سلطنة نجد(٤) أحكامها مستمدة من الشريعة الإسلامية.. ولها مجلس

---

١) انظر أم القرى ع ٦٠، تاريخ ٦ شعبان ١٣٤٤، ٢٢ يناير ١٩٢٦.

٢) معجزة فوق الرمال ص ١٠٥ وانظر أم القرى ع ١٣٢، ٢٤ ذي الحجة ١٣٤٥هـ، ٢٤ يونيه ١٩٢٧م.

٣) معجزة فوق الرمال ص ١٠٥

٤) انظر تأسيس الدولة السعودية ص ٢٠٤.

شورى عام يتألف من مندوبين من مدن الحجاز وقراها وقبائلها البادية.

وقد أعلن عن تأسيس مجالس استشارية محلية في كل من مكة والمدينة وجدة وينبع والطائف للنظر في المسائل المحلية الهامة. وتكون بالانتخاب بدرجة واحدة. ونص النظام على أن يتألف المجلس الاستشاري في المدينة من ستة أعضاء سوى الرئيس.. أما الذين يحق لهم الانتخاب فهم طوائف العلماء وأعيان البلد والتجار ورؤساء الحرف والمهن. ومدة العضوية في المجلس سنة واحدة، ويختار هذا المجلس بعد انتخابه اثنين من أهل المدينة ليكونا عضوين في مجلس الشورى(١) لذلك جمع وكيل الأمير إبراهيم السبهان الذين يحق لهم الانتخاب في مقر الإمارة، وطلب منهم أن ينتخبوا أعضاء المجلس، فانتخبوا كلا من المشايخ: أحمد عطاء الله، محمد الخريجي، أبي بكر داغستاني، إبراهيم بري، ويضاف إليهم قاضي المدينة المنورة ومدير الأوقاف ومدير المالية بحكم مناصبهم(٢) وضُمَّ إليهم -لاحقاً- ناصر التركي(٣) وقد اختار هذا المجلس كلا من: عبيد مدني، وذياب ناصر، ليكونا عضوين في مجلس الشورى العام للمملكة(٤).

وشُكل أيضاً المجلس البلدي لدراسة القضايا المحلية المتعلقة بالتخطيط والعمران والشؤون البلدية عامة، ويتألف من: محمد حسن السمان رئيس البلدية رئيساً للمجلس، ومحمد القاضي، وسليمان إلياس، وعبد الله برزنجي، ويوسف حوالة، أعضاء دائمين في المجلس، وعُين أعضاء فخريون أيضاً هم: طه محمد حسين، وناصر التركي، وأحمد عطاء الله، وكامل الخوجة، وباشر المجلس أعماله بدراسة أوضاع المدينة العمرانية وتنظيم الشوارع، ووضع

---

١) معجزة فوق الرمال ص ٢٠٥.

٢) انظر أم القرى: ع ١٤٩، ٢٦ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ، ١٤ تشرين الأول ١٩٢٧م.

٣) أم القرى ع ١٧٢ - ٩ شوال ١٣٤٦.

٤) انظر أم القرى ع ٦٦، ١٩ رمضان ١٣٤٤هـ، و ع ٧٠، ٢ ذي القعدة ١٣٤٤هـ.

أنظمة للبناء و قرر عدم السماح بالبناء قبل الحصول على ترخيص مسبق، ومراقبة الأسواق. وكانت التعليمات الأساسية التي وضعتها الهيئة التأسيسية قد نصت على نظام البلدية. وهو نفسه الذي كان معمولاً في عهد الدولة العثمانية تقريباً فقد عهد إليها (العناية بنظافة البيئة وسلامة المأكولات ومكافحة الأوبئة، وتجفيف المستنقعات وتنقية المجاري والدبول، وتولي الحراسة الليلية، ومراقبة الجزارين والمنازل ومستودعات الكاز، ورصف وإصلاح وإنارة الشوارع والأزقة، وخدمة كبار ضيوف الدولة)(١). ووحد النظام القضائي وألغيت محاكم المذاهب الأربعة لما كانت تحدثه من تضارب في الأحكام، فصدر مرسوم ملكي بتوحيد النظام القضائي حسب المذهب الحنبلي تجنباً لتعطيل مصالح الناس وإنفاذاً لما يتقرر شرعاً دون إبطاء.. وألغيت المحاكمات العشائرية ووجب تعيين قاضي في كل مدينتين ومنطقة وقبيلة ترفع إليه القضايا وتنفذ السلطات التنفيذية حكمه(٢) وقد نظم القضاء تنظيماً دقيقاً وصدر به مرسوم جعله على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: المحاكم المستعجلة وتنظر في القضايا المستعجلة والبسيطة والجنح والجنايات التي لاتصل إلى حد القطع والقتل، وتتألف من قاض واحد يصدر أحكامه دون إبطاء في القضايا المعروضة عليه حسب الأولوية في تقدير الدعاوى.

الدرجة الثانية: المحاكم الكبرى.. وتنظر في القضايا الكبيرة وحالات القطع والقتل وتتألف من قاض ونائبين وتصدر أحكامها باتفاق القضاة.

الدرجة الثالثة: محكمة تنظر في الأحكام التي تصدرها المحاكم الكبرى -وقد غير اسمها إلى محاكم التمييز فيما بعد- لتتمايز بين الأحكام، فإما أن

---

١) انظر تأسيس الدولة السعودية ص ٢١٥. والدبول: جمع دبل: فتحة فوق مجرى العين الزرقاء يستقى منها الماء على شكل فم البئر.

٢) انظر السابق ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

تصدق الحكم أو تعيده إلى المحكمة التي أصدرته لإعادة النظر فيه إن وجد مايستحق ذلك. وتتألف من خمس قضاة ويعد رئيسها قاضي القضاة.. وتخضع أحكامها في القطع والقتل لتصديق ولي الأمر(١).

السيارات تصل إلى المدينة:

كانت المواصلات تعتمد على الجمال بالدرجة الأولى ولم تكن السيارات قد وصلت بعد. فأمر الملك عبد العزيز بتسيير السيارات إلى المدينة.. وأرسلت من جدة سيارتان في رحلة تجريبية، وسلكت السيارتان طريق القوافل ولقيت بعض المشقة.. ووصلت المدينة بعد ٢٤ ساعة من قيامها من جدة.. وأبرق المسؤول عن الرحلة إلى القيادة في جدة بذلك، وتوقع أن تنخفض المدة إذا أصلحت بعض أجزاء الطريق إلى خمس عشرة ساعة أو أقل من ذلك(٢).

وبعد مدة قام علي العماري برحلة بالسيارة مابين جدة والمدينة في الطريق نفسها، واضطربت رحلته عند أبيار ابن حصاني لوعورة الطريق في هذا الجزء، ثم تابع سفره إلى المدينة، وأصبح السفر -كما تقول أم القرى- بين المدينتين يستغرق ست عشرة ساعة ليس أكثر ولم تسير السيارات العمومية بعد(٣) وبعده حضر رئيس بلدية مدينة (ميرت) الهندية بسيارة خاصة، وقطع المسافة في ثلاث عشرة ساعة فقط وأخبر صحيفة أم القرى بأن منطقة أبيار ابن حصاني في حاجة إلى تمهيد الطريق لاختصار زمن السفر. ونشرت أم القرى الخبر، وصدر الأمر بإصلاح الطريق في هذه المنطقة، وظهرت سيارات قليلة في المدينة جاء بها أصحابها أو استأجروها في رحلات خاصة، وكانت هذه الرحلات إيذاناً بتدفق السيارات بعد حين.

---

١) السابق ص ٢١٤. وانظر جريدة أم القرى بتاريخ ٢١ صفر ١٣٤٥هـ، ٣١ آب ١٩٢٦م.

٢) انظر أم القرى ع ٦٥، ١٢ رمضان ١٣٤٤هـ، ٢٦ مارس ١٩٢٦م.

٣) أم القرى ع ٧٣، ١٦ ذي القعدة ١٣٤٤هـ، ٢٨ مايو ١٩٢٦م.

غير أن أكبر قافلة سيارات شهدتها المدينة هي قافلة السيارات الملكية التي وصل عليها الملك عبد العزيز في أواخر ربيع الثاني عام ١٣٤٥هـ، تلتها قوافل سيارات الحجاج في العشر الأخير من ذي الحجة في العام نفسه. وكان هذا الموسم أول سنة يركب فيها الحجاج السيارات بين مكة والمدينة، وقد استغرقت رحلاتهم ست عشرة ساعة(١).

الملك عبد العزيز في المدينة -الزيارة الأولى-:

أقام الملك عبد العزيز في جدة بعد رحيل الشريف على في قصر النزلة، وكان يتردد على مكة ويعالج شؤونها، كما يعالج شؤون القبائل ويتابع أعمال اللجنة التأسيسية المطلقة ويضع النظام الأساسي للبلاد، ومرت سنة على إقامته وهو مشغول بترتيب أمور الحجاز وإكمال بنية الدولة ومؤسساتها الإدارية، ولم تتح له فرصة زيارة المدينة وعندما شعر بأن الأمور الإدارية والأمنية قد قطعت شوطاً حسناً عزم على زيارة المدينة المنورة لتفقد أحوالها وفي نيته أن يمكث فيها وقتاً طويلاً، وقد سافرت العائلة الملكية في الأسبوع الأول من ربيع الثاني على الرواحل بينما توجه الملك إلى جدة ليسافر منها إلى المدينة بالسيارات(٢) وفي الحادي والعشرين من ربيع الثاني تحرك الركب الملكي في تسع عشرة سيارة إلى قرية العضيمة حيث استقبل أعيانها، وبات فيها ثم غادرها في الصباح إلى رابغ، واستراح فيها أيضاً بقية اليوم، ثم غادرها في اليوم التالي إلى المدينة، وقد خرج لاستقبال الموكب الملكي وكيل أمير المدينة إبراهيم السبهان ونائبه حمزة غوث وأعضاء المجلس الإداري وعدد من أعيان المدينة عند بئر درويش، حيث سلموا على الملك، ثم تابع الموكب سفره، وعند بئر عروة -في مدخل المدينة- تجمع عدد من أهاليها لاستقبال الملك، وقد توقف الموكب لبعض الوقت، ثم تابع طريقه إلى المسجد

---

١) انظر أم القرى ع ١٣٢، ٢٤ ذي الحجة ١٣٤٥هـ ٢٤ يونيو ١٩٢٧م.

٢) أم القرى ع ٨٩٦ ربيع الثاني ١٣٤٥، ١٥ أكتوبر ١٩٢٦.

النبوي، وبعد أن صلى الملك عبد العزيز فيه وسلم على رسول الله ﷺ خرج إلى قصر الإمارة حيث استقبل الأهالي، وبدأت أول أيام الزيارة(١).

وفي اليوم التالي قام الملك عبد العزيز بزيارة البقيع، وعاد لاستقبال الأهالي، وفي اليوم الثالث زار مسجد قباء وأقامت البلدية وليمة في محطة السكة الحديدية حضرها جمع غفير من المشايخ والأعيان(٢) وكانت هذه اللقاءات أول لقاءات بين أهالي المدينة المنورة والملك عبد العزيز.

تنظيمات إدارية:

أقام الملك عبد العزيز في المدينة المنورة قرابة شهرين، وكان لزيارته آثار إدارية تنظيمية كبيرة، وكان أولها تبديل وكيل أمير المدينة. فقد كانت التقارير التي تصله من قبل تشير إلى ليونة الأمير إبراهيم السبهان، الأمر الذي أتاح الفرصة لترويج بعض الشائعات عن اضطرابات حصلت في المدينة المنورة، وتعديات خارج حدودها، وقد أبرق الأمير السبهان يكذب هذه الشائعات ويؤكد استتباب الأمن والاستقرار في ربوع المدينة، غير أن التحول الكبير الذي أحدثه النظام الجديد في الأمن كان يتطلب مزيداً من الحزم والمتابعة ليزرع الهيبة في نفوس اعتادت لسنوات طويلة تخطي تعليمات الأمن، بل واعتادت الاعتداء على المسافرين والحجاج والنهب والسلب، وكانت ليونة إبراهيم السبهان داخل المدينة تتمثل في هذه التجمعات التي أحاط نفسه بها، والتي تسببت في ظهور طبقة من المقربين أو أصحاب الشفاعة، ولم يكن هذا الأسلوب يعجب الملك عبد العزيز فعزم على تغيير الأمير.

وبطريقة ما أحس بعض أهل المدينة بعزم الملك عبد العزيز على ذلك، فكتب بعض الأعيان والمقربين في مجلس السبهان عريضة للملك يطلبون فيها تثبيت السبهان، وعندما عرضت العريضة على الملك زادته يقيناً بوجود هذه

---

١) انظر أم القرى ع ١٠١.

٢) السابق.

الطبقية، فظهر الغضب عليه -كما يروي زيدان- وأصدر أمره الفوري بعزل السبهان، (فبعث إبراهيم العمير ليبلغه أنه لم يعد الأمير)(١) وقرر تعيين الأمير مشاري بن جلوي آل سعود، وكان مشاري في مكة، فلما وصله الأمر سافر إلى المدينة على الفور لاستلام عمله(٢).

عرف مشاري بالحزم والدقة في متابعة أموره والاهتمام بأمور القبائل ومسؤولياتها الأمنية، وقد تسلم عمله خلال وجود الملك عبد العزيز في المدينة.

كان الملك عبد العزيز يستقبل رواده من أعيان المدينة والقادمين إليها كل يوم، ويستقبل كبار الموظفين ويناقش معهم أمور إدارتهم تفصيلاً، وقد بدأ بالنظر في إدارة الحرم والأوقاف، ورأى أن نظامها الإداري يحمل تراكمات كثيرة من السنوات الماضية، وقد سببت هذه التراكمات فوضى وإهمالاً وزيادة في عدد الموظفين الذين ليس لهم عمل حقيقي، فالوظيفة في إدارة الحرم كانت لبعض الوقت أشبه بمناصب الشرف يسعى إليها كل من يجد وساطة أو شفاعة مسموعة لينال مسمى الوظيفة وراتبها وربما لايكون له عمل حقيقي، لذا تجمع في إدارة الحرم عدد كبير من الموظفين ليس لهم عمل حقيقي، لذا أمر الملك بتشكيل لجنة لدراسة أمور إدارة الحرم والأوقاف بدقة والبحث في أعمال الموظفين لاختيار الأشخاص الذين يصلحون للعمل، فشكلت اللجنة وقامت بدراستها وقدمت مقترحاتها، فجمع الملك موظفي إدارتي الحرم والأوقاف وأعلمهم أنه سيعيد تشكيل الإدارتين، وأعلن أسماء الذين اختارتهم اللجنة وأعفى الباقين عن العمل، وخصص لهم رواتب وأعطيات سنوية

---

١) انظر زيدان.ذكريات العهود الثلاثة ص ١٢٥.

٢) انظر أم القرى ع١٠٦، ١٨ جمادى الثانية ١٣٤٥، ٢٤ ديسمبر ١٩٢٦.

تساعدهم على العيش بكرامة(١).

كما نظر في تنظيم القضاء وشكل مجلساً قضائياً جديداً يرأسه إبراهيم بري ومحمد بن علي التركي، وقد اعتذر التركي أول الأمر عن قبول الوظيفة ولكنه قبلها عندما أصر الملك على تعيينه(٢).

وأمر الملك بتمهيد الطريق بين المدينة ومكة وينبع والمدينة والرياض، ففتح منافذ المدينة للسيارات، وكانت إمكانات الدولة متواضعة آنئذ فبدأت عمليات الإصلاح والتمهيد بقدر تلك الإمكانات وكان التركيز على تمهيد الطريق في المناطق الوعرة وشق طريق تسير فيه السيارات دون صعوبة، ولم تكن السفلتة قد بدأت بعد.

وخلال وجوده أيضاً أصدر علماء المدينة بما فيهم مفتو المذاهب الأربعة فتوى لهدم القباب المقامة على الأضرحة وهدم القبور العالية، وأصدروا فتوى حول آداب زيارة الحجرة النبوية تلغي البدع التي سادت من قبل وتقرر آداب الزيارة وفق منهج السنة النبوية، وقد وقع الفتاوى كل من الشيخ إبراهيم البري عن الحنفية والشيخ زكي برزنجي عن الشافعية والشيخ حميدة بن الطيب عن الحنبلية والشيخ محمد صادق العقبي عن المالكية(٣).

وخلال هذه الزيارة اهتم الملك بشؤون القبائل حول المدينة المنورة وزاره شيوخها ووفود كثيرة منها، ونالوا من الأعطيات والمنح، وأكد الملك على قضية الأمن وأمن الحجاج ومسؤولية القبائل عما يحدث في منطقتها، والحزم الشديد الذي سيطبق، كما وفدت وفود من الإخوان للسلام عليه، وكان قد

---

١) انظر أم القرى ع١١٢، ١ شعبان ١٣٤٥هـ، ٤ فبراير ١٩٢٧.

٢) السابق.

٣) انظر أم القرى ع١٠٤، ٤ جمادى الثانية ١٣٤٥ في ١٠ ديسمبر ١٩٢٦.



اهتم الملك عبد العزيز خلال زيارته للمدينة بأمـور أهلها وبـأمور القبـائل المحيطة بها

وجهها للإقامة في الهجر بعد انتهاء حروب الحجاز(١) وقد خرج الملك بنفسه إلى بعض الهجر ومضارب القبائل حول المدينة، وركب القطار الجاثم في محطة السكة الحديدية منذ أن وصل به عزت باشا من معان، وقام الموظفون الباقون بالمحطة بتشغيله، وركبه الملك إلى البوير مع مجموعة من حاشيته، وزار القبائل هناك ومكث معهم بعض الوقت ثم عاد به إلى المدينة المنورة، وكانت هذه الرحلة آخر ماشهده الخط الحديدي الحجازي من رحلات(٢) القطار قبل أن يدخل المستودع نهائياً ويتحول مع المحطة الكبيرة إلى جزء من الذكريات والتراث القريب، فتعزز التغيير الذي تسعى إليه الدولة.

نهاية الزيارة الملكية:

خلال إقامة الملك عبد العزيز في المدينة وصلته الأخبار من نجد بانتقاض فيصل بن الدويش ورفاقه، ومحاولته جمع بعض الأعوان والقبائل حوله،

---

١) انظر أم القرى ع ١٢٢، في ١٣ شوال ١٣٤٥هـ.
٢) انظر زيدان ص ١٢٥.

واشاعتهم أن الملك عبد العزيز يستخدم آلات السحر (السيارات والطيارات واللاسلكي) واتفاقهم على خلع البيعة ومحاربة الكفر والشرك، فقرر الملك السفر إلى الرياض لمعالجة الأمر بنفسه، والقضاء على الفتنة، فغادر الموكب الملكي المدينة المنورة في الثالث من شهر رجب عام ١٣٤٥هـ، وكان في وداعه وكيل أمير المدينة الجديد مشاري بن جلوي، وكبار الموظفين وأعيان المدينة وحشد من أهاليها.

والملاحظ أنه لم يصل إلى المدينة شيء من آثار حركة الدويش، ولم تتأثر الحياة فيها بالاضطرابات التي جرت في المناطق الشرقية وعلى الحدود العراقية والكويتية، طيلة السنوات الثلاثة التالية(١) وكان الناس يتناقلون أخبارها فيما تنشره جريدة أم القرى بين الحين والآخر وما تحمله الركبان القادمة من الشرق(٢).

المدينة في وكالة مشاري بن جلوي:

تولى وكالة الإمارة مشاري بن مساعد بن جلوي إثر إنهاء وكالة إبراهيم السبهان من أول رجب عام ١٣٤٥هـ، وكان مشاري سبق أن تولى إمارة الطائف وعرف بالحزم الشديد(٣) وأسهم في استقرار الأمن في المدينة وحولها، فالتدبيرات الأمنية التي اتخذها الملك عبد العزيز وألزم القبائل بها لابد من متابعتها، وكان على أمراء المناطق مسؤولية المتابعة، ولم يكن أفراد القبائل جميعهم قد استوعبوا التغيير الذي أراده عبد العزيز وأخذوا به، لذلك كانت تحدث تعديات هنا وهناك، وإغارات على بعض المسافرين، في الطريق وخارج سور المدينة، وكان على وكيل الإمارة أن يتعقب هذه التعديات ويعاقب

---

١) انظر تفصيل حركة الإخوان وتمرد الدويش في الزركلي ص ٤٧١-٥٠٧.

٢) انظر الزركلي ص ٤٧٢/٤٧٣.

٣) انظر حافظ وهبة جزيرة العرب ص ٢٨٤، انظر أم القرى ع ١١٤، ١٥ شعبان ١٣٤٥.

مرتكبيها عقاباً رادعاً لغيره، وقد أقيمت الحدود في المدينة وفي بعض القرى والمناطق التابعة لها وقتل عدد من القتلة وقطعت أيدي بعض السارقين وقاطعي الطريق وعوقب -عقوبات تعزيرية- المشاغبون والمفسدون والذين لايلتزمون بتعليمات الإمارة، وطارت أخبار هذه العقوبات بين القبائل في محيط المدينة، وأخذت هيبة الدولة تتعزز، وأصبح من النادر أن تقع جريمة قتل أو سرقة.

وشهدت مواسم الزيارة قبل الحج وبعده تطبيق بعض الحدود، ليكون ذلك أنكل وأكثر عبرة.

تطورات في التعليم:

أنشئت إدارة المعارف باسم الإدارة العامة للمعارف في مملكة الحجاز وباشرت عملها في غرة رمضان ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م وهدفها كما جاء في وثيقة تأسيسها (نشر العلوم والصنايع وافتتاح المكاتب والمدارس وحماية المعاهد العلمية مع فرط الدقة والاعتناء بأصول الدين في كافة المملكة الحجازية)(١) وسارعت الإدارة ففتحت المدارس العثمانية المغلقة (الرشيدية). وبعد سنة أنشئ مجلس للتعليم كان أول ماقام به ((توحيد مناهج التعليم)) ووضع أسسه في مختلف المراحل والعمل على تعميمه في جميع أرجاء البلاد..

كان التعليم على ثلاث مراحل: الابتدائي -الاعدادي- الثانوي ومدة كل منهما تختلف من مدرسة إلى أخرى.. إلى أن صدر نظام التعليم عام ١٣٤٧هـ ١٩٢٨م فعين بموجبه مناهج التعليم الابتدائي وعدد سنواته. وكذا الاعدادي ثم

---

١) أم القرى ٢١ صفر ١٣٤٦هـ، ٣١ آب ١٩٢٦م.

الثانوي(١).

المدينة في وكالة عبد العزيز بن إبراهيم:

أمضى مشاري بن جلوي عدة أشهر في وكالة إمارة المدينة، نشط خلالها في تتبع قضايا أهل المدينة والقبائل المحيطة بها، وأصيب بالمرض فطلب إعفاءه من منصبه ليتسنى له الراحة والعلاج، ولكن الملك عبد العزيز رأى ضرورة استمراره على رأس عمله لينجز ما بدأ به، خاصة وأن المرض لم يكن شديداً عليه، فلم يجد مشاري بداً من الاستمرار، ولكن المرض اشتد عليه بعد مدة، فكرر طلبه، وأكد حاجته إلى الراحة، فاستجاب له الملك عبد العزيز وأعفاه من منصبه، وعين مكانه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم أحد أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

كان الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم قد تولى إمارة الطائف أيضاً في فترة التغييرات الأولى من العهد الهاشمي إلى العهد السعودي، واشتهر بالحزم والشدة، وقد أعفاه الملك عبد العزيز من منصبه بعد أن استتبت الأمور واستبقاه في معيته، وعندما ظهرت الحاجة إلى من يدير أمور المدينة ويهتم بمتابعة الجانب الأمني بين القبائل أصدر الملك مرسوماً بتعيينه في منصب وكيل الأمير، وذلك في العاشر من ربيع الثاني ١٣٤٦هـ وعين ياسين الرواف وكيل الحكومة في دمشق سابقاً معاوناً له، وتضمن مرسوم التعيين وصية طويلة للأمير الجديد تبين حدود عمله وتطلب منه ألا يشتد على الناس وأن يستعين بمجلس الإدارة، كما يكلف المرسوم معاونه بالنظر في الأمور الداخلية والتعاون مع المجلس الإداري لاتخاذ القرارات على أن تعرض على وكيل الأمير ليصادق عليها، أما أمر بادية المدينة فأوكل إلى عبد العزيز بن إبراهيم نفسه، وقد رافق المرسوم خطاب موجه لأهل المدينة يوصيهم بالتعاون مع عبد العزيز بن إبراهيم ويطمئنهم أن ماشتهر عنه من الشدة مبالغ فيه، وأنه شديد

---

١) انظر تأسيس الدولة السعودية ص ٢٤١.

بالحق وحسب، ويخبرهم بحل المجالس السابقة وتشكيل مجالس جديدة قائمة على لجنة الإصلاح والتفتيش بدراسة الأوضاع. ونظراً لأهمية هاتين الرسالتين نورد فيما يلي مقاطع منهما(١).

أولا: رسالة الملك إلى عبد العزيز بن إبراهيم ونائبه:

من عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى المكرمين عبد العزيز بن إبراهيم وياسين الرواف، سلمهم الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

فإن الأمر الذي آمرك به أنت ياعبد العزيز بن ابراهيم أنك وكيل المدينة على شرط أن تراعي الناس، وتأخذهم بالحق واللين والطمأنينة، وهناك الحاضرة والبادية، أما الحاضرة فلك النظر في جميع الأمور التي تخالف الشرع أو تخل بالولاية أو تضر بالأهلين، وابن الرواف ينظر مع مجلس الإدارة فيما تحتاج إليه البلد من أمور داخلة ضمن صلاحيتهم المقررة، ولكن لايمضي شيء من ذلك إلا بإمضائك له بعد استيفاء المعاملات المقررة ومراجعة النيابة فيما يحتاج المراجعة، وأما البادية فمرجعها كلها إليك ليس لمجلس الإدارة تداخل فيها، ولا بد لك من مراجعة النيابة في أمر البادية وإدارتها كما تعلم.

أكرب وجهك وأرخ يدك، أما القتل والنكال فهذا لانجيزه إلا إنفاذاً لأحكام الشرع، وينبغي لك ألا تنفذ من الأحكام: كالقتل، والنكال الشديد أو الحبس الطويل إلا بعد مراجعة النيابة ونوال تصديقها.

واحرص كل الحرص على الطرق وأمانها، وهذا لاتستبقي فيها جهداً إلا نفذته، وعمدة أمري إليك أن يكون الناس جميعهم راضين عنك، حاضرتهم وباديتهم، وألا تمضي أمراً إلا بقضاء الشرع، لأن ذلك أتم لأمر الله وأحسن للنفوس، وافهم أن الناس كلهم يتهمونك بالشر، ولكن أملي بك أن تبدل ظنهم

---

١) انظر أم القرى ع١٤٨، ١٨ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ، ١٤ تشرين الأول ١٩٢٧.

فيجعلهم يتهمونك بالخير، وأكبر ماأوصيك به أولا: تقويم أمر الله، وتنفيذ أمر الشرع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعهدهم بما يحتاجون إليه من المساعدة، ثم لاتجعل لك من جميع الموظفين، بل اجعلهم جميعاً أصدقاء وبعيدين، افطن لخدمتك ولا تجعل لأحد منهم حق تدخل في أمر من الأمور، وأكثر مايأتي الأمراء الخراب من قبل خدامهم.

إن الحلم في محله زين، والغضب زين في محله.

(والكتاب طويل تناول فيه تعليمات خاصة في الإدارة والأنظمة)(١).

ثانياً: من رسالة الملك إلى أهل المدينة:

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فقد استأذننا ولدنا مشاري ترويحاً لنفسه من المرض الذي أصابه، ولم نأذن له لأول الأمر، ثم لما اشتد به المرض لم نر بداً من الرخص له.

وقد أمرنا عبد العزيز بن إبراهيم أن يكون وكيلاً للإمارة، وأن يكون ياسين الرواف معاوناً له.

وقد أرسلنا من قبل هيئة التفتيش والإصلاح للنظر في شؤون البلد، وقد فوضناهم في إمضاء بعض الأمور الضرورية، فيمكنكم مراجعتهم وتقديم الشكايات من كل شيء لهم، فما كان داخلاً في صلاحيتهم أصلحوه، وما لم يكن داخلاً في صلاحيتهم رفعوه إلينا، لهذا فقد برئت ذمتنا من قبلكم، وأصبحتم أنتم المسؤولين عن خلاص أنفسكم إن لم تبدوها.

وقد أمرنا بحل مجلس الإدارة ومجلس البلدية ومجلس الأوقاف، وأمرنا بتجديد الانتخاب لهذه المجالس الثلاثة، فعليكم بانتخاب الرجال الأكفاء الذين فيهم صلاح لأمر الدين والدنيا.

وهذا وكيل أمير المدينة قادم إليكم، وربما بلغكم أخبار شدته، وهذا أمر لا حقيقة له، إنه شديد على العاني، حبيب لمن سلك الطريق المستقيم، وعرف

---

١) انظر أم القرى: ع ١٤٨، ١٨ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ، ١٤ تشرين الأول ١٩٢٧م.

حق نفسه، وزيادة على هذا فقد أوصيناه بما يلزم، وأكدنا عليه التأكيد التام في جميع الأمور التي لانغيرها إن شاء الله تعالى، وأما أعماله فهي قائمة بحول الله على الأحكام الشرعية، وقد أمرناه ألا يظلم مثقال حبة، وأمرناه أن يجري في أمور الدوائر حسب ماهو مقرر لها في النظم التي أمرنا بوضعها موضع العمل من قبل كل دائرة بحسب ماقرر لها لايتعداه، ولا يتداخل فيه الا بإمضاء الأوامر التي هو مأذون بإمضائها، وله النظر في جميع مايجري مخالفاً لما شرع وتقرر فيما كان في البلد من أمور جزئية فيمضي فيه على الوجه المشروع، وما كان مرجعه النيابة فهو يعتمد أمر النيابة فيه، وأوصيناه بالرفق وتقديم أوامر الله والأخذ بيد من قام بها، وستلقونه كما ذكرنا لكم وأكثر إن شاء الله، وأنتم تتساعدون وإياه على البر والتقوى، وتجتهدون في حسم مادة الشقاق والقيل والقال.

نرجو من الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته. ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦هـ).

كان عبد العزيز بن إبراهيم كسلفه مشاري حازماً، بل كان أكثر حزماً، وكان دقيقاً في متابعة أموره وأوامره، شديداً في العقوبات، وإليه يعزى فضل استقرار الخطة الأمنية التي وضعها عبد العزيز للحاضرة والبادية في مناطق المدينة المنورة، وقد بدأ عمله بتقوية الإمارة عسكرياً، فزاد من عدد شرطتها ورجالها، وحرص على الاتصال بشيوخ القبائل واستقدامهم دورياً وبحث أمور قبائلهم، وتكليفهم بإنفاذ أوامر الدولة وتعليمها في مطاردة المخالفين ومرتكبي الجرائم وإحضارهم، وإعلان التخلي عنهم في حالة عجزهم عن إحضارهم، وثمة روايات كثيرة شهدها زوار المدينة تظهر مدى الهيبة التي استطاع أن يفرضها في المنطقة، والتي أورثت أمناً وأماناً عجيبين، حتى إن اللقطة كانت تبقى مكانها في الطريق ولا يجرؤ أحد على أخذها خشية أن تضبط معه ويتهم بسرقتها أو إخفائها فيعاقب.

تغييرات إدارية:

أمر الملك عبد العزيز بتشكيل لجنة التفتيش والاصلاح للنظر في الأمور الإدارية في مختلف الإدارات الحكومية في مناطق الحجاز كلها ونشرت جريدة أم القرى الرسمية مرسوم تشكيل اللجنة في عددها ١٣٤ بتاريخ ٨ محرم ١٣٤٦هـ الموافق ٦ اغسطس ١٩٤٦م. وتضم كلاً من صالح شطا، شرف عدنان، يوسف قطان، عبد الرحمن القصيبي، محمد صالح ناصيف، حافظ وهبة، سفيان باناجه، وفؤاد حمزة سكرتيراً لها.

سافرت اللجنة إلى المدينة في أوائل ربيع الاخر ١٣٤٦هـ نهاية أيلول ١٩٢٧م ووافق ذلك انتهاء وكالة مشاري بن جلوي وقبول استقالته بعد أن اشتد المرض عليه، وبدأت اللجنة عملها بزيارة الإدارت الرئيسية ودراسة أمورها دراسة متعمقة، وقد مكثت اللجنة أكثر من شهر لم تترك خلاله إدارة إلا ونظرت في أمورها، ثم عادت إلى جدة ورفعت تقاريرها إلى الملك، وضمنته توصياتها بإجراء تعديلات في الإدارات ومديريها... وصدرت من الديوان الملكي قرارات أحدثت تعديلات كبيرة في القائمين على تلك الإدارات.. فقد أعادت تشكيل مجلس إدارة المدينة وعين فيها المشايخ التالية أسماؤهم: أحمد عطاء الله، محمد الخريجي، أبو بكر داغستاني، إبراهيم بري ويضم إليهم -وفق ما تنص عليه التعليمات الأساسية- قاضي المدينة المنورة ومدير الأوقاف ومدير المالية بحكم مناصبهم، ثم عين الشيخ ناصر التركي عضواً جديداً بعد عام(١).

وشكل المجلس البلدي برئاسة محمد حسن السمان وعضوية المشايخ، محمد القاضي، وسليمان إلياس، وعبد الله برزنجي، ويوسف حوالة، يضاف إليهم أعضاء فخريون هم: طه محمد حسين، وناصر التركي، وأحمد عطاء الله، وكامل خوجة.

---

١) انظر أم القرى ع ١٧٧، ١٤ ذو القعدة عام ١٣٤٦هـ.

وفي إدارة الحرم عين الشيخ عبد الجليل المدني مديراً للحرم، والسيد أسعد معاوناً له. وفي إدارة الأوقاف عين حسين طه مديراً للأوقاف، وصالح حكيم معاوناً له. وعين في العضوية الفخرية للمجلس كل من: عبد الجليل مدني، وإبراهيم التركي، وناصر بن عقيل، وأبي بكر داغستاني، وسعود دشيشة... وعين الشيخ زكي برزنجي قاضياً في المحكمة المستعجلة، والشيخ أحمد حمدي مديراً لإدارة بيت المال التابعة للمحكمة، والشيخ أحمد خليفي رئيساً للمحكمة المستعجلة. ومما يلفت النظر في القرارات الصادرة تعيين مدرسين في الحرم المدني على رأسهم الشيخ ألفا هاشم، والشيخ محمد الهلالي، والشيخ محمود شومل.

وشكلت إدارة جديدة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من رجال عرفوا بالتعقل وحسن التصرف، وكان على رأس الهيئة الشيخ أحمد جمال الليل يعاونه صالح بن عبد الله الزغيبي ومعهم ثمانية أعضاء وكاتب ومراسل.

ويلاحظ في هذه التعيينات أنها استقطبت عدداً كبيراً من وجوه المدينة وأبناء العائلات البارزة المقيمة فيها، وأن الشخصيات المختارة تتصف بحسن السمعة والتصرف، وأن بعضها له تاريخ في شَغْل مناصب الإدارات السابقة للإدارة السعودية الجديدة سواء في عهد الهاشميين أو العثمانيين، وهذا تأكيد على طي التاريخ السابق وفتح صفحات جديدة من الحياة المترابطة والمطمئنة.

ويلاحظ أيضاً أن القرارت الصادرة بناء على توصيات لجنة التفتيش والإصلاح قد عاقبت مدير شرطة المدينة بحسم راتب أسبوع من مرتبه الشهري بسبب تقصيره الإداري، ونصت على فصل أحد ضباط الشرطة لسوء سلوكه، وفصل ضابط آخر لأنه (ليس من سلك الشرطة) وهذا يعني أن ذلك الضابط قد دخل الوظيفة من خلال بعض الثغرات الإدارية وحصل على الرتبة

دون استحقاق. وفي الوقت نفسه حمل القرار ترقية ضابطين لحسن أدائهما(١) ونظراً لما حققته لجان التفتيش من فوائد للإدارات الحكومية فقد اقتنع الملك عبد العزيز بضرورة قيام هذه اللجنة بجولات دورية على الإدارات لمراقبة سير العمل فيها وتحسينه، فبعد سنة من جولة اللجنة السابقة أمر الملك عبد العزيز بتشكيل لجنة أخرى سميت (لجنة البحث والتدقيق) مهمتها النظر في أمر الدوائر الحكومية... وكان أعضاؤها كل من: صالح شطا، محمد صالح ناصيف، عبد الله الفضل، سليمان قابل، عبد الرحمن القصيبي، حسان رويحي، يوسف ياسين، ومعهم عضو مجلس الشورى عن المدينة المنورة ذياب ناصر (٢) وقد زارت هذه اللجنة الإدارات المختلفة في مدن الحجاز، ومنها المدينة المنورة، ورفعت تقاريرها للملك. ولم تحدث على إثر زيارة هذه اللجنة أية تغييرات إدارية مهمة، الأمر الذي يوحي باستقرار الأعمال الإدارية وسيرها على نحو حسن غالباً.

رمادة ومبرة:

أصاب منطقة المدينة وغيرها من مناطق الجزيزة العربية قحط شديد في عام ١٣٥٠هـ، وضاقت الأمور بالقبائل خارج المدينة فليس لديهم موارد سوى الرعي وبعض الزراعة، وشحت الأمطار ولم تنبت الأعشاب، وظهر الهزال على المواشي وبدأ بعضها ينفق، فزحفت جموع من البادية ومن القبائل المقيمة ما بين الحرمين وغيرهم إلى أطراف المدينة يسألون العون، وتجمعوا في شمال المسجد النبوي في المنطقة الممتدة مابين الداودية والعطن، ولم تكن ميزانية الإمارة تملك الأموال الكافية لتعطي المحتاجين، وتكاثر البدو وأبناء القرى المجاورة في أطراف المدينة يبدو عليهم الشحوب والهزال، ونقلت أجهزة

---

١) انظر أم القرى ع ١٤٩، ٢٦ ربيع الاخر ١٣٤٦هـ، ١٤ تشرين الأول ١٩٢٧ م.

٢) أم القرى ع ٢٣٢، ٢٩ ذو الحجة ١٣٤٧هـ، ٧ يونيو ١٩٢٩م.

اللاسلكي أخبار القحط إلى الملك عبد العزيز، فأمر الملك بإغاثتهم وإقامة مبرة لهم وتأمين وجبات يومية لجميع الوافدين، وكان معظم الوافدين من شرقي المدينة وشمالها، أما القبائل القاطنة غرب المدينة فكان لهم مصادر أخرى تؤمن لهم حاجاتهم الأولية مدة القحط، منها تأجير الجمال للنقل، ومنها صنع الفحم من بقايا الأشجار، بينما لا يملك أبناء المناطق الشرقية والشمالية ذلك، وامتلأت المدينة بالنازحين إليها من قبائل ولد محمد، ومن بني رشيد، ومن مطير، ومن إليهم. وازداد الطين بلة عندما ظهر فيهم مرض الجدري وأصاب العديدين، وسارع وكيل أمير المدينة لتنفيذ أوامر الملك عبد العزيز، فأقام المبرة في المنطقة التي ينزل بها الوافدون، وعهد بإدارتها إلى مدير مالية المدينة ناصر عبد الله، وأسهمت التكية المصرية في تخفيف المصيبة، فكانت توزع الخبز وحساء الرز على من يصل إليها، وكان الزحام شديداً بحيث لايجد بدوي الطريق إليها(١) وأسهم المقتدرون من أهل المدينة في إطعام الجياع، وفتك المرض وسوء التغذية بالعديدين من الوافدين إلى المدينة وحولها، وبذلت إدارة الصحة جهوداً مضنية في معالجة المصابين وتحصين غير المصابين، وكثر عدد الموتى بين الوافدين، حتى إن بعضهم لم يوجد من يحمله سوى ثلاث نساء(٢) وقد استمرت هذه الضائقة إلى نهاية هذا العام، حيث وصلت إعانات من جهات عدة، وهطلت بعض الأمطار

---

١) زيدان. ذكريات العهود الثلاثة ١٧٨.

٢) المصدر السابق ١٧٩، وقد عالجت الحكومة الأزمة الإقتصادية بحكمة بالغة، واستقدمت خبيراً مالياً من ألمانيا هو (فان لي ون) ليكون مستشاراً لوكالة المالية لمدة عام، وأمرت بتخفيض الإنفاق الحكومي، وشكلت لجان لمراقبة المصروفات وترشيدها. انظر: أخبار هذه الضائقة: المصدر السابق: ١٧٩، جريدة صوت الحجاز ع٣ في ذي الحجة ١٣٥٠هـ، وجريدة أم القرى ع ٣٧٧، في ٢١ شوال ١٣٥٠هـ، و ع ٣٧٩ في ١٠ ذي القعدة ١٣٥٠ و ع ٣٨٥ في ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٠هـ.

فاستبشر الناس خيراً، وبدأ الوافدون من البادية والقرى يعودون إلى مناطقهم.

الأمن والأمان:

بدأت مرحلة جديدة من الحياة الإدارية والاجتماعية في المدينة المنورة بعد تولي عبد العزيز بن إبراهيم وكالة الإمارة وبعد تشكيل الإدارات الجديدة، ولعل أهم ما تتصف به هذه المرحلة هو الحزم في تنفيذ أوامر الدولة، وخاصة في مجال الأمن داخل المدينة وخارجها.. فقد عرف عن ابن إبراهيم اهتمامه الشديد يتعقب أية جريمة أو حتى مخالفة، وتطبيق العقوبة الرادعة، إن حداً وإن تعزيراً.

وكانت المناطق الريفية للمدينة المنورة في حاجة إلى ذلك الحزم، فأَمْنُ طريقِ الحجاجِ قابل للانتقاض في أية فرصة يظهر فيها ضعف الإدارة والتساهل مع المخالفين، وما زال بعض البدو الذين كانوا يحصلون على إتاوات سنوية من الحجاج، أو يحصلون على مكاسب مما ينهبونه من رواحلهم وأمتعتهم الشخصية، يحنون إلى الدخل الذي انقطع عنهم، فلا بد من إدخال الرهبة إلى قلوبهم وإشعارهم أن الدولة تطالهم ولو بعد حين وحيثما كانوا إذا ارتكبوا جريرة ما..

ثم هنالك بعض القبائل في الشمال، وبخاصة قبيلة بلي التي تسكن في منطقة (الوجه) لم يستقر أمرها نهائياً، فشيخها حامد بن سالم بن رفادة ينتظر الفرصة لإعلان التمرد، ويتعقب موظفي الحكومة والجباة والدعاة إذا دخلوا مناطق قبيلته. ومنطقة الوجه هي امتداد طبيعي للمناطق التي تسكنها قبائل جهينة وحرب المحيطة بالمدينة، ووجود أي ضعف في إدارة المدينة يفتح الباب لانتشار التمرد وانتقاله إلى قبائل المدينة.

وقد نجحت خطة عبد العزيز بن إبراهيم الحازمة في وقف أي إمتداد لتمرد ابن رفادة، ولعصيانه الذي حدث عام ١٣٤٧هـ، ثم لزحفه من الشمال

عام ١٣٥٠هـ ومقتله على أيدي القوات السعودية. فلم يظهر أي أثر لحركته وعصيانه في منطقة المدينة المنورة رغم وجود أفخاذ من العشائر لها صلة قرابة مع قبيلة بلي، فيما ظهرت لها بعض الآثار في جدة ومكة، حيث قام بعض أنصارها بترويج إشاعات غير صحيحة، فتتبعتهم السلطة وقبضت عليهم على الفور(١).

تطورات حضارية في المدينة:

شهدت المدينة في فترة إمارة عبد العزيز بن إبراهيم تطورات شتى في جوانبها الإدارية والعمرانية والاقتصادية والثقافية.

ففي عام ١٣٤٦هـ بدأت شركة الكهرباء توسيع خدماتها بعد أن كانت مقتصرة على الحرم وساحاته.. فمدت أسلاكها إلى الشوارع الرئيسية والمخازن وبعض البيوت وأمدتها بالتيار الكهربائي.. وبعد سنتين تطور أداء المحطة الكهربائية وتضاعف عندما تبرع محسنان من الجزائر بمحرك لتوليد الكهرباء قوته ٤٠ حصاناً، ووصل المحرك مع الأسلاك اللازمة والمصابيح وبدأ تشغيله في شوال ١٣٤٨هـ وقد خصص هذا المحرك لمد المسجد النبوي وساحاته بالكهرباء(٢) وفي الوقت نفسه كان عدد من الأهالي يحضرون محركات خاصة صغيرة تزود بيوتهم وبيوت بعض الجيران بالكهرباء(٣).

ونشطت الحركة التجارية في السوق، وانتظم السفر بين المدينة ومكة بالسيارات، وارتفع عدد الوافدين إلى الزيارة في المناسبات المختلفة، فبلغ عدد القادمين في عيد الفطر عام ١٣٤٦هـ ٦٠٠ شخص خلال ثلاثة أيام فقط،

---

١) انظر أم القرى ع ٣٩٤ صفر ٢٦ ١٣٥٣هـ، ١ يوليو ١٩٣٢م.

٢) أم القرى ع ٢٢٧، ٢٨ شوال ١٣٤٨هـ/ ٢٨ مارس ١٩٣٠م.

٣) ع ١٦٦، ١٨ شعبان ١٣٤٦هـ، شباط ١٩٢٨م.

وهذا عدد كبير بالقياس إلى السيارات القليلة الموجودة آنئذ(١).

ولا شك أن دخول السيارات له أثر في الحياة الاقتصادية، إذ يفتح المجال لفرص عمل جديدة، ويزيد نشاط السوق التجارية وحركة الخدمات الفندقية والمطاعم بسبب ازدياد عدد الزائرين، لذلك بدأت المدينة تشهد انتعاشاً اقتصادياً يعوضها عن سنوات الفوضى وضعف الإدارة والحصار.

كما نشطت الحركة الثقافية في هذه المدة، وسار التعليم في المدينة المنورة بجناحين متوازيين: الأول تقيمه الدولة، وقوامه المدرسة الناصرية في باب الكومة والمدرسة المنصورية في الهاشمية -طريق السكة الحديد- ومدرسة النجاح في الداودية. والثاني يقيمه بعض الأهالي، وهو أشبه بمؤسسات خيرية، قوامه مدرسة العلوم الشرعية ومدرسة دار الأيتام ، فضلاً عن حلقات الدراسة في المسجد النبوي الذي نظم بقرار من الملك عبد العزيز وعُين مدرسوه وتوافد عليه الطلاب.

وهذا النشاط الذي كان يقوم به بعض أبناء المدينة والمقيمين فيها في فتح المدارس ونشر التعليم على حسابهم الخاص، أو بالاستعانة ببعض التبرعات يستحق وقفة قصيرة في تاريخ المدينة، فبفضل الله أولاً ثم بفضلها، أو لِنَقُلْ بفضل حماسة أولئك المتنورين، استمر التعليم في المدينة في أصعب أوقاتها، وبفضلهم ظهرت عدة مدارس أهلية خاصة لم تكن تتقاضى أية رسوم من الطلاب، وعلى العكس من ذلك كانت تساعد الطلاب أحياناً وتدفع لهم مايضمن استمرارهم في التعليم إن كانوا فقراء، وبفضلها أيضاً بدأ تعليم البنات فيها مبكراً.

وسنقف وقفة قصيرة عند مدرستين خرجتا عدداً كبيراً من رواد المثقفين والإداريين، وكان لهم فضل كبير على الحركة الثقافية في المدينة المنورة في هذا الجيل، وهما مدرسة العلوم الشرعية، ودار الأيتام، دون أن نغمط فضل

---

١) أم القرى ع ١٧٢، ٩ شوال ١٣٤٦هـ، ٣٠ مارس ١٩٢٨م.

المدارس الأخرى، ونكتفي بهذين النموذجين هنا لأنهما الأظهر، ونحيل القارىء إلى المصادر التي تحوي التفاصيل(١).

مدرسة العلوم الشرعية:

يرجع تأسيس هذه المدرسة إلى العهد الهاشمي، غير أن نشاطها الكبير وأثرها الواضح في أبناء المدينة تجلى في العهد السعودي، وفي هذه الفترة بالذات، فقد غدت أكبر مؤسسة تعليمية، وخرَّجت نخبة من المثقفين النشيطين الذين تسلموا مناصب مهمة، أو أصبحوا من الأدباء والمفكرين ورجال الصحافة والإعلام.

وقد أنشأ المدرسة السيد أحمد الفيضي آبادي، الذي قدم من الهند عام ١٣١٦هـ مع والده واستوطن المدينة، وترجع أصول أسرته إلى الحسينيين الذين هاجروا في القرن الخامس إلى الهند واستوطنوا مدينة فيض آباد.

كان أحمد الفيضي آبادي واحداً من حملة العلوم الشرعية، وعندما جاء عبد العزيز الجاويش وشكيب أرسلان إلى المدينة لإنشاء كلية صلاح الدين اعتمدوا عليه في الإشراف على البناء. ولما توقف العمل في الكلية فكر أحمد الفيضي آبادي بإنشاء مدرسة متقدمة للعلوم الشرعية.. وقدم طلباً للجهات الرسمية فلم ينل الموافقة.

وفي العهد الهاشمي عاودته الفكرة وألحت عليه، فاستعان ببعض الأثرياء الهنود لتمويل مشروعه، فأعانوه بمبالغ بسيطة مكنته من أن يستأجر مبنى

---

١) المدارس الباقية هي:

❃ دار الحديث أنشأها الشيخ أحمد الدهلوي عام ١٣٥٠هـ.

❃ المدرسة الخيرية: أنشأها الشيخ محمد صالح عبد الفتاح شرف عام ١٣٥١هـ، وأنشأ فيها قسماً مسائياً إضافياً لتعليم الكبار.

❃ مدرسة التهذيب الخيرية: أنشأها الشيخ عبد الرحمن محمد العربي الإدريسي عام ١٣٥٢هـ، وكانت قبل ذلك كتاباً.

متواضعاً قرب الحرم يبدأ به مشروعه وذلك في عام ١٣٤٠هـ. وتقدم بطلب للترخيص فحصل عليه عام ١٣٤١هـ.

ورغم إمكاناته المتواضعه نجح في اجتذاب الطلاب كما نجح في توفير المال اللازم من تبرعات الحجاج الهنود وغيرهم... ولم تكن مدرسة العلوم الشرعية المدرسة الوحيدة في المدينة، فقد كان إلى جانبها أربعة مدارس رسمية، غير أن تخوف بعض الأهالي من المدارس الرسمية جعلهم يرسلون أبناءهم إلى مدرسة العلوم الشرعية. وما لبث أن اتهم أحمد الفيضي آبادي بأنه يروج للوهابية في مدرسته وأنه يدرس الكتب التي يعتمدها الوهابيون، وأرسل معتمد المعارف الشيخ عبد القادر الطرابلسي لجنة للتحقيق مع صاحب المدرسة والمدرسين وللنظر في المناهج المقررة، فأكدت اللجنة التهمة، وأصدر الطرابلسي قراره بإغلاق المدرسة. فانتقل أحمد الفيضي آبادي بطلابه إلى المسجد النبوي وبدأ يدرسهم علناً المواد التي كانت مقررة في مناهج مدرسته، وهي لاتخرج عن كتب الحديث والتفسير المعتمدة عند أهل السنة والجماعة. وأرسل إلى الشريف حسين في مكة يتظلم ويستصدر أمراً بإعادة المدرسة.. فاستجاب له الشريف حسين وأصدر أمراً يسمح فيه بإعادة المدرسة.

وكانت الحكومة الهاشمية قد دخلت مرحلة المواجهة الأخيرة مع السعوديين.. وما لبث السعوديون أن دخلوا الحجاز وأخرجوا الهاشميين. وأغلقت المدارس الهاشمية في المدينة وألحق طلابها بالمدرسة الناصرية وهي المدرسة الحكومية الوحيدة.. فوقفت مدرسة العلوم الشرعية إلى جانبها تحمل معها عبء تعليم أبناء المدينة المنورة في بقية العقد الخامس الهجري..

وزاد الإقبال عليها بفضل نظامها التعليمي المتقدم ومناهجها المكثفة وأصبحت في العقد السادس أكبر مؤسسة تعليمية في المدينة، فقد بلغ عدد طلابها في عام ١٣٥٨هـ أربعمائة طالب، وبلغ عدد مدرسيها ٣٤ مدرساً

واثني عشر إدارياً وموظفاً.

وكان في المدرسة قسمان: قسم الشهادة الابتدائية، ومدة الدراسة فيه ست سنوات يدرس فيها الطلاب القرآن الكريم ويحفظه كله في السنوات الثلاثة الأولى والتوحيد والحديث والتفسير والفقه وعلوم اللغة والنحو والصرف والحساب والهندسة والجبر والعلوم والتاريخ والجغرافيا وينال في نهاية الدراسة الشهادة الابتدائية.. وكانت مناهجها تفوق مناهج المرحلة الإعدادية في عصرنا هذا.

وهناك مرحلة دراسية تسبق هذه الشهادة هي الشعبة التأسيسية مدتها سنة واحدة يتعلم فيها الطالب مبادئ القراءة والكتابة والحساب وهي مرحلة اختيارية.

ثانيا : شعبة العلوم العربية

ومدة الدراسة فيها أربع سنوات يدرس فيها الطالب أمهات كتب الفقه على المذاهب الأربعة وكتب التفسير والحديث والأصول والنحو والصرف وبعض الدواوين القديمة. وتفوق مناهجها مناهج الشعبة الأدبية في المرحلة الثانوية في زمننا هذا. لذا كان خريجو هذه الشعبة على درجة عالية من الثقافة وكانوا مؤهلين للتدريس، وقد عين عدد منهم في التدريس بموجب شهادتهم هذه. كما عين بعضهم في الوظائف الإدارية المتقدمة، كعبد القدوس الأنصاري الذي عين في ديوان إمارة المدينة المنورة..

كانت المدرسة تدفع إعانات للطلاب المحتاجين وتمنح المكافآت التشجيعية لحفظة القرآن والمتفوقين. وكان مدرسوها نخبة من خيرة رجال العلم في المدينة المنورة وكان فيهم من يدرس في المسجد النبوي إلى جانب تدريسه في المدرسة.

وقد خرجت المدرسة منذ افتتاحها إلى عام ١٣٥٩هـ ١٨٧ طالباً من حفظة القرآن الكريم و٦٧ طالباً من حملة الشهادة الابتدائية و٣٠ طالباً من

حملة شهادة العلوم العربية العليا.

ومن خريجي هذه المدرسة الذين تبوأوا مناصب مهمة فيما بعد محمد علي الحركان رئيس رابطة العالم الإسلامي ومحمد عمر توفيق وزير المواصلات وعبد القدوس الأنصاري الأديب والمؤرخ المعروف ومؤسس مجلة المنهل ومحمد الحافظ قاضي المحكمة الشرعية الكبرى في المدينة وعبد العزيز الربيع الأديب المعروف ومدير التعليم ورئيس النادي الأدبي في المدينة ومحمد هاشم رشيد الشاعر المعروف والرئيس الثاني للنادي الأدبي بالمدينة المنورة وعبد الفتاح أبو مدين الأديب المعروف ورئيس النادي الأدبي في جدة وغيرهم كثير.

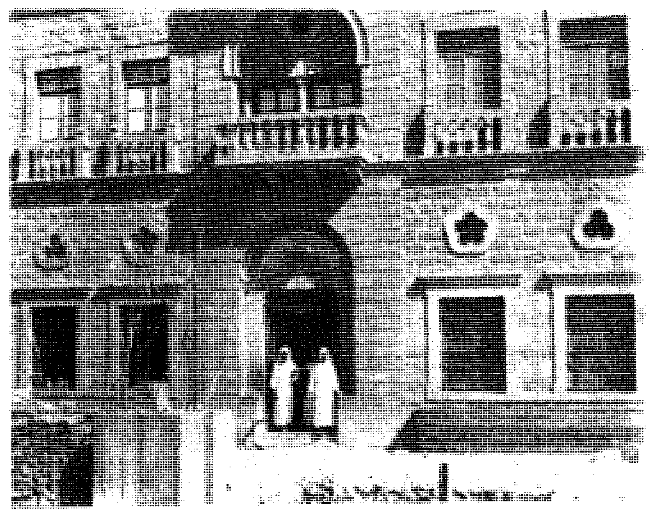
وقد أشرف السيد أحمد الفيضي آبادي بنفسه على المدرسة وأدارها حتى وفاته عام ١٣٥٨هـ. واشترى لها أرضاً وباشر بناء مبنى ثابت لها. وتوفى قبل أن يتم البناء فانتقلت إدارتها إلى ابن أخيه السيد حبيب محمود أحمد الذي قفز بها قفزات واسعة في المراحل التالية وجعلها صرحاً تعليمياً متميزاً في المدينة المنورة... وما زالت المدرسة تحت اشرافه(١).

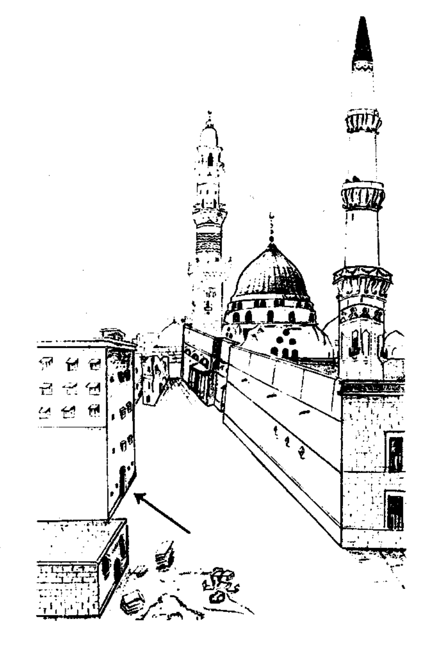
دار الأيتام:

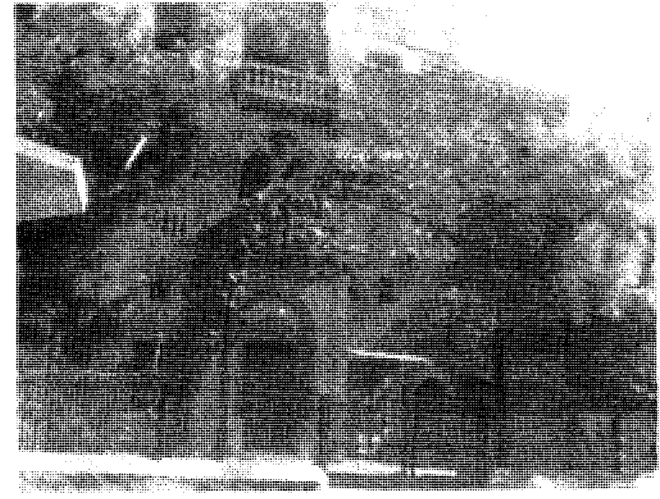
طبيعي أن تستلفت الجوانب الإنسانية بعض الغيورين المتنورين لإقامة مشروع خيري عظيم هو مشروع دار للأيتام، وكان رائده عبد الغني الدادا أحد التجار المقيمين في المدينة المنورة، فقد لفت نظره كثرة وجود الأيتام، وبخاصة من أبناء البادية المحيطة بالمدينة، بسبب الفتن والاضطرابات التي اشتدت أواخر العهد العثماني وخلال العهد الهاشمي، وبسبب وجود الغزو والثأر والمشاركة في بعض الجيوش، فضلاً عن المجاعات التي تحصد عدداً

---

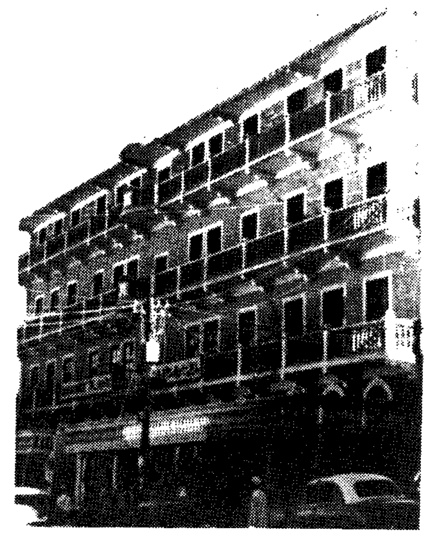
١) استقيت المعلومات الأساسية عن المدرسة وتطورها من كتاب مدرسة العلوم الشرعية. تأليف د. محمد عيد الخطراوي. مكتبة دار التراث. المدينة المنورة ١٤١١هـ.







١ ـ مدرسة العلوم الشرعية وتطور مبانيها منذ إنشائها حتى اليوم.



٢ ـ مدرسة دار الأيتام.



٣ ـ المبنى الحالي لمدرسة العلوم الشرعية.

غير قليل من حين إلى آخر.. والنتيجة من ذلك موت عدد كبير من الرجال الذين يتركون وراءهم أطفالاً صغاراً، وإذا تذكرنا الحالة الإقتصادية القاسية آنئذ أدركنا ظروف المعيشة الصعبة التي يعيشها أولئك الأيتام.. وطبيعي أن هذه الظروف لن تمكنهم من دخول المدارس، بل ستجعلهم يفتشون منذ نعومة أظافرهم عن أي مصدر رزق يؤمنون به لقمة عيشهم.. ولو كان مصدراً حراماً أو يؤدي إلى الجريمة والانحراف، لذلك فإن رعاية هؤلاء اليتامى هو إحياء لأنفس ووقاية لمجتمع.

تحمس عبد الغني الدادا لمشروع إقامة دار الأيتام، وبدأ المشروع بحماسة كبيرة، ونشط في جمع الأموال من بعض تجار الهند، واستأجر مبنى قرب الحرم وجهزه تجهيزاً بسيطاً ليكون جزء منه للإقامة والنوم والطعام والطبخ، وجزء آخر للدراسة، وثالث للعمل، وقد فكر المنشؤون أن يجعلوا التعليم حرفياً، أي أن يتعلم الطفل في الدار مع المنهج النظري حرفة عملية.

وشجعهم على ذلك أحد التجار الهنود الذي قدّم مشروعاً لإنشاء مدرسة صناعية للأيتام يزودها بآلات النسيج.. وقد تقدم هذا التاجر بالمشروع إلى الجهات الرسمية وحصل على الموافقة، ونشرت جريدة أم القرى الخبر في عددها رقم ٤٤٣ بتاريخ ١٥ صفر ١٣٥٢هـ.

غير أن مشروع التاجر الهندي لم ير النور، فقد سافر صاحبه إلى الهند ليحضر آلات النسيج ولم يعد، وانقطعت أخباره وغاب معه مشروعه..

وكان الأثر الوحيد له لفت أنظار منشئي دار الأيتام إلى ضرورة التنشئة الحرفية للأيتام، ليخرجوا إلى الحياة العملية مزودين بخبرة جيدة يعتمدون بها على أنفسهم..

ونظراً لضيق الإمكانات لم يتمكن المنشئون من إقامة معامل فنية كبيرة، واكتفوا بمعامل بسيطة تنتج بعض الحاجات الأساسية من المواد الخام المتوافرة في البيئة، كالحقائب والأحذية والكراسي، ثم أقاموا بعد مدة معملاً

صغيراً لتعليب التمور المحلية، واستعانوا بشاب درس في أمريكا الهندسة الصناعية، فعلم الطلاب كبس التمر في قوالب ولفه على شكل مربعات صغيرة ليحفظ من الدود وليباع إلى الحجاج بسعر أفضل(١) وقام على إدارة المدرسة ومعملها حسني العلي الضابط السابق في الجيش العثماني.

كانت فكرة إقامة معامل إنتاجية في مدرسة الأيتام ناجحة إلى حد كبير، وقد أفادت أهالي المدينة المنورة في سنوات الحرب العالمية الثانية، واستطاعت أن تؤمن لهم عدداً من الحاجات البسيطة التي شحت بسبب ظروف الحرب، أهمها الأحذية والحقائب والكراسي وبعض الأدوات المنزلية.. وقام أحد أساتذتها المهرة بإنشاء مسكب يدوي للمعادن لإنتاج بعض المصنوعات من حديد (الزهرة) ودرب الطلاب على صناعة القوالب الرملية وصب المعادن فيها، وقد بلغ من براعته -كما يروي بعض شهود العيان- أنه بدأ يصب أجزاء من محركات السيارات (البستم) ليعوض عن فقدها في السوق، مستخدماً المحركات المستهلكة... وقد حققت هذه العملية دخلاً لابأس به للمدرسة وساعدتها على الصمود في ظروف الحرب الصعبة.

لقيت دار الأيتام بعض الصعوبات وبخاصة في فترات الضائقة الإقتصادية حيث تشح التبرعات ويحتار القائمون عليها كيف يوفرون احتياجاتها الأساسية. وقد مرت بعدة أزمات وكان العاملون فيها لايتقاضون رواتبهم الضئيلة، وقد ازداد عدد طلابها وارتفع من (٤٠) طالباً أول إنشائها إلى (١١٩) طالباً، ثم إلى (١٣٦) طالباً عام ١٣٤٧هـ، ولم يعد المبنى الصغير قادراً على استيعابهم، فانتقلت المدرسة إلى مبنى أكبر، وأصبح الإيجار عبئاً جديداً على الموازنة المضطربة.. فدعا القائمون عليها إلى إنشاء مبنى جديد خاص بالدار يضمن استمرارها، ونشروا الأخبار والإعلانات لذلك وبدؤوا يستقبلون التبرعات وينشرون أسماء المتبرعين وما جادوا به في جريدة

---

١) انظر جريدة المدينة المنورة ع ٢٠، ١٢ ص ١٣٥٦هـ، ١٩ أغسطس ١٩٣٧م.

المدينة(١).

وكانت دار الأيتام تستفيد من زيارات بعض كبار الزائرين الوافدين إلى المدينة فتقيم حفلة استقبال لهم وتلقى الكلمات ويدعى وجوه أهل المدينة، وكانت هذه الحفلات تنتهي بتبرعات سخية.

وفي إحدى المرات زار المدينة طلعت حرب مؤسس بنك مصر وصديق الملك عبد العزيز، وكان معه الكاتب المعروف أحمد أمين نائب مدير جامعة القاهرة يرافقهما الوزير عبد الله سليمان، وذلك في شوال ١٣٥٤هـ الموافق يناير ١٩٢٦م. وصادفت زيارتهم موعد إقامة الحفل السنوي للمدرسة فدعوا إليها ودعي إليها وجهاء أهل المدينة، وألقيت الكلمات الحماسية فتحركت النفوس وانهالت التبرعات وبلغت ثمانية وعشرين ألف ريال، وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت، كما أسفرت عن أمر الوزير عبد الله بن سليمان بشراء المسكن الذي تقيم فيه الدار من مالكها لتكون مركزاً دائماً يضمن استقرارها واستمرارها(٢).

وما لبثت الدار بعد ذلك أن احتوتها الرعاية الملكية فأمر الملك عبد العزيز بضمها إلى دار الأيتام في مكة تحت إدارة سلطان مهدي(٣).

أبناء المدينة في أول بعثة تعليمية:

لم يكن في الحجاز أو نجد أية دراسة جامعية، وكان معهد المعلمين هو أعلى مستوى دراسي يمكن أن يبلغه الطالب، لذلك اتجهت أنظار المسؤولين إلى إرسال بعثات تعليمية إلى بعض الجامعات خارج المملكة لتكوين جيل رائد من المثقفين ثقافة جامعية حديثة.

فأرسلت إدارة المعارف في الحجاز ونجد إلى كافة الإمارات لترشيح عدد

---

١) انظر جريدة المدينة ع ١٣٩، ٤ محرم ١٣٦٩هـ، ١٢ فبراير ١٩٤٢م.

٢) انظر زيدان ١٧٤.

٣) السابق نفسه.

من الطلاب في تخصصات مختلفة. وكان الطلاب الذين تنطبق عليهم الشروط المطلوبة للجامعات قليلين. وقام مندوبوا المعارف في كل إمارة باختيار الطلاب المتفوقين وشكلت أول بعثة تعليمية للخارج، وتقرر سفرها إلى مصر للدراسة في جامعاتها، وكان فيها ثلاثة من أبناء المدينة المنورة هم: أحمد العربي، وقد رشح لدراسة القضاء الشرعي في جامعة الأزهر. وولي الدين أسعد رشح للدراسة في دار العلوم، وحمزه نائل دويدار رشح للدراسة في كلية الزراعة. وسافرت البعثة في رجب عام ١٣٤٦هـ(١) وبعد سنتين من سفر هذه البعثة سافر أحد أبناء المدينة المنورة في أول بعثة تخصصية عليا وهو الدكتور محمد خاشقجي، الذي ابتعث إلى أوربا للتخصص في أشعة رونتكن(٢).

تطور المواصلات البرية:

شهدت المدينة في هذه الفترة تطوراً في المواصلات وحركة الزائرين والحجاج، فقد استفادت من دخول السيارات إلى المملكة بكثافة وإنشاء أكثر من شركة نقل، فضلا عن السيارات المملوكة لأفراد يعملون عليها.

بدأت حركة المسافرين بالسيارات تزداد من جدة ومكة، فقد وصل إلى المدينة في ربيع الأول عام ١٣٤٩هـ ١٥٦١ شخصاً من مكة و٢٣٩٣ شخصاً من جدة(٣) ثم افتتح خط للسفر بين ينبع والمدينة يستخدمه القادمون من مصر، وقد بلغ عدد القادمين عليه في موسم حج ١٣٥٠هـ ٤٥٠٠ حاج وهو عدد كبير بالقياس إلى عدد السيارات الموجودة ومتاعب السفر آنئذ. فقد كان الطريق بين مكة أو جدة إلى المدينة تستغرق ست عشر ساعة. ومن ينبع إلى المدينة ست ساعات.

---

١) انظر جريدة أم القرى ع١٦٣، ٤ شعبان ١٣٤٦هـ، ٢٧ ١٩٢٨م.
٢) انظر جريدة أم القرى ع ٢٧١ في ١٥ رمضان ١٣٤٨هـ، ١٤ فبراير ١٩٣٠م.
٣) انظر أم القرى ع ٣٠٣ في ٤ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ.

وفي عام ١٣٥٢هـ بدأ تعبيد الطريق بين مكة والمدينة. فبدأت ورش العمل في تمهيد الطريق باتجاه مسيجيد ولم تكن هناك سفلته بل مجرد تسوية للأرض(١) وقد مهدت منطقة أبيار بن حصاني التي كانت تتعب المسافرين وتطيل مدة السفر فانخفضت المدة من ست عشرة ساعة إلى إثنتي عشرة ساعة.

وفي العام التالي ١٣٥٣هـ اتجهت الأنظار إلى الجهة الشرقية لتسيير السيارات بين المدينة ونجد. ووصل وفد من العراق لدراسة فتح الطريق التي يسير عليها الحجاج القادمون من الشرق وبخاصة الحجاج العراقيون وتم الاتفاق على تشكيل لجنة مشتركة لذلك وأن يقوم المهندسون والمساحون بالكشف على الطريق في رجب عام ١٣٥٣هـ وشكلت لجنة من مسؤولي المدينة برئاسة حمزة غوث وعضوية المهندس الشريف راجح عدنان ومهندس البلدية كنعان. وجاءت لجنة من العراق، وقامت اللجنتان السعودية والعراقية بالكشف على الطريق وأعدت تقريراً مفصلا رفعته إلى الديوان الملكي في مكة المكرمة. وصدر قرار بفتح الطريق في ذي القعدة من عام ١٣٥٣هـ(٢) وجاءت قوافل السيارات لأول مرة من الطريق الشرقي إلى المدينة تحمل الحجاج العراقيين. وفتحت الطريق لكل من يقطن شرقي المدينة المنورة للقدوم عليه بالسيارات.

وقبل أن ينقضي هذا العام، ويصح أن نسميه عام السيارات، تحركت قافلة من السيارات من دمشق إلى المدينة تضم ممثلين عن أصحاب شركات السيارات ومجموعة من العلماء وأعيان دمشق وتجارها، وكان من بينهم الشيخ علي الطنطاوي. وقد نظم القافلة وأشرف عليها مندوب الحكومة السعودية في دمشق ياسين الرواف. وكان غرض القافلة افتتاح طريق الحج القادم من سورية. وقد سافرت القافلة في الطريق السلطاني -طريق المحمل الشامي

---

١) انظر أم القرى ع ٤٧٧ في ١٧ شوال ١٣٥٢هـ.

٢) انظر أم القرى ٥٣١ في ١١ ذي القعدة ١٣٥٣هـ.

سابقاً- ووصلت القافلة إلى المدينة في أواخر ذي الحجة عام ١٣٥٣هـ وأقيم لها حفل استقبال في مبنى البلدية، وزار الوفد وكيل الإمارة وعدد من أعيان أهل المدينة. ثم غادرها إلى مكة في أوائل محرم لإداء العمرة. فأكملت هذه القافلة افتتاح طرق السيارات من جهات المدينة كلها(١).

وداخل المدينة كان الطريق الذي شقه فخري باشا إلى قباء قد اندرست معالمه. فبعد رحيل العثمانيين عاد أصحاب البساتين التي شقت فيها الطريق وأغلقوا بساتينهم في وجه العابرين واستعادوا الأرض التي خصصت للطريق. واضطر المتجهون إلى قباء لاستخدام الطريق القديم الملتوي. فأعادت البلدية دراسة الطريق وبدأت بشقه ثانية في رجب عام ١٣٥١هـ. وقد اشترى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بعض القطع المملوكة لأصحاب البساتين من ماله الخاص وأوقفها للطريق، وتبرع بعضهم الآخر بالقطع التي سيمر بها الطريق من أرضه. وقبل نهاية العام كان المتجهون إلى قباء يسيرون على طريق مستقيمة تبدأ بباب العنبرية وتنتهي بمسجد قباء يختصر نصف مسافة الطريق القديم الملتوي. وقد روعي في إنشائه أن يكون عريضاً يتسع لمرور سيارتين على الأقل لتتمكن السيارات من السير فيه. وفي موسم الزيارة بعد حج ذلك العام كانت السيارات تسير عليه.

تطوير البريد:

وفي ربيع الأول عام ١٣٤٨هـ بدأ تطوير مرفق هام في المدينة المنورة وهو مرفق البريد، وكان البريد حتى ذلك الوقت ينتقل على الجمال السريعة ويستغرق من المدينة إلى مكة مابين يومين إلى ثلاثة أيام، ومع دخول السيارات اتجهت الأنظار اليها لتقوم بمهمة نقل البريد واختصار الزمن، وقامت إدارة البريد باستيراد عدد من السيارات، ونظمت رحلات النقل بين مكة والمدينة، وبدأتها برحلة إسبوعية واحدة، حيث تقوم السيارة من مكة أو جدة

---

١) انظر أم القرى ع ٥٣٨ في ١ محرم ١٣٥٤هـ.

-حسب إقامة الملك عبد العزيز- يوم السبت وتقطع المسافة في خمس عشرة ساعة إلى المدينة، ثم تعود إليها يوم الثلاثاء، وتحمل الرسائل الحكومية والأهلية و(الطرود)، ثم بدأت باستقبال (الحوالات) المالية لقاء رسم بسيط. وكانت سيارة البريد تحمل إضافة إلى أكياس الرسائل و(الطرود) والأموال بعض المسافرين بين المدينتين، وقد ظلت هذه الرحلة الأسبوعية إلى أن زيدت وصارت رحلتين في الأسبوع، واحدة يوم الإثنين والأخرى يوم الخميس(١) وكانت أسرعَ وسيلة مواصلات حتى ذلك الوقت.

---

١) أم القرى ع ٥٨٨.

زيارة ملكية خاطفة:

سافر الملك عبد العزيز من المدينة إلى الرياض في ٣ رجب ١٣٤٦هـ -كما أسلفنا- لمعالجة تمرد الدويش، وقد حضر المؤتمر الذي عقد في الرياض لهذا الشأن وأشرف على وضع الترتيبات اللازمة للمواجهة العسكرية التي بدأها الدويش ورجاله، وقام بجولات على عدد من المدن والهجر ومراكز القبائل في نجد، وقرر العودة إلى الحجاز بعد أن يزور القصيم وحائل.

ووصلت الأخبار بتوجه الموكب الملكي من حائل إلى المدينة بالسيارات، فاستعد وكيل الإمارة وكبار المسؤولين والأعيان لاستقباله، وأقيمت الأقواس ونصبت الأعلام والزينة، وجهز سرادق كبير في محطة العنبرية لإقامة حفل إستقبال مناسب. وفي صباح يوم الأربعاء ١٢ ذو القعدة ١٣٤٦هـ. وخرج وفد على رأسه وكيل الإمارة عبد العزيز بن إبراهيم وفيه الشيخ زكي برزنجي وعيد مدني وإبراهيم بري وكامل حجا وأسعد أسعد وعبد العزيز الخرجي وذياب ناصر وسعود دشيشة وغيرهم للقاء الموكب في منطقة الصويدرة. وعند وصول الموكب استقبله الوفد، ثم رافقه إلى المدينة وبدأ بالمسجد النبوي فصلى فيه وسلم على رسول الله ﷺ وعلى صاحبيه، ثم خرج إلى السرادق المقام في محطة العنبرية، وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة تحية للملك.. وخرج الطلاب والشرطة وعدد كبير من الأهالي لإستقبال الملك.. وفي السرادق أقيم احتفال قصير ألقيت فيه كلمات الترحيب وبعض القصائد.

وفي المساء أقام وكيل الإمارة مأدبة عشاء على شرف الملك حضرها كبار المسؤولين وأعيان أهل المدينة.

وفي اليوم التالي الخميس ١٣ ذو القعدة ١٣٤٦هـ زار الملك البقيع ومسجد قباء، وعند الظهر أقامت البلدية حفل غداء باسم أهالي المدينة احتفاء بالملك وقد حضره جمع غفير من المسؤولين والأهالي... وبعد العصر استقبل الملك الأهالي في مقر الإمارة واستمع إلى طلباتهم وبحث معهم شؤون

المدينة. وفي اليوم التالي الجمعة ١٤ ذو القعدة ١٣٤٦هـ غادر الموكب الملكي المدينة المنورة إلى جدة وكان في وداعه حشد كبير من أهلها في مقدمتهم وكيل الإمارة وكبار المسؤولين.

المدينة المنورة ومجلس الشورى:

عندما دخل الملك عبد العزيز مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ جمع أعيانها وعلماءها وطلب منهم انتخاب مجموعة منهم ليكونوا بمثابة هيئة استشارية تساعده في إدارة أعمال المنطقة والبت في قضايا، فاختار أهل مكة اثني عشر شخصاً تألف منهم مجلس سمي ((المجلس الأهلي)) وصدر بيان ملكي عهد إليه فيه النظر في نظام المحاكم الشرعية وتدقيق مسائل الأوقاف، ووضع نظام للأمن الداخلي وسن لوائح للبلدية ولصحة العاصمة ولنشر التعليم الديني فيها وتعميم القراءة والكتابة وتنظيم التجارة ووسائل البرق والبريد(١).

وعندما دانت مناطق الحجاز الأخرى للملك عبد العزيز، قرر الملك عبد العزيز تعديل المجلس السابق ليمثل المدن الحجازية والعشائر ويمثل مكة المكرمة ٤ أعضاء، ويمثل المدينة المنورة اثنان، واثنان من ينبع، وعضوين من الطائف، وثلاثة من العشائر(٢) وقد اختير من المدينة المنورة: يعود الدشيشة ودياب ناصر لعضوية أول مجلس، واستمرت عضويتهم.

وكان عمل هؤلاء في مكة غالباً، وينتقل إلى الطائف عندما تنتقل إليها الحكومة صيفاً.

وقد أسهم العضوان في مناقشات المجلس واتخاذ القرارات في القضايا المعروضة عليه وكانت في غالبيتها قضايا بناء الهيئات في الدولة أو إعادة بنائها.

---

١) الزركلي ١/٥٧١.

٢) أم القرى ٢١ صفر ١٣٤٥هـ.

وقد استمرت عضويتهما في المجلس لعدة سنوات إذ أعيد انتخابهما في الدورات التالية عام ١٣٤٧هـ ثم ١٣٤٩هـ(١) وعندما توفى سعود دشيشة في السنة نفسها عين مكانه حمزة عوث(٢).

ويعزى إلى أعضاء مجلس الشورى السعي في استصدار عدد من القرارات التي أفادت المدينة المنورة فائدة مباشرة، ومنها قرار إعفاء المسافرين إلى المدينة من الرسوم والكوشان التي كانت مفروضة عليهم منذ القديم(٣) ومنها: تعليمات هيئة الأدلاء بالمدينة المنورة، وهي الهيئة التي تقوم بخدمة الحجاج وتسهيل زيارتهم للمدينة المنورة. ونظام دائرة الأوقاف في المدينة المنورة. وتعليمات مديرية الحرم النبوي التي أعادت بناء الهيكل الإداري لهذا المرفق الإسلامي المهم وبينت تسلسل وظائفه وحددت مسؤوليات كل وظيفة.

وتعليمات هيئة العين الزرقاء، وهي الإدارة المسؤولة عن تأمين المياه لأهالي المدينة المنورة، ونظام فرع لجنة الصدقات بالمدينة، وتعليمات مصنع السجاد والكليم بالمدينة.

فضلاً عن الأنظمة العامة لهيئات وإدارات الدولة وكافة والتي لها فروع في المدينة المنورة. بدءاً بنظام الأمراء والمجالس الإدارية ووصولاً إلى التعليم والمدارس والمستشفيات والنقل... الخ.

والحقيقة أن مجلس الشورى هو الذي أقام الهيكل الحقيقي لإدارات الدولة الجديدة وطور الإدارات القديمة، وكانت الأنظمة والتعليمات التي يقرها من اعداده أحياناً ومن اعداد لجان مختصة في جهات مختلفة أحياناً أخرى لكنها تعرض عليه مناقشتها ويقرها أو يدخل عليها شيئاً من التعديلات.. وكان

---

١) انظر أم القرى ع١٩٥ ٧ ربيع الأول ١٣٤٩هـ ١ أغسطس ١٩٣٠م.

٢) أم القرى ع ٣٠٥، ١٨ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ، ١٨ اكتوبر ١٩٣٠م.

٣) انظر أم القرى ع٦٥٢، ١١ ربيع الأول ١٣٥٦هـ، ١١ مايو ١٩٣٧م.

يرأس المجلس منذ تأسيسه الأمير فيصل بن عبد العزيز.

المدينة تشارك في المجهود الوطني:

مرت البلاد بحالة صعبة في مطلع العقد السادس من القرن الهجري الرابع عشر أي منذ عام ١٣٥٠هـ فقد قامت ثورة ابن رفادة في الشمال وثورة الأدارسة في الجنوب تلتها الحرب مع اليمن لتثبيت الحدود وإنهاء مشكلة الأدارسة. وكانت هذه الحالة تقتضي تعبئة عامة ومشاركة وطنية واسعة في تغطية نفقات الأعباء العسكري، فضلاً عن الضائقة الإقتصادية العامة التي كانت تمر بها المنطقة. فشكلت في المدن الكبرى لجان الإسعاف الوطني لتلقي التبرعات ودعم المجهود العسكري ومواجهة الضائقة العامة.

وقد أسهمت المدينة في هذا المجهود الوطني، فتشكلت فيه لجنة الإسعاف الوطني في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٢هـ وكانت برئاسة وكيل الإمارة. وقد أقامت اللجنة حفلاً خطابياً حضره أعيان المدينة تحدث فيه الخطباء عن ضرورة دعم المجهود الوطني العام وفتح باب التبرع. وتبرع الموجودون بسخاء، وواصلت اللجنة أعمالها بعد ذلك. وقد نشرت صحيفة أم القرى قوائم بأسماء المتبرعين. واستمر عمل اللجنة مدة طويلة وبعد ثلاث سنوات تشكلت جمعية القرش برئاسة عبد الله الخريجي، وأصدرت طوابع قيمة كل طابع قرش واحد، واستطاعت أن تجمع به مبلغاً وافراً أسهمت فيه بدعم المجهود الوطني العام.

تغيير في وكالة المدينة:

أمضى عبد العزيز بن إبراهيم قرابة عشر سنوات في منصب وكيل أمير المدينة، وكان دؤوباً في تتبع قضايا الإمارة، شديد الحرص على توطيد الأمن داخل المدينة وحولها. وقد تناقل الناس أخباراً كثيرة عن دأبه الشديد ومتابعته الدقيقة، ويبدو أن إرهاق العمل قد أثر على صحته، فمرض ولما اشتد عليه المرض طلب من الملك عبد العزيز إعفاءة من منصبه فاستجاب له

الملك عبد العزيز وصدر الأمر الملكي بإعفاءه من منصبه وتعيين عبد الله بن سعد السديري في منصب وكيل أمير المدينة اعتباراً من التاسع من شهر صفر عام ١٣٥٥هـ ونشر القرار في جريدة أم القرى في ربيع الأول عام ١٣٥٥هـ، وسافر عبد العزيز ابن إبراهيم للعلاج.

المدينة في وكالة عبد الله بن سعد السديري:

كان عبد الله بن سعد السديري قد تولى إمارة تبوك قبل تعيينه في المدينة، وكانت له خبرة إدارية جيدة. وقد وصل إلى المدينة مساء يوم الأربعاء في الثامن والعشرين من شهر صفر ثم غادرها إلى منطقة عشيرة حيث ينزل الملك عبد العزيز لمقابلته وتلقي توجيهاته حول منصبه الجديد، ومالبث أن عاد إلى المدينة في الثالث من ربيع الأول وبدأ مهام عمله فاستقبل أعيان المدينة وكبار الموظفين والمهنئين بتعيينه، وحادثهم في أمور المدينة واستمع لآرائهم واقتراحاتهم ووعد ببذل الجهد لخدمة المدينة وتطويرها.

وقد امتدت وكالة السديري عشرين سنة إلى ١٣٧٥هـ شهدت المدينة خلالها تطورات عدة في مجالات التعليم والثقافة والإقتصاد والعمران والمواصلات.

إلغاء ضريبة السفر إلى المدينة:

منذ القديم كانت موارد الحج فصلا مهماً في موارد إمارة الحجاز وسكانها. وقد طبق أمراء الحجاز في فترات وحدتها، وأمراء المدينة في فترات استقلالهم عن مكة، أسلوب استيفاء ضريبة من القادمين إلى مكة والمدينة. وصارت هذه الضريبة عرفاً ثابتاً على مدى سنين طويلة، وفي فترات قليلة كان الخلفاء والسلاطين وبعض الأمراء يسقطونها -كما فعل صلاح الدين الأيوبي- مقابل مبالغ يدفعونها لأمراء المدينة تعويضاً لهم عن دخلهم من تلك الضريبة. وقد استمرت هذه الضريبة في العهود المتوالية وكانت ترتفع وتنخفض حسب الأوضاع الإقتصادية وحسب رغبات الأمير.

وعندما بدأ العهد السعودي كانت ميزانية الدولة ضعيفة وفي حاجة لموارد تغطي نفقاتها فضلاً عن النفقات العسكرية الكبيرة. فظلت تلك الضريبة قائمة باسم ضريبة السفر، وكانت تستوفى في مداخل المدينة المنورة.

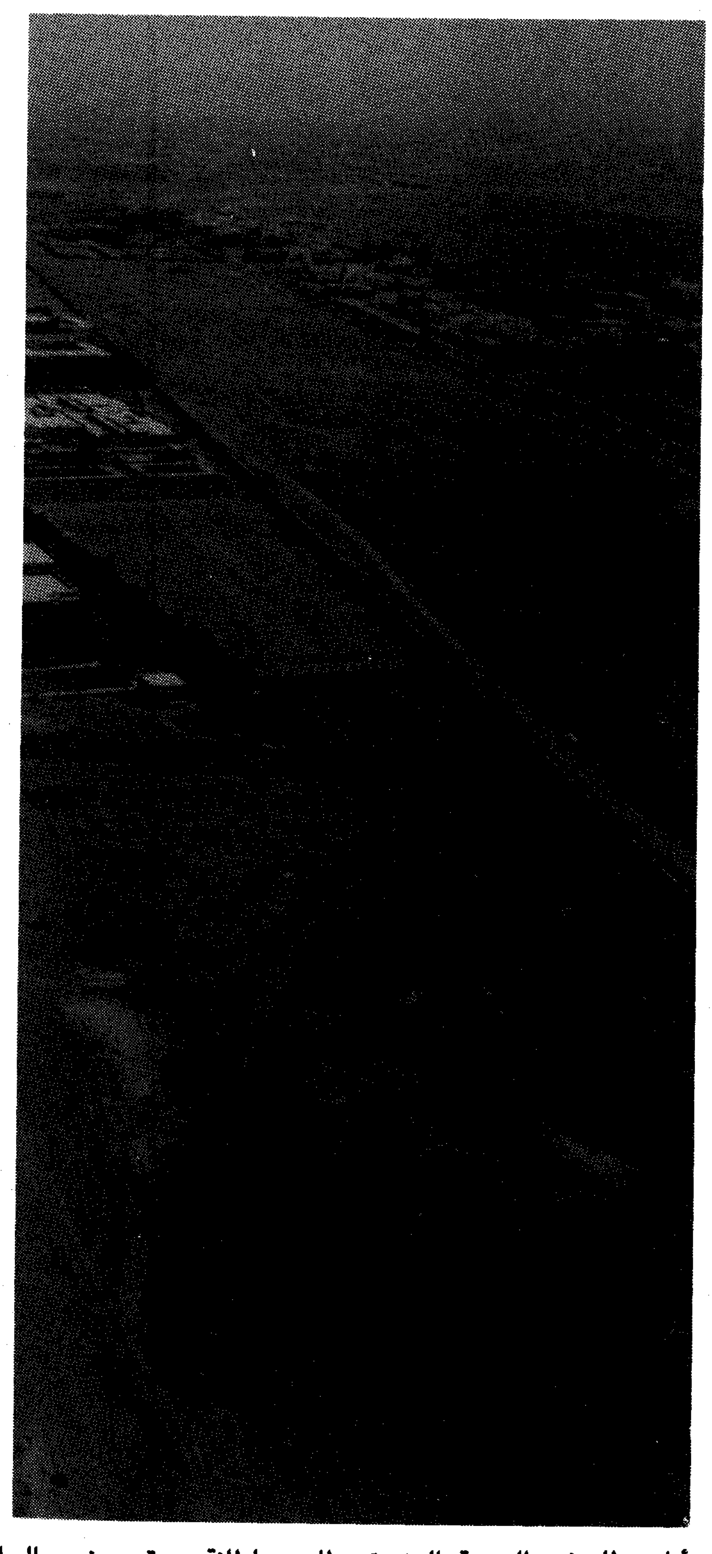
ولما ظهرت ملامح الاستقرار الاقتصادي في الدولة السعودية اتجهت الدولة نحو تخفيف الأعباء الضريبية. وقد طرح مندوبا المدينة المنورة في مجلس الشورى اقتراحاً لإلغاء ضريبة السفر إلى المدينة لتشجيع الزائرين للقدوم إليها سواء من داخل المملكة أو خارجها، ورفع الإقتراح إلى الملك عبد العزيز فوافق عليه على الفور وصدر الأمر الملكي بإلغاء ضريبة السفر عن المسافرين إلى المدينة بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٣٥٦هـ. وكان لهذا القرار أثر طيب في زيادة عدد القادمين إليها وتنشيط الحركة الإقتصادية الناجمة عن تلك الزيارة سواء في الخدمات الفندقية أو الحركة التجارية.

حركة الطيران:

شهدت هذه الفترة بداية الطيران المدني وتأسيس المطار في المدينة وبدء الرحلات الجوية منها وإليها. وقد شهدت المدينة المنورة حركة الطيران قبل أن تنشأ رئاسة الطيران المدني عام ١٣٦٢هـ. وتشير أخبار أم القرى إلى أن أول الرحلات الجوية القادمة إلى المدينة في هذا العهد قام بها الطيار المصري المشهور محمد صدقي من جدة إلى المدينة عام ١٣٥٥هـ وقد هبط في منبسط من الأرض في منطقة سلطانة قرب وادي العقيق، واستغرق طيرانه ساعتين كاملتين.

وفي أوائل رمضان من العام التالي ١٣٥٦هـ وضعت إشارات في المنطقة نفسها لهبوط الطائرة القادمة من مصر وكان يقودها الطيار محمد صدقي نفسه وكانت رحلة تجريبية ناجحة تمهد لافتتاح خط جوي لنقل الحجاج وبقية المسافرين.

وفي الأسبوع الأول من ذي القعدة من العام نفسه بدأت أولى الرحلات



موقع أول مطار في المدينة المنورة مطار «سلطانة» ويقع جنوب الجامعة الإسلامية حالياً

الجوية الجوية المنظمة من جدة إلى المدينة. وقاد الطيار محمد صدقي طائرة ذات أربع محركات حملت ركابها الزائرين واستغرقت الرحلة ساعة وخمساً وعشرين دقيقة. وبعد استراحة قصيرة عادت الطائرة إلى جدة لتقوم برحلات أخرى متوالية تنقل بعض الحجاج من الشخصيات الهامة والقادرين على دفع ثمن التذكرة المرتفع آنئذ.

غير أن الرحلات بين جدة والمدينة لم تنتظم بعد موسم الحج لقلة الركاب من جهة ولمحدودية شركة الطيران الحديثة من جهة أخرى وكذلك لعدم وجود مطار مجهز قادر على استقبال الرحلات المتوالية وتقديم الخدمات الضرورية للطائرات وركابها.

وفي عام ١٣٦٠هـ تقرر إنشاء مطار مناسب، وقامت لجنة من شركة الطيران السعودي باختيار الموقع المناسب، فاختارته في الجهة الشرقية على بعد ثلاثة عشر كيلو متر من المسجد النبوي. وبدأت احدى شركات المقاولات بتسوية الأرض وإعداد مدرج الهبوط، وبنيت صالة صغيرة للركاب وصالة للخدمات وغرفاً للإدارة والحراسة(١) وتوقف العمل لبعض الوقت بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية وقلة الإمكانات. ولما انتهت الحرب العالمية الثانية عادت الشركة للعمل في المطار وأنجزته عام ١٣٦٦هـ. وأنجز المطار وأصبح قادراً على استقبال الرحلات الجوية المنظمة. وقامت شركة الطيران السعودية بافتتاح خط منتظم بطائرة ذات محركين يقودها الطيار السعودي إسماعيل كاظم بإشراف الطيار كرنت جوزيف وقطع المسافة من جدة إلى المدينة في ساعة واحدة وعشر دقائق فقط. وذلك في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة ١٣٦٦هـ. وانتظمت بعدها الرحلات بين جدة والمدينة.

وبعد عام واحد شهدت حركة الطيران في المدينة المنورة قفزة نوعية كبيرة، فقد تقرر أن تقوم منها رحلات جوية داخلية وخارجية جديدة، ففي

---

١) انظر جريدة المدينة ع ٢٠٤، ١ جمادى الأولى ١٣٦٠هـ.

الداخل نظمت رحلات إسبوعية إلى الطائف والرياض والظهران، وإلى الخارج نظمت رحلات إلى المدينة إلى دمشق والقاهرة وبيروت وذلك قبل بدء موسم الحج. وبدأت الرحلات الفعلية الجديدة في شوال عام ١٣٦٧هـ.

واعتمد نقل البريد بواسطة هذه الرحلات. وبدأت وكالات طيران الشركة السعودية في العواصم العربية الثلاثة تنظم الرحلات المباشرة إلى المدينة. وشهد موسم حج هذه السنة قدوم الحجاج من بلادهم تلك إلى المدينة مباشرة. واتسعت الخدمة في المطار لتواجهة الزيادة الجديدة في عدد المسافرين وانشئت فيه إدارة للجمارك وأخرى للبريد(١).

وفي العام التالي شب في مطار المدينة حريق دمر عددا من منشآته. بدأت النار في مطعم المطار عندما انفجر أحد المواقد، وانتشرت النار سريعاً في أرجاء المطعم فالتهمت محتوياته الخشبية، وامتدت منها إلى مكاتب الإدارة وحملت الريح شرارات منها إلى خيام العسكر المقامة قرب الصالة، ومنها امتدت إلى صالة الصيانة الصغيرة، والمدهش أنه لم تكن في مباني المطار أجهزة إطفاء حريق متقدمة لذلك لم يبذل الجنود والموظفون جهوداً ضخمة لوقف انتشار النار في انشاءات المطار الأخرى ونجحوا في حماية خزانات الوقود منها، ولم تطف النار إلا بعد أن دمرت المطعم ومكاتب الإدارة وعدداً من خيام العسكر وبعض أجهزة الصيانة. وقد قدرت خسائر المطعم وحده بعشرين ألف ريال(٢) وقد أغلق المطار لفترة من الوقت وتم إزالة الأنقاض ورممت المكاتب وأعيد تأثيثها وجهز المطار بأجهزة إطفاء حديثة منها سيارات الماء التي لم تكن موجودة من قبل. وأعيد فتح المطار بعد مدة قصيرة يستقبل رحلات الحجاج الوافدين من داخل المملكة وخارجها.

---

١) انظر جريدة المدينة ع ٢٥٨ في ١١ شوال ١٣٦٧هـ، وع ٢٦١ في ٣ ذي القعدة ١٣٦٧هـ.

٢) انظر جريدة المدينة عدد ٣٠٥ ١٠ شوال ١٣٦٨هـ.

أنشطة ثقافية:

كان لتقدم التعليم أثر في ظهور جيل نشط من الشباب المثقفين عملوا على نشر الثقافة وتطويرها في المدينة المنورة، ولم تكن لدى هؤلاء الشباب إمكانات مادية تساعدهم على تحقيق طموحاتهم، أو تجعلهم ينشؤن هيئة ثقافية لها صفة رسمية ومقر ثابت. وكانت حماستهم للإبداع ورغبتهم في توصيل مالديهم إلى الآخرين تدفعهم إلى استخدام الإمكانات المتاحة وفي مقدمتها بيوتهم وأماكن لقاءاتهم. فجعلوا منها مواقع ثقافية أشبه بالأندية الأدبية الحالية. وقد تكونت جماعتان أو بيتان تتنافسان في عقد اللقاءات الأدبية والمحاضرات وهما: الجماعة الأولى وسمت نفسها (الحفل الأدبي) وأبرز أعضائها عبد القدوس الأنصاري وأحمد الخياري وأحمد رضا حوحو. وكانت تعقد لقاءاتها مساء يوم الجمعه من كل أسبوع في منزل أحد أعضائها.

الجماعة الثانية. وسمت نفسها (جماعة المحاضرات) وأبرز أعضائها: عبد الحق نقشبندي ومحمد عمر توفيق ومحمد حسين زيدان وعثمان حافظ. وكانت تهتم بإلقاء محاضرات دورية. فتكلف أحد أعضائها بإعداد محاضرة ثقافية أو علمية، أو تستضيف أحد زوار المدينة من المثقفين الكبار في البلاد العربية وتطلب منه إلقاء محاضرة في موضوع يختاره. وكانت تعقد جلساتها مساء يوم الثلاثاء من كل أسبوع في بيوت أحد أعضائها أول الأمر. ولما كثر الإقبال عليها نقلت جلساتها إلى باحة المدرسة الناصرية(١) وقد أسهم هذا النشاط الثقافي في تنشئة الجيل تنشئة طيبة وفتحت المجال للمبدعين من الشعراء والكتاب لإظهار إبداعهم وصقله، وشجعت الطموحين على اقتحام ميدان الطباعة والنشر، وظهر من بين أعضاء تلك الحركة الثقافية من خاض

---

١) انظر جريدة المدينة المنورة ع ٣ في ١١ صفر ١٣٥٦هـ وع ٢٠، ١٢ جمادى الثانية ١٣٥٦هـ.

المغامرة الصعبة وأنشأ مجلة وجريدة لايقتصر نشاطها على المدينة وحسب بل يمتد إلى مدن المملكة الأخرى ويصل إلى مثقفيها، ثم ينطلق بعد ذلك خارج المملكة ليكون أحد أصواتها الثقافية. فظهرت مجلة المنهل، وجريدة المدينة المنورة.

مجلة ثقافية من المدينة (المنهل):

مر بنا أن المدينة عرفت لوناً من الصحافة البدائية أواخر العهد العثماني فقد كانت تصدر فيها جريدة باسم المدينة تطبع بمطبعة البالوظة كما قال اللواء إبراهيم رفعت الذي شاهد الجريدة ونقل بعض ماكتبته، وكانت تصدر في المناسبات ووقت زيارة بعض الشخصيات المهمة.

وخلال إدارة فخري باشا صدرت أعداد قليلة من جريدة الحجاز طبعت بالمطبعة التي أحضرها عبد العزيز الجاويش وشكيب أرسلان لكلية صلاح الدين.

وفي أوائل العهد السعودي ظهرت مطبعة صغيرة اسمها مطبعة (طيبة الفيحاء) أسسها عبد الحق نقشبندي وأحمد الفيضي آبادي ولكنها لم تصدر جريدة أو مجلة وقد اشتراها الأخوان عثمان وعلي حافظ لأغراض تجارية(١) وما لبث الأخوان أن فكرا في تطوير المطبعة وإصدار جريدة سياسية ثقافية إجتماعية فجمعا كل مالديهما من نقود وسافر عثمان حافظ إلى مصر واشترى مطبعة متوسطة عاد بها إلى المدينة.

وقبل أن تخرج فكرتهما إلى حيز التنفيذ كان عبد القدوس الأنصاري قد حزم أمره على إصدار مجلة ثقافية دورية سماها المنهل.

وقصة صدور هذه المجلة هي قصة طموح ومغامرة فردية جريئة، فقد كان عبد القدوس الأنصاري أحد الشباب الذين تخرجوا من مدرسة العلوم الشرعية، وقد حرص هذا الشاب على إكمال ثقافته في حلقات المسجد النبوي،

---

١) انظر المدينة المنورة في ص ١٧٨.

المنهل



ذوالحجة سنة ١٣٥٥هـ

فهرس

المنهل

مجلة تخدم الادب والثقافة والعلم

الجزء الاول

ذوالحجة ١٣٥٥ فبراير ١٩٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك حمد الشاكرين، ونستعينك، ونستهديك سواء السبيل: ونستمنحك التوفيق في الاعمال، ونعوذ بك من الفشل والكسل والزلل، ونعتصم بك من الوقوع في مهاوي الخطأ والخطل، ونرجو منك التثبيت في المبدأ الحسن والتأييد والانجاح في المقاصد، ونسألك أن تصلي على من بعثته هدى ورحمة للعالمين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم باحسان إلي يوم الدين.

أما بعد فإن من دلائل نجح المنهل أن تكون أول مجلة أدبية ثقافية من نوعها تصدر بالحجاز في عهد حضرة صاحب الجلالة (عبد العزيز) آل سعود ملك المملكة العربية السعودية الذي جعل مبدأه الحميد، أن يأخذ من أسباب المدنية الحديثة كل جيد ونافع وصالح لامته، مع الاحتفاظ بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف والاستضاءة بهديه القويم:

مصنوعات

المعمل العربي الاسلامي الجزائري

روائح عال بانواعها، عطورات عال بانواعها

لصاحبه: السيد الزواوي الحاج بالجزائر

ولوكيله: بالمملكة العربية السعودية

السيد احمد بن السيد حمزة رفاعي

بالمدينة المنورة

اسس سنة ١٣٥٤هـ — ١٩٣٦م

سيفتح للمعمل فرع في مكة المكرمة وجدة

يسرنا ان نشيد بجهود هذا المعمل الاسلامي وجهود وكيله بالمدينة حضرة الوجيه السيد احمد رفاعي فنحث الوافدين على استعمال عطورات هذا المعمل الفائقة، بان يراجعوا الوكيل المشار اليه في محله بالشارع الجديد بالمدينة المنورة

بطاريات ماركة ابوريدي الامريكانية

توجد هذه البطاريات التي ينبعث منها اقوى نور في محل الشيخ عبد الغفار محيي الدين وتباع بسعر ريالين ونصف بالدرزن وبالفرقة الجبة بخمسه قروش داربا

أول عدد من مجلة المنهل

إضافة إلى قراءاته الخاصة الواسعة، وبدت موهبته الأدبية وميوله التاريخية في وقت مبكر، ورغم أنه عمل بعد تخرجه موظفاً إدارياً في ديوان الإمارة، فقد كان يشغل قسماً من وقته في القراءة والتحصيل، ويشارك في الحلقات الأدبية التي تعقد في البيوت.

عزم الأنصاري على إصدار مجلة ثقافية شهرية لوحده، وتقدم بطلب إلى السلطات المختصة، وحصل على إذن رسمي، وأعد مادة العدد الأول، واستكتب بعض أصدقائه ومعارفه من الأدباء والمثقفين، واتفق مع الأخوين عثمان وعلي حافظ -وكانا من أقرانه وأصدقائه- على طبع العدد الأول في مطبعتهما، ويروي عثمان حافظ في ذكرياته أنه اتفق معه على أن يدفع ثلاثمائة ريال مقدماً ومائة ريال مؤجلة كلفة طبع ثلاثمائة نسخة، وصدر العدد الأول في ذي القعدة عام ١٣٥٥هـ(١).

كان عمل الأنصاري مغامرة بكل المقاييس آنذاك، فقد خاض الرجل تجربة النشر والتوزيع ومتاعبها الجمة، فضلاً عن أعباء التحرير، ووضع كل ما يملك في سبيلها، ووفى بالتزامه في أن تكون المجلة شهرية فواصل إصدار الأعداد التالية بثقة كاملة، وكانت مادتها العلمية والثقافية والأدبية المتميزة تساعدها على الانتشار تدريجياً، وكان صبر الأنصاري وجهوده الفائقة في تحمل أعباء التحرير والتصحيح والتوزيع والتمويل العامل الأكبر -بعد توفيق الله- وقد ظلت المجلة تصدر طوال حياة الأنصاري، وانتقلت معه إلى مكة المكرمة ثم إلى جدة، حيث استقرت هناك، ومازالت تصدر حتى الآن بإشراف أبنائه

وستبقى المجلة رغم تطورها الكبير وبعدها عن المدينة معلماً من معالم هذه المدينة.. ففي أحضانها نشأ، وتعلم مؤسسها، وفيها نبتت وعاشت طفولتها الأولى...

---

١) انظر: صور وذكريات ١٢٣.

جريدة المدينة المنورة:

كانت فكرة إصدار جريدة في المدينة المنورة تراود أذهان مجموعة من الشباب المثقف -ولكن- وكما يقول علي حافظ (لم يقدر لتلك المجموعة أن تفعل شيئاً، فقررت أنا وأخي عثمان أن نبدأ المغامرة في إصدار الجريدة، وأن نقتحم أسوار المشروع، وكان ماحدث بعد جهد كبير بذله أخي عثمان في السفر إلى القاهرة وشراء المطابع والحروف والأدوات، فولدت جريدة المدينة.)(١).

ولاشك أن مبادرة عبد القدوس الأنصاري بإصدار مجلة المنهل وطبعها في مطبعة الأخوين حافظ قد حثهما على التعجيل بإصدار الجريدة. وكانت تجربة طبع المجلة درساً مفيداً للأخوين فقد ثبت لديهما ضرورة تطوير العمل في المطبعة، واحضار عامل فني ليقوم بصف حروف الجريدة(٢).

كان مقر الجريدة في دكان صغير في شارع العينية مساحته ٣x٣م ولم يكن فيها أي موظف سوى صاحبيها وعامل الطباعة الفني. وكان صاحبيها يقومان بتحرير الأخبار وكتابة الموضوعات الثقافية والاجتماعية. واستكتب الرجلان الشباب المثقفين فأقبلوا على الكتابة فيها ولاسيما محمد حسين زيدان الذي أصبح محرراً رئيسياً فيها مدة من الوقت. وقد صدرت الجريدة أسبوعية وظلت كذلك سنوات طويلة. وحملت مع الأخبار السياسية الأخبار الاجتماعية ومقترحات أهل المدينة. وكان لها أثر طيب في تنبيه المسؤولين إلى عدد من القضايا والمشاريع(٣).

---

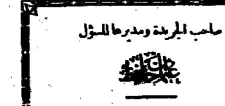
١) انظر فصول في تاريخ المدينة ٢٦٤.

٢) صور وذكريات ص ١٢٣.

٣) انظر السابق نفسه.

{ العـدد ١ } يوم الخميس ٢٦ محرم الحرام سنة ١٣٥٦ الموافق ٨ أبريل سنة ١٩٣٧ { السنة الأولى }

صاحب الجريدة ومديرها المسئول



عنوان المراسلات

المدينة : ادارة جريدة (المدينة المنورة)

برقياً : المدينة — الصحافة

المدينة المنورة

(صحيفة الشعب العربي السعودي)

تصدر أسبوعياً

لا ترد الرسائل لأصحابها نشرت أم لم تنشر

رئيس التحرير : أمين مدني

الاشتراكات

٣ ريالات سعودية — في المملكة العربية السعودية

نصف جنيه استرليني — في سائر الاقطار الاخرى

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ونستهديك الصراط المستقيم، ونستلهمك الصواب والتوفيق، ونتقي برشدك مواقع الزلل والخطأ والغرور، ونصلي ونسلم على معلم هذا العالم وسيده محمد ﷺ. وبعد فقد قيض الله لهذا الشعب الكريم والبلد المقدس زعيماً جليلاً وبطلاً كبيراً، ومصلحاً حكيماً، وملكاً عظيماً، طلع من شرق الجزيرة العربية مشرقاً بنور الايمان الصادق والعزيمة الماضية، والامل الباسم، فنهضت العروبة في اشرف مواطنها وأقدسها، آمنة مستبشرة، معتزة فخورة، مرحبة بهذا السيد المقدام، والعامل الفذ والملك المهيب «عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود» ايده الله ونصره الذي أهاب بالبلاد العربية السعودية، فهب ابناؤها السابقون في تهامة ونجد، الى حيث السبيل الواضح الذي فتحت لهم ابوابه وطرقه، والامل المنشود الذي دنا منهم فتدلى.

وتلبية الواجب واجابة لداعي النهوض اندفعنا نحقق أمنية الشباب العربي السعودي في انشاء جريدة (المدينة المنورة) في هذه البلدة المباركة والحرم المقدس.

وبما لاقيناه من رجال حكومتنا الافذاذ وشعبنا العزيز النبيل من تشجيع عطف وتقدير استطعنا ان نمهد الامر الشاق والطريق الوعر فنرجو مطبعة كبيرة تؤمن حياة صحيفتنا هذه وتخولها الاستمرار ... حياة ماضي الحجاز المجيد الذي كان يزهو بروائع الادب وجلائل الاعمال.

ولا شك ان للصحافة أثرها العظيم في تقويم الافكار وتهذيب الاخلاق ونشر العلوم، وهي اليوم منبر الامم وترجمان ضمائرهم، واداة شعورهم وخواطرهم، ومرآة اخلاقهم، وآدابهم، وسجل اعمالهم.

وانا لنرجو من شيوخنا المفكرين، وقادتنا العاملين، وادبائنا النابهين واخواننا المتعلمين ان يعدوا صحيفتهم هذه ويرشدوها الى الواجب فانها الاسلوب الذي به ينطقون وموضع بحثهم ومحل تفكيرهم. وما نشأنا الا لنخدمهم واعلان نهضتهم فليس لنا رائد ولا هدف سوى خدمة هذه البلاد المقدسة والعرب والمسلمين.

هذا أهم ما نهتم به والاساس الذي قام عليه بناء هذه الصحيفة التي نعدها ملكاً لأبناء المملكة العربية السعودية شيباً وشباباً لا فرق بين المكي والمدني والرياضي والجدي والقصيمي والعسيري، بل انا نعدها لاوسع من هذا في تقبل كل مقال عربي قيم، وكل رأي اسلامي سديد القصد منه النهضة العامة والاصلاح المأمول.

وانه لمن واجبي ان اعلن بجلاء في هذا الشعور النبيل والتشجيع الكبير الذين لاقيناهما من رجال حكومتنا السنية وشعبنا الكريم والذين كانا العامل الاقوى في نجاح هذا المشروع.

ثم لا يفوتني ان اقدم من صميم قلبي جزيل الشكر وعاطر الثناء للذين بذلوا انفسهم وشغلوا اوقاتهم بتحرير هذه الصحيفة فشاطروني مسؤليتها الادبية وهم الافاضل:

السيد أمين مدني رئيس التحرير. الاستاذ ضياء الدين رجب، الاستاذ محمد زيدان، السيد علي حافظ. اعضاء هيئة التحرير

والله نسأل ان يثبت قدمنا ويوفقنا على السعي في أداء هذا الواجب للبلاد والله الموفق.

علي حافظ

صقر الجزيرة وعاهلها الفذ

(جلالة ملك المملكة العربية السعودية)



ألا تذكروا (صنعة) المجد واذكروا — جلال المساعي في (المليك) المحبب

ألا فانظروا (أمة) عربية — يهيبها نحو العلا (صقر) يعرب

ألا فانظروا الآمال رمزاً مجسماً — تنازعه دوماً الى كل مطلب

و(ذي صنعة) فعهد التفرق أشرقت — لنظهر حقاً بالولاء المحبب

لقد أنطقتنا بالثناء وانها — صنيعة ملك عبقري مدرب

يريد التفاني للعروبة جهده — ليعلي بشيء الحي مهذب

ضياء الدين رجب

كياننا الادبي في العالم العربي

لماذا لا نكتب ؟

ما أكثر ما تنطق العامة بالحكمة وتمثل الواقع. هم يقولون صاحب صناعتين يكذب. ولقد انتهي بالحقيقة نفسي. وما أنا المشتغل بامور كثيرة فلا أتم واحداً منها فتبقى كلها مبتورة. وهذا كاتب يفكر في مواضيع متعددة وتصطرم في ذهنه آراء وأفكار متعارضة: فلا يستطيع ان يكتب موضوعاً واحداً. هو دائم الحركة والاضطراب. دائم الحيرة والتردد. وهل هذا بلاء الفرد أم هي بيئة المجموع تخلق الخاطر الضعيف؟ وهل هي مصيبة اصيب بها الشباب الناشئ فلا تراه يتقدم خطوة الا ويتأخر خطوات ولا تراه يسير شوطاً في سبيل غايته ونيل غرضه الا ويرجع القهقرى خائراً حائراً كئيباً. افقر في الثقافة يمنع الانتاج؟ ام جبن يمنع النشر؟ ام خوف من شعور خفي بالنقص؟ لا أدري أكل هذا حق وصواب؟ ام هو غير ذلك.

الحق الواقع رغم تعدد الاسباب المتقدمة ان تقاعس البعض عن الانتاج مع انه غني بعلمه وادبه وخوف الآخرين من النقد فلا ينشرون مع انهم يكتبون ويحرصون منع من ان يكون لنا كيان أدبي في العالم العربي. كيان ينبغي ان يكون. فمكانتنا في البلاد الاسلامي كشعب مسلم يسكن أقدس الارض وأطهر البقاع يقطن مهبط الوحي والتنزيل ومنبع النور والعرفان، توجب علينا ان ننتج ونتشر ما ننتج فندعم نهضتنا الحديثة

«البقية في الصفحة الرابعة»

الصحافة

اذا نظرنا الى الصحافة وكيفما بحثنا عنها وتدبرنا مستلهماً تجدها ملكت العقلية والبلاغة ذات المكانة الرفيعة والمقام السامي ذات السيل الهائل والنفوذ الكبير والهيبة الخطيرة، مالبثت ان وطدت عرشها على متاف التيمس حتى اتخذت الامم تؤسس لها المكاتب والدور قائمة لما صدرها مستعينة بها في جليل امورها وعظيم مقاصدها، كثيرة فيما بينها وآرائها مسجلة فيما تاريخها وأدبها وحضارتها، وحتى سمعنا بجريدة (برليز تاجبلت) الالمانية التي تصدر ملاحق اضافية تتراوح ما بين العشرة الى العشرين يومياً زيادة على العدد الذي يظهر كل صباح في ثمانين صفحة والذي يتقاضى المبلغ المالي الذي يحتال عليه (ولولشتا) من ألمانيا شراء (البوركال) الافرنسية، واننا نسمع بقرار عصبة الامم الموافق على احداث مؤتمر الصحافة بجانب دارها وانا بالمؤتمر يضم اعضاء من اغلب الامم الحالية في الشرق والغرب.

اجل ليست الصحافة لهواً ولا عبثاً ولا هي بالامر التافه فلا يستحق العناية والتقدير فانها لسان الامة ومسرح تفكيرها ومعرض آرائها وخواصها وهي دعامة تذود عن كرامة الامة وتعزز مكانتها وتناصر سياستها وتمجد مفاخرها وتبدد ما يثار حولها من شبهات ومفتريات وانها توثق اواصر التفاهم والتعارف بين مختلف الطبقات، وتبث الروح والحماس والشعور. وفيها وجد السياسة الطريق السهل القريب لاذاعة ما هم حريصون على اذاعته. وفيها وجد العالم والاديب والعامل وسيلة لنشر المواعظ والادب والفضائل. وفيها تحصل التاجر على ما يهمه من اخبار وتسعير والسوق انباء وفكاهة وفيها خاطب الزعماء شعوبهم التمييز عنه، وعلى صفحاتها تآلفت الامم وتفاهمت وحلت معضلات صعاباً لولا الصحافة لكان وراءها فادح للصعاب ومعظم المطلوب. ولقد قال احد نواب البرلمان الانكليزي:

(اني لو أردت ان انقل للاجيال القادمة برهاناً على المدنية الانكليزية في القرن التاسع عشر فلست بذاكر مواخيرنا ولا سككنا الحديدية ولا ابنيتنا العظيمة ولا البرلمان الذي نحن فيه. لا بل ان عدداً واحداً من اعداد التيمس يكفيني).

فاقية عدد واحد من جريدة التيمس حتى يظل ابنية لندن ومواني بريطانيا وبرلمان الامبراطورية الانكليزية باجمعها لولا انه يحمل افكاراً ابهى من زخرف الابنية، وادباً وعلماً اروع من السكك والمواني وافصح تعبيراً من كل اثر ينقل للاجيال المقبلة.

هذا واننا ان تكلمنا عن الصحافة عموماً. ولاحظنا تطورها وانتشارها وما دخل عليها من تحسين. وما لاقته من عناية واجلال وتمجيد. تكلف بحثاً طويلاً وحديثاً مسهباً. فندع صحافة الغرب والشرق وما يمثل لنا عملها ويترجم لنا منها علماً وادباً وتاريخاً وسياسة، وننظر الى صحافتنا العربية وما تسديه لنا ونحفظه منها من تاريخ كان معلقاً قائلاً. وادب كان كامناً فاترة والافكار كانت متحكرة فيها. وفوق هذا تمهيدها سبيل التعارف والتفاهم بين ابناء العروبة على شط الدار وبعد المزار.

«البحث صلة»

أمين مدني

دفن بقايا الخندق:

كانت الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد أقوى من أن تقوم فيها هيئة لرعاية الآثار التاريخية الكثيرة في المدينة المنورة، كما أن تلك الآثار كانت تثير حساسيات عقدية متضادة لدى كل من الغيورين على نقاء العقيدة الإسلامية من البدع والشوائب والجاهلين بأمور العقيدة.

فالعوام والجاهلون بأمور العقيدة لاينظرون إلى الأثر التاريخي الإسلامي نظرة تقدير واعتبار وحسب، وإنما ينظرون إليه نظرة تقديس وتعبد، وربما يبتدع بعضهم أدعية وعبادات ترتبط بذلك الأثر مثل أنوع خاصة من التسبيحات أو الصلوات، وهذا أمر خطير يفتح الباب لانحرافات واسعة قد تصل إلى درجة الشرك.

والغيورون على سلامة العقيدة الإسلامية يحسبون حسابات بعيدة، ويرون أن أي تساهل يُسمح به الآن سيمتد مع الزمن ويتحول إلى انحراف خطير، لذا ومن باب سد الذرائع وقطع الطريق على الاحتمالات السلبية، فإنهم يعملون على إزالة ماقد يؤدي إلى الانحراف، متأسين في ذلك بالسلف الصالح، فعمر ابن الخطاب رضي الله عنه قطع الشجرة التي جرت تحتها بيعة الحديبية عندما رأى بعض الجهلة يتبركون بها.

ومن المعالم التي راحت ضحية تلك الحساسيات بقايا الخندق الذي جرت حوله غزوة الأحزاب.

والمعروف أن هذا الخندق دفن تدريجياً في عهد الخلفاء الراشدين، ثم أعيد حفره، أو حفر ماردم منه قبيل موقعة الحرة عام ٦٣هـ، ثم ردم ثانية وأعيد حفره في ثورة محمد ذي النفس الزكية في عهد أبي جعفر المنصور.

ومع مرور الأيام دفنت معظم أجزائه، ولم يستخدم في الدفاع عن المدينة، خاصة بعد أن بني سورها بعيداً عنه.

وفي العصر الحديث، توسعت المدينة ووصل العمران فيها إلى مشارف

الخندق عند جبل سلع، ثم تجاوزه إلى منطقة القبلتين غرباً وشمالاً، فدخلت أجزاء بسيطة منه في المنطقة العمرانية، وأصبحت هذه الأجزاء أشبه بحفر عميقة تقطع الطريق وتتجمع فيها مياه الأمطار الى أن تجف بحرارة الشمس، وتلقى فيها الفضلات وبقايا الهدم والبناء في المناطق المجاورة، وتحول هذا المَعْلم التاريخي إلى مجمع للنفايات والمياه الملوثة وموطن للبعوض والجراثيم.

لذا قررت البلدية إنهاء هذه الحالة المتردية، وإغلاق مصدر من مصادر المرض فدفنت الحفر المتبقية والداخلة في منطقة العمران في شهر محرم عام ١٣٦٠هـ(١) غير أنه من المؤسف ألا يهتم مهندسو البلدية الذين عاصروا هذا الدفن بتحديد تلك المعالم ووضع خريطة تاريخية لها، لذلك أصبح تحديد موقع الخندق بشكل دقيق اليوم عملية صعبة تقوم على الظنون والترجيحات.

لفتات كريمة:

كان التغيير الكبير الذي حدث في حياة أهل البادية جزءاً من التغيير الشامل في المملكة: الانتقال من مرحلة القلق والتمزق والحروب إلى مرحلة الأمن والاستقرار والبناء، وكانت بادية الحجاز ميداناً كبيراً من ميادين التغيير وعاملاً مهماً في نجاحه، فهي المصدر الكبير للقلق والاضطرابات سابقاً، سواء بتهديد أهلها للمدن وغاراتهم عليها، أو بتعرضهم لقوافل الحجاج والمسافرين.

وقد نجحت خطة الملك عبد العزيز الأمنية في إقرار سكان البادية في مناطقهم، وإلغاء الغزو والنهب وقطع الطريق من حياتهم، وتحويلهم إلى الاهتمام بمواشيهم وزراعاتهم القليلة إن كانوا في مناطق زراعية، وكانت قوة الدولة وعقوبتها السريعة والحازمة لكل من يخل بالأمن هي الضمان الأكبر لنجاح الخطة واستمرارها.

غير أن طبيعة البادية القاسية، وقلة الأمطار في بعض السنوات، وعدم

---

١) انظر جريدة المدينة عدد ١٩٠ في ٢١ محرم ١٣٦٠هـ.

وجود إمكانات لاستصلاح الأراضي وحفر الآبار العميقة وإنشاء مزارع جديدة تستوعب الأعداد المتزايدة من أهل البادية.. كل هذه العوامل جعلت الحياة الاقتصادية لسكان البادية تمر بفترات اضطراب شديدة، فقلت الأمطار ونفقت بعض الماشية، وموت أعداد من الماشية يوقع بالبدوي مصائب كثيرة، ويجعله في حاجة الى لقمة العيش، خاصة بعد أن انقطع الدخل الكبير السابق من النهب و(الإتاوات) التي كانوا يفرضونها على الحجاج والمسافرين.

وهنا ظهرت لفتة كريمة على المستويين: الحكومي والأهلي، فالضائقة التي تحل بسكان البادية بين الحين والآخر جعلتهم في حاجة شديدة إلى المساعدة، ولم تكن ميزانية الدولة قادرة على المساعدات المطلوبة، لذلك تشكلت لجان من الأهالي بمباركة الدولة وتشجيعها، لجمع التبرعات ومساعدة فقراء البادية، ورأس اللجنة في المدينة المنورة رئيس بلديتها آنذاك مصطفى عطار، وقامت بحملة جمع للتبرعات النقدية والعينية، وجاد أهل المدينة بمبالغ سخية، وأسهم الموظفون بجزء من رواتبهم(١) ولا شك أن هذه اللفتة الكريم هي مساعدة إنسانية طيبة من جهة، وإسهام في تعزيز الخطة الأمنية من جهة أخرى، تحفظها من انتكاسات خطيرة كان من الممكن أن تقع إذا لم يجد أهل البادية عوناً، واضطروا بضغط الحاجة إلى العودة إلى ماكانوا عليه قبل عقدين من الزمن، فذكريات (الإتاوات) مازالت في أذهانهم، والجيل الذي كان يفرضها مازال معظمه حياً، بل إن بعضهم يحدث بها ويفخر ببطولات شريرة زائفة في مهاجمة الآمنين.

لقد كانت هذه اللفتة الكريمة وأمثالها عوناً ووقاية وإسهاماً رسمياً وشعبياً في تعزيز خطة أمنية أثبتت نجاحها تاريخيا.

ريادة واستجابة (مدرسة الصحراء):

من الظواهر اللافتة للنظر في تاريخ المدينة الحديث وجود عدة ريادات في

---

١) انظر: أم القرى ع ٩٦١، في ٢٤ جمادى الأولى ١٣٦٢هـ.

ميادين الأنشطة الاجتماعية والثقافية، حيث ينتبه أحد أبناء المدينة لإحدى حاجات المجتمع الكبيرة، التي لايمكن أن يسدها فرد لوحده، فينهض لها، ويبدأ عملا ريادياً يستنهض الآخرين للإسهام فيه، ويجتهد ويقدم التضحيات الكبيرة حتى يبدأ الخطوة الأولى فيستجيب له الناس.. وبخاصة عندما يرون جهوده وإخلاصه وتضحيته ويساعدونه في العمل الذي قام فيه.

على هذا النحو قامت عدة مدارس وبعض المشاريع.. فمدرسة العلوم الشرعية كانت بريادة من السيد أحمد الفيض آبادي، ومشروع دار الأيتام بريادة من عبد الكريم الدادا، والجمعيات الأدبية بريادات متوازية من عدد من المثقفين، والريادة المتميزة التي لايصح أن تغيب عن تاريخ المدينة الحديث، ريادة مدرسة الصحراء.

وقبل الحديث عن هذه الريادة أذكر هنا أن الريادة ماكانت لتتم وتصبح ريادة وتنجح المشاريع التي قامت بها لولا استجابة الآخرين أيضاً، صحيح أن الرائد اجتهد وضحى وعمل الكثير، ولكن لو لم يقتنع الآخرون بعمله ويتحمسوا له ويسهموا في مشروعه لانقطع عمله ووئد المشروع في مهده، وهذا يعني أن الاستجابة موجودة في النفوس، وأن أهل المدينة لديهم الاسعداد الكامن الذي ينتظر المحرك القوي الصادق.

وأما مشروع مدرسة الصحراء فمتميز بحق لأنه أول مشروع ينظر إلى البادية، إلى أولئك الذين هم أبعد مايكون عن التعليم والثقافة وأزهد الناس فيها آنئذ.. إلى الذين كان قَطَع الطريق جزءاً من حياتهم العادية، لذلك فالانتباه لهم والاهتمام به في وقت مازالت المدينة نفسها في حاجة إلى كثير من الإهتمام ريادة متميزة.

كان رائد هذا المشروع الأخوان محمد وعثمان حافظ، وهما اللذان أسسا المطبعة في المدينة، ثم أسسا جريدة المدينة.

خطر لهذين الرائدين إقامة مدرسة في أحد المراكز الريفية التي تتوسط

منطقة سكانية واسعة، وشد اهتمامهما موقع قرية المسيجيد على بعد ٨١ كم من المدينة في طريق مكة، فالقرية كبيرة نسبياً وهي محطة من محطات استراحة القوافل المسافرة إلى جدة ومكة، وتتوزع حولها مضارب وهجر وقرى صغيرة عدة.

كان في القرية مبنى حكومي كبير أعد في الأصل ليكون فندقاً لضيوف الحكومة، ومركز خدمات للقوافل العابرة، وقد أجر لأحد المتعهدين فجعله المستأجر مقهى واستراحة للعابرين.

بدأ الرائدان تنفيذ فكرتهما عام ١٣٦٥هـ فاتفقا مع مستأجر المبنى أن يؤجرهما غرفة قصية فيه لتكون نواة المدرسة، وزارا عمدة القرية والتقيا بعدد من وجهائها وشرحا لهم الفكرة، وبينا فوائدها العظيمة لهم ولأبنائهم، واستطاعا إقناع عدد من الآباء بإرسال أبنائهم وتعهدا بتأمين جميع الاحتياجات وبدفع معونة مالية للطلاب الذين يعولون أهاليهم.

وبالفعل بدأت المدرسة عملها في شهر شوال عام ١٣٦٥هـ بـ ١٣ طالباً وبمدرس واحد، استطاعات إقناعه بالعمل فيها، وهو الأستاذ سالم داغستاني مدير المدرسة.

نمت المدرسة بسرعة، وأصبحت احتياجاتها أكبر من طاقة المؤسسين، لذا قاما بحملة إعلامية واسعة في صحفية المدينة المنورة، وفي صحيفة أم القرى، وطلبا التبرع للمدرسة وطلابها، ونشرا الميزانية المفصلة، فجاءتهما التبرعات من الأهالي، وكانا ينشران قوائم بأسماء المتبرعين والمبالغ التي تبرعوا بها عرفاناً للمتبرعين، وحضاً للآخرين، ونجحت خطتهما الإعلامية

وأصبحت واردات المدرسة معقولة جداً تفي بحاجاتها السنوية(١) وكانت هذه المدرسة أول مدرسة نظامية تطبق منهاج وزارة المعارف في البادية.

وما لبثت الحكومة أن شجعت المشروع وسلمت المبنى كاملاً لإدارة المدرسة بعد انتهاء مدة عقد الإيجار للمتعهد، فاتسعت المدرسة وازداد عدد طلابها باضطراد، وبلغ عدد الذين درسوا فيها حتى عام ١٣٨١هـ (٩٠٣) طالباً، واصل عدد منهم الدراسة في المعاهد والجامعات، وتسلموا وظائف وإدارات مهمة(٢) وقد ساعدت الدولة المشروع أول الأمر بدفع رواتب الطلاب (نصف ريال يومياً لكل طالب) ثم تسلمت المشروع وحولته إلى مدرسة حكومية عام ١٣٨١هـ.

ويذكر المؤسسان أن هذا المشروع كان أول مدرسة أسست في البادية وأول مدرسة تدفع الدولة لطلابها المرتبات(٣).

مستشفى خيري في المدينة:

بدأت أعداد السكان تتزايد في المدينة، ولم يكن فيها سوى مستشفى حكومي واحد أصبح مزدحماً بالمرضى والمراجعين، وفي مواسم الزيارة والحج يصبح الأمر أشد صعوبة، فرغم وجود بعثات طبية مرافقة لبعض

---

١) نشر مؤسسا المدرسة ميزانيتها عام ١٣٦٦هـ أي بعد عام من تأسيسها وملخصها كما يلي: ميزانية شهر ربيع الثاني ١٣٦٦هـ:

الموجودات ٦١٦٣ ريالا و ٥١١ روبية.

التبرعات العينية ١٠٠٠ دفتر، ٥٠ مرساماً و ١٠٠ جزء عم، وثوب خام لكل طالب.

وهذا يدل على استجابة جيدة من أهل المنطقة. انظر جريدة المدينة عدد ١١٥٨ في ١٨ جمادى الثانية عام ١٣٦٦هـ.

٢) انظر فصول من تاريخ المدينة ٢٤٦-٢٥٤ صور وذكريات عن المدينة ١٨٥-١٩٠، جريدة المدينة عدد ١١٢٥ في ٢٥ شوال ١٣٦٥هـ.

٣) فصول ٢٤٧.

حجاج البلاد العربية وغير العربية، إلا أن الحاجة إلى مزيد من المرافق الطبية ملحة في هذه الأوقات، لذلك تداعى عدد من أبناء المدينة إلى إقامة مستشفى خيري.

ونشرت فكرة المشروع في الصحف، وباركتها الدولة، وتشكلت لجنة برئاسة مدير الصحة محمد علي الشواف، وعدد من وجهاء المدينة، وبدأت تعد للمشروع، وأعلنت عن فتح باب التبرعات، وجاءت تبرعات عينية من الملك عبد العزيز (٨٢ ألف حجر وألفي إردب نورة وسيارة نقل كبيرة) كما تبرع عدد من المحسنين كان من أبرزهم تبرع من الحاجة عائشة خضر وابنها بمبلغ قدره عشرة آلاف جنيه فلسطيني، ويعادل مائة ألف ريال عربي آنذاك(١) وقد أنجز المستشفى وافتتح بعد ثلاث سنوات من العمل وجمع التبرعات.

مستشفى من الملك فاروق:

وفي الوقت نفسه بدأ العمل في بناء مستشفى آخر تبرع به الملك فاروق ملك مصر بعد زيارته للمدينة المنورة عام ١٣٦٤هـ وشكلت لجنة خاصة للإشراف على البناء برئاسة المهندس علي شحادة، وعهدت الحكومة المصرية بالبناء للمقاول علي عزت إبراهيم.

واختيرت المنطقة في المناخة غير بعيد عن المستشفى الخيري، وبدأ صب الأساسات عام ١٣٦٧هـ وتواصلت عملية الإنشاء قرابة ثلاث سنوات أيضاً، وافتتح المستشفيان في وقت متقارب عام ١٣٧٠هـ(٢) وقد خصص مستشفى الملك فاروق للأطفال والنساء بينما صار المستشفى الخيري عاماً يحوي تخصصات عدة.

---

١) انظر جريدة أم القرى ع ١١١٧ في ٢٧ شعبان ١٣٦٥هـ، وانظر العدد ١١٣١ في ٨ ذو الحجة ١٣٦٥هـ، والعدد ١٦٦٨ في ٢٨ شعبان ١٣٦٦هـ، وجريدة المدينة ع ٢١٤، في ١٤ ذو القعدة ١٣٦٦هـ.

٢) انظر جريدة المدينة ع ٢٢٢ في ١٨ محرم ١٣٦٧هـ.

نجدة لفلسطين:

كانت الأحداث في فلسطين تتلاحق في غير صالح العرب والمسلمين، فخطة التهويد جارية بمساعدة الاحتلال الإنكليزي، وفقاً لما نصت عليه وثيقة وعد بلفور عام ١٩١٧م، واليهود يتقاطرون من أنحاء العالم ويقيمون المستعمرات ويشكلون العصابات، والعمل السياسي في الساحة الدولية يسير بتوجيه من الرئيس الأمريكي روزفلت لإنشاء دولة إسرائيل وإضفاء الشرعية الدولية عليها، وصدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية في شطرها الأول، ودولة عربية في شطرها الآخر، وأعلن عن قيام دولة إسرائيل واعترفت بها أمريكا وروسيا في الساعة الأولى لقيامها، وثارت ثائرة الجماهير العربية والإسلامية، وبدأت الحملات الواسعة للتبرع والتطوع للجهاد، وكانت المدينة إحدى مراكز الحركة الرسمية والشعبية، فقد جمع وكيل الأمير عبد الله بن سعد السديري وجوه أهل المدينة في منزله وتحدث عدد من الحاضرين عن الواجب الإسلامي لإنقاذ ثالث الحرمين، وشكلت لجنة لمساعدة منكوبي فلسطين برئاسة وكيل الإمارة وعضوية كل من: عبد العزيز الخريجي، وعبد العزيز البري، وإبراهيم عطاس، وحمزة خليل، وعبد العزيز أسعد، ومصطفى عطار، والسيد حبيب، ومحمد صالح الخريجي، وعين أميناً للصندوق، وعلي حافظ وعين سكرتيراً للجنة وفتح باب التبرع، وتحركت النفوس وتوالت التبرعات بسخاء كبير، وبلغ مجموع التبرعات في تلك الليلة مائة وستين ألف ريال، وهو مبلغ ضخم بمقياس ذلك الوقت، وأعلن أن اللجنة ستواصل استقبال التبرعات من أهل المدينة لترسلها الى اللجنة العليا لمساعدة منكوبي فلسطين، وليتم تحويل جملة المبلغ إلى جهاتها، وقد استمرت حملة التبرعات مدة طويلة وارتفع الرقم عدة أضعاف، فكانت نجدة أهل المدينة

لإخوانهم في فلسطين قوية وسخية(١).

التوسعة السعودية الأولى للمسجد النبوي:

مر بنا أن الملك عبد العزيز عندما زار المدينة لأول مرة بعد دخولها في السيادة السعودية أمر بإزالة آثار الحصار والحرب التي بقيت من عهد فخري باشا، وأن ترمم الأجزاء المحتاجة للترميم، وفي عام ١٣٤٨هـ رفع إلى الملك عبد العزيز بأن بعض أسطوانات المسجد من الجهة الشرقية في حاجة إلى تدعيم فأمر بإجراء اللازم فشدت الأسطوانات بسوارات حديدية قوية.

وفي عام ١٣٥٤هـ وبعد تحسن العلاقات المصرية السعودية عرضت وزارة الأوقاف المصرية أن تقوم ببعض الترميمات في المسجد، وكان قد تجمع لديها مبلغ كبير من واردات أوقاف الحرمين في مصر، فوافقت الحكومة السعودية، وحضرت مجموعة من المهندسين والفنيين المصريين، قامت بترميم الأعمدة والمآذن والمداخل وطلاء الجدران والنقوش(٢).

زوبعة عاطفية:

ومرت سنوات وإدارة المسجد النبوي لاتألو جهداً في العناية بالمسجد وإجراء الترميمات الصغيرة اللازمة، وفي عام ١٣٦٨هـ قدم بعض الزوار المصريين إلى المدينة المنورة ورأوا في بعض أعمدة الجانب الشمالي من المسجد تشققات صغيرة، فلما عادوا إلى مصر نشروا في الصحف المصرية مقالات لاتخلوا من المبالغة والانفعال عن تلك التشققات، ورأوا أنها تنذر بسقوط المسجد، وتنادوا لإنقاذ مسجد رسول الله ﷺ، ويبدو أن بعض محرري الصحف وجدوا في تلك القضية مادة إعلامية مثيرة، فأفاضوا فيها واستثاروا عواطف الجماهير، وانتقلت القضية إلى المساجد، وتحمس لها الخطباء، وتحولت النداءات العاطفية إلى مقترحات ومشاريع، وتشكلت لجنة

---

١) انظر جريدة المدينة ع ٢٢٤، ٣ صفر ١٣٦٧هـ.

٢) انظر: آثار المدينة المنورة ص ١٠٣، والمسجد النبوي عبر التاريخ ص ١٨٥.

لجمع التبرعات، ونشرت إعلاناتها في الصحف والمساجد، وبدأت تتلقى التبرعات السخية، حدث ذلك كله دون أن يرجع أحد إلى الجهة القائمة بأمر المسجد النبوي، ودون أن تصدر تقارير فنية تثبت صحة القضية أو بطلانها، وتظهر حقيقة الوضع في المسجد النبوي، ورفعت التقارير بذلك إلى الملك عبد العزيز، فانزعج الملك من تلك الضجة، وأمر بالإبراق الى رئيس الوزراء المصري لوقف الضجة الإعلامية، ورد التبرعات إلى أصحابها، وإعلامه بأن الملك عبد العزيز سيقوم بإعمار المسجد النبوي من ماله الخاص(١) وكلف مدير الإنشاء والتعمير الشيخ محمد بن لادن بدراسة وضع المسجد النبوي ورفع تقرير مفصل عنه، وخلال الاتصالات اللاحقة بين الحكومتين المصرية والسعودية قبلت الحكومة السعودية مساعدات فنية تتمثل في مجموعة من المهندسين المدنيين والمعماريين لتشارك في دراسة حالة المسجد ولوضع المقترحات المناسبة، فأوفدت وزارة الأشغال المصرية عدداً من المهندسين الذين التقوا بالشيخ محمد بن لادن، وحضروا إلى المدينة معه، وقاموا بدراسة دقيقة متأنية لمبنى المسجد النبوي، وأجروا على أجزائه عدة اختبارات فنية، ووضعوا تقريراً شاملا سلموه إلى الشيخ محمد بن لادن لرفعه إلى جلالة الملك.

تقرير المهندسين المصريين:

بين تقرير المهندسين المصريين أن رطوبة خفيفة تسربت إلى الجدار الغربي للمسجد من المجاري المجاورة له، وأنها أحدثت فيه تآكلا خفيفاً وكذلك أحدثت بعض التشقق في عدد من سواري الجهة الشرقية والشمالية، وعزا التقرير السبب إلى تقصير المهندسين الذين أشرفوا على العمارة

---

١) انظر هاشم دفتردار وجعفر فقيه: توسعة الحرم النبوي الشريف ص ٣٤، وانظر جريدة المدينة ع ٣٧٥ في ٨ جمادى الأولى ١٣٧٠هـ و ع ٣٧٦ في ١٥ جمادى الأولى ١٣٧٠هـ.

العثمانية الأخيرة، فقد غفلوا عن وضع عازل يحمي الجهة الغربية من تسرب الرطوبة، واقترح التقرير إزالة الأجنحة الثلاثة للمبنى الأصلي، وهي: الرواق الشرقي، والقسم الشمالي، والرواق الغربي، والإبقاء على القسم الجنوبي، والتعويض عن الأقسام المزالة ببناء جديد أوسع يمتد من نهاية المبنى الجنوبي مسافة ١٢٨ متراً، ويشمل رواقاً شرقياً وآخر غربياً، ويصل بينهما رواق شمالي طوله ٩١ متراً، كا يبنى جدار في الجزء الغربي يمتد إلى باب السلام عوضاً عن الجدار الغربي القديم، ويزيد في المساحة الغربية شيئاً بسيطاً، فتصبح مساحة التوسعة الجديدة كلها ١٢٢٧١ متراً مربعاً، ورفع التقرير إلى الملك عبد العزيز فوافق عليه وأمر بوضع التصميمات والخرائط، وبدء العمل بإشراف الشيخ محمد بن لادن ومستشاروه معهم حتى توصلوا إلى صيغة نهائية، وبدأ العمل وفقها، فهدم جانب من الجدار الغربي والجناح الشمالي الغربي، حيث ظهر التشقق وآثار الرطوبة المتسربة.

خلاف بين المهندسين

وما لبثت وزارة الأشغال المصرية أن أرسلت مجموعة أخرى من المهندسين لتعاضد المجموعة الأولى، فدرست هذه المجموعة المشروع ورأت أن تتجاوزه، واقترحت هدم مبنى المسجد كله باستثناء الحجرة النبوية، وإعادة بنائه بتصميم جديد يرتفع فيه السقف ٢٤ متراً، أي بزيادة عشرة أمتار عن وضعه الحالي، وحاولت اللجنة الجديدة إقناع الشيخ محمد بن لادن المشرف العام على المشروع برأيها، ونشرت مقترحاتها في بعض الصحف المصرية في محاولة لكسب الرأي العام معها وفرض مقترحاتها، غير أن اقتراح هدم المبنى الجنوبي -وهو القسم الذي يضم آثاراً قديمة كثيرة- أثار اعتراضات شديدة في المدينة وأحدث لغطاً واسعاً، ورفع المعترضون العرائض إلى الملك عبد العزيز، وشارك في الاحتجاج عدد من المقيمين والمجاورين والزائرين وكان بينهم مهندسون باكستانيون ذوو خبرة طويلة، فأمر الملك

مدير الإنشاء والتعمير محمد بن لادن بالنظر في القضية، ورأى محمد بن لادن أن يناقش الأمر مع الأطراف المختلفة فعقد اجتماعاً بين المهندسين المصريين القدماء والجدد والمهندسين الباكستانيين، ونوقشت القضايا الفنية مناقشة طويلة وعميقة، وتعددت اللقاءات وكثرت الآراء، وكان بعضهم متمسكاً بإزالة المبنى كله وحفر أساس عميق (٢٥ متراً) ليتحمل المبنى الجديد الضخم، وبعضهم رأى أن الأرض قوية لاتتطلب ذلك العمق، وبعضهم الآخر تمسك بالإبقاء على المبنى الجنوبي على الأقل، واستدعى محمد بن لادن بعض الجيولوجيين لدراسة طبقات الأرض في المنطقة، فقرروا أن الأساس ينبغي ألا يزيد على سبعة أمتار، وأن يظل ارتفاع المبنى على وضعه الحالي أي أربعة عشر متراً، واستغرقت مناقشات المهندسين بقية عام ١٣٦٩هـ وكانت أخبارها تتسرب إلى بعض أهل المدينة والمهتمين بالقضية وتنتشر معها الآراء والأقوال، وكانت الصحافة المصرية تتابع القضية من وجهات نظر مختلفة وتنشر الآراء والاجتهادات، فأحدث ذلك لغطاً مزعجاً، فأمر الملك عبد العزيز باستقدام مهندسين باكستانيين من أولي الخبرة لدراسة القضية ووضع تقرير مفصل.

وتم الاتصال بالحكومة الباكستانية لهذا الشأن فأرسلت لجنة تتألف من ثلاثة مهندسين درست حالة المبنى كما درست الخرائط والتصميمات والمقترحات التي قدمتها اللجان السابقة، ووضعت تقريراً دقيقاً رفع إلى الملك عبد العزيز في رمضان ١٣٧٠هـ.

تقرير المهندسين الباكستانيين:

أيد المهندسون الباكستانيون في تقريرهم قرار اللجنة الأولى في المحافظة على المبنى الجنوبي وهدم الأجنحة الثلاثة المتصلة به، وهدم المآذن الخلفية الثلاثة، والتعويض عنها بمئذنتين في الركنين الشماليين وتوسعة

القسم الشمالي(١).

القرار الملكي:

اطلع الملك على التقرير فوافق عليه، وأصدر أمره الملكي إلى وزير الداخلية الأمير عبد الله الفيصل لاستمرار العمل في مشروع التوسعة على النحو الذي ورد في تصميمات اللجنة الأولى والذي وافق عليه كل من مدير المشاريع محمد بن لادن والمهندسون الباكستانيون.

لجنة التعويضات

يقتضي مشروع التوسعة إدخال مساحات من ٣٤ عقاراً من العقارات المجاورة للمسجد في مبناه الجديد.

لذلك أمر الملك عبد العزيز بتشكيل لجنة من أهالي المدينة المنورة الذين لهم خبرة في أسعار العقارات لتقدير ثمن المساحات التي ستضم إلى المسجد لتعويض أصحابها بالعدل والإنصاف، فشكل وكيل أمير المدينة اللجنة وعرضها على الملك فوافق عليها، وتتألف من: أمين المدني رئيس البلدية رئيساً، وعضوية كل من محمد سالم الحجيلي مدير المالية، وعباس السقاف عضو مجلس إدارة المدينة، وآدم البكري مهندس البلدية.

وقامت اللجنة بعملها، وصرفت الدولة التعويضات للمستحقين(٢).

بدء التوسعة:

في الخامس والعشرين من شهر شوال عام ١٣٧٠هـ أقيم حفل خاص في المسجد النبوي للبدء في أعمال التوسعة، وكانت الخطوة الأولى هي إزالة الأروقة الشرقية والشمالية والجدار الغربي كله، والمآذن الشمالية الثلاثة، وهدم الدور والأبنية الأخرى التي ستدخل في التوسعة، وبدأ العمل في ذلك اليوم بحضور وكيل أمير المدينة ومدير المشاريع محمد بن لادن وأعيان

---

١) انظر المصدر السابق ص ٣٩.

٢) انظر المصدر السابق ص ٨٣-٨٥.

المدينة، واستمر لأكثر من سنة، ثم بدأ حفر الأساسات، وعزلت منطقة التوسعة عن المبنى الجنوبي بجدار فاصل ليتمكن المصلون من أداء الصلاة في ذلك القسم. وأقامت إدارة المشروع مصنعاً للأحجار والرخام للبناء الجديد، كما أقامت مستودعاً في جزء من قصر الداودية على تلة المستندر قرب المسجد النبوي، وهو القصر الذي بناه داود باشا الكرجي محافظ المدينة قبل مائة عام.

وبدأت إدارة المشروع باستيراد المواد اللازمة عن طريق ميناء ينبع، وقد بلغ عدد البواخر التي نقلت تلك المواد ثلاثين باخرة، كانت تفرغ حمولتها في الميناء، وتنقل الحمولة إلى مستودعاتها في المدينة.

وفي الرابع والعشرين من رمضان ١٣٧٢هـ بدأت عملية البناء، وكان يعمل فيها -حسب الإحصاءات الرسمية- ستمائة عامل وعشرة مهندسين(١) وعندما ارتفعت الجدران على سطح الأرض حضر ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز مع عدد كبير من رجال السلك الدبلوماسي العربي والإسلامي وكبار الشخصيات السعودية، وأقيم حفل كبير لوضع حجر الأساس في مطلع ربيع الأول ١٣٧٣هـ ووضعت أربعة أحجار من الرخام البني والأبيض في الزاوية الشمالية الغربية من المسجد سجلت عليها هذه المناسبة.

استمر العمل بعد ذلك مدة سنتين توفي في أوائلها الملك عبد العزيز (١٢ ربيع الثاني ١٣٧٣هـ) وتولى الملك ولي عهده الأمير سعود الذي أولى التوسعة عناية خاصة. وانتهت أعمال التوسعة في نهاية صفر ١٣٧٥هـ وأقيم حفل كبير لذلك في الخامس من ربيع الأول ١٣٧٥هـ وقد شملت التوسعة نوعين من البناء:

الأول: هدم الأجزاء التي تحتاج إلى هدم وإعادة بنائها وهي كما يلي:

أ - الجدار الغربي للمسجد كله قبل التوسعة.

---

١) انظر بيان المكتب الرسمي في توسعة الحرم النبوي الشريف ص ٦٣.

ب - الرواق الغربي.

ج - الرواق الشمالي.

د - الرواق الشرقي.

هـ- المآذن الشمالية الثلاثة (وقد بني عوضاً عنهامئذنتان فقط حفاظاً على التناسق العمراني) وتبلغ مساحة هذه الأجزاء ٦٢٤٧ متراً مربعاً.

الثاني: بناء مساحات جديدة ضمت إلى المسجد لتوسعته من جهاتها الثلاثة: الشرقية، والشمالية، والغربية، وتبلغ مساحتها ٦٠٢٤ متراً مربعاً.

وبذلك تكون مساحة البناء الكلية ١٢٢٧١ متراً مربعاً، ومساحة القسم الجنوبي الذي لم يهدم واكتفي بدعم أعمدته فقط ٤٠٩٥ متراً مربعاً.

وقد تغير الشكل العام للمسجد بعد التوسعة وأصبح على النحو التالي:

أولا: القسم الجنوبي: وهو مبنى مستطيل يغلب عليه اللون الأحمر الفاتح وتعلوه قباب صغيرة والقبة الخضراء التي تعلو الحجرة النبوية، وهو القسم العثماني الذي بقي على حاله تقريباً.

ثانيا: البحصة الأولى: وتتألف من فسحة مكشوفة كانت مفروشة بالرمل الناعم على يمينها رواق يتصل بالمبنى العثماني وعلى شمالها رواق آخر مماثل له، ويقوم كل من الرواقين على أعمدة بيضاء ويغطي الرواق سقف من الاسمنت المسلح ليس فيه قباب قسم على شكل مربعات مشابهة لمربعات الأسقف الخشبية القديمة، وقد زخرف السقف بنقوش مختلفة جميلة.

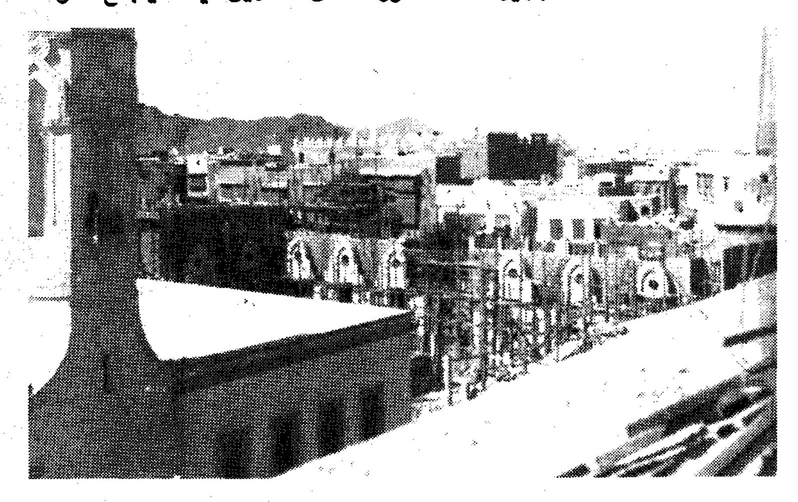
وللأعمدة تيجان من النحاس الأصفر المفرغ بأنواع بديعة من النقوش، أما قواعد الأعمدة فقد كسيت بالرخام الأسمر المجزع.

ويتصل الرواقان في نهايتهما الشمالية برواق عرضي يماثل في أعمدته وسقفه الرواقين الجانبيين له، وله باب في جهة الشرق وآخر في جهة الغرب.

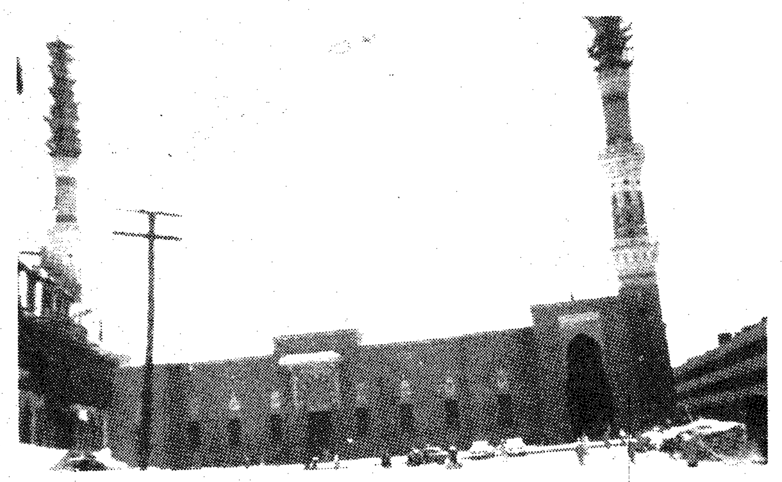
ثالثا: البحصة الثانية: يلي الرواق الشمالي فسحة تساوي الفسحة الأولى وفي جهاتها الثلاثة أروقة تماثل أروقة الفسحة الأولى، وفي الرواق الشمالي



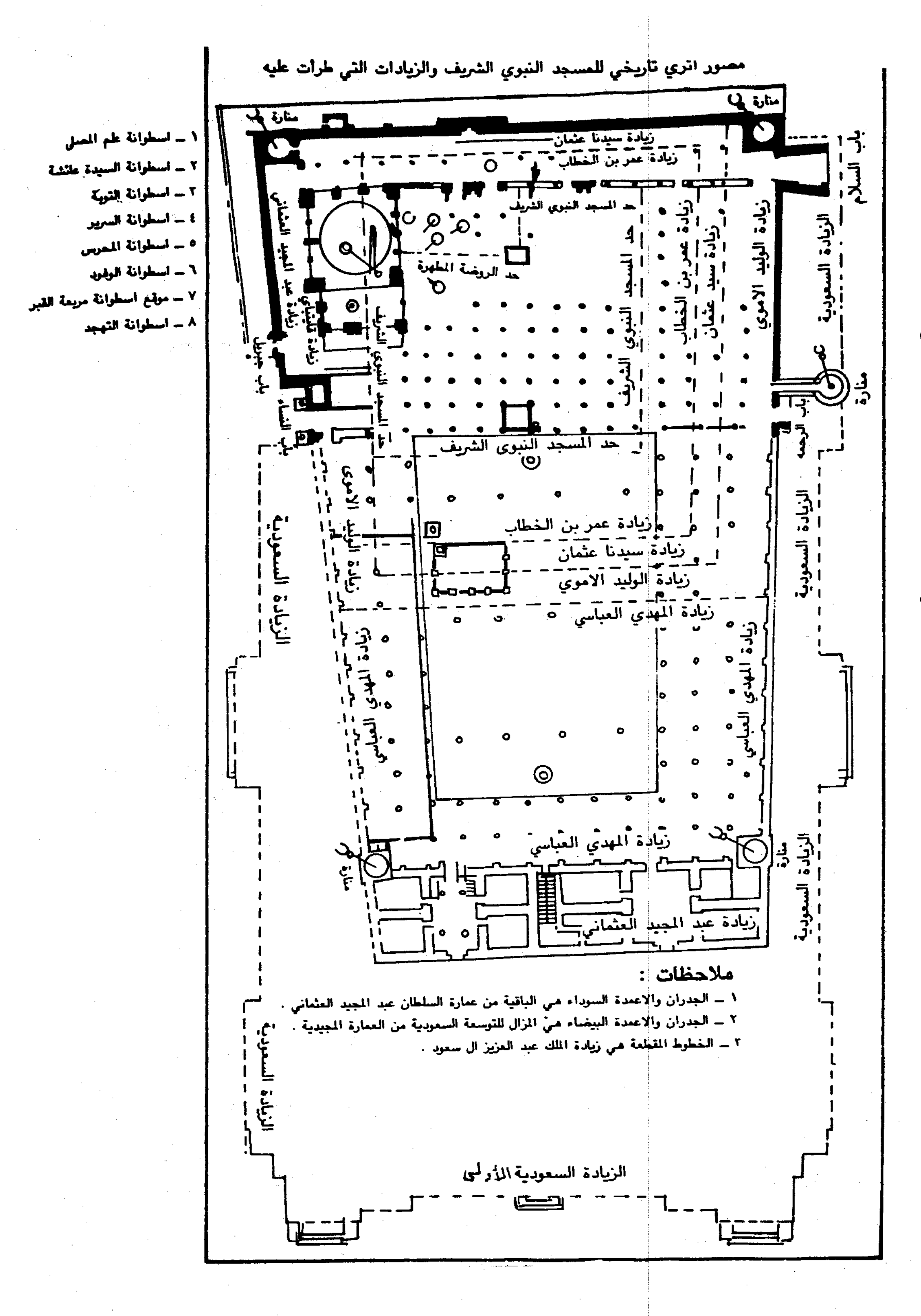
١ ـ قوافل السيارات تحمل التجهيزات المستوردة عن طـريق ميناء ينبـع للتوسعة الأولى.



٢ ـ جانب من أعمال التوسعة.



٣ ـ الـواجهة الشمـالية للمسجـد لنبوي بعـد انتهاء بنـائها ويـلاحظ أن المئذنتين في المراحل الأخيرة من الإنجاز.



مصور اثري تاريخي للمسجد النبوي الشريف والزيادات التي طرأت عليه
١ ـ اسطوانة علم المصلى
٢ ـ اسطوانة السيدة عائشة
٣ ـ اسطوانة التوبة
٤ ـ اسطوانة السرير
٥ ـ اسطوانة المحرس
٦ ـ اسطوانة الوفود
٧ ـ موقع اسطوانة مربعة القبر
٨ ـ اسطوانة التهجد
منارة
منارة
باب السلام
زيادة سيدنا عثمان
زيادة عمر بن الخطاب
حد المسجد النبوي الشريف
حد الروضة المطهرة
حد المسجد النبوي الشريف
زيادة عمر بن الخطاب
زيادة سيدنا عثمان
زيادة الوليد الاموي
الزيادة السعودية
منارة
باب الرحمة
باب جبريل
باب النساء
حد المسجد النبوي الشريف
زيادة عمر بن الخطاب
زيادة سيدنا عثمان
زيادة الوليد الاموي
زيادة المهدي العباسي
زيادة الوليد الاموي
الزيادة السعودية
زيادة المهدي العباسي
زيادة المهدي العباسي
الزيادة السعودية
زيادة المهدي العباسي
منارة
منارة
الزيادة السعودية
زيادة عبد المجيد العثماني
ملاحظات :
١ ـ الجدران والاعمدة السوداء هي الباقية من عمارة السلطان عبد المجيد العثماني .
٢ ـ الجدران والاعمدة البيضاء هيَ المزال للتوسعة السعودية من العمارة المجيدية .
٣ ـ الخطوط المقطعة هي زيادة الملك عبد العزيز ال سعود .
الزيادة السعودية
الزيادة السعودية الأولى

الآخر توجد ثلاثة أبواب اثنان عند الركنين الشرقي والغربي وواحد في الوسط (١) والجدير بالذكر أن تكاليف التوسعة بلغت خمسين مليون ريال، فضلاً عن تعويضات العقارات التي ضمت للمسجد(٢).

المدينة في وكالة الأمير عبد الرحمن السديري:

توفي الأمير عبد الله السديري في ١٣٧٩/٨/١٣هـ فتولى وكالة إمارة المدينة المنورة ابنه الأمير عبد الرحمن السديري، وصدر مرسوم وكالته في ١٣٨٠/٨/٢٩هـ.

سار وكيل الإمارة الجديد على نهج والده في الاهتمام بأمور المدينة ورعاية أهلها، واستمرت وكالته قرابة ست سنوات حيث عُيِّن الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أميراً على المدينة المنورة.

الجامعة الإسلامية حلم يتحقق:

كانت فكرة إقامة جامعة إسلامية في المدينة المنورة حلماً يراود أذهان المتنورين من الدعاة والمفكرين الإسلاميين منذ مطلع القرن الهجري الرابع عشر.

وقد استطاع كل من عبد العزيز الجاويش وشكيب أرسلان وعبد القادر المغربي اقناع الدولة العثمانية بإقامة هذه الجامعة في المدينة المنورة -كما رأينا- واستصدروا مرسوماً بإنشائها عام ١٣٢٨هـ رغم أن حكام الدولة العثمانية آنئذ كانوا من القوميين الذين خلعوا السلطان عبد الحميد واستولوا على السلطة، وقد حضر أولئك الثلاثة إلى المدينة ومعهم الأموال اللازمة ومطبعة عربية لتأسيس الجامعة وإدارتها، وباشروا عملهم بنشاط واختاروا الموقع شرقي محطة القطار بينها وبين التكية المصرية، وشرعوا بإقامة البناء

---

١) انظر المصور المرفق للمسجد قبل التوسعة وبعدها، وانظر تفصيلات أخرى في كتاب المسجد النبوي عبر التاريخ ص ١٨٥-١٩١.

٢) انظر توسعة الحرم النبوي الشريف ص ٦٤.

وانتهوا من إنشاء الدور الأول.

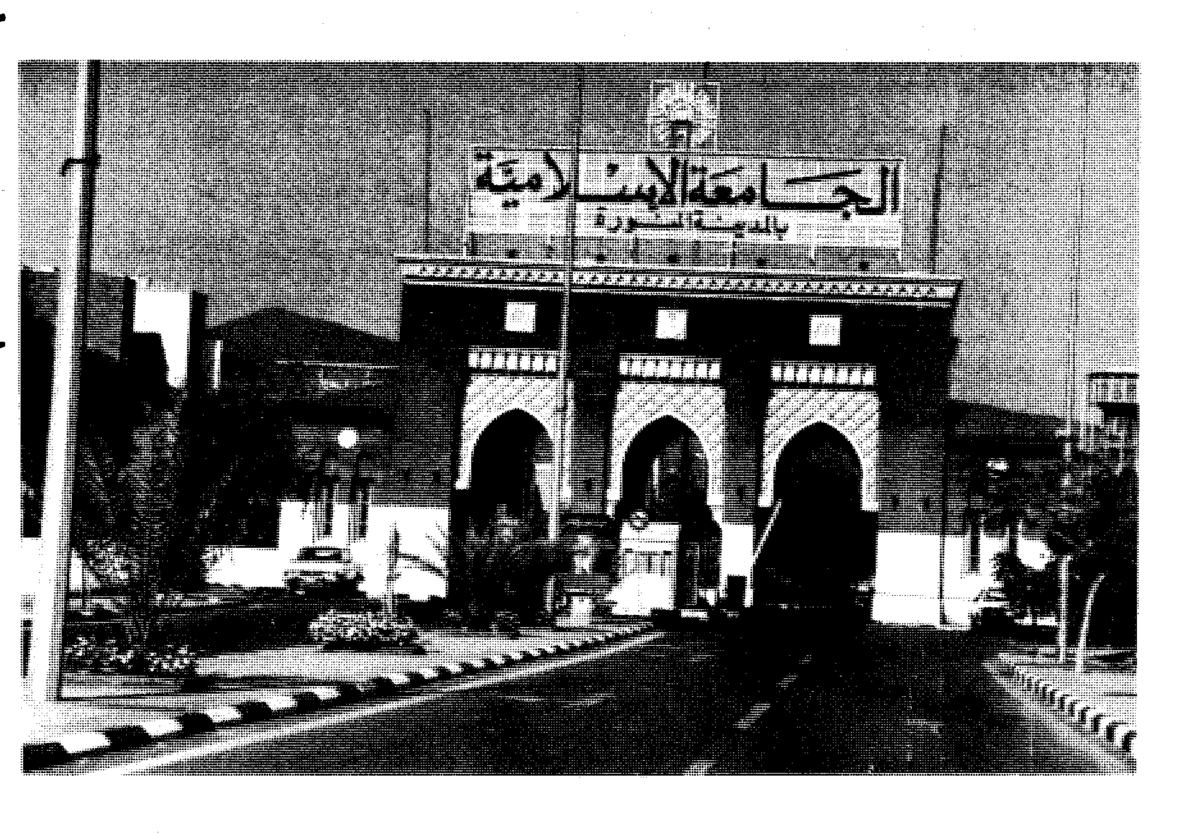
ثم داهمتهم الحرب العالمية الأولى والأحداث التي اقترنت بها في المدينة وأهمها إدارة فخري باشا والحرب مع الهاشميين فتوقف المشروع.

وعندما استولى الهاشميون على الحجاز شغلتهم مشكلاتهم الخارجية والداخلية عن كثير من المشاريع الضرورية، فظل مشروع الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة مطوياً وظل القسم الذي أنشيء من مبناها خاوياً.

ثم جاءت الدولة السعوية، ولم تكن إمكاناتها المالية قادرة على إنشاء الجامعات أول الأمر، فقد شغلت الدولة باقرار الأمن وبالتغييرات الضخمة التي قامت بها.

ومن المعروف أن ميزانية الدولة ظلت محدودة إلى وفاة مؤسسها الملك عبد العزيز رحمه الله، وفي أواخر عهده بدأت التغيرات الإقتصادية بطيئة تؤدي إلى تغييرات في جوانب الحياة الأخرى، ومع تدفق النفط واكتشاف آبار جديدة وارتفاع مستوى الإنتاج والتصدير بدأت تباشير الوفرة في الحياة العامة، وكان مبنى الجامعة الأول قد تحول إلى أول مدرسة ثانوية في المدينة وهي ثانوية طيبة، بعد أن أصلح المبنى وأنشيء فوقه دور آخر وبدأت الدراسة فيه عام ١٣٦٢هـ.

وفي عام ١٣٨٠هـ أعيد طرح فكرة الجامعة الإسلامية وأسهم عدد من المستشارين ورجال الإعلام وجريدة المدينة في إحياء الفكرة وإجراء حوار حولها وتقديمها للمسؤولين، فاستجابت الدولة لهذه الرغبة الإسلامية العامة، وأصدر الملك سعود بن عبد العزيز مرسوماً ملكياً بتأسيس هذه الجامعة بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٣٨٠هـ وشُكل لها مجلس أعلى يضم عدداً من الشخصيات الإسلامية من أنحاء العالم الإسلامي، وأسندت رئاستها لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة، وعين الشيخ عبد العزيز بن باز بمنصب نائب رئيس الجامعة، وباشر إدارتها على الفور، واستقدم لها عدداً


الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

من العلماء وكبار الأساتذة من داخل المملكة وخارجها، وأعلنت سفارات المملكة في الدول الإسلامية عن فتح باب القبول لأبناء العالم الإسلامي فيها، فتدفقت عليها الطلبات من أنحاء العالم.

اختارَ المسؤولون للجامعة أرضاً واسعة في الشمال الشرقي لجبال الجماوات قرب قصر سعد بن العاص التاريخي في أحد السهول التي تمتد على ضفاف وادي العقيق، وتبعد عن المسجد النبوي قرابة ٥كم، وكانت فيها ثكنات قديمة وأول مطار عرفته المدينة -مطار سلطانة- أو في الحقيقة المدرج الترابي الذي هبطت عليه أول طائرة حطت في المدينة، وقد استفادت الجامعة من المباني الباقية وأقامت أول تأسيسها مباني بسيطة قبل أن يضع المسؤولون فيها مشروعاً طموحاً.

وقد بدأت الدراسة في الجامعة في الثاني من جمادى الثانية ١٣٨١هـ في الكلية الأولى والوحيدة آنئذ كلية الشريعة.

ويقضي نظام الجامعة أن تكون أغلبية الطلاب من أنحاء العالم الإسلامي لتكون جامعة دعوية تخرج العلماء والدعاة ﴿لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ وليكونوا روّاد الإصلاح في مجتمعاتهم، وتخصص الجامعة لكل طالب مكافأة شهرية مناسبة وتقدم لهم السكن والطعام وتذاكر السفر السنوية، وتسعى لأن تستقطب الطلاب المسلمين من جميع أنحاء العالم وتركز على البلاد التي تكون حاجتها أشد للعلماء والدعاة.

وقد تطورت الجامعة الإسلامية بعد ذلك كماً وكيفاً، وافتتحت فيها أربع كليات أخرى هي: كلية الدعوة، وكلية الحديث، وكلية القرآن، وكلية اللغة العربية، كما أنشيء فيها معهد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لتأهيلهم للدراسة فيها، وأنشيء فيها مراحل ماقبل الجامعة: الابتدائية واسمها (دار الحديث) والاعدادية (المعهد المتوسط) والثانوية (المعهد الثانوي) وأُنشيء فرع لمراحل ماقبل الجامعة في مكة (دار الحديث المكية) كما أنشئت

مباني الجامعة الإسلامية اليوم. وتضم مباني رئاسة الجامعة والمكتبة المركزية والمسجد والكليات ومهاجع الطلاب. وهناك مشروع لإقامة مدينة سكنية كاملة للأساتذة والطلاب

من المباني الحكومية الحديثة في المدينة. مبنى إدارة الطرق وإدارة النقل

فيها أقسام الدراسات العليا لتخريج حملة الماجستير والدكتوراه.

ومع امتداد السنوات التالية خرجت الجامعة آلاف الدعاة ينتشرون في أنحاء الأرض يُدَرسون في المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد، ويعملون في بعض الوظائف، وينقلون الثقافة الشرعية لمجتمعاتهم مثلما يحملون الدعاة إلى الله بالتي هي أحسن.

الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أميراً للمدينة:

مر بنا أن الملك عبد العزيز عندما وافق على طلب أهل المدينة الصلح عام ١٣٤٤هـ كلف ابنه الأمير محمداً بتسلم المدينة من المقاومين، وأوصاه بإكرام أهلها، وسماه أميراً لها، وقد نفذ الأمير محمد بن عبد العزيز توجيهات أبيه فتسلم المدينة، وأكرم أهلها، ومكث فيها بضعة عشر يوماً ثم قرر أن يلحق بأبيه وكان أبوه على وشك تسلم جدة من الهاشميين، فعين إبراهيم السبهان وكيلاً له وسافر إلى والده.

ومنذ ذلك الوقت وإمارة المدينة باسم الأمير محمد بن عبد العزيز، غير أن الأمير محمداً آثر أن يلازم والده، فتعاقب على المدينة عدة وكلاء كانوا يديرون شؤونها بدءاً بإبراهيم السبهان ووصولاً إلى عبد الرحمن بن عبد الله السديري.

وعندما تولى الملك فيصل مقاليد الأمور في البلاد أعاد تنظيم الإمارات وعدداً من الوظائف الأخرى، فعين أخاه الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أميراً على المدينة المنورة وذلك في عام ١٣٨٥هـ.

ووصل الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز إلى المدينة المنورة وتسلم شؤون الإمارة من الوكيل عبد الرحمن بن عبد الله السديري وباشر إدارتها بنفسه فيما قام عبد الرحمن بشؤون الوكالة، وكان الأمير عبد المحسن دمثاً لين الجانب لأهل المدينة حريصاً على إدارة الأمور بنفسه والاطلاع على سير العمل في إدارات المدينة، كما كان حريصاً على لقاء أهل المدينة ومجالسة

وجوههم في مجلسه الخاص.

وقد بدت صفاته هذه من أول توليه الإمارة، فقد حدث أن انهارت عمارة في شارع المناخة بعد تسلمه منصبه بفترة وجيزة، فسارع إلى الموقع، وأشرف بنفسه على عملية إزالة الأنقاض، وأسهم فيها، وأمر بضرب الخيام في المنطقة وأقام فيها طوال مدة إزالة الأنقاض -أكثر من أسبوعين- وقد ظل يحرص على متابعة الأمور في مواقعها إلى أن داهمه المرض.

أسرة الوادي المبارك:

الأدب والثقافة جزء من حياة أهل المدينة، فعلى امتداد التاريخ من العصر الجاهلي إلى العصر الحاضر شهدت المدينة أجيالا من الأدباء وكبار المثقفين فضلا عن العلماء والفقهاء الذين احتضنهم المسجد النبوي طلاباً وأساتذة.

وفي العصر الحديث بدت ظاهرة تجمع الأدباء وكبار المثقفين في المدينة وتشكيلهم مجموعات ثقافية متجانسة يتعاون أفرادها في تنمية مواهبهم ومواصلة إبداعهم.

وقد مر بنا جيل منتصف القرن الرابع عشر الميلادي: عبد القدوس الأنصاري، ومحمد حسين زيدان، وأمين المدني، ومحمد عثمان، وعلي الحافظ.. الخ، وقد خرج معظم هؤلاء من المدينة للعمل في وظائف وأعمال خاصة في الرياض وجدة ومكة، وخلفهم جيل آخر نشأ على كتاباتهم وجمع بين الثقافة المدرسية التي أتيحت لهم وثقافة المسجد النبوية والقراءات الخاصة، فأنشأوا جماعة سميت أسرة الوادي المبارك(١) وأهم أعضائها : عبد

---

١) روى لي الأستاذ محمد حسن صيرفي أن أعضاء هذه الجماعة كانوا يلتقون تلقائياً دون أن يطلقوا على جماعتهم اسماً محدداً، فلما بويع الملك فيصل رحمه الله ملكاً أبرق له الأستاذ الصيرفي مهنئاً ومقدماً بيعته وبيعة زملائه الأدباء، فكتب له هذا الإسم ارتجالا، فأرسل الديوان الملك ببرقية جوابية باسم أسرة الوادي المبارك، فسر الصيرفي وزملاؤه لهذا التوفيق، وعدوا برقية الديوان الملكي موافقة عليا

العزيز الربيع، محمد هاشم رشيد، محمد حسن صيرفي، محمد عيد الخطراوي، عبد الرحمن الشبل، عبد الرحيم أبو بكر، وسار هؤلاء على خطا من قبلهم في الاجتماع في منزل أحدهم دورياً وقراءة الشعر وبعض الكتب الثقافية وإجراء المناقشة حولها، ونقد الأعمال الأدبية وإلقاء بعض المحاضرات.

وفي عام ١٣٩٥هـ عهدت الدولة إلى الرئاسة العامة لرعاية الشباب برعاية الأنشطة الثقافية والأدبية ودعمها لتنشيط الحركة الثقافية في المملكة، فأتاحت هذه الرئاسة الفرصة للجماعات الأدبية كي تشكل أندية أدبية في المدن الكبرى، ودعمتها بمعونة مالية مناسبة، فسارع أعضاء أسرة الوادي المبارك إلى الاتصال بالرئاسة العامة لرعاية الشباب، وسافر الأستاذ عبد العزيز الربيع إلى الرياض وعاد بفكرة إنشاء النادي، فاجتمع أعضاء أسرة الوادي المبارك وشكلوا إدارة النادي وأبلغوا الرئاسة العامة لرعاية الشباب بها، فصدرت الموافقة الرسمية على إنشاء النادي، فكان هذا النادي أول هيئة أدبية منظمة تظهر في المدينة المنورة وتقوم بنشاط أدبي وثقافي عام يستقطب الأدباء الناجحين والناشئين ويستقدم رجال الفكر والثقافة ليلتقي بهم أهل المدينة ويقيم مواسم ثقافية غنية، إضافة إلى ذلك بدأ النادي بنشر الدواوين والمجموعات القصصية والكتب الثقافية، وأصبح خلال أعوام قليلة أكبر مؤسسة للنشر في المدينة المنورة، وقد بلغ عدد الكتب التي نشرها النادي حتى نهاية العقد الأول من القرن الخامس عشر ٧٤ كتاباً.

وهكذا يدخل في تاريخ المدينة المنورة نشاط يطور الجانب الثقافي والأدبي فيها، ويحتضن بذور الأدباء وينقل أصوات المبدعين عبر الكتاب المطبوع إلى الساحات الثقافية ليس في المملكة فحسب بل حيثما يصل إليه الكتاب العربي المطبوع.

على الجماعة واسمها، وعندما شكل النادي الأدبي من أعضاء الجماعة ذاتها كتب على لوحة النادي (نادي المدينة المنورة الأدبي (أسرة الوادي المبارك)).

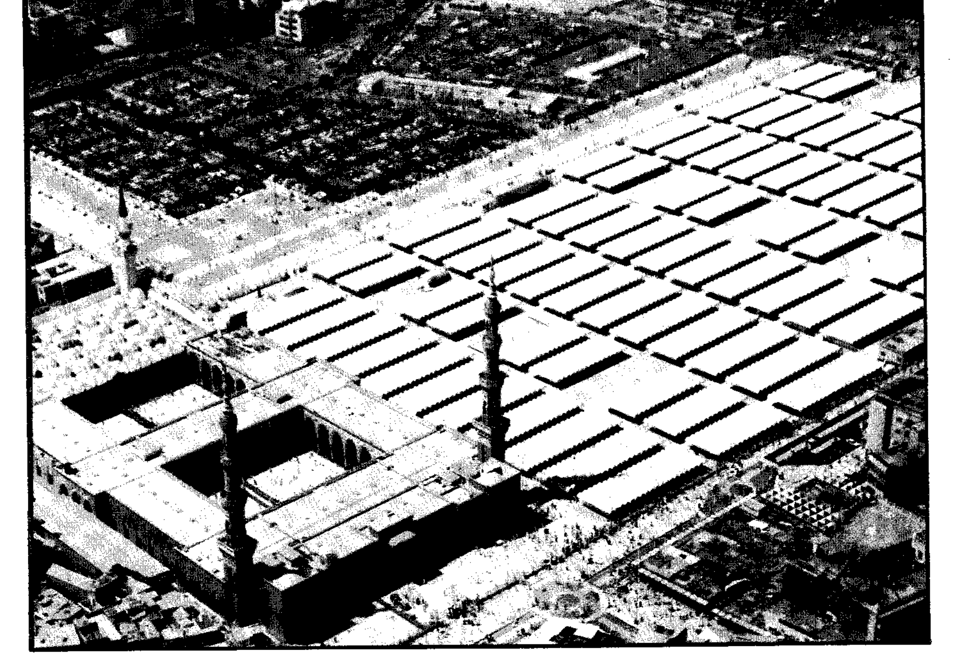
حريق كبير:

شهدت المدينة المنورة قبل أن تودع القرن الرابع عشر حريقاً كبيراً في أحد مراكزها الاقتصادية المهمة هو سوق القماشة.

يقع هذا السوق في الجزء الجنوبي الغربي من المسجد النبوي في المسافة مابين باب السلام ومسجد الغمامة (حوالي ثمانمائة متر) ويتكون من مجموعة دكاكين صغيرة متلاصقة بعضها يرتفع فوقه بناء من طبقة أو طبقتين فيها بيوت سكنية وغرف لإسكان النزلاء.

وقع الحريق يوم الثامن عشر من شهر رجب عام ١٣٩٧هـ كان الفصل صيفاً والوقت بعد الظهر والحر شديد، وقد آوى معظم الناس إلى بيوتهم وأغلق أصحاب الدكاكين دكاكينهم بستائر من القماش تغطي واجهتها، وكان هذا عرفاً جارياً في فترات الإغلاق المؤقت (مابين الظهر والعصر) فمعظم أصحاب الدكاكين يضعون في واجهة محلاتهم بسطات مناسبة لواجهة المحل، لذا ولكي لايعيد التاجر البضائع التي عليها إلى الدكان ثم يخرجها ثانية بعد العصر، وبسبب الأمان الكبير الذي حققته الحكومة السعودية حتى لم يعد أحد يجرؤ على أن يمد يده إلى شيء لايخصه ولو كان أمامه في الشارع، لذلك كله اعتاد أصحاب المحلات على هذا الإغلاق الرمزي بستائر القماش.

كان معظم محلات السوق لبيع الأقمشة، وهناك محلات للعطارة و(الخردوات) وغيرها. وكانت معظم الأبنية مسقوفة بالخشب وفيها مشربيات خشبية جميلة وقديمة، وفجأة وفي هدأة القيلولة اشتعلت النار في طرف السوق القصي من جهة الغرب، حيث توجد دكاكين عطارة لآل خشيم وارتفع لسان النار من أحد الدكاكين وانتقل بسرعة عجيبة إلى الدكان المجاورة، ومضى شرقاً من دكان إلى آخر تساعده الستائر القماشية والمشربيات الخشبية، وعلا صوت النذير بالحريق ونزل الناس من البيوت مباشرة وخرج من كان باقياً في دكانه.

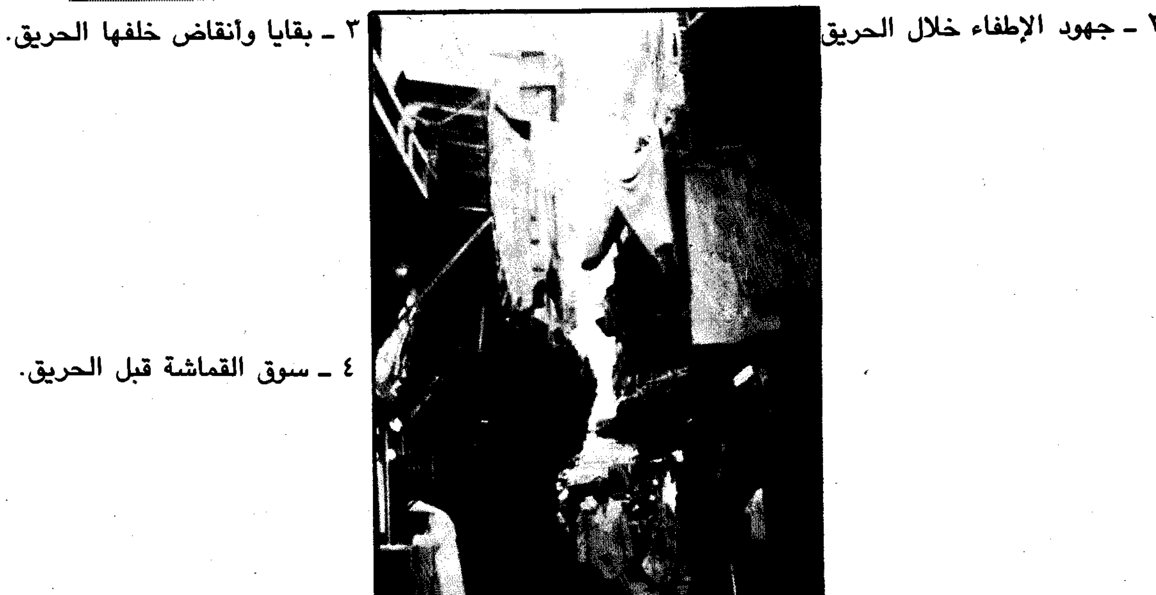


١ - موقع المنطقة التي آحترقت تحولت إلى ساحات إضافية للمسجد مظلله
وساحات واسعة ومواقف سيارات



٢ - جهود الإطفاء خلال الحريق

٣ - بقايا وأنقاض خلفها الحريق.



٤ - سوق القماشة قبل الحريق.

وشاء الله أن تهب ريح غربية في ذلك الوقت من رياح الصيف القليلة، فساعدت ألسنة اللهيب على الانتقال بسرعة كبيرة من أول السوق إلى آخره ومن طرف إلى طرف ومن أسفل إلى فوق، وخلال أقل من نصف ساعة كان اللهب منتشراً في معظم أنحاء السوق، وكان الناس يهرعون بما تيسر لهم من الماء، وحضرت سيارات الإطفاء من مراكز الإطفاء المجاورة، ثم حضرت سيارات أخرى من المطار وتدفقت المياه من خراطيم السيارات على ألسنة اللهيب ولكنها لم تستطع أن توقف الشعل المتطايرة من هنا وهناك، كان الشارع ضيقاً لاتستطيع السيارات الكبيرة دخوله، وكان انتشار ألسنة اللهيب في أجزاء السوق من أوله إلى آخره، وبدأت بعض السقوف تهوي بأخشابها المحترقة وتفجر مواقد الغاز الموجودة في البيوت والمحلات فتزيد النار اندفاعاً وتداعت البيوت فوقها وعلت فيها ألسنة النار، وكافح رجال الاطفاء والناس الذين هرعوا إلى المنطقة وأصحاب المحلات وسكان البيوت الذين نزلوا من بيوتهم وبدا أن الجهود الضخمة المبذولة عاجزة عن أن تحيط بالنار التي أخذت تدمر كل شيء في السوق وتلتهم محتوياته.

حاول بعض أصحاب المحلات أن يستخرجوا بعض بضائعهم الثمينة أو صناديق حفظ المال الحديدية لكنهم عجزوا، فالنار أصبحت تحتوي كل الأطراف وتحول دون دخول أحد إلى المحلات، وارتفعت أصوات الناس بالحوقلة والتكبير ولم يكن في الإمكان إلا الحيلولة دون امتداد النيران إلى مناطق أخرى مجاورة.

استمرت ألسنة النار واستمرت المياه تتدفق فوقها فتهدىء بعضها إلى حين وتعجز عن بعضها الآخر إلى مابعد صلاة العصر.

وارتفعت سحابة من الدخان القاتم فوق المنطقة وحركتها الريح شرقاً لتمدها فتغطي مساحة أكبر.

وتواصلت جهود الإطفاء وتواصل انفجار مواقد الغاز وسقوط السقوف

وتداعي المباني القديمة، وبعضها أثري يرجع إلى ٧٠٠ سنة كبيت جمل الليل، واستمر ذلك إلى الغروب، حيث بدأت ألسنة اللهيب تتضاءل وما بقي منها يضيء المنطقة كلها ويأتي على البقية الباقية من الأبنية والدكاكين.

وفي اليوم التالي خمدت ألسنة اللهيب وبقيت ألسنة صغيرة من الدخان تخرج من بين الأنقاض المتداعية، وبدا السوق الذي كان يضج بالحركة والحياة أنقاضاً متداعية تتراكم فيه أكوام من الطين والحجارة والبضائع والأخشاب المحترقة.

دمر السوق تماماً، ودمرت الأبنية التي تعلوه، ومالم يسقط منها أصبح متداعياً يمكن أن يسقط في أي وقت.

ولكن ولله الحمد لم تحصل خسائر بشرية، فقد وجد الناس الذين يسكنون البيوت والغرف التي تعلو الدكاكين وجدوا الفرصة للنزول جميعاً والابتعاد عن النار.

كان الأسى يملأ القلوب، وبخاصة أصحاب المحلات والبيوت، غير أن نجاة الجميع خفف المصاب.

ثم جاء إعلان الدولة عن تعويض أصحاب المحلات والبيوت عن خسائرهم وتشكيل لجنة لذلك، فارتاحت النفوس.

وقبل أن تشرع لجنة التعويضات بدراسة الحالة وتقدير الخسائر اجتهدت فرق الدفاع المدني ومسؤلو وزارة الداخلية في تحديد أسباب الحريق، وكان السبب المرجح وقوع تماس كهربائي في بعض الدكاكين، وقد ساعد على اتساع النار وانتشارها هبوب الريح الغربية آنئذ وفترة الاستراحة التي غاب فيها معظم أصحاب المحلات والمتسوقون فلم تجد الشعلة الأولى مكافحة سريعة، وضيق الشارع وعدم قدرة السيارات الكبيرة على النفاذ فيه وكثرة المواد القابلة للاشتعال كالأخشاب والأقمشة ومواقد الغاز الموجودة في البيوت والمحلات. كل هذا أدى إلى انتشار الحريق واتساعه والتهامه منطقة اقتصادية

كاملة. وقد صرفت الدولة تعويضات مناسبة لأصحاب المحلات والدور.

ويشاء الله أن تكون لهذه الحادثة نتائج بعيدة إيجابية، فقد شجع خلو المنطقة من البيوت والدكاكين المسؤولين على تنفيذ مشروع توسعة مؤقتة للمسجد النبوي وضم الأرض التي رفعت منها الأنقاض إلى المسجد النبوي، وإضافة الأرض المجاورة لها شمالاً وإقامة مظلات من (الفبركلاس) عليها وتبليط أرضها بالرخام، وتزويدها بالمراوح وناقلات الصوت والإنارة، فأصبحت جزءاً من المسجد النبوي يتسع للآلاف المؤلفة من المصلين كان يضيق بهم المسجد(١). وصدق الله العظيم ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾.

فروع للجامعات في المدينة:

كان تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حدثاً متميزاً في تاريخ المدينة وفي تاريخ الدعوة الإسلامية في العصر الحديث وكان أيضاً أول قطرة في تيار جامعي سينعم به أبناء المدينة.

فقد أنشىء فرع لجامعة الملك عبد العزيز بجدة في المدينة قرب الجامعة الإسلامية، وسمي كلية التربية، وتضم هذه الكلية أقساماً في العلوم الإنسانية والتطبيقية، وصدر مرسوم التأسيس في ١٣٩٧/٣/١٢هـ وبدأ الطلاب بالدراسة في الكلية في شهر شوال من العام نفسه.

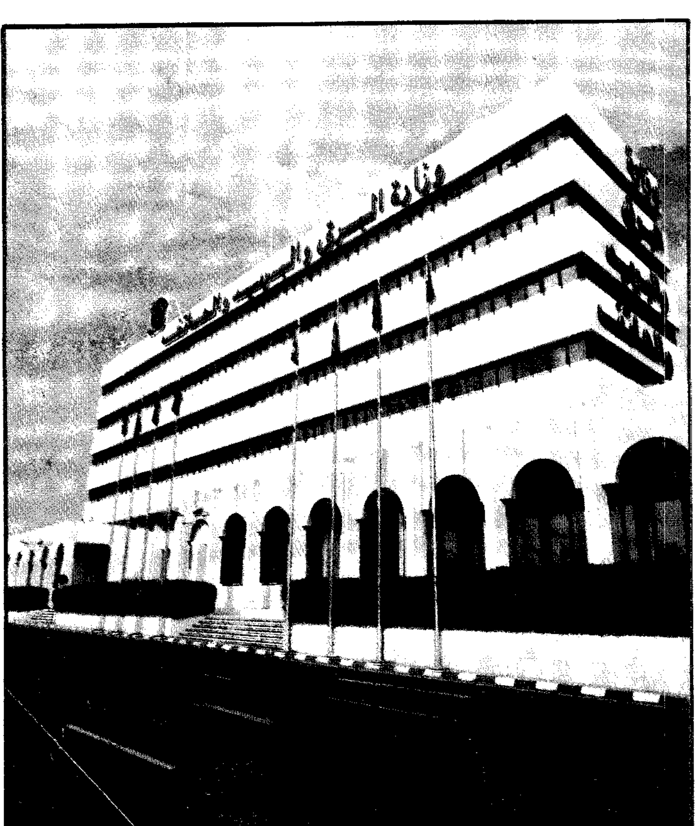
كما أُسست في السنة نفسها كلية متوسطة لإعداد المعلمين، وأُنشىء بعد ذلك فرع لجامعة الإمام باسم المعهد العالي للدعوة ضم قسماً للدراسة الجامعية، وقسماً للدراسة العليا، وما لبث أن تحول إلى كلية باسم كلية الدعوة.

وأنشأت الرئاسة العامة لتعليم البنات كلية التربية للبنات لتخريج

---

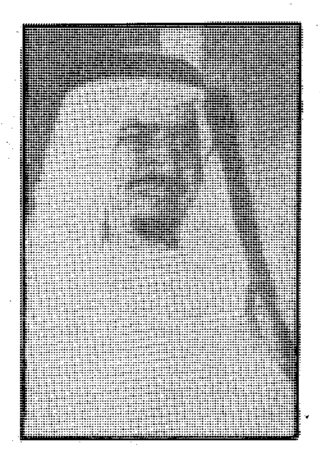
١) انظر فصول من تاريخ المدينة ص ٣٤٨ والصحف المحلية الصادرة في ١٩ رجب ١٣٩٧هـ.

جامعة الملك عبد العزيز



مبنى فرع
وزارة البرق والبريد
والهاتف في المدينة

أمراء المدينة في العهد السعودي



الأمير محمد بن عبد العزيز



الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز



الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز

وكلاء أمير المدينة في العهد السعودي



الأمير إبراهيم سالم السبهان



الأمير عبد العزيز إبراهيم

الأمير عبد الله السديري



الأمير عبد الرحمن السديري

ذياب ناصر

محمد حسن سمان

مصطفى عطار

صالح الميمان

علي حافظ

صالح فضائلي

عبد القادر طاهر

صدقه خاشقجي

عمر عبدالله قاضي



معالي أمين المدينة المنورة الحالي المهندس عبد العزيز الحصين.



مشروع مبنى أمانة المدينة
الذي ستنتقل إليه مكاتب الأمانة
بعد أن يتم إنجازه

مبنى مؤسسة الكهرباء -
كهرباء المنطقة الغربية.

مدرسات في شتى التخصصات.

وهكذا تتكامل حلقات التعليم العالي في المدينة المنورة، وتتميز بأنها تهتم بالدراسات الإسلامية في المقام الأول ثم دراسات العلوم الإنسانية وبعض العلوم التطبيقية.

بلدية من الدرجة الأولى:

من الأمور التي شهدتها المدينة المنورة قبل أن تودع القرن الرابع عشر الهجري مرسوم ملكي له أثر على تطورها العمراني العام.

ففي السادس والعشرين من شهر رجب عام ١٣٩٨هـ أصدر الملك خالد بن عبد العزيز مرسوماً يقضي باعتبار بلدية المدينة المنورة من بلديات الدرجة الأولى، ويحول إسم البلدية إلى إسم (الأمانة).

ولكي نتصور أثر هذا التغيير في التطور العمراني القادم في السنوات التالية نمر خطفاً بالدلالة المتميزة للمسى الجديد (الأمانة).

يطلق مصطلح الأمانة على المدن الهامة كالعواصم والمدن الكبرى، وتعطى الأمانة أولويات في مشاريع الإنشاء والتحسين، وتمنح إدارتها صلاحيات أوسع، فترتبط بوزير البلديات مباشرة متجاوزة المديرية العامة للبلديات في كل منطقة، وتخصص لها ميزانية كبيرة عادة.

وعليه فإن إدخال المدينة المنورة في عداد (الأمانة) يعني اعتبارها مدينة كبيرة لها أولويات في المشاريع والتحسينات، وسيفيدها هذا الاعتبار في تحقيق وثبة عمرانية كبيرة في السنوات التالية، وقد صدر هذا المرسوم في عهد رئيس البلدية (صدقة خاشقجي) ثم عين المهندس عمر القاضي أميناً للمدينة إعتباراً من ١٤٠٣/١١/٦هـ واستمر فيها حتى ١٤٠٩/٩/١١هـ حيث نقل إلى مكة المكرمة، وكلف المهندس عبد العزيز الحصين بالأمانة ثم صدر مرسوم تعيينه أميناً للمدينة المنورة بالمرتبة الممتازة في ١٤١١/٥/١٤هـ.

المدينة المنورة في القرن الخامس عشر الهجري

الواقع والتطلع:

في فن التاريخ عُرف يقول: أن أصعب مايكتبه المؤرخ هو التاريخ الذي يعاصره، فالمعاصرة حجاب.

ذلك أن مؤرخ الواقع المعاصر، رغم كونه يسجل مايراه ويسمعه، يفقد الموضوعية التي نتطلبها في التأريخ غالباً، فيُدخل عواطفه فيما يكتبه، أو يكتب من وجهة نظر معينة، وكثيراً ماتخفى عليه جوانب يكشفها الزمن بعد حين.

أما الذي يؤرخ لحقبة مضت، فإنه بعد أن يجتهد في جمع الوثائق واستخلاص المعلومات، ستكون نظرته شاملة متكاملة، وتكون قدرته على ضبط عواطفه إزاء الأحداث التي مضت أكبر، حتى الأحداث التي تؤلمه سيدونها بموضوعية كاملة لتكون عبرة ودروساً للأجيال المعاصرة والقادمة.

ولاشك أن ذلك العُرف -عُرف حساسية التأريخ المعاصر- يصدق إلى حد كبير على التاريخ السياسي، وبدرجات أقل على التأريخ الاجتماعي والثقافي، وينعكس تماماً في التأريخ العمراني، حيث تكون شهادة الكاتب المعاصر شهادة معاين مدقق النظر، يبصر التغييرات في بدايتها ويواكبها في اشتدادها، وقديماً قالوا (وما راءٍ كمن سمعا).

لذلك فإن الوضع الحالي للمدينة المنورة يُسَهِّل على المرء كتابة تاريخها المعاصر، ويقلل من حساسيات المعاصرة إلى حد كبير، فالتاريخ السياسي هنا صفحة مطوية، بل هي مطوية منذ أن أصبحت المدينة جزءاً من كيان كبير تديره قيادة فعالة، تحمل عبء تصريف الأحداث، والتفاعل معها في أعلى المستويات، ومنذ أن صار أهلها جزءاً من شعب يقف وراء قيادته، مطمئناً إلى أنها ستوفر له الأمن والأمان، بل والرفاهية والرخاء، فاستراحت المدينة واستراح أهلها من هموم لاتنقضي، وصار تاريخها تاريخ بناء حضاري مدني،

يسجل التطورات الاجتماعية والثقافية والعمرانية بين حين وآخر، ولقد مَنَّ الله عليَّ بأن أعيش في المدينة المنورة منذ مطلع هذا القرن الهجري، وأشهد بنفسي تلك التطورات، وأواكب حركتها المتسارعة التي قفزت بالمدينة مسافة كبيرة وكأنها تختصر عقوداً من الزمن، لتضعها في مكانة مرموقة بين المدن، تكافىء مكانتها الدينية، وتكافىء الوثبة الحضارية الكبيرة للكيان الكبير الذي يضمها المملكة العربية السعودية.

ولو جئت أرصد تفاصيل هذه التطورات في العقد الأول من القرن الخامس عشر لاقتضى ذلك سفراً كبيراً يخرج عن الحدود التي رسمتها لكتابي هذا، لذلك سأكتفي بالمرور على المعالم الكبيرة لتلك التطورات، والتي تهم محبي مدينة رسول الله ﷺ لتكون حلقة أخيرة في الكتاب، ودعوة مفتوحة للآخرين -وللمختصين في الجوانب العمرانية بالذات- كي يكتبوا بتفصيل ودقة عنها، فنوفي مدينة رسول الله ﷺ بعض حقوقها، ونوفي الوثبة الحضارية الجديدة للمملكة ماتقتضيه من عرض صادق، ونترك لمن بعدنا سجلاً أميناً للحظة الحضارية التي عشناها.

دخل العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجري والحياة تجري بانسيابيتها الهادئة في جميع الجوانب، فالتطورات الثقافية غدت منتظمة إلى حد ما بعد أن وثبت وثبتها الكبيرة في العقد الماضي، فقد استكملت خلالها معظم مراكز التعليم الأساسية من رياض الأطفال إلى الجامعات، لذا فإن الجديد فيها في هذا العقد هو مواجهة الزيادات الطارئة في أعداد الطلاب ليس أكثر، حيث تفتتح مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية لمواكبة الامتداد العمراني

والسكاني في المدينة ولاستيعاب الطلاب الجدد(١).

والتطورات الاجتماعية محدودة بعد أن استقرت أوضاع المدن في المملكة واستقر النظام السياسي الذي يرعى إطاراً عاماً للبنية الإجتماعية، وهو إطار يقوم على تعزيز العلاقات بين الأفراد والأسر، والاهتمام بالقيم الدينية والتراثية الصحيحة، واعتبارها المقياس الصحيح لتلك العلاقات، ودعم روح المواطنة الصحيحة، والوقوف ضد أية نعرات عرقية أو طائفية ومواجهتها بحزم، والمحافظة على خصائص الشخصية العربية الإسلامية، واستيعاب المتغيرات الحضارية الجديدة دون التنازل عن أساسياتها.

وقد شهدت المدينة المنورة في هذا العقد نشاطاً في الهجرة الداخلية إليها، فقد تضاعفت أعداد القادمين للاستيطان فيها من مختلف مناطق المملكة ومن ضواحي المدينة وباديتها، ومن نجد وعسير وتهامة، بعضهم قدم بسبب الوظيفة والعمل، وبعضهم قدم حباً بالمدينة، ورغبة في الإقامة فيها، وبنى بعضهم البيوت والعمارات، فأسهموا في التوسع العمراني، كما أسهموا في تعزيز التقارب والتمازج في العادات والتقاليد.

كما قدم أعداد من الوافدين من أنحاء العالم العربي والإسلامي للعمل في المدينة وشكلوا تجمعات متجانسة، حيث تظهر الروابط الاجتماعية بين أبناء الجنسية الواحدة.

---

١) جدول مقارنة بين عدد المدارس في أول العقد وآخره:

	عام ١٤٠٠هـ	عام ١٤١٠هـ
١ - المدارس الإبتدائية	٥٩	٨٦
٢ - المدارس المتوسطة	١٧	٢٩
٣ - المدارس الثانوية	٧	١٤
٤ - المعاهد	٢	٢
٥ - الجامعات	١	١
٦ - فروع الجامعات	٢	٢

غير أن حصر العمالة الوافدة إلى المدينة بالمسلمين، والمكانة المقدسة للمدينة في نفوس المسلمين قاطبة، وحرص المتدينين منهم على الفوز بفرصة عمل في المدينة بالذات، والمسجد النبوي الذي يجمعهم على صعيد واحد، وتراث المدينة العريق في استيعاب المسلمين من كل حدب وصوب في ظل عاطفة إيمانية واحدة، كل هذه العوامل أوجدت نوعاً من العلاقات الاجتماعية الجيدة بين سكان المدينة على اختلاف جنسياتهم، بل وأوجدت صلات وصداقات ومصاهرات تُقرِّب بينهم وتعزز القيم الاجتماعية الأصيلة، وتحول دون انتشار التقاليد الناشزة.

لذلك كله يمكن القول: إن الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة لم تشهد تغييرات فاقعة في هذا العقد، وإن سمة التمازج أحياناً، والتقارب أحياناً أخرى، هي السمة الغالبة على الشرائح البشرية المتعددة التي تعيش فيها، وإن الإطار الإسلامي العام هو الذي يحكم هذه العلاقات، وإن المكانة الدينية للمدينة تحفر بصماتها في الحياة الإجتماعية فيها.

أما الجانب الذي شهد تطورات كبيرة، بل وثبة نوعية متميزة، فهو الجانب العمراني، فقد نشطت الحركة العمرانية في النصف الأول من هذا العقد، أخذت الفراغات بين المساكن في عدد من الأحياء تمتلىء بالعمارات الجديدة كحي العوالي وحي قربان والمنطقة بين قربان وقباء (أرض البحر) والحرة الغربية، وغربي جبل سلع، وحي القبلتين، وحي سلطانة، وحي النصر، والحرة الشرقية، وتشكل هذه الأحياء حزاماً دائرياً مركزه المسجد النبوي، ويمتد نصف قطره من ٢-٥ كم.

وظهرت تجمعات سكانية جديدة، كان لها بذور بسيطة في العقد الماضي، مالبثت أن استقطبت السكان الوافدين إلى المدينة من مدن المملكة وقراها، وتبعد عن المسجد النبوية من ٥-٧كم. فظهر حي وعيرة في الشمال الشرقي بين المدينة والمطار، وحي أحد عند قاعدة جبل أحد، وحي الدغيثر

في الشمال الغربي، وحي عروة في الجزء الغربي، وفي النصف الثاني من هذا العقد ظهر حي الفيصلية في الجزء الغربي أيضاً شمالي حي عروة، وحي الخالدية في الجنوب الشرقي(١) ويرجع السبب في نشأة معظم تلك التجمعات إلى رغبة الدولة في تخفيف الضغط عن وسط المدينة، وإيجاد البديل عن المساكن التي ستزال في مشاريع تطوير المدينة، لذا عمدت إلى توزيع عدد كبير من الأراضي على ذوي الدخل المحدود، وقام بنك التسليف العقاري بصرف مايزيد على خمسة عشر ألف قرض لإنشاء المساكن، استفاد منها الذين حصلوا على قطع الأراضي الموزعة وغيرهم، وأقاموا مساكن جديدة بسرعة قياسية.

غير أن الحركة العمرانية تحولت إلى طفرة كبيرة بفضل مشروع توسعة المسجد النبوي، ومشروع تحسين الدائرة الأولى في المدينة، وهي الدائرة المحيطة بالمسجد النبوي(٢) حيث هدمت الأبنية الموجودة في هذه الدائرة كلها، باستثناء المساجد التاريخية، وبدأت مشاريع تعاونية ضخمة لإقامة مبان كبيرة تناسب الموقع، وتؤدي الخدمات اللازمة.

ولعل أحسن مانستدل به على تطور الحركة العمرانية في هذا العقد قراءة إحصائية أمانة المدينة المنورة عن رخص البناء التي أصدرتها في هذا العقد، فقد بلغ عددها (٣٥٣٥٩) رخصة، مابين عمارة كبيرة وبيت صغير (فيلا) ومحل تجاري، إنشاءً وتعديلاً، ويمكننا أن نتصور حجم هذا التوسع ونوعيته بقراءة إحصائية مفصلة للرخص التي صدرت عام ١٤١٠هـ وهي على النحو التالي:

رخص أبنية سكنية فقط (عمارة - فيلا)	١٠٩٨
رخص أبنية سكنية تجارية (عمارات لها دكاكين)	١٠٢

---

١) انظر المصور المرفق.

٢) انظر المصور المرفق.

رخص أبنية تجارية فقط (أسواق ومحلات فقط)	٦٠
رخص أسوار	٢٢٢
رخص تعديل وإضافة	٥٠٦
رخص مباني حكومية ومساجد	٢٢
المجموع	٢٠١٠

لا تشمل هذه الإحصائية الإنشاءات التي تجري حالياً في الدائرة الأولى، والتي ستقوم فيها مجمعات سكنية تجارية ضخمة كما سنرى بعد قليل.

وقبل أن ندخل في تفصيلات الطفرة العمرانية في توسعة المسجد النبوي وإعادة بناء الدائرة الأولى المحيطة به، نستعرض بعض الأحداث والإنجازات التي حصلت في النصف الأول من هذا العقد.

المدينة تشرب من البحر:

يقف معظم الذين كتبوا عن المدينة المنورة وقفات متفاوتة عند (العين الزرقاء) مشرب أهل المدينة، وقد مر بنا قصة إنشاء هذا المسيل المائي تحت الأرض من منطقة قباء جنوبي المدينة إلى منطقة البركة، أو مجمع الأسيال، في شمالها الغربي.

ومنذ أن أنشأ مروان بن الحكم المشروع بأمر من معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- وعلى امتداد القرون إلى العصر الحاضر، كان عدد من الملوك والأمراء والأغنياء يجددون هذا المسيل ويرممونه، ويضيفون إليه الروافد ويوقفون له الأوقاف، تقرباً إلى الله، وخدمة لأهل المدينة وزوارها.

وفي مطلع العهد السعودي شكلت لجنة خاصة للعناية بهذا المسيل هي (لجنة العين الزرقاء) عملت طوال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري على تأمين حاجة المدينة من المياه، وكان عملها أول الأمر العناية بالمجرى التاريخي للمياه، وتزويده بروافد من آبار إضافية، وإصلاح المواضع التي يستقي منها الناس (الدبول) ثم تطور الأمر إلى الاستعانة بالمضخات الآلية،

وبني خزان واسع لتخزين المياه قبل توزيعها، ثم مدت الأنابيب وصارت شبكة تمر بالأحياء وتدخل إلى البيوت، وفي نهاية عام ١٣٧٨هـ بُدل مسمى هذا المرفق وأصبح (مصلحة المياه والمجاري).

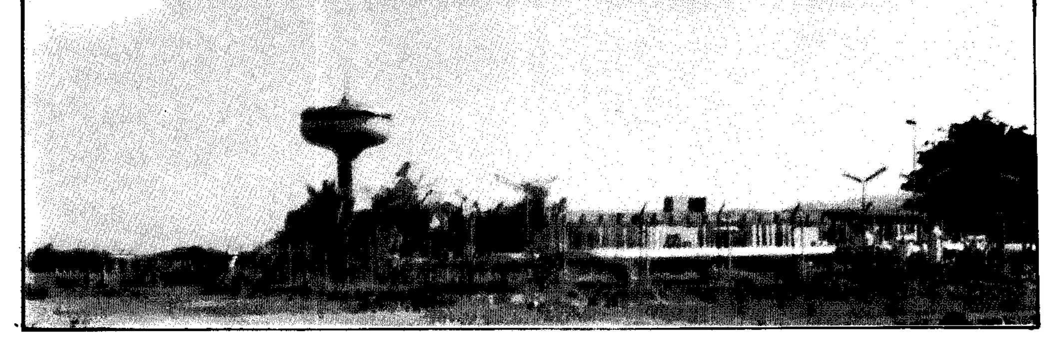
وطبيعي أن تغير الحياة في المدينة وازدياد عدد السكان والزائرين بل تضاعفه أضعافاً عدة، وقيام المزارع التي تستنفذ المياه الجوفية بالمضخات الآلية، كل هذه العوامل ستؤدي إلى نقص خطير في مياه الشرب، ومن ثم إلى عجز مشروع العين الزرقاء عن تأمين حاجة أهل المدينة وروادها للمياه.

لذا طرحت بدائل عدة أهمها: تحلية مياه البحر في منطقة قريبة وجرها إلى المدينة، فهذا مصدر دائم مادام البحر موجوداً، فضلاً عن أن طريقة التحلية الآلية تنتج طاقة كهربائية كبيرة تسهم في إنارة المنطقة، فتخفف تكلفة التحلية نسبياً، وقد رفع المتخصصون دراسات وافية عن المشروع، فأقره الملك خالد بن عبدالعزيز، وكلف إحدى الشركات بتنفيذه.

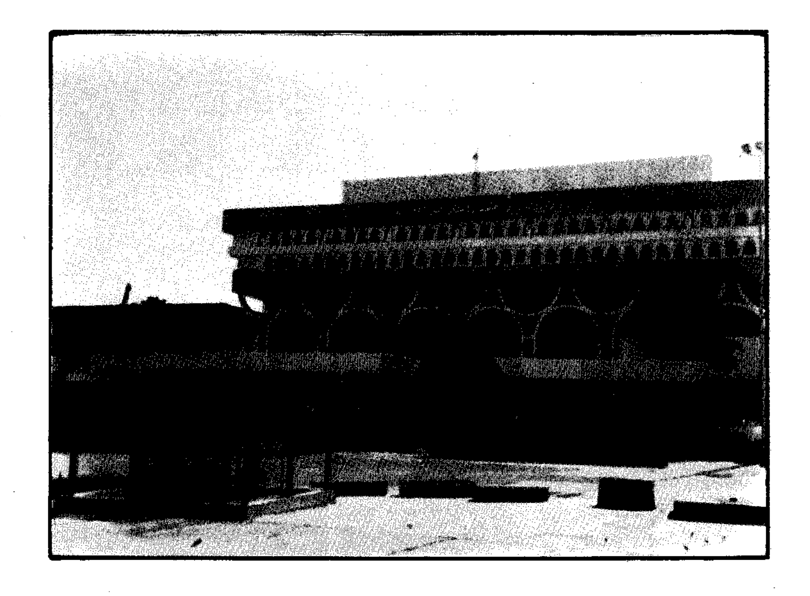
أقيمت محطة التحلية في ينبع لتشمل خدماتها ينبع والمدينة، وجرت المياه بالأنابيب إلى المدينة بطاقة قدرها ٢٥ مليون جالون يومياً، كما أقيمت أبراج ضخمة تحمل خطوط نقل الكهرباء إلى المدينة بطاقة قدرها ربع مليون كيلو واط، وأنجز المشروع خلال سنتين، وبنيت محطة استقبال آلية في منطقة قباء كما بنيت خزانات مناسبة.

ودخل القرن الخامس عشر الهجري يحمل أول هدية للمدينة المنورة، مياه البحر المحلاة، وطاقة كهربائية عالية، ففي الثامن والعشرين من شهر محرم عام ١٤٠١هـ افتتح الملك خالد بن عبد العزيز محطة استقبال المياه المحلاة في قباء وأدار محبس المياه لتتدفق المياه العذبة إلى البيوت.

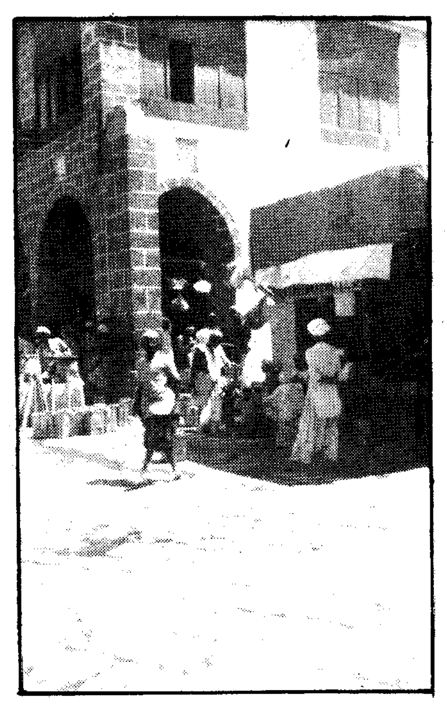
وقد أسهم هذا المشروع في حل أزمة المياه الصعبة واستفادت منه

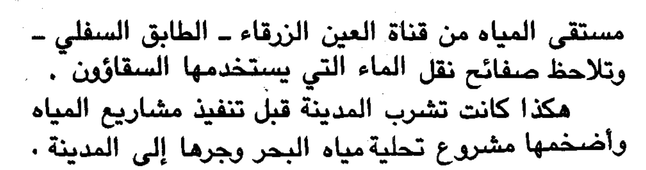


فرع مؤسسة تحلية مياه البحر في المدينة



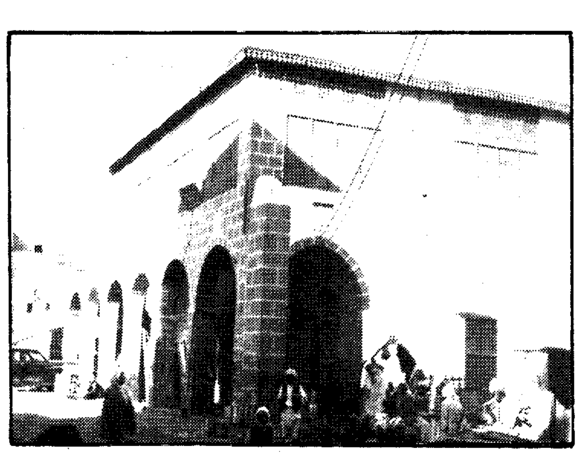
مكتبة الملك عبد العزيز





مستقى المياه من قناة العين الزرقاء ـ الطابق السفلي ـ وتلاحظ صفائح نقل الماء التي يستخدمها السقاؤون .

هكذا كانت تشرب المدينة قبل تنفيذ مشاريع المياه وأضخمها مشروع تحلية مياه البحر وجرها إلى المدينة .



إدارة العين الزرقاء ـ الطابق العلوي ـ

المدينة فوائد كبيرة.(١) ولكن، ومع الطفرة الكبيرة التي شهدتها المدينة في النصف الثاني من هذا العقد، أصبح المشروع في حاجة إلى توسعة، وتجري الآن هذه التوسعة حيث يتم الاستعانة بعدد من الآبار في المدينة بما فيها آبار عين الزرقاء نفسها، كما يجري توسعة محطة التحلية لرفع طاقتها الإنتاجية الى ٤٠ مليون جالون يومياً، و٤٠ (ميجاوات) من الكهرباء ، ومن المقرر أن ينتهي مشروع التوسعة عام ١٤١٦ هـ ، حيث سيزود خط التحلية المدينة والقرى التي يمر بها بالماء العذب ، ويتجاوزها حتى يصل إلى المليليح .

مكتبة الملك عبد العزيز مجمع المكتبات الأثرية:

اشتهرت المدينة المنورة بمكتباتها الأثرية كالمكتبة المحمودية، ومكتبة عارف حكمت ومكتبة قرة باش وغيرها، وقد تجاوز عددها في أواخر العهد العثماني ثمانين مكتبة تضم كنوزاً كبيرة من المخطوطات التراثية القيمة، وتتوزع هذه المكتبات في مبان مختلفة بعضها جيد كمبنى مكتبة عارف حكمت وبعضها قديم متداع، كما أن طريقة حفظ هذه الكتب ليست نموذجية في الغالب، ثم إن كثيراً من هذه المكتبات تقع في المنطقة الملاصقة للمسجد النبوي والتي ستدخل في التوسعة وإعادة تنظيم المنطقة.

لذا، ولكي لاتضيع هذه الكنوز التراثية الثمينة صدرت الموافقة السامية بإنشاء مكتبة باسم مكتبة الملك عبد العزيز لتضم المكتبات التراثية في المدينة المنورة، وتحفظ كنوزها بطريقة فنية حديثة، كما تضم أكبر مركز للكتب المطبوعة في المدينة المنورة.

ووضعت التصميمات اللازمة وقام جلالة الملك فيصل رحمه الله بوضع حجر الأساس للمكتبة في الثالث من شهر محرم عام ١٣٩٣هـ وقد افتتحها خادم الحرمين الشريفين في ١٦محرم ١٤٠٣هـ.

وبدأ نقل المكتبات التراثية اليها، وكانت المكتب المحمودية أول مانقل

---

١) انظر محمد صالح البليهشي المدينة اليوم ص ٢٠١-٢١١.

إليها، وقد نظمت المكتبة بحيث تحفظ لكل مكتبة تراثية استقلاليتها ليستفيد الباحث من الفهارس المطبوعة والمنتشرة في أنحاء العالم، كما زودت المكتبة بأحدث المراجع والمصادر والكتب المطبوعة وبوحدات (للمكيروفيلم، والميكروفيش) ووحدة للتجليد، فضلاً عن مخازن للكتب، ويوجد في المكتبة صالات للاطلاع وخلوات للبحث وقاعة كبيرة للمحاضرات.

مصحف المدينة المنورة

بين المدينة المنورة والمصحف الشريف علاقة تاريخية متميزة، ففيها جمع المصحف لأول مرة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفيها وحدت نسخه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ووزعت على الأمصار، ليكون ذلك المصحف الموحد المصحف المعتد للأمة على امتداد القرون.

وفي العصر الحديث، وبعد ظهور الطباعة وتقدمها الهائل، أصبحت الحاجة ماسة لطباعة مصحف كامل في ضبطه وموافقته للقراءات الصحيحة، لمواجهة أية محاولة يقوم بها أعداء الإسلام للتحريف، ولضمان السلامة التامة من الخطأ، وتقديمه للمجتمعات الإسلامية المنتشرة في أطراف الأرض والمتزايدة عاما بعد عام.

وقد وفق الله خادم الحرمين الشريفين للأمر بإنشاء مجمع متكامل لطباعة المصحف الشريف وترجمات معانيه إلى اللغات المختلفة، وإصدار تسجيلات صوتية لمشاهير القراء، ليكون ذلك كله خدمة لكتاب الله وهدية للعالم الإسلامي.

وفي السادس عشر من شهر محرم عام ١٤٠٣ هـ قام خادم الحرمين الشريفين بوضع حجر الأساس للمجمع، ووجه الشركة المنفذة لإنجازه على أحسن وجه في مدة قصيرة، وكان ذلك، ففي شهر صفر من عام ١٤٠٥ هـ افتتح خادم الحرمين الشريفين المجمع وبدأ توزيع الدفعات الأولى من إنتاجه. وتصل الطاقة الإنتاجية إلى ثمانية ملايين نسخة للوردية الواحدة سنويا،

مجمع مطبعة المصحف الشريف

ويضم المجمع أحدث ما توصل إليه عالم الطباعة من آلات ومعدات وأكثرها دقة، ويشرف على تشغيلها مجموعة من المتخصصين ذوي الكفاءة العالية. كما يضم مدينة سكنية للعاملين فيه، والمرافق اللازمة، وقد روعي في البناء إظهار الفن المعماري الإسلامي بتشكيلاته ونقوشه الجمالية المتميزة

وفاة الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز:

أُصيب أمير المدينة عبد المحسن بن عبد العزيز بمرض عضال، وبعد علاجات عدة أخرت سريان المرض إلى حين، اشتد عليه المرض في عام ١٤٠٢هـ ونقل إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض، حيث وافاه الأجل المحتوم عام ١٤٠٥هـ، وقام بإدارة أمور المدينة في غيابه وكيل الإمارة ناصر السديري.

تعيين الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز:

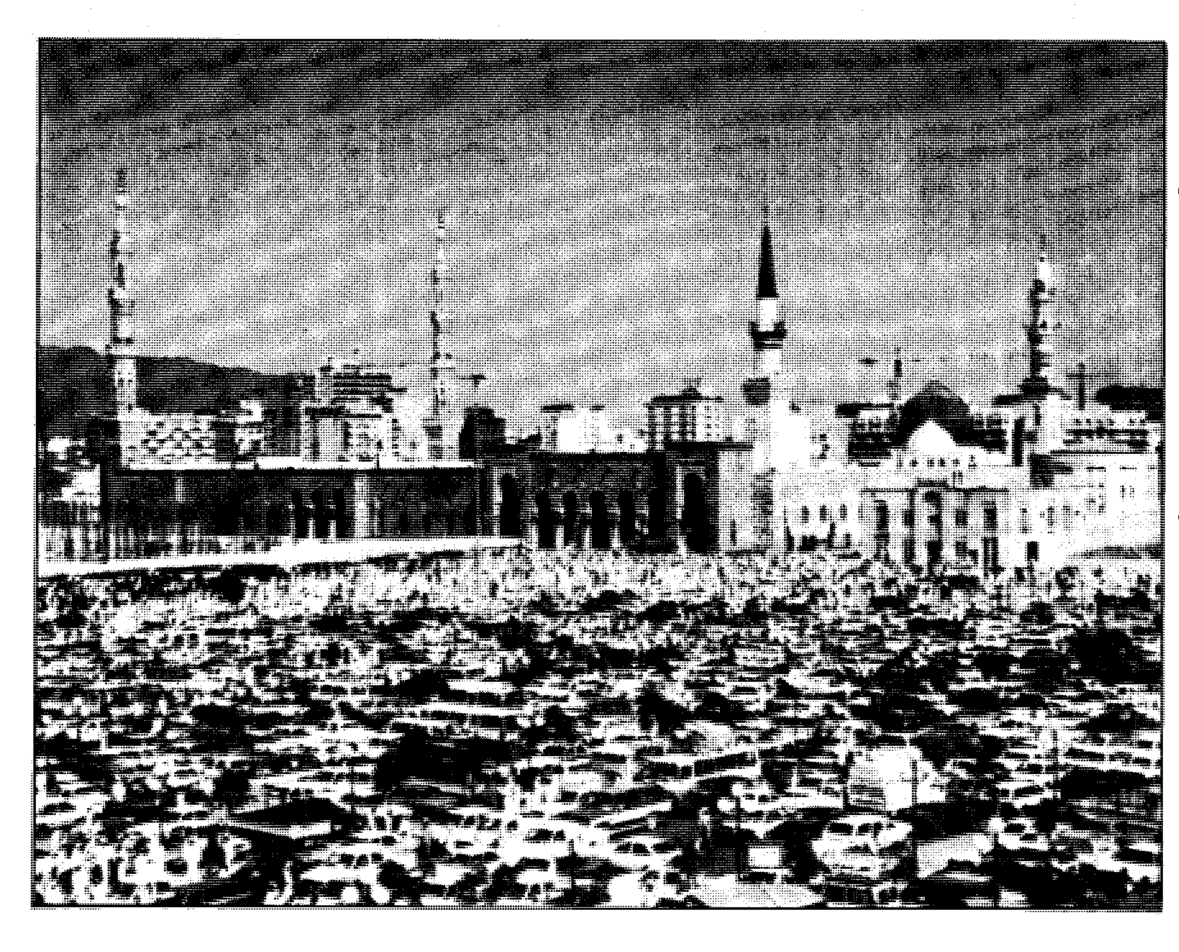
صدر مرسوم ملكي بتعيين الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أميراً للمدينة المنورة بتاريخ ١٤٠٦/٥/١٥هـ وكان قبل ذلك أميراً لمنطقة تبوك، وقد شهدت مدينة تبوك في عهده تطورات واسعة وقامت برعايته مشاريع زراعية وصناعية وعمرانية ضخمة، فجاء تعيينه أميراً للمدينة المنورة ليعزز الآمال المعقودة على تطوير المدينة المنورة.

زيارة سنوية لمتابعة التطوير

اهتم خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز بمتابعة تطوير المدينة اهتماما خاصا، فأمر بتشكيل لجنة وزارية خاصة برئاسته، تجتمع دوريا لمتابعة التطوير ووضع الخطط المستقبلية، وأصبح يخص المدينة بزيارة سنوية بدءا من عام ١٤٠٥ هـ، للإطلاع على مايتم إنجازه وإصدار التوجيهات اللازمة للمراحل التالية.



الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة الحالي



أدى النمو السكاني للمدينة المنورة وتطور المواصلات إلى الازدحام الشديد
في المسجد النبوي وبدت الحاجة ملحة لتوسعته

توسعة المسجد النبوي ملحمة عمرانية حديثة:

تعد هذه التوسعة بحق ملحمة عمرانية حديثة، لا لأنها أكبر توسعة في تاريخ المسجد النبوي، فكل توسعة حدثت في المسجد النبوي كانت تفوق ماقبلها وتسجل صفحة جديدة في تاريخه، إنما تعد ملحمة لأنها حملت تغييرات نوعية في حجمها، ومرافقها والخدمات المساندة التي أنشئت بسببها، ولأنها أيضاً تسببت في تغييرات عمرانية كبيرة، بدأت بالمناطق المحيطة بالمسجد النبوي، وامتدت إلى أقصى مناطق المدينة المنورة وضواحيها.

ومثلما تُحدث الحركة وسط ماء ساكن دواما تنداح دائرة إثر دائرة، أحدث مشروع توسعة المسجد النبوي حركة عمرانية وصلت إلى أطراف المدينة القصية، فالتوسعة اقتضت إدخال المناطق المجاورة للمسجد -وهي أسواق وأحياء كاملة- واقتضت إنشاء ساحات مساندة تحتها مواقف واسعة لعدة مئات من السيارات، والتوسعة اقتضت أيضاً تهيئة خدمات فندقية وتسويقية لمئات الآلاف من الزائرين الذين سيستوعبهم المسجد، ومن ثم اقتضت تغير الخريطة السكنية في الدائرة المحيطة بالمسجد النبوي، وإنشاء مجمعات سكنية ضخمة تحتوي آلاف الغرف والشقق للزائرين ومئات الدكاكين والمكاتب، وهذا يعني هدم المنطقة السكنية في الدائرة الأولى المحيطة بالحرم وإعادة بنائها على شكل مجمعات سكنية، وقد استوعب هذا المشروع مساحة المدينة المنورة التي كانت داخل السور كلها، بكل ماكان فيها من شوارع وأحواش وأسواق وثكنات وقلاع، فالمدينة القديمة التي كانت تكمن خلف الأسوار ستظهر من جديد مدينة حديثة ذات شوارع فسيحة وأبنية متناظرة تتنافس في التجهيزات الحديثة والجميلة، وتتنافس في توفير الراحة لزوار المدينة وأهلها.

وقد أدت هذه التغييرات إلى هجرة الساكنين في المنطقة الدائرية الأولى إلى أن ينتهي البناء الجديد على أقل تقدير، وقام كثير منهم وخاصة الذين

دخلت عقاراتهم في التوسعة أو في المشاريع المساندة وعوضوا عنها، والذين باعوا عقاراتهم لشركات بناء المجمعات الجديدة، قاموا ببناء بيوت وعمارات جديدة في مناطق أخرى في المدينة، ونشط المقاولون في إنشاء عمارات وفيلات جديدة ليلبوا حاجة الباحثين عن مساكن جديدة لسكنهم أو لاستثماراتهم أو للأوقاف التي يشرفون عليها، واتسع البناء، وامتد إلى الضواحي وظهرت في السنتين الأخيرتين من هذا العقد مئات المساكن الجديدة.

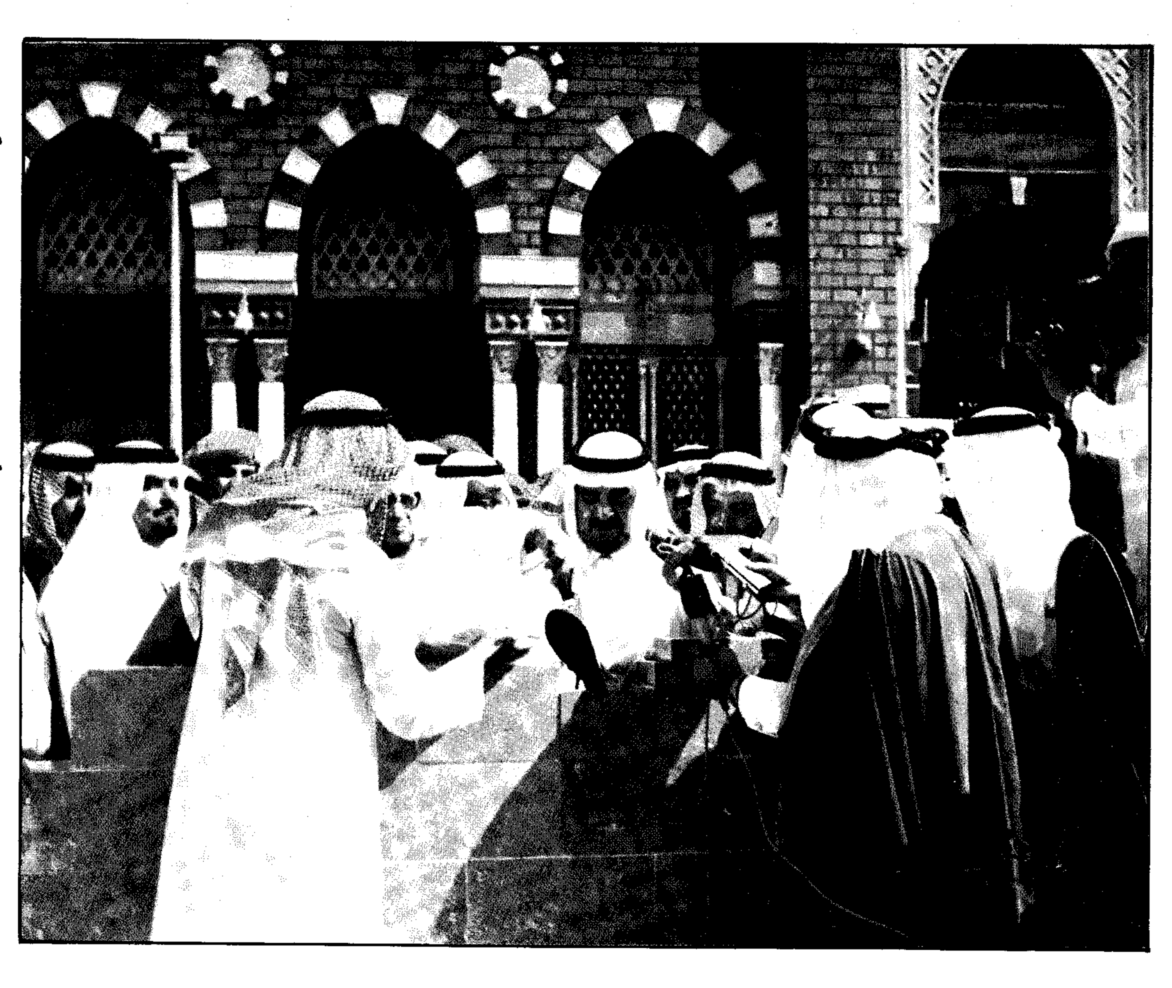
ولاشك أن مشروع توسعة المسجد النبوي هو المحور الرئيسي لهذا التيار العمراني المتدفق، وهذا مايجعلنا نسميه بجدارة الملحمة العمرانية الحديثة.

طبيعة التوسعة:

تتألف التوسعة من مبنى ضخم يضم طابقاً منخفضاً (تحت الأرض) وطابقاً فوق الأرض متصلا بالمبنى الحالي، وطابقاً علوياً يضم رواقاً وقباباً فوق سطح الطابق الأرضي.

وقد صممت التوسعة بشكل يحافظ على المبنى الجنوبي القديم للمسجد، ويجعله في منتصف واجهة مبنى ضخم يقف وراءه ويتصل به، ولو تخيلنا صورة نصفية لرجل واسع الكتفين، لكان الرأس موقع المبنى القديم، وبقية الصورة موقع التوسعة، فيعود إلى الأذهان التصميم الذي قامت عليه التوسعة السعودية الأولى، والذي وضع مبدأه الرئيسي الملك عبد العزيز رحمه الله، وهو المحافظة على القسم التراثي من المسجد (القسم الجنوبي من المبنى العثماني) والامتداد من بعده، وقد جاء الامتداد هذه المرة شرقاً وغرباً وشمالا، وبمساحة كبيرة جداً، تستوعب شوارع وأسواقاً كانت قائمة من قبل.

بدأت فكرة المشروع اثر تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز الحكم، فقد زار المدينة عام ١٤٠٣هـ وعلم بالازدحام الشديد الذي يحدث في المواسم وأيام الجمع، وأصدر أمره بوضع التصميمات لتوسعة



وفي الخامس من شهر صفر عام ١٤٠٥ هـ والموافق للثاني من شهر نوفمبر تشرين الثاني قام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بوضع حجر الأساس للتوسعة الجديدة

جديدة ضخمة تستوعب الزيادات المتوقعة في الأعوام القادمة، وقامت شركات استشارية عالمية بوضع التصميمات وعرضت عليه، وناقشها مع المختصين، وأمر بعدد من التعديلات، فأجريت التعديلات وجهزت التصميمات والخرائط بشكل نهائي، وصدر مرسوم ملكي ببدء العمل بالمشروع، وكلفت مؤسسة ابن لادن -التي قام مؤسسها الشيخ محمد بن لادن رحمه الله بتنفيذ التوسعة السعودية الأولى- بتنفيذ المشروع الحالي وأطلق عليه اسم (مشروع خادم الحرمين الملك فهد لتوسعة المسجد النبوي الشريف).

وفي الخامس من شهر صفر ١٤٠٥هـ الموافق للثاني من نوفمبر تشرين الثاني ١٩٨٤م قام خادم الحرمين الشريفين بعد أداء صلاة الجمعة بوضع حجر الأساس للتوسعة الجديدة، وأزاح الستار عن لوحة تذكارية وضعت شرقي باب أبي بكر الصديق إيذاناً ببدء العمل في المشروع، وأمر بتشكيل لجنة تنفيذية برئاسة أميرا لمدينة المنورة عبد المجيد بن عبد العزيز للإشراف على المشروع ومتابعته، وعقدت اللجنة عدة جلسات ووضعت برنامج عمل زمني للتنفيذ، وبدأت أولى خطوات التنفيذ باستملاك العقارات التي ستشملها التوسعة والخدمات المساندة، وتقدر مساحتها بمائة ألف متر مربع من الأراضي المجاورة للمسجد، وتشمل من الجهة الشرقية حارة الأغوات وجزءاً من شارع الملك عبد العزيز والسنبلية وتصل إلى شارع أبي ذر الغفاري، والشارع الموازي له، وتشمل غرباً منطقة المظلات التي أقيمت في موقع شارع العينية وسوق القماشة إلى المناخة، وشمالا شارع السحيمي، وشكلت لجان لتقدير ثمن العقارات المنزوعة فبلغت حوالي سبعمائة مليون ريال، بدأت الدولة بصرفها بعد استلام العقارات، وبدأت الشركة المنفذة هدم المنشآت وإزالة المباني القائمة.

كانت المباني الموجودة في المنطقة تتراوح بين البيوت الشعبية والعمارات الكبيرة والحديثة، وبدت عملية الهدم والإزالة وكأنها عملية مسح مدينة كاملة،

الملحمة العمرانية الضخمة

خالد خضر
٦٨٣٥٠٠٢

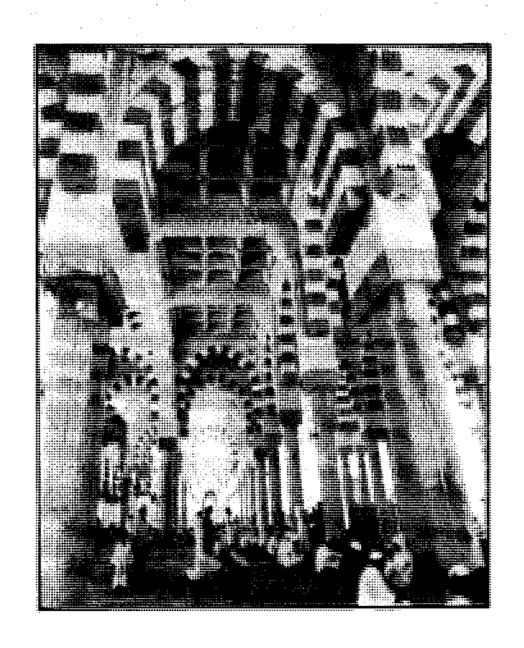
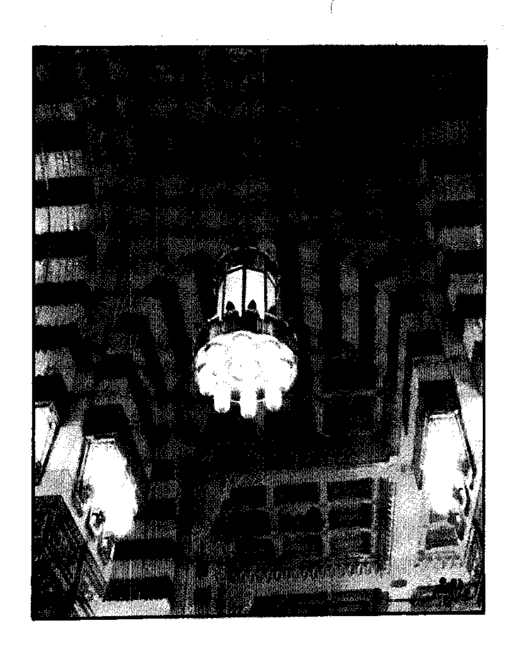
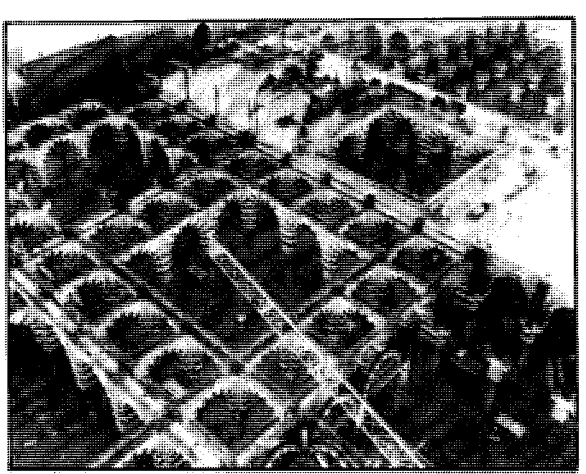
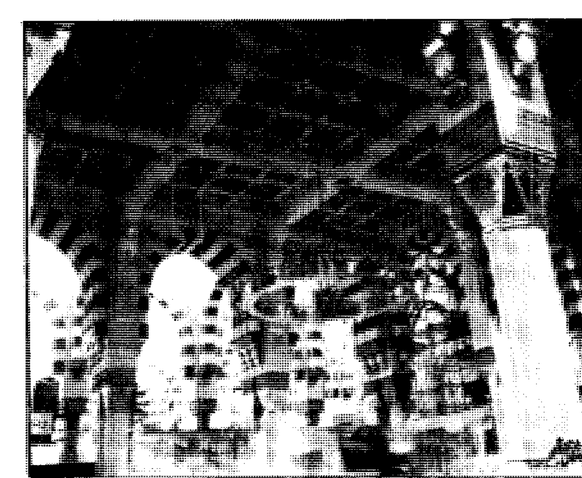
واستخدمت جرافات ضخمة لإسقاط المباني بطرق فنية آمنة، ويقوم تقرير الشركة المنفذة إنها هدمت وأزالت ماحجمه ٥٣٥٠٠ متر مربع من المباني الشعبية، و ٨٢٠٠٠ متر مربع من المباني الخرسانية، وذلك من الناحيتين الشمالية والشرقية لأرض التوسعة فقط(١).

بعد ذلك بدأت عمليات حفر عمليقة لتهيئة موقع لطابق تحت الأرض ولحفر الأساسات القادرة على حمل المبنى الضخم الذي سيقام عليها، والقابل للتعلية في المستقبل، بدأت أجهزة الحفر الحديثة والضخمة تشق الأرض في منطقة التوسعة، ونزلت إلى عمق يزيد على عشرة أمتار، ثم حفرت آبار عميقة للأوتاد، فقد قرر المهندسون المختصون استخدام نظاما لأوتاد للأساسات، وتتراوح أطوالها بين ١٨-٤٥ متراً حسب ماتظهره دراست طبقات الأرض في كل جزء من التوسعة، لترتكز على الصخر تحت الأرض، وحسب الإنشاء الذي سيحدث فوقه، وقد بلغ عدد الأوتاد الإسمنتية المغروسة في منطقة التوسعة ثمانية آلاف وخمسمائة وتد، استهلكت أكثر من ١٦٢٠٠٠ متر مكعب من الإسمنت المسلح.

بعدها بنت الشركة أرضية سميكة من الإسمنت المسلح جاءت أشبه بحصير يصل بين الأوتاد كلها ويغطيها ويكون أرضية الطابق المنخفض (تحت الأرض) يرتفع سقف هذا الطابق أربعة أمتار، ويستند على ٢٥٥٤ عموداً من الإسمنت المسلح، وقد صمم هذا الطابق ليحتوي على شبكة الخدمات للمسجد النبوي وتضم: شبكة المياه وشبكة الصرف الصحي، ومجاري الهواء المبرد ومحركات دفعه (١٤٣) محركاً) وتجهيزات شبكة الإنذار وإطفاء الحريق، وشبكة مياه الشرب المبردة، وعشر محطات لتوزيع كهرباء

---

١) جميع الإحصائيات منقولة عن تقرير رفعته مجموعة بن لادن السعودية لمعالي أمين المدينة المنورة عن توسعة المسجد النبوي برقم ٤٥٦ وتاريخه ١٤١٢/٤/٢٨هـ والتقرير محفوظ في سجلات الأمانة.

الأقواس والسقوف فوق غابة من الأعمدة

الضغط العالي، وشبكة التحكم في الإضاءة، وأجهزة التحكم في القباب المنزلقة، وأنظمة الهاتف، وأنظمة الصوت والدوائر التلفزيونية المغلقة، وبعد سقف هذا الدور أرضية للدور الرئيسي المتصل بالمبنى القديم والذي سيكون موقع التوسعة ومكان المصلين.

وقد أقيمت رافعات ضخمة في جوانب التوسعة، ونظمت ثلاث ورديات تتناوب العمل بالتوالي على مدار الساعة، وقسمت كل وردية إلى فرق متخصصة، تقوم كل فرقة بإنجاز العمل الموكل إليها في قسم محدد من التوسعة، ووفق الخرائط المعتمدة، وبدأ المبنى الجديد يعلو فوق الأرض ويرتفع يوماً بعد يوم.

وبين الجدران التي كانت ترتفع ظهرت غابة من الأعمدة لتحمل الأقواس التي سيقف عليها السقف والقباب، وقد بلغ عدد الأعمدة في هذا الطابق ٢٥٦٧ عموداً تحمل ٣٨١٢ قوساً يرتكز عليه السقف والقباب، وتتباعد الأعمدة عن بعضها مسافة ٦ أمتار، وفي المناطق التي تعلوها قباب تتباعد الأعمدة ١٨ متراً لتشكل الأفنية الداخلية والأروقة، وتصطف الأعمدة في خطوط مستقيمة ومتناظرة تبدو لمن ينظر اليها وكأنها صف طويل بعيد الأمد، وتنتشر في هذا الطابق ٢٧ فسحة تغطي كل فسحة قبة متحركة يمكن فتحها وإغلاقها حسب حالة الطقس لتوفير الإنارة والتهوية.

وتغطي جدران المسجد وأعمدته بالمرمر الملون، وتكسى تيجان الأعمدة بالنحاس المزخرف، وقد روعي أن يكون شكل الأعمدة والتيجان مناظراً لمثيلاتها في التوسعة السعودية الأولى، اذ سوف تتحد التوسعتان وتتصلان لتكونا الشكل النهائي للمبنى الجديد، وستزال جدران التوسعة الأولى وتبقى أعمدتها وتتصل السقوف.

وقد شهد موسم حج عام ١٤١٢هـ فتح معظم أجزاء التوسعة للمصلين، فقد تم بناء السقف وركبت القبة المتحركة الأولى وبدأ إنجاز القباب المتحركة

القباب المتحركة... فن الزخرفة الإسلامية

الباقية وتركيبها، ورصفت أرض الطابق الأرضي بالمرمر، مدت الشبكة الكهربائية للإنارة ونقل الصوت وبدأ تشغيل أضخم مجموعة لتكييف الهواء في العالم -كما تقول نشرة الشركة المنفذة- فلم يسبق أن ركب تكييف مركزي واحد لمبنى يبلغ حجمه قرابة المائة ألف متر مربع.

أما الطابق الأعلى لمبنى التوسعة فالعمل جار فيه على أشده عند كتابة هذه السطور، وقد لايغادر الكتاب شفاه المطابع إلا والعمل منجز فيه، حيث سترصف أرض السقف بالرخام، وسيقام عليه رواق كبير، وسيتصل بالطابق الأرض عدد من السلالم الكهربائية والعادية ليصعد عليها المصلون في فترات الذروة وليصلوا في هذا الطابق العلوي.

وبذلك سترتفع قدرة المسجد على استيعاب المصلين في طابقه الأرضي والعلوي والساحات المحيطة به إلى أكثر من مليون مصل.

وتعد القباب المتحركة في المسجد النبوي واحدة من المنجزات الحضارية الحديثة، ويبلغ عددها سبعاً وعشرين قبة ضخمة، تركب كل واحدة منها على مساحة مربعة محيطها ١٨×١٨م لتغطي الفناء المكشوف في الطابق الأرضي من التوسعة، وستعلو القبة مسافة ١٦٫٦٥م عن الأرض، ويبلغ قطرها ١٤٫٧٠م وارتفاعها أربعة أمتار، وتزن ٨٠ طناً، وتتكون من هيكل فولاذي ضخم يزن ٤٠ طناً، يغطي من الداخل بطبقة من الخشب الخاص ثم بوجه آخر من الخشب المزخرف، منها أشكال هندسية محفورة باليد على قطع من خشب الأرز المغربي، ومنها قطع من حجر الأمازونيت الكيني داخل إطارات مذهبة، ومنها مساحات مغطاة بورق الذهب، حيث تحتوي كل قبة على مازنته ٢٫٥ كغ من ورق الذهب الرقيق الخالص.

أما الغلاف الخارجي للقبة فهو من السيراميك الألماني المثبت على قواعد من الجرانيت ويعلو القبة رأس يشكل نقطتها العلوية، وهو من البرنز المغطى بالذهب، وتتحرك القبة على أربع عجلات من الفولاذ الخالص مكسوة بمعدن

ضد الصدأ، ولكل عجلة محرك خاص بها قوته ٥ر٢ كيلو واط قادر على تحرك العجلة، وتحريك لاقبة كلها إن لزم الأمر، وتتحرك القبة على سكة فولاذية مغطاة بالمعدن المضاد للصدأ، والتي تمنع الضجيج أيضاً أثناء تحرك القبة، ويتم تحريك القبة من جهاز حاسوب (كمبيوتر) يمكنه فتح كل قبة وإغلاقها على حدة، كما يمكنه فتحها وإغلاقها جميعاً في وقت واحد، وتستغرق حركة القبة الكاملة بالمحركات دقيقة واحدة فقط، وقد روعي في التصميم إمكانية تحريك القبة باليد، حيث يستغرق فتحها وإغلاقها آنئذ ثلاثين دقيقة.

وقد صنعت القباب في مصانع الشركة المنفذة التي أقامتها في ضواحي المدينة.

منارات التوسعة:

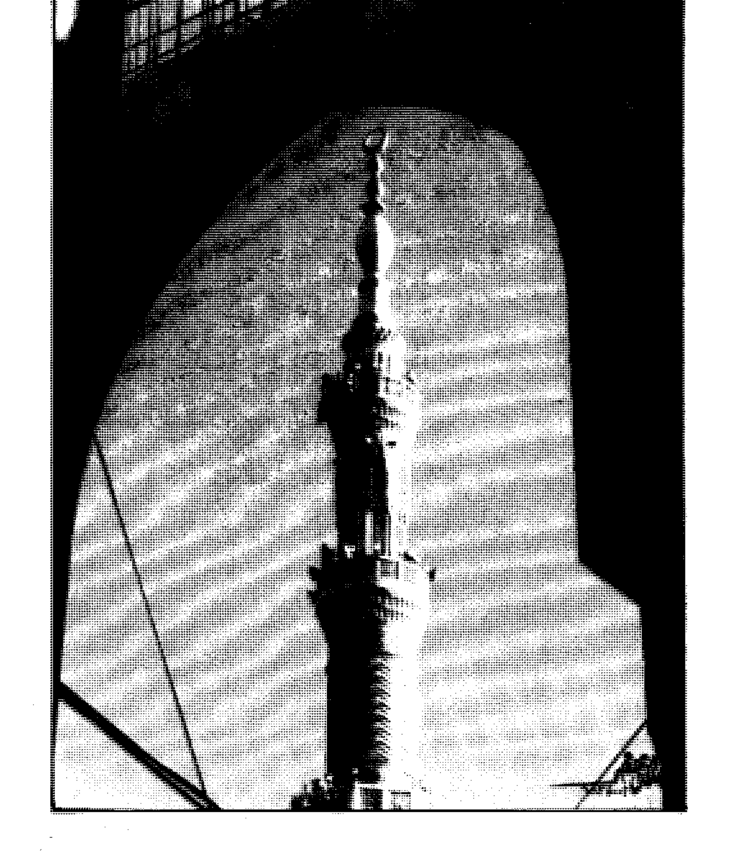
تشتمل التوسعة الجديدة على ست منارات جديدة، ارتفاع كل منها حوالي ١٠٤م أي بزيادة ٣٢ متراً عن إرتفاع المنارات في التوسعة الأولى.

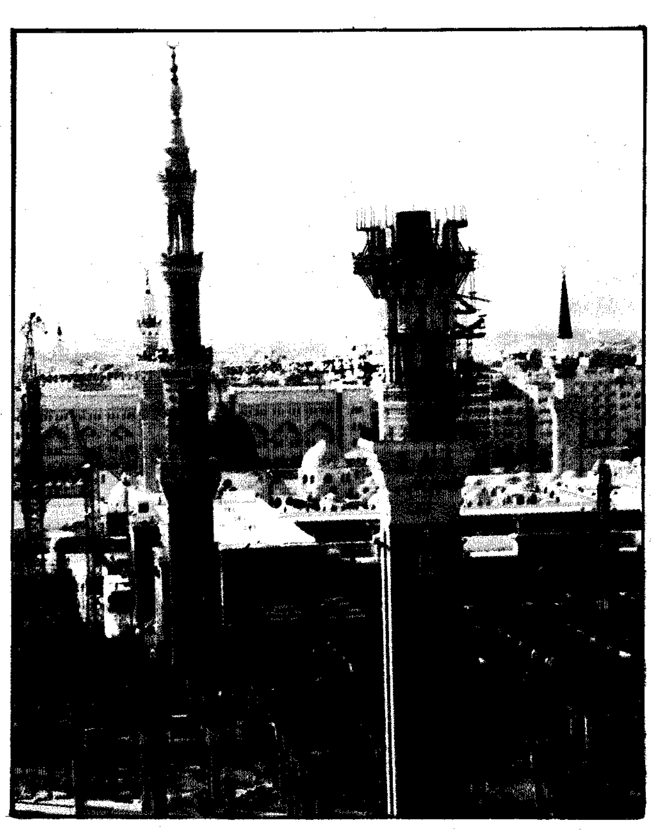
وتصطف أربع منارات في الواجهة الشمالية، واحدة عند الزاوية الشرقية، وأخرى عند الزاوية الغربية، واثنتان فوق البوابة الوسطى والتي سميت (باب الملك فهد).

وأما المنارتان الباقيتان فستكون أولاهما في الزاوية الجنوبية الشرقية لمبنى التوسعة، والأخرى في الزاوية الجنوبية الغربية، وبذا يصبح للمسجد النبوي عشر منارات.

وقد بنيت هذه المنارات وفق أحدث النظم الهندسية، فغرس في أرضية كل منارة مابين ١٦-٢٥ وتداً من الإسمنت المسلح، قطرا لوتد ١٠ر١م، وعمقه ٤٥-٥٠ متراً، ثم بنيت فوقها قاعدة من الإسمنت المسلح تصل بينها طولها ١٤ متراً، وعرضها ١٢ متراً، وسكها ٢٫٠٥ متراً، ثم يبدأ البناء الخارجي للمنارة، ويتكون هذا الشكل من خمسة أجزاء مختلفة.

الجزء الأول: مربع الشكل ضلعه ٥ر٥ متراً، وارتفاعه ٢٧ متراً، مغطى





بناء المنارات الجديدة

بحجر الجرانيت وينتهي بشرفة مربعة.

الجزء الثاني: مثمن الشكل قطره أيضاً ٥ر٥ متراً، وارتفاعه ٢١ متراً، مغطى بالحجر الصناعي الملون، وعلى كل ضلع عمود من المرمر الأبيض، بينها شبابيك خشبية، وينتهي هذا الجزء بشرفة مثمنة الشكل أيضاً.

الجزء الثالث: أُسطواني الشكل قطره ٥م وارتفاعه ١٨ متراً، ليس فيه فتحات ولا شبابيك وينتهي بشرفة دائرية.

الجزء الرابع: أُسطواني الشكل قطره ٥ر٤ متراً، وارتفاعه ١٥ متراً، وعليه أقواس مثلثة تستند إلى أعمدة رخامية بيضاء.

والجزء الخامس والأخير: بيضوي الشكل ينتهي بهلال برونزي ارتفاعه ١٢متراً، منه ٧ر٦م ارتفاع الهلال وحده، ويزن الهلال أربعة أطنان، وهو من النحاس المغطى بقشرة من الذهب عيار ١٤ قيراط.

تبريد الهواء في المسجد النبوي:

من المعروف أن مناخ المدينة المنورة حار في معظم أيام السنة، وباستثناء فصل الشتاء اعتاد سكان المدينة المنورة في هذا الزمن أن يستخدموا مكيفات الهواء في بيوتهم وأماكن عملهم.

ونظراً لمكانة المسجد النبوي ولتوفير الراحة لمن يقصده من المصلين والمعتكفين في تلك الأيام الحارة، أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بإقامة مشروع لتبريد الهواء في المسجد كله، رغم مساحته الضخمة، ووضعت التصاميم لأضخم مشروع تكييف في العالم، فمساحة المسجد النبوي بعد التوسعة -كما أسلفت- ستقارب المئة ألف متر مربع، وإذا أخذنا في الاعتبار أن السقف الداخلي يرتفع قرابة ثلاثة عشر متراً أدركنا الحجم الهائل للمساحة التي ستبرد، وهذا يقتضي مصنعاً ضخماً ومحركات ذات قدرة عالية.

لذلك تقرر أن يقام مصنع التكييف بعيداً عن المسجد النبوي تجنباً

لضجيج المحركات، ولتسهيل عمليات التشغيل والصيانة، واختير له منطقة تبعد عن المسجد سبعة كيلو مترات في الإتجاه الغربي على سفح حبل جماء عاقر الشرقي، كما تقرر أن يكون التبريد بطريقة المياه المبردة، أي أن مصنع التبريد يبرد كميات ضخمة من الماء، تضخ في مواسير تمتد تحت الأرض إلى الطابق السفلي للتوسعة، حيث تجري هناك في شبكة من الأنابيب العرضية الدقيقة، تتوزع عليها مجموعة من مضخات الهواء القوية يبلغ عددها ١٤٣ مضخمة، ويمر الهواء الخارج من المضخات بشبكة المياه المبردة، فيبرد ويسير في مواسير التكييف إلى فتحات موزعة في قاعدة الأعمدة في الطابق الأرضي للمسجد النبوي.

وقد أقيم مصنع التبريد على مساحة قدرها سبعون ألف متر مربع، وفي المصنع ستة محركات للتبريد يتم تشغيل خمسة منها لتوفير الهواء البارد اللازم، ويبقى المحرك السادس احتياطياً، وتبلغ طاقة المحركات الخمسة سبعة عشر ألف طن من الهواء المبرد.

نفق الخدمات:

تمتد مواسير نقل الماء المبرد من مصنع التبريد إلى الطابق السفلي لمبنى التوسعة في نفق ضخم أقيم لتأمين الخدمات المختلفة، ويتكون النفق من شارع تحت الأرض طوله سبعة كيلو مترات وعرضه ٢ر٦متراً وارتفاعه ١ر٤ متراً مبني من الإسمنت المسلح، وبعمق يتراوح بين أربعة أمتار وستة عشر متراً، ويمر النفق من تحت نفق المناخة والساحات المحيطة بالتوسعة، ومن خلال مبنى مواقف السيارات السفلي ويصل إلى المبنى السفلي للتوسعة.

ساحات حول المسجد النبوي:

من مسلمات هندسة البناء أنه كلما كبر المبنى احتاج إلى ساحة فضاء أكبر، ومع أن المسجد النبوي بعد التوسعة لايمتد عمودياً مسافة كبيرة، فإن امتداده الأفقي الكبير يقتضي وجود ساحات واسعة حوله، تحافظ على فضاء

١ ـ نفق تبريد هواء المسجد النبوي وخدماته الفنية الأخرى أثناء إنشائه يمتد أكثر من سبعة كيلومترات.

٢ ـ مشروع مواقف السيارات من الجهة الجنوبية والعمل جار فيه وستكون الساحات فوقه.

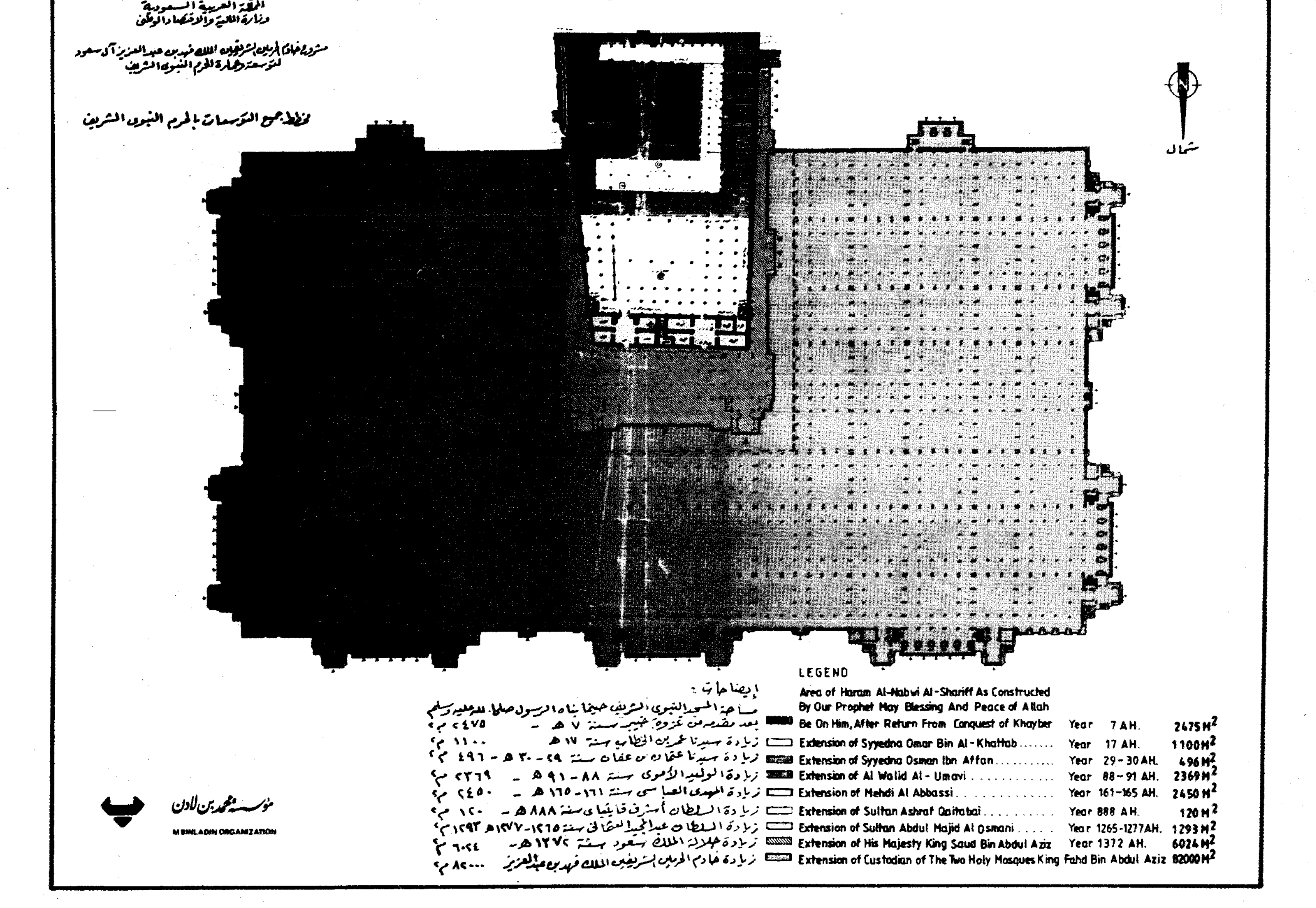
مفتوح حوله، وتبرز جماله، والأهم من ذلك كله تهيء مساحات إضافية للمصلين تستخدم عند الحاجة.

لذا روعي في تصميم التوسعة الجديدة أن تحيط به ساحات مغطاة بالرخام وفق أشكال هندسية اسلامية وبألوان مختلفة، تبلغ مساحتها ٢٣٥ر٠٠٠ متر مربع، وفيها مداخل للمواضيء السفلية ومواقف السيارات، واستراحة لكبار الزوار، وتتسع في حالة استخدامها استخداماً كاملا لـ ٤٠٠ر٠٠٠ مصل.

ولهذه الساحات أسوار وبوابات وتضيئها مصابيح شديدة الإنارة ترتفع فوق مائة وعشرين عموداً عالياً.

مواقف السيارات:

يستقطب المسجد النبوي المصلين والزوار من داخل المدينة وخارجها، ويقتضي وصول الأعداد الكبيرة إليه حركة مرور كثيفة جداً لن تحتملها الطرق العادية، كما أن المصلين والزائرين الذين يأتون بالسيارات يحتاجون إلى مواقف لسياراتهم ريثما يقضون صلاتهم وزيارتهم، وقبل التوسعة كانت تحدث في أوقات الصلاة في الأيام العادية عرقلة مرورية كبيرة، وفي أيام الجمع تبذل إدارة المرور جهوداً كبيرة لتخفيف هذه العرقلة وتنظيم وقوف السيارات الكثيرة، وعندما تتم التوسعة سوف تتضاعف الأعداد القادمة وخاصة أيام الجمع والمواسم، لذلك تقرر بناء مواقف واسعة للسيارات تحت الساحات المحيطة بالحرم، تحيط بالمسجد من جهاته الثلاثة: الشمالية والجنوبية والغربية، وتشتمل على طابقين يتسعان لأكثر من أربعة آلاف سيارة، وتتخلل المواقف بوابات للدخول والخروج، وطرق مناسبة للحركة داخل المواقف وبين طابقيه ليضمن سهولة الانسياب والحركة، وتتصل المواقف مع ساحات المسجد بـ ٥٦ سلماً كهربائياً متحركاً للصعود والنزول، و٢٨ سلماً عادياً، وألحق بالمواقف مجموعة دورات مياه، وأماكن للوضوء عددها ٢٥٠٠،


المملكة العربية السعودية
وزارة المالية والاقتصاد الوطني
مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
لتوسعة وعمارة الحرم النبوي الشريف
مخطط جميع التوسعات بالحرم النبوي الشريف
شمال
N
LEGEND
Area of Haram Al-Nabwi Al-Shariff As Constructed By Our Prophet May Blessing And Peace of Allah Be On Him, After Return From Conquest of Khayber Year 7 A.H. 2475 M²
Extension of Syyedna Omar Bin Al-Khattab .... Year 17 A.H. 1100 M²
Extension of Syyedna Osman Ibn Affan .... Year 29-30 A.H. 496 M²
Extension of Al Walid Al-Umavi .... Year 88-91 A.H. 2369 M²
Extension of Mehdi Al Abbassi .... Year 161-165 A.H. 2450 M²
Extension of Sultan Ashraf Qaitabai .... Year 888 A.H. 120 M²
Extension of Sultan Abdul Majid Al Osmani ..... Year 1265-1277 A.H. 1293 M²
Extension of His Majesty King Saud Bin Abdul Aziz Year 1372 A.H. 6024 M²
Extension of Custodian of The Two Holy Mosques King Fahd Bin Abdul Aziz 82000 M²
إيضاحات :
مساحة المسجد النبوي الشريف حينما بناه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه من غزوة خيبر سنة ٧ هـ - ٢٤٧٥ م٢
زيادة سيدنا عمر بن الخطاب سنة ١٧ هـ ١١٠٠ م٢
زيادة سيدنا عثمان بن عفان سنة ٢٩ - ٣٠ هـ - ٤٩٦ م٢
زيادة الوليد الأموي سنة ٨٨ - ٩١ هـ - ٢٣٦٩ م٢
زيادة المهدي العباسي سنة ١٦١ - ١٦٥ هـ - ٢٤٥٠ م٢
زيادة السلطان أشرف قايتباي سنة ٨٨٨ هـ - ١٢٠ م٢
زيادة السلطان عبد المجيد العثماني سنة ١٢٦٥ - ١٢٧٧ هـ ١٢٩٣ م٢
زيادة جلالة الملك سعود سنة ١٣٧٢ هـ - ٦٠٢٤ م٢
زيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ٨٢٠٠٠ م٢
مؤسسة محمد بن لادن
M.BINLADIN ORGANIZATION

ونافورات لشرب الماء البارد عددها ٥٦٠ نافورة، وفيها أجهزة مراقبة تلفزيونية ومخاطبة صوتية ومكاتب للإدارة، وغرف للأعمال الكهربائية والميكانيكية اللازمة، لذا لن يجد قاصد المسجد النبوي عناء في إيجاد موقف لسيارته.

وهكذا تتكامل مجموعة الخدمات حول المسجد النبوي، وتحتوي على تجهيزات حديثة ضخمة وهذه -كما أسلفت- واحدة من الأسباب التي تجعلنا نقول: إن التوسعة الجديدة ملحمة عمرانية حديثة.

تجديد المساجد الأثرية الأخرى في المدينة وتوسعتها:

في المدينة تراث كبير من المساجد القديمة تحمل في جنباتها ذكريات عهود مشرقة في قمتها العهد النبوي، حيث صلى الرسول ﷺ وصحابته الكرام في تلك المساجد ودعا لأهلها، كمسجد قباء أول مسجد في الإسلام الذي خطه الرسول ﷺ بيده الشريفة، وكمسجد الجمعة، ومسجد المصلى.. إلخ.

وقد وفق الله بعض الذين تولوا أمر المدينة من قبل للعناية بتلك المساجد بين عصر وعصر، فكان عمر بن عبد العزيز -كما مر بنا- أول من تتبع تلك المساجد وجددها وعني بها.

وفي هذا العصر وفق الله القائمين على تطوير المدينة المنورة إلى الاهتمام بتلك المساجد، وكان من بين توجيهات خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز إعادة بناء تلك المساجد وتوسعتها لتستوعب الأعداد الكبيرة من الزار والمصلين، وأهم تلك المساجد: مسجد قباء، ومسجد القبلتين، ومسجد الميقات.

ولا يفوتنا قبل أن نتحدث عن تطوير هذه المساجد أن نشير إلى أن جميع مساجد المدينة المنورة الأخرى لقيت عناية كبيرة، فأعيد بناء بعضها، ورمم بعضها الآخر وفرشت بالسجاد الجيد ووضعت فيها أجهزة التكييف

المناسبة.

تجديد مسجد قباء وتوسعته:

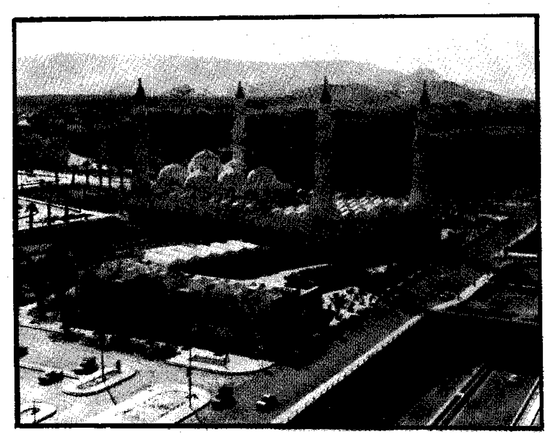
من المعروف أن مسجد قباء هو أول مسجد في الإسلام، فقد خطه الرسول ﷺ عندما وصل المدينة مهاجراً من مكة وشارك في وضع أحجاره الأولى ثم أكمله الصحابة، وكان رسول الله ﷺ يقصده بين الحين والآخر ليصلي فيه، ويختار أيام السبت غالباً وثمة أحاديث صحيحة تبين أن لمن صلى فيه أجر عمرة، جاء في الحديث (من تطهر في بيته وأتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة فله أجر عمرة) وفي حديث آخر (من خرج حتى يأتي هذا المسجد -يعني مسجد قباء- فصلى فيه كان كعدل عمرة).

لقي مسجد قباء شيئاً من العناية التي لقيها المسجد النبوي خلال العصور الماضية وكان أول من جدده عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم عمر بن عبد العزيز الذي بالغ في تنميقه وجعل له رحبة وأروقة، وهو أول من عمل له مئذنة، وفي سنة ٤٣٥هـ جدده أبو يعلى الحسيني، وفي سنة ٥٥٥هـ جدده جمال الدين الأصفهاني، وجدد أيضاً في سنة ٦٧١، ٧٣٣، ٨٤٠، ٨٨١هـ وفي زمن الدولة العثمانية عمر عدة مرات كان آخرها في عهد السلطان عبد المجيد، وآخر ترميم وتجديد كان بأمر جلالة الملك فيصل سنة ١٣٨٨هـ، وقد جدد في هذه العمارة تجديداً قيماً وخاصة في جدرانه الخارجية وزيد من ناحيته الشمالية، وقد كلف هذا الترميم قرابة ٨٠٠ ألف ريال(١).

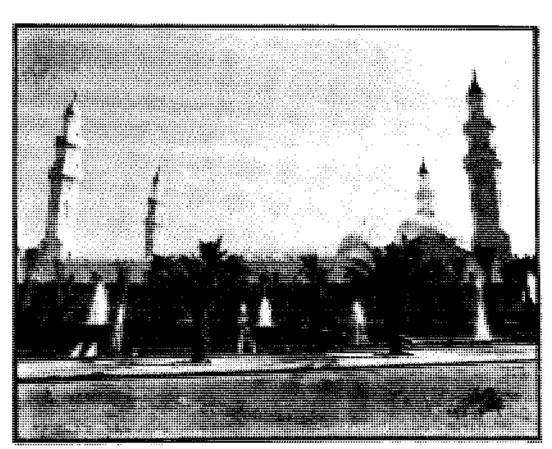
وضمن خطة العناية بالمدينة المنورة أمر خادم الحرمين الشريفين بوضع التصميمات لتجديد مسجد قباء وتوسعته، وفي زيارته للمدينة عام ١٤٠٥هـ عرضت عليه التصميمات ومعها مجسم للمبنى المقترح فلاحظ (أن معالم المسجد الحالي ستزول داخل التوسعة الجديدة، فأمر بإلغاء المخطط الموضوع، وإعداد مخطط جديد يبقى على المنبر والمحراب والمعالم القديمة،

---

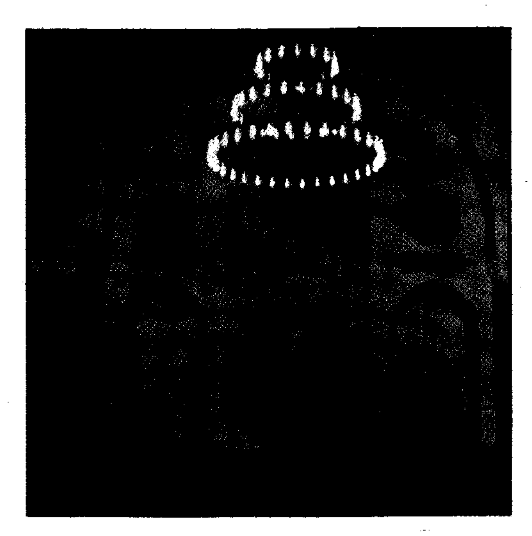
١) آثار المدينة المنورة ص ٨٣.



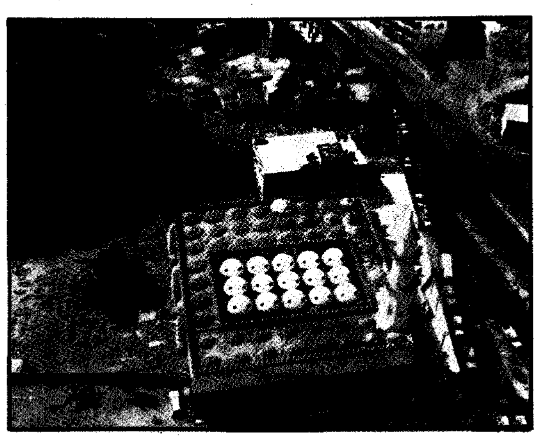
١ ـ مسجد قباء بعد التوسعة من الزاوية الشمالية الشرقية وتبدو في الصورة المباني السكنية والتجارية الملحقة بالمسجد.



٢ ـ الواجهة الغربية لمسجد قباء وقد زينت ساحتها بالنوافير والنخيل.



٣ ـ محراب مسجد قباء الجديد.



٤ ـ مسجد قباء قبل التوسعة الأخيرة وقد ضمت المنازل المجاورة إلى التوسعة.

ليتعرف المسلمون جيلا بعد جيل على الأماكن الأصلية والآثار النبوية الشريفة) (١) كما وجه القائمين على تنفيذ المشروع لإنشاء نفق عند تقاطع الطرق بمداخل المسجد لتسهيل حركة دخول المصلين وتيسير حركة المرور فوق الطريق الرئيسي(٢) وقامت شركة استشارية بإعادة التصميمات راعت فيها أن يحافظ المبنى الجديد على الشكل التراثي والمعالم التراثية بدقة، فجاء التصميم مطابقاً لتصميم المسجد في مبناه السابق، ولكن بعد مضاعفة حجمه أكثر من ثلاثة أضعاف، فقد كان قبل التوسعة مربع الشكل طول ضلعه ٤٠ متراً، أي أن مساحته الكلية ١٦٠٠ متراً فقط، بينما أصبح حجم المصلى فقط ٥٠٣٥م تتبعه مرافق للخدمات (موضأ للرجال وآخر للنساء وساحات وغرف ومكاتب ومساكن للإمام والمؤذن) تبلغ مجموع المساحة التي يشغلها المسجد مع مرافقه ١٣٥٠٠ متر مربع.

وأسندت مهمة إنجاز المشروع إلى مجموعة بن لادن السعودية وتم استملاك العقارات المجاورة التي ستدخل في التوسعة والمرافق المساندة، وبدأ هدم الجزء الشمالي من المسجد وبناء جزء من المبنى الجديد، وعندما انتهى تجهيز هذا القسم وأصبح مناسباً للصلاة فيه بدأ هدم الجزء الجنوبي وامتدت التوسعة به في الجهات الأربع، وأعيد بناؤه بالتصميم القديم نفسه ولكن جعل له أربع مآذن عوضاً عند مئذنته الوحيدة القديمة، كل مئذنة في جهة من جهاته الأربع، وترتفع المآذن ٤٧ متراً.

بني المسجد على شكل رواق جنوبي وآخر شمالي تفصل بينهما ساحة مكشوفة ويتصل الرواقان شرقاً وغرباً برواقين طويلين، ويتألف سطحه من مجموعة من القباب متصلة منها ٦ قباب كبيرة قطر كل منهما ١٢ متراً و ٥٦ قبة صغيرة قطر كل منها ٦ أمتار، وتستند القباب إلى أقواس تقف على

---

١) أيام خالدة في طيبة الطيبة ص ١٥٦.

٢) السابق نفسه.

أعمدة ضخمة داخل كل رواق، وكسيت أرض المسجد وساحته بالرخام العاكس للحرارة، وغطيت الساحة بمظلة سقفية متحركة من قماش الخيام المتين تفتح وتغلق آلياً.

وقد ألحق بالمسجد مكتبة ومنطقة تسويق لخدمة الزائرين.

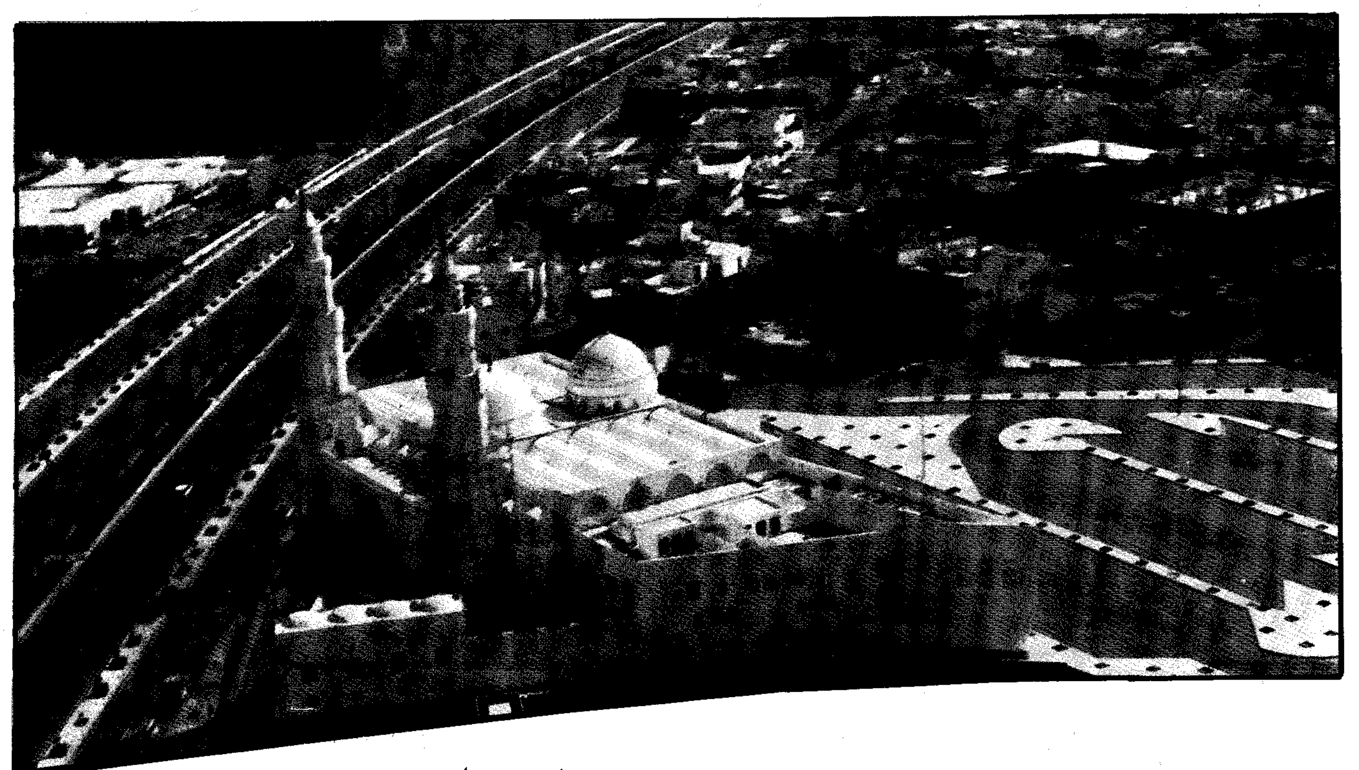
والجدير بالذكر أنه تم تجديد المسجد في زمن قياسي هو اثنا عشر شهراً فقط، وكان العمل يسير على مدار الساعة.

تجديد وتوسعة مسجد القبلتين:

يقع مسجد القبلتين إلى الشمال الغربي من المسجد النبوي على تلة صغيرة من تلال حرة الوبرة (الحرة الغربية) ويبعد عن المسجد النبوي ٥ كم تقريباً، وهو مسجد أثري كان لبني سَلَمَة وكان فيه محرابان، الأول متجه إلى بيت المقدس، والثاني إلى الكعبة، وقد حافظ القدماء على محرابيه، وخلال العصور الماضية جدد المسجد عدة مرات لعل آخرها التجديد العثماني في عهد السلطان سليمان القانوني عام ٩٥٠هـ كما يبين النقش الموجود على حجر رخامي فوق مدخل المسجد قبل توسعته الأخيرة.

ويؤم زوار المدينة هذا المسجد للصلاة فيه تبركاً، وكان قبل توسعته صغيراً يتألف من رواقين، الأول فيه المحراب المتوجه إلى بيت المقدس والثاني فيه المحراب المتوجه إلى الكعبة، ويبلغ حجم المسجد كله ٤٢٥ متراً.

وشملت خطة تطوير المدينة مشروعاً لتجديده وتوسعته، وتولت مجموعة بن لادن تنفيذه، فأقامت مصلى مؤقتاً بجانب المبنى وشرعت بإزالة المبنى القديم، ثم أزالت التلة المقام عليها، وأقامت مبنى جديداً واسعاً يتألف من طابقين، الطابق الأرضي ويشمل دورات المياه وأماكن الوضوء والمستودعات، والطابق العلوي وفيه المصلى ومساحته ١١٩٠ متر مربع، وخصصت شرفة واسعة (٤٠٠ متر مربع) للنساء تطل على ساحة المصلى، ورواقاً لتحفيظ القرآن الكريم، كما أقامت بجانب المسجد مجموعة سكنية للإمام والمؤذن



مسجد القبلتين الجديد معلم عمراني حضاري

والحارس وفناء داخلياً غرس بالأشجار فأصبح أشبه بحديقة صغيرة.

وقد بنيت قاعة المصلى على شكل سلسلة من القناطر تقوم على دعائم كبيرة ويرتفع فوقها قبتان متوازيتان، وبني المسجد بالطوب الأحمر وزخرف بنقوش إسلامية جميلة، كما وضعت فيه مصابيح ضخمة على شكل المصابيح العثمانية الدائرية فظهرت في المسجد أصالة العمارة الإسلامية في الشكل والمضمون، وللمسجد مئذنتان جميلتان تضفيان على شكله الخارجي نسقاً معمارياً متميزاً، يواجه القادم من طريق تبوك على مسافة بعيدة، ويبلغ حجم بنائه وساحاته أربعة آلاف متر مربع.

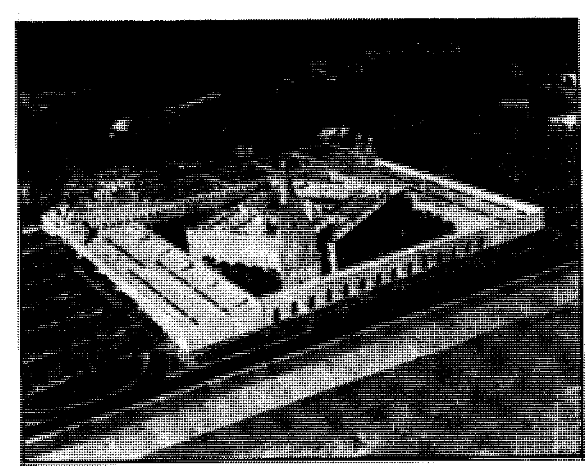
مسجد الميقات:

الميقات في المصطلح الشرعي هو: المكان الذي يحرم منه من نوى الحج أو العمرة، وميقات أهل المدينة وما خلفها من البلاد هو ذو الحليفة، وهو واد يبعد عن المسجد النبوي قرابة أربعة عشر كيلو متر غرباً في طريق مكة، وفي صحيح البخاري بسنده (وَقَّتَ رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة)(١) وفي حديث آخر (أن رسول الله ﷺ إذا خرج إلى مكة يصلي في مسجد الشجرة) (٢) وفي كتب تاريخ المدينة أخبار عن وجود مسجد قديم في ذلك الموقع تم هدمه ثم إعادة بنائه في تواريخ غير معروفة، ويقرر السمهودي أن الموقع في الأصل كان فيه شجرة ينزل عندها رسول الله ﷺ يستظل بها ويصلي ركعتين ثم يركب ناقته ويهل بالإحرام، وأنه بُني في ذلك الموقع مسجد فيما بعد سمي بمسجد الشجرة أو مسجد ذي الحليفة، وهو مسجد

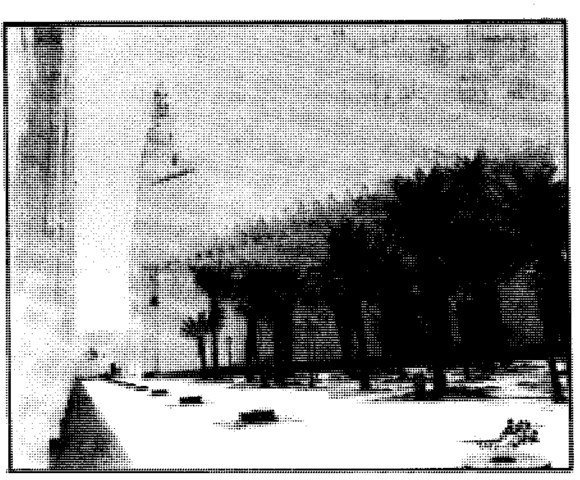
---

١) فتح الباري ٣/٤٥٣.

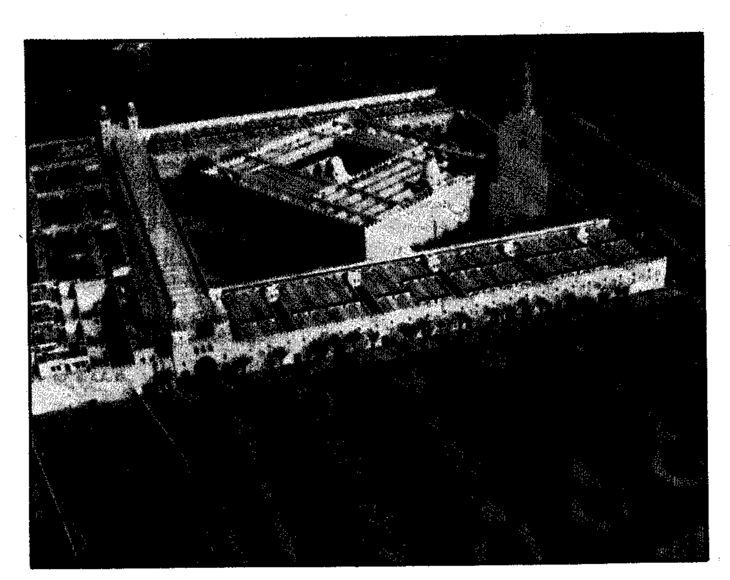
٢) السابق نفسه.



مسجد الميقات ويبدو مبنى المسجد وسط مباني خدمات المُحْرِمين الواسعة كما يبدو التشجير في ساحاته



المئذنة المتميزة والخضرة معلمان بارزان في مسجد الميقات



مسجد الميقات في بناه الجديد..
محطة خدمات كاملة للمُحْرِمين

الأرض المزروعة، كما خصصت قطعة أرض أخرى واسعة في أطراف المسجد لتكون حديقة، وقد بلغ مجموع الأراضي المزروعة في هذه المجموعة عشرة آلاف متر مربع وهذه ولاشك حديقة كبيرة تجعل من المسجد وملحقاته واحة وارفة الظلال.

وقد روعي في تصميم مجموعة مسجد الميقات أن يحمل مع دلالته الإيمانية دلالة تراثية تذكر من يتأمله بقوافل الحجاج على مدى التاريخ الإسلامي، فكسيت الجدران الخارجية بلون الرمال لتعبر عن ارتباط المبنى بصخور الجبال المحيطة به، وبالطريق الصحراوي الذي كان يجتازه الحجاج من قبل، كما أن أشجار النخل الباسقة والخضرة التي تغطي المساحة المزروعة في المسجد تنقل المسافر إلى جو الواحة وظلالها، فكيف اذا كانت هذه المشاعر رديفة لمشاعر التبتل والدخول في عبادة متميزة.؟؟.

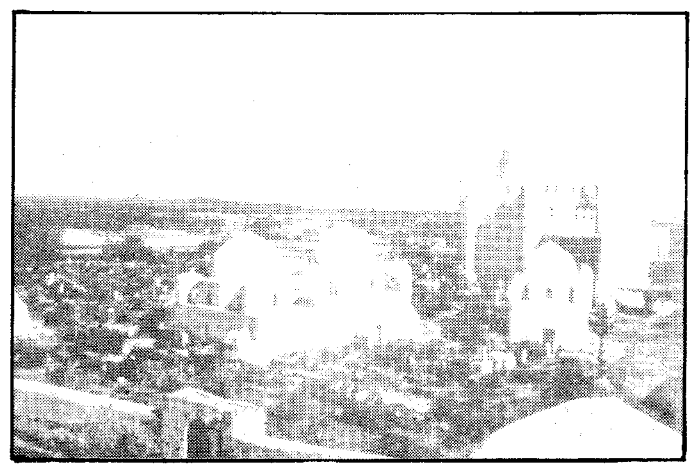
توسعة البقيع:

من المعالم المشهورة في المدينة المنورة اليوم على امتداد تاريخها الإسلامي بقيع الغرقد (والبقيع في اللغة موضع فيه أروم شجر من ضروب شتى، والغرقد شجر له شوك)(١) وهي مقبرة تقع شرقي المسجد النبوي، كان رسول الله ﷺ يزورها ويدعو للمدفونين فيها، وقد دُفن فيها أكثر من عشرة آلاف صحابي، منهم عدد كبير من آل بيت رسول الله ﷺ: بناته رقية، وأم كلثوم، وزينب، وابنه ابراهيم، ومعظم زوجاته، وعثمان بن عفان رضي الله عنه... الخ. وقد وسعت مساحة البقيع منذ العهد الأموي، وبلغت آخر الأمر قرابة خمسة عشر ألف متر (١٥٠x١٠٠) وسورت في العهد العثماني -كما يدل الحجر المنصوب على بوابته- ورمم السور في العهد السعودي.

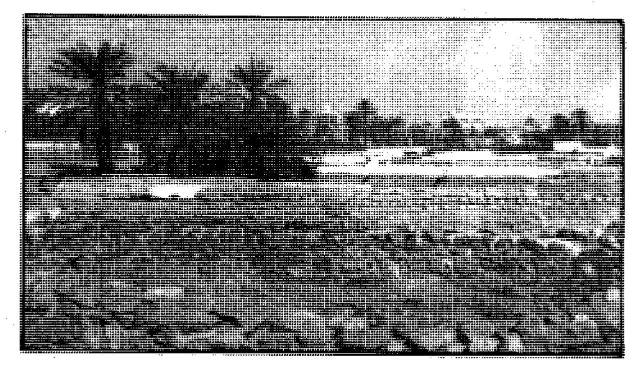
ومنذ العهد الفاطمي بدأ بناء القباب على بعض القبور في البقيع وازدادت تلك القباب في عهد المماليك ثم العثمانيين، وبالغ بعض سلاطين العجم في

---

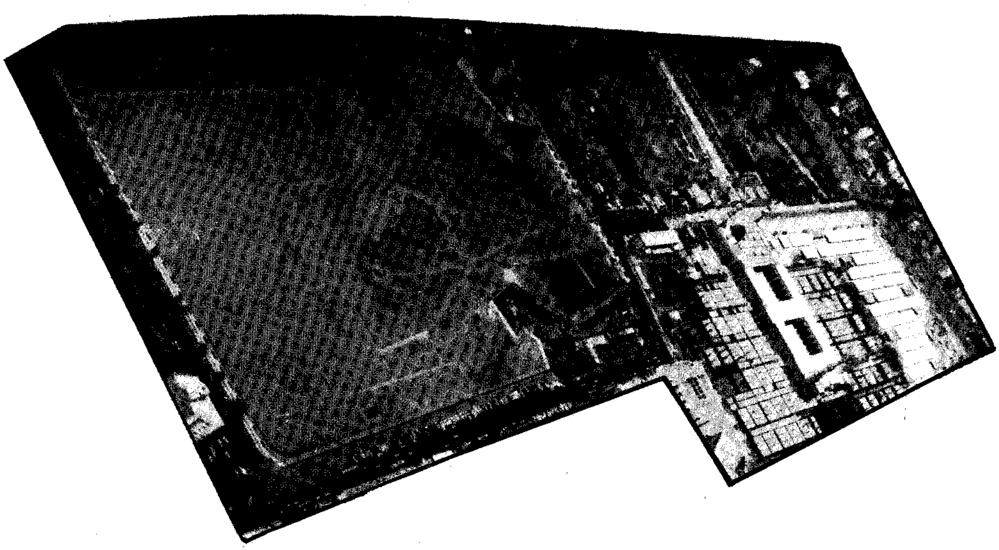
١) انظر لسان العرب ٣٢٦/١ ط دار المعارف بمصر.



نموذج من القبور التي كان عليها قباب: قبر عثمـان بن عفان وعليـه القبة الكبرى ثم قبر الإمام مالك ثم قبور زوجات الرسول ﷺ



الجانب الشرقي من البقيع قديماً. قبر عثمان بن مظعون وقبر فاطمـة بنت أسد والدة علي بن أبي طالب رضي الله عنه



البقيع وقد أزيلت منه المظاهر غير الشرع

تجميل القبة المبنية على قبر عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعندما دخلت المدينة في سيادة الدولة السعودية الأولى عام ١١٢٠هـ أزيلت تلك القباب وسويت القبور بالأرض اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ، وعندما دخلت جيوش محمد علي المدينة ١١٢٦هـ ثم سلمتها للعثمانيين عادت القباب وتضاعفت حتى غطت معظم منطقة البقيع كما تبين الصور التي التقطت في أواخر العهد العثماني.

ولما استسلمت المدينة لرجال الملك عبد العزيز بن سعود عام ١٣٤٤هـ أزال (١) (الإخوان) تلك القباب وسووا القبور بالأرض، وما لثبت الدولة أن رممت السور وجعلته من الحجارة ونظمت زيارة البقيع منعاً للبدع الضالة المضلة.

وفي عهد الملك فيصل جرت توسعة للبقيع حيث ضمت إليه بعض الأراضي المجاورة، وأعيد بناء السور.

ونظر لازدياد عدد سكان المدينة عدة أضعاف ولتضاعف عددا لزوار أيضاً، ولحرص الكثيرين على أن يدفنوا في البقيع ظهرت الحاجة الى توسعة البقيع، فوضعت خطة لإضافة مساحات كبيرة الى أرض المقبرة، وإعادة تسويرها بسور مرتفع (٤م) ومغطى بالرخام، يتألف من سلسلة من الأقواس وتشغل الفراغات بينها بشبك معدني مناسب.

---

١) انظر الخارطة المرفقة.

المدينة المنورة اليوم

نستعرض باختصار شديد الصورة العامة للحياة في المدينة المنورة قبيل الفراغ من إعداد هذا الكتاب.. حيث يخطو العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري خطوته الثالثة في مدراج السنين، وننظر -خطفاً- في الحركة العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية..

أما الحركة العمرانية في المدينة اليوم، فتشبه (ورشة) عمل ساخنة، فحيثما ذهبت وجدت حركة إزالة، أو إنشاء، أو ترميم، أو تعديل، فمشروع توسعة المسجد النبوي الضخم قد شارف على الانتهاء تماماً، والمسجد النبوي يزهو اليوم بأروقته الفسيحة ومبناه الضخم المكيف الهواء، وقبابه الجميلة المتحركة، ومشروع الخدمات المساندة وبخاصة مشروع مواقف السيارت والساحات قد جاوز نصف الطريق إلى الإنجاز، والعمل يجري فيه على مدار الساعة، والدائرة العمرانية المحيطة بالمسجد النبوي قد أزيلت معظم أبنيتها، ويجري الآن إزالة الأبنية الباقية بسرعة كبيرة، وبدأت عملية التعويض، فحفرت أساسات بعض المجمعات السكنية التجارية الضخمة، ويسير العمل فيها على قدم وساق.

والدائرة العمرانية الثانية تشهد إنجاز عدد من المشروعات الحكومية وعشرات من المشروعات الأهلية، بدءاً بمشروع طريق الحلقة الدائرية الثانية، ومروراً بتزفيت بعض الشوراع أو إعادة تزفيتها، ووصولاً إلى بناء العمارات المختلفة الأحجام التي ترتفع يوماً بعد يوم.

والدائرة العمرانية الثالثة قد استكملت مد طريقها المزفت الطويل، وتشهد ظهور بعض الأبنية في البقع السكنية المنتشرة فيها، وإنجازاً لعدد من الشوارع والحدائق.

ومداخل المدينة قد أنجزت مشاريعها فصارت واسعة منظمة وجميلة، والشوارع الرئيسية غرست في أطرافها أو وسطها الأشجار وزينت دواراتها

بالخضرة ونوافير المياه، والحدائق المختلفة الأحجام قد انتشرت في كل منطقة من مناطق المدينة، والعمل مستمر في شوارع أخرى وراءها لتزفيتها أو تحسين تزفيتها أو رصف جوانبها أو غرس الأشجار فيها. لذا ففي كل منطقة في المدينة حركة إنشاء أو تحسين، وكأن تاريخاً عمرانياً جديداً يصنع الآن، بدأت ملامحه بمشروع توسعة المسجد النبوي، ثم امتدت إلى الدائرة العمرانية الأولى، ثم إلى مداخل المدينة وشوارعها وساحاتها، وأعتقد أنها ستصل بعد حين إلى البقع السكنية التي نمت عشوائياً قبل عقد من الزمن، لتصبح المدينة بعد ذلك مجموعة عمرانية متناسقة، قلبها المسجد النبوي حيث تبدأ منه الشوارع الرئيسية، وتدور حوله وتصب فيه.

ويدير الحركة العمرانية في المدينة المنورة اليوم جهتان رئيسيتان: هما اللجنة التنفيذية التي تهتم بالدائرة العقارية الأولى وبعض مشاريع تطوير المدينة، وأمانة المدينة المنورة، التي تهتم ببقية مناطق المدينة ومشروعاتها، وتقومان بجهود جبارة في سبيل إنجاز المشاريع القائمة، وتنهض أمانة المدينة المنورة بأعباء إدارة الحركة العمرانية المتسارعة في الدائرتين الثانية والثالثة وضبطها وتطبيق الخطط المقررة تطبيقاً كاملاً والحيلولة دون أية تجاوزات تسيء إلى المنظومة العمرانية المقررة، كما تنهض بأعباء إنشاء الحدائق والمساحات الخضراء في جميع جهات المدينة، وتسعى الأمانة اليوم إلى رسم ملامح المستقبل القريب للمدينة، وتقوم إدارة خاصة فيها بوضع الخطط التفصيلية للإنشاءات في المرحلة القادمة، وضبط الانتشار العمراني وتنظيمه وإعادة تنظيم المناطق التي نمت عشوائياً من قبل، وتعمل مجموعات من موظفيها على مدار الساعة لذلك.

وأما الحركة الإقتصادية، فقد حدث تغير في ترتيب مصادرها، كانت اقتصاديات المدينة تعتمد على مصدرين رئيسيين هما الزراعة وخدمات الزائرين، ثم تأتي بعد ذلك التجارة ثم الصناعة، وفي آخر السلم الوظائف

الإدارية والعمل الحكومي، أما الآن فقد تراجع المحور الأول خطوة على الأقل إلى الوراء، وتقدم محور الخدمات العامة والتجارة وأصبحت خدمات الزائرين جزءاً من هذه الخدمات تدر دخلا متفاوتاً على المشتغلين به، ولكن قل من نجده مقتصراً عليه، ويقصد بالخدمات العامة الأعمال غير الحكومية التي تقدم خدمات مأجورة للآخرين، كالفنادق والمطاعم والمغاسل والمكاتب السياحية والمكاتب العقارية ومؤسسات الصيانة.. إلخ، ويجتذب هذا القطاع استثمارات عدد من سكان المدينة، وينشط في مواسم الزيارة خاصة ويحقق دخلا وافراً، ويعتمد في تنفيذ الخدمات على العمالة الوافدة غالباً.

وأما النشاط التجاري فكبير نسبياً، يبلغ ذروته في مواسم الزيارة -رجب ورمضان وأشهر الحج- ويرتبط معظم تجار المدينة بمعاملات تجارية واسعة مع المستوردين في جدة والرياض والخبر، ويقوم عدد قليل من تجار المدينة بالاستيراد من مصادر الانتاج مباشرة، ويرتبطون بمعاملات تجارية مع زملائهم في البلاد العربية المجاورة مصر والأردن وسورية كما يرتبطون بمعاملات جيدة مع التجار والمنتجين في تركيا وبعض البلاد الآسيوية والأوربية، ولكن حركة التجارة الخارجية هذه محدودة بشكل عام في المدينة بسبب تمركز معظم الشركات الكبيرة في جدة والرياض والخبر.

أما الزراعة فتشهد حركة جزر ومد، فالمدينة التي كانت واحة خصبة تحتضن البيوت فقدت نسبة كبيرة من خضرتها، فقد تحولت مزارع النخيل العريقة والبساتين المشهورة التي كانت في العوالي وقربان وقباء والعيون إلى مناطق سكنية أو أراض معدة للبناء، وبقيت بقعة قليلة أرجو ألا تلحق بأخواتها، وظهرت مزارع نخل جديدة وبساتين في ضواحي المدينة كمزارع الخليل والعاقول وآبار الماشي، وتنشط الزراعة الحديثة النموذجية الآن في هذه المناطق وفي بعض مناطق المدينة الأخرى، وتقام البيوت المحمية (البلاستيكية) لتتجاوز بالزراعة حدود المواسم، وتنتج الخضار في فصول

المزارع والبساتين الخضراء تحيط بالمدينة المنورة وتنتج لها الخضروات والفواكه

مزارع النخيل جعلت المدينة على امتداد تاريخها واحة غناء

السنة كلها، كما تقام المداجن المتطورة في أطراف المدينة لتقدم للمستهلكين البيض ولحم الدجاج الطازج، وقد أسهم تشجيع الدولة الفائق للمزارعين والمستثمرين في تنشيط الحركة الزراعية وتوجيه قسم من الاستثمارات إليها، والمأمول أن تستعيد المدينة وجهها الأخضر وانتاجها الزراعي المتميز في سنوات قليلة قادمة إن شاء الله.

وأما النشاط الصناعي فيقوم على المصانع المتوسطة والصغيرة، ويوجد عدد قليل من المصانع، كمصنع البلاستك ومصنع الشبك المعدني ومصنع الطوب الأحمر وبعض الصناعات الغذائية المحدودة، وهناك مصانع ضخمة أنشئت لصناعة بعض مستلزمات المشاريع الحديثة، كمشروع توسعة الحرم ومشاريع إعادة بناء المساجد الأثرية، وسوف تتوقف هذه المصانع في الغالب بعد إنجاز المشاريع التي قامت لأجلها.

وأما الحياة الاجتماعية فلا أجد جديداً يختلف عما ذكرته في عرض الحياة الاجتماعية في مطلع هذا العقد، فالهجرة الداخلية إلى المدينة تسهم في الامتداد العمراني والزيادة السكانية، ولكن حركتها بطيئة بعد أن مرت سنوات الطفرة والحركة المتسارعة، والعمالة الوافدة تضخمت بسبب التوسعة والتطوير، وهي الآن في اتجاه الهبوط والتناقص بعد أن اكتملت مراحل عدة من تلك المشاريع، وشارف مشروع توسعة المسجد النبوي على الانتهاء، وفئات السكان المختلفة تعيش في تمازج حيناً وتقارب حيناً آخر، وبخاصة الفئات التي وفدت إلى المدينة قبيل سنوات طويلة، وعلاقات التقارب والمصاهرة تزداد يوماً بعد يوم بينهم، والانتعاش الإقتصادي أسهم مع الأمن والأمان في تحقيق حياة رخية هادئة للجميع..

وأما الحياة الثقافية، فكما كانت في فترات المد والعطاء، نشيطة مزدهرة نسبياً، فالمسجد النبوي يواصل ريادته الدعوية، وتنتشر فيه حلقات العلم ودروس الوعظ والارشاد، وقد حدث شيء من التغيير في مستوى الدروس

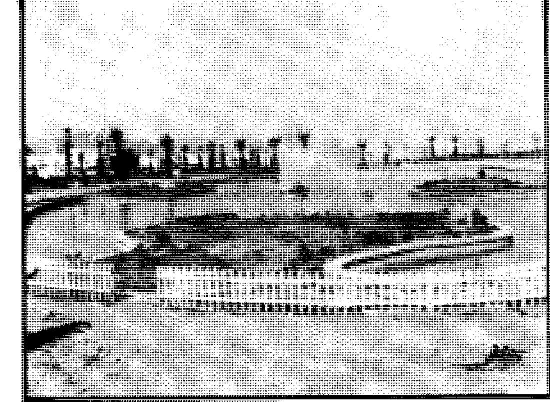
والطلاب: قلت الدروس التخصصية المتعمقة، وكثرت الدروس العامة التي يستفيد منها عامة الناس وخاصة دروس الفقه والتفسير والحديث والوعظ العام، وانتقلت الدروس التخصصية المتعمقة إلى الجامعات، وخاصة مرحلة الدراسات العليا، غير أن وجود عدد من كبار العلماء في المسجد النبوي، وبعضهم يدرس في الجامعات، يجعل الطلاب المتميزين يقصدونهم ليقرأوا عليهم بعض الكتب التراثية ويستفيدوا من علمهم الغزير، وقد ارتفعت نسبة المثقفين بين النساء والرجال، وتضاعف عدد حملة الشهادات الجامعية أضعافاً عدة، وحصل بعضهم على الدرجات العليا (الماجستير والدكتوراة) وأصبح بعضهم أساتذة في الجامعات في المدينة وفي غيرها، ويشغل بعضهم الآخر مناصب مهمة في الدولة.

وتنفرد الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بأنها تحتضن إضافة إلى الطلاب السعوديين عدة آلاف من أبناء المسلمين من جميع أنحاء العالم، وتقوم هي وفرعا جامعة الملك عبد العزيز وجامعة الإمام محمد بن سعود بنشاط ثقافي موجه لآلاف الشباب الذين يدرسون فيها إضافة إلى المناهج العلمية المقررة.

وثمة نشاط ثقافي تغلب عليه الصفة الأدبية يقوم به النادي الأدبي في المدينة المنورة، يتمثل في سلسلة من المحاضرات والندوات التي يعقدها ويستضيف فيها أعلاماً في الفكر والأدب والإدارة والاقتصاد ليعرضوا ويناقشوا موضوعات حيوية، كما يقوم بنشر كتب ودواوين شعرية لأدباء ومفكرين من المدينة وغيرها.

كما أن في المدينة اليوم عدداً من المنتديات الثقافية الخاصة، تعقد جلساتها الدورية في منزل منشئها أو راعيها، ويلتقي فيها صفوة المثقفين والكتاب والشعراء، يناقشون موضوعات تراثية ومعاصرة منوعة، ويتابعون مستجدات الواقع الحضاري. وأهم تلك المنتديات : منتدى صاحب السمو







صور من الحدائق العامة التي أنجزتها أمانة المدينة لتكون متنزهات جميلة لسكان المدينة



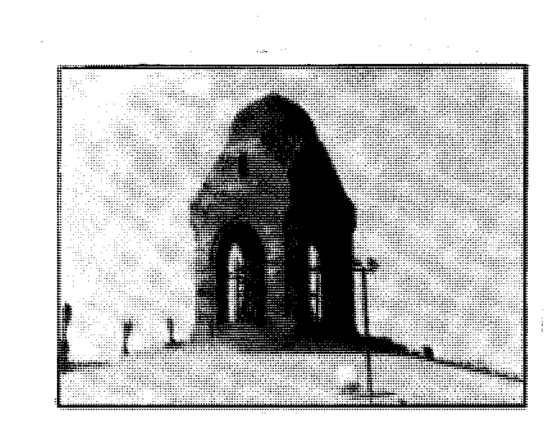
صورة من داخل إحدى الحدائق العامة التنظيم والجمال

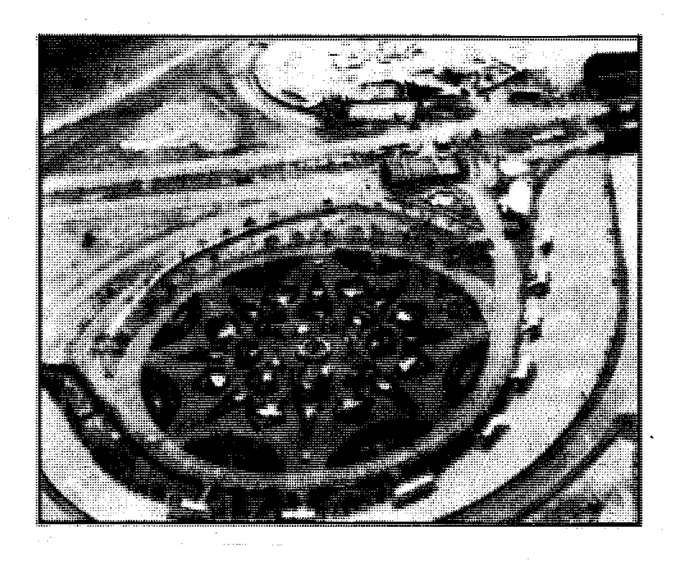
مسجد قباء والطرق والأنفاق التي أنشئت لتسهيل حركة المرور منه وإليه



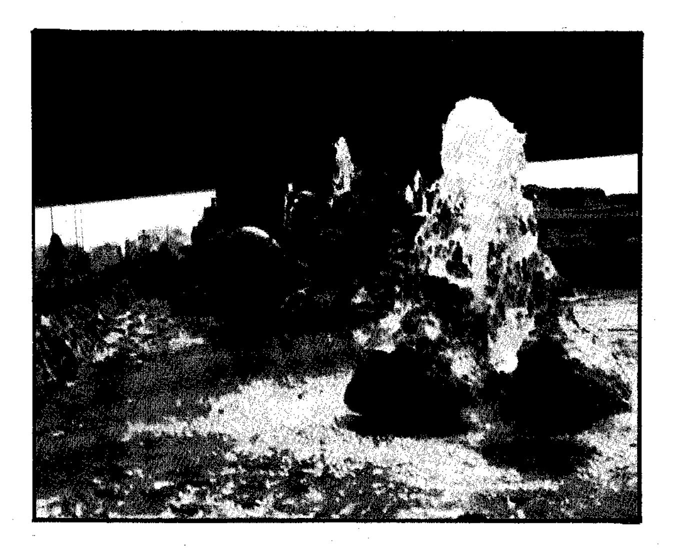
نفق المناقة







شكيلات جمالية تزين الشوارع والساحات



شكيلات جمالية في المناطق غير المستثمرة،
ركة ونافورة مياه تزينـان جسر الصافية

الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير المدينة المنورة الحالي، وينعقد كل يوم أحد، ومنتدى الشريف الدكتور نايف الدعيس، وينعقد كل يوم سبت، ومنتدى المرحوم الشيخ عبد الحميد عباس، ويرعاه ابنه السيد أحمد عبد الحميد عباس، وينعقد يومياً بين صلاتي المغرب والعشاء.

وفي المدينة اليوم عدد من الشعراء والكتاب الذين يشاركون في الحركة الأدبية والثقافية العامة في المملكة، وهم حلقة في سلسلة الشعراء والكتاب والمثقفين المتميزين الذين أنجبتهم المدينة على مر العصور، وفي نصف القرن الأخير هذا ظهرت حلقات متصلة منهم، ظهرت حلقة عبد القدوس الأنصاري وأمين مدني ومحمد عثمان حافظ وعبيد مدني ومحمد حسين زيدان ومحمد حسن صيرفي وضياء الدين رجب وخالد رجب وماجد الحسيني وأمين عبد الله... إلخ، وفي أحضان هذه الحلقة نشأت حلقة تالية فيها محمد هاشم رشيد وعبد السلام هاشم حافظ ومحمد عيد الخطراوي ومحمد عامر الرميح ومحمد كامل خجا ومحمد صالح البليهشي... إلخ، ثم نشأت حلقة جديدة شابة فيها عبد المحسن حليت وخالد النعمان وأحمد العرفج وخالد محمد سالم وحسين عجيان العروي وعبد المؤمن النعمان.. إلخ، لتكون امتداداً للحلقات السابقة مع أن الحلقة الوسطى: حلقة محمد هاشم رشيد ورصفائه مازالت تواصل العطاء وتقدم أعمالا فيها نضج التجربة وخبرة السنين.

وتفتقد المدينة المنورة الآن الصحافة المحلية أو الإقليمية التي تصدر فيها، بعد أن كانت من المدن الرائدة، فقد هاجرت مجلة المنهل مع صاحبها رحمه الله وورثته من بعده واستقرت في جدة وتبعتها جريدة المدينة وتحولت إلى مؤسسة صحفية كبيرة.

غير أن الأدباء والمثقفين من سكان المدينة يسهمون بكتاباتهم المتوالية في الصحف والمجلات التي تصدر في جدة ومكة والرياض، ويتجاوز بعضهم أحياناً إلى المجلات التي تصدر في بعض البلاد العربية الأخرى .

رؤية في المستقبل القريب

كيف ستكون المدينة في نهاية الربع الأول من هذا القرن الهجري..؟ خاصة وأن مشاريع المنطقة المركزية -الدائرة الأولى المحيطة بالمسجد النبوي- ستكون قد استكملت بعون الله وتوفيقه؟.

ستكون المدينة بقعة سكنية كبيرة مفلطحة، مركزها المسجد النبوي، وتدور حولها الشوارع والساحات في مسارات شبه منتظمة لتشكل ثلاث دوائر متوالية، الأولى بيضوية صغيرة، والثانية والثالثة مفلطحتان، يؤثر على استدارتيهما التضاريس الطبيعية المعترضة، وبخاصة الجبال والتلال وبعض الحرار، فينحرف مسار الشوارع والطرقات عندما يقف في طريقها جبل أو حرة.

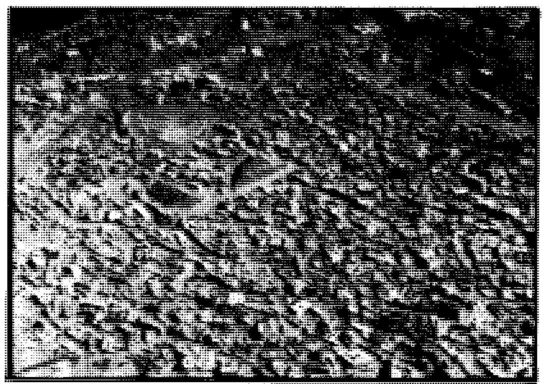
وبين الدائرتين الأولى والثانية ستنشأ دائرة متوسطة بيضوية الشكل أيضاً وستصبح مع الأيام امتداداً للدائرة الأولى في مبانيها ومواصفاتها الأخرى أو قريبة منها.

وستشكل التغييرات الجديدة قفزة نوعية لم تعرفها المدينة في تاريخها الطويل، فالمدينة التي كانت تتقوقع أبنيتها داخل السور ستصبح مدينة جديدة، بل مدينتين بينهما تشابه واختلاف، الأولى: مدينة تشمل كل ماكان داخل السور قديماً، وهي المنطقة المركزية، أو الدائرة الأولى المتميزة بأبنيتها المتناسقة والموحدة في الارتفاع والملامح العامة للمظهر الخارجي، تشبه أحدث المدن السياحية في مواصفاتها العالمية، يصح أن نسميها مدينة خدمات المسجد النبوي، لما فيها من فنادق وأسواق ومطاعم وشقق سكنية وخدمات لزوار المسجد النبوي، والثانية مدينة سكنية حديثة وهادئة.

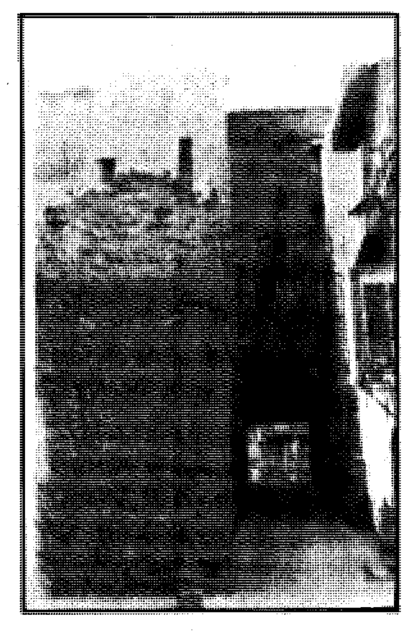
أما المدينة الأولى أو المنطقة المركزية فتتألف من قطعة كبيرة من الأرض بيضوية الشكل رأسها من جهة الشرق، وقاعدتها من جهة الغرب، تبلغ مساحتها مليونين ونصف من الأمتار المربعة، تغطي الأبنية منها مساحة



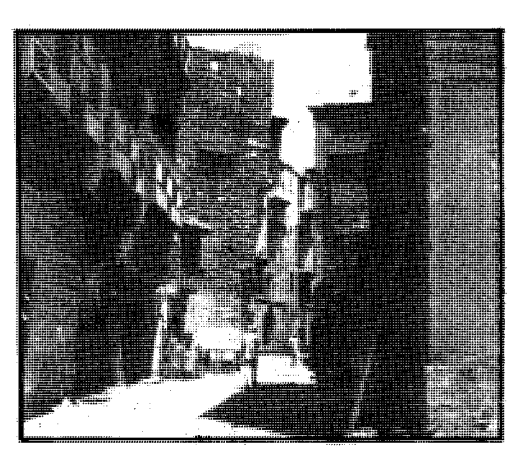
شارع باب السلام وتبدو الحالة التي وصل إليها والتي جعلت الحكومة السعودية تقرر هدم المباني فيه



فوضى بناء المساكن قديماً جعل الشوارع ضيقة وملتوية وجعل الحاجة في هذا العصر لإعادة التنظيم كبيرة وماسة



الأزقة الضيقة ومداخل الأحواش



شارع الساحة قرب الحرم وتظهر حالته الحاجة الكبيرة للتحسينات التي قامت بها الحكومة السعودية في منطقة المسجد النبوي

مليون وربع متر مربع، باستثناء مبنى المسجد النبوي وساحاته.

وقد قسمت المنطقة المركزية إلى خمس قطع متساوية تقريباً، أربع قطع تمثل كل منها حياً كاملا، وقطعة يحتلها بقيع الغرقد بعد توسعته الأخيرة، ومركز هذه المنطقة هو مركز المدينة كلها: المسجد النبوي، ومحيطها هو الخط الدائري الأول الذي يلفها بطريق مزدوج عرضه خمسة وستون متراً.

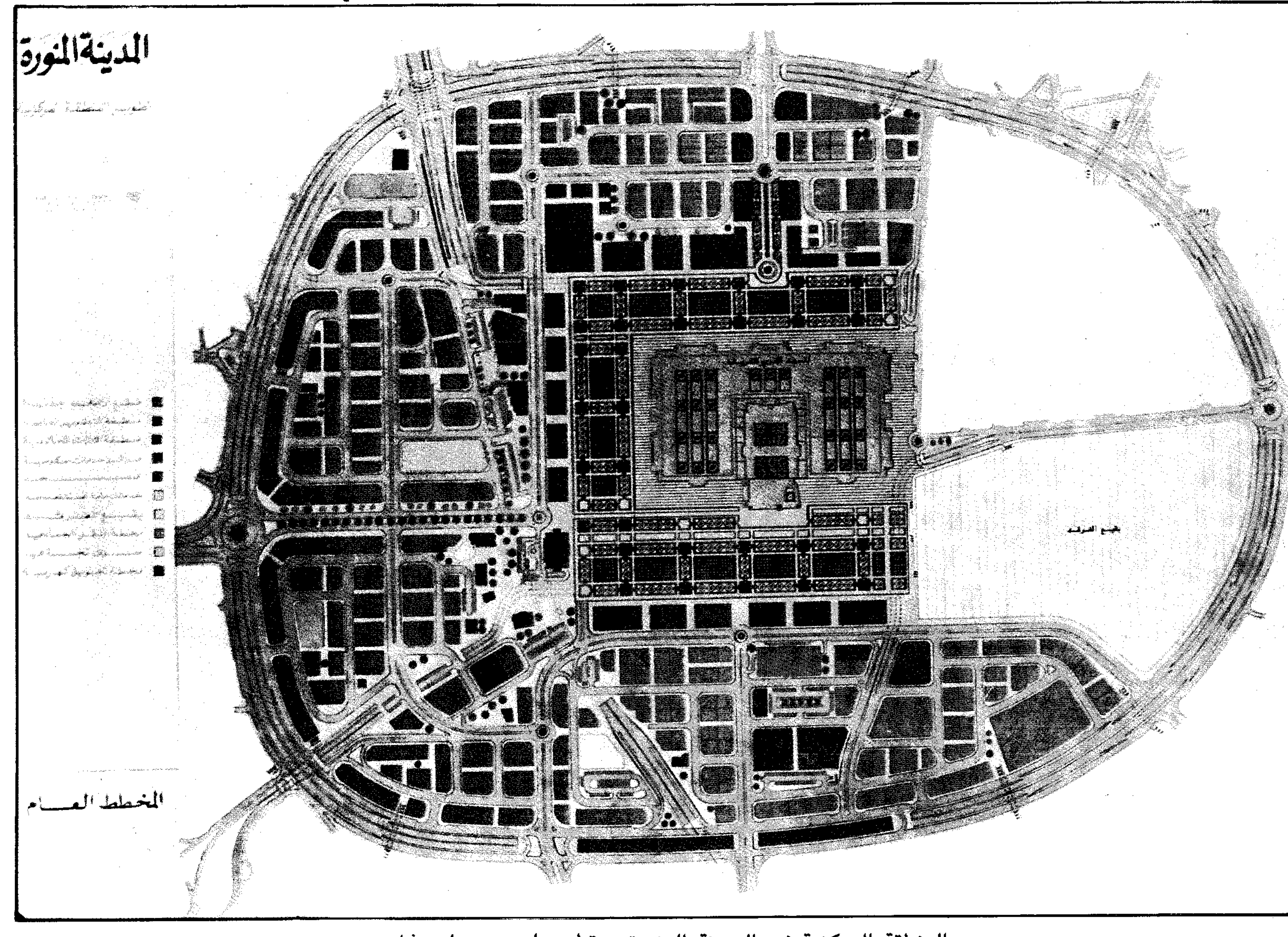
وقد مر بنا في الحديث عن توسعة المسجد النبوي الأخيرة أن مبنى المسجد أصبح على شكل مستطيل له رأس متقدم هو المبنى العثماني، وتحيط به ساحات مكشوفة تتسع من جهاته الشمالية والغربية والجنوبية، فتصبح كتلة المسجد النبوي بالساحات الملحقة بها مربعة الشكل، وهي النواة الحقيقية للمنطقة المركزية.

ويبلغ عرض الساحة الشمالية مائة وثلاثين متراً، والساحة الغربية مائة وأربعين متراً، والساحة الجنوبية مائتين وعشرة أمتار، ترصف جميعها برخام ملون متميز، وبأشكال هندسية تمثل زخرفة إسلامية جميلة، وستخصص هذه الساحات لاستيعاب الزيادات الطارئة من المصلين في مواسم الزيارة، كما ستكون مساحة الأرض الفضاء كمساحة مبنى المسجد النبوي الضخمة (٩٧٠٠٠م٢).

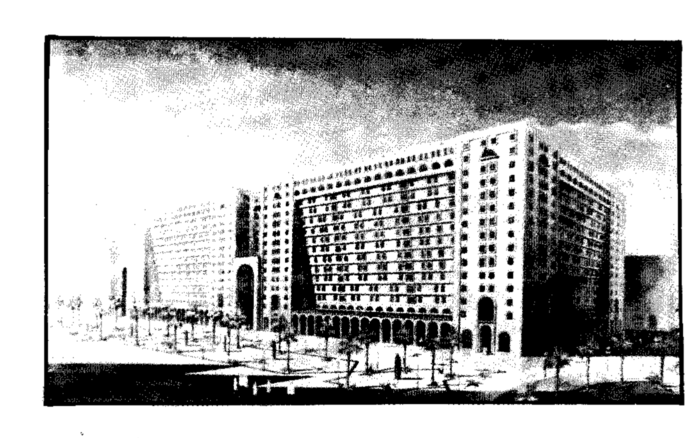
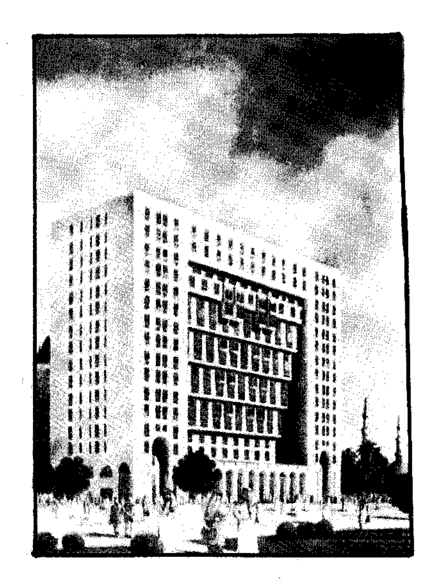
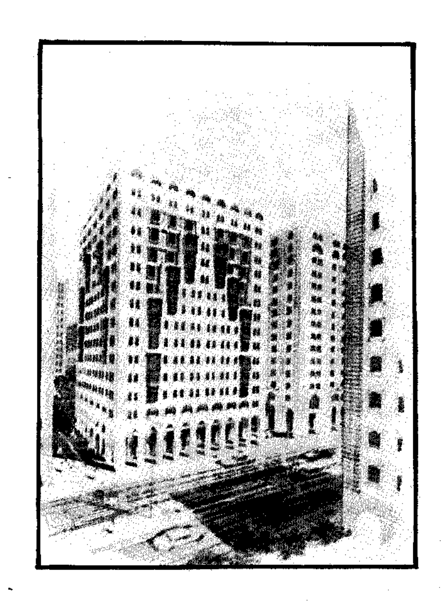
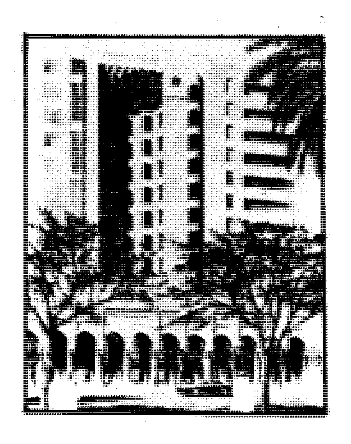
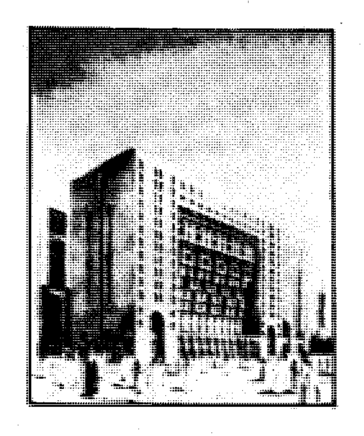
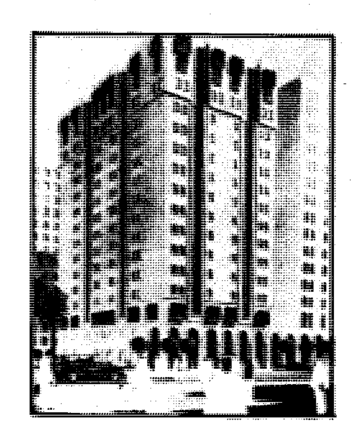
بعد الساحات تأتي مجموعة أبنية مخصصة للادارات الحكومية في الجهات الثلاثة: الشمالية، والغربية، والجنوبية، ارتفاع كل منها اثنا عشر طابقاً (٢٠ر٤٣)م.

وللمنطقة المركزية ثلاثة محاور رئيسة مستقيمة يبدأ كل محور منها من إحدى واجهات المسجد النبوي، ويمتد في خط مستقيم على النحو التالي:

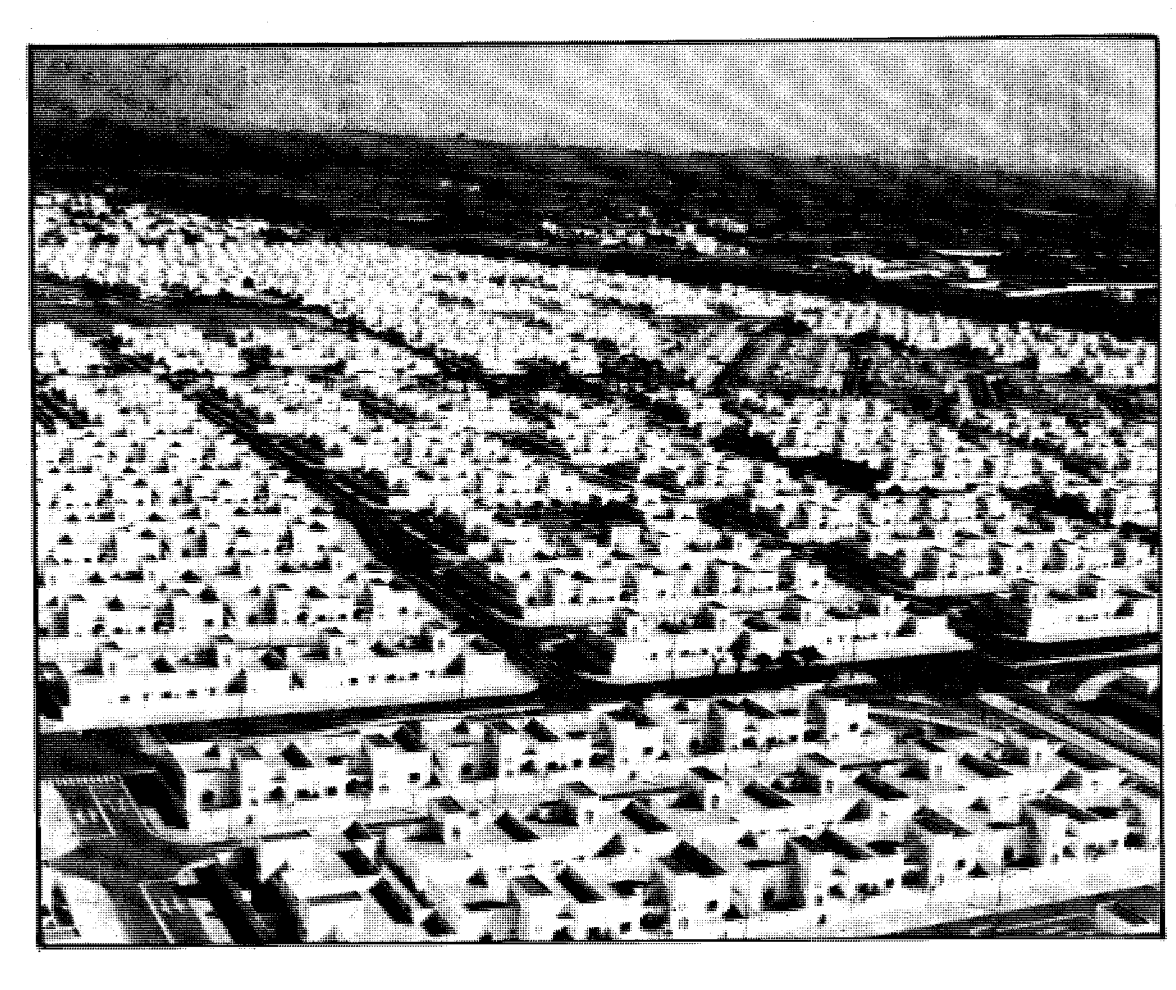
أولاً: المحور الشرقي: طريق الملك عبد العزيز، ويبدأ من الواجهة الشرقية للمسجد النبوي، بمحاذاة السور الشمالي للبقيع، يمتد شرقاً فيتقاطع مع الطريق الدائري الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، وينعطف بعد ذلك ليسير



المنطقة المركزية في المدينة المنورة... تطوير لم يسبق له مثيل

مجموعة من الأبنية الحديثة التي يجري تشييدها الآن في المنطقة المركزية
لتكون مراكز سكنية تجارية ضخمة



التوسع المستمر للمدينة في الدائرتين الثانية والثالثة... منطقة سكنية كاملة بنتها وزارة الشؤون البلدية تتضمن فيلات وشققاً مناسبة ستوزع على ذوي الدخل المحدود

شمالا إلى مطار الأمير محمد بن عبد العزيز.

ثانياً: المحور الشمالي: طريق الملك فهد، ويبدأ من منتصف الواجهة الشمالية للمسجد النبوي، ويمتد شمالاً ليتقاطع مع الطريق الدائري الأول ثم الثاني وينتهي عند جبل أحد.

ثالثاً: المحور الغربي: طريق السلام: ويبدأ من الواجهة الغربية للمسجد النبوي، مقابل باب السلام، ويمتد غرباً فيتقاطع مع الخط الدائري الأول ثم الثاني ثم الثالث عند طريق الجامعات، وبجانب مدينة الحجاج، وينتهي عند محطة تبريد هواء المسجد النبوي.

إضافة إلى تلك المحاور سينطلق محوران جانبيان في الجهة الجنوبية للمسجد النبوي، الأول بحذاء السور الغربي للبقيع، ويمتد جنوباً ليصل بطريق العوالي، والثاني من الجهة الجنوبية الغربية وليتصل بطريقي قباء وقربان.

وتصب في جميع المحاور السابقة خلال امتدادها في المنطقة المركزية طرق فرعية تمتد بين العمارات الحكومية والأهلية.

وأما الأحياء التي تتألف منها المنطقة المركزية فتتوزع على جهاتها الأربعة بدءاً بالمنطقة الشمالية، ثم الغربية، ثم الجنوبية، ويتقاسم الحي الشرقي الواجهة الشرقية مع البقيع.

وقد خططت هذه المناطق ونظمت تنظيماً جديداً، وهدمت جميع الأبنية فيها باستثناء المساجد الأثرية، وباستثناء أبنية المنطقة الشرقية التي تتجمع فيها الأسواق والفنادق الآن، وقد أجل هدم الأبنية فيها حتى تنتهي الأبنية في المنطقة الشمالية والغربية على الأقل، فتنتقل إليها الأسواق والفنادق الموجودة حالياً في المنطقة الشرقية.

وستكون الأحياء الأربعة في المنطقة المركزية متماثلة في مواصفاتها العامة، لذلك أكتفي باستعراض واحد منها هو حي المنطقة الشمالية نموذجاً لتلك الأحياء في دقة تنظيمها وجمالها، وخدماتها المتطورة.

تقع المنطقة الشمالية في المساحة الممتدة بين شارع أبي ذر شرقاً ونفق المناخة غرباً، ومساحتها ربع مليون متر مربع تقريباً، تضم خمسة تسعين مجمعاً سكنياً وتجارياً وفندقاً إضافة إلى مباني الادارات الحكومية ومباني الخدمات العامة، ومسجد أثري (مسجد البخاري) ويبلغ ارتفاع كل مجمع ستة عشر طابقاً فوق الأرض (٥٠ر٥٥)م ويسمح ببناء أربعة طوابق تحت الأرض يخصص بعضها مواقف للسيارات، وبعضها للأسواق التجارية.

ولكل مبنى واجهة تبرز عناصر العمارة الإسلامية والزخارف بالجرانيت أو الحجر الصناعي ذي اللون الرمادي الفاتح للواجهات قناطر ترتفع عن الرصيف سبعة أمتار، على شكل نصف دائرة، تكسى بجرانيت رمادي فاتح، ويرتد الدور الأرضي عن الحافة الخارجية للمبنى مسافة ٥ر٤م وكذلك الدور الذي فوقه (الميزانين) إلى ارتفاع ذروة القنطرة ليشكل الارتداد ممراً مسقوفاً ومرتفعاً يضاف إلى الرصيف ٥ر٣-٤م ليشكل ذلك له ممشى واسعاً على امتداد الشوارع في المنطقة، بعد ذلك تتوالى أدوار المبنى فوق القناطر وتستعيد المسافة التي ارتد عنها الدور الأرضي، وتكتسي النوافذ والشرفات بالمشربيات الخشبية ذات الزخارف الإسلامية وجميعها بلون الخشب الطبيعي.

وتتصل الأبنية بواسطة القناطر المتماثلة لتشكل امتداداً عمرانياً متناسقاً تظهر فيه الوحدة والتنوع في آن واحد، الوحدة في الارتفاع والقناطر، ولون الواجهات والمشربيات، وفي الالتزام بالمواصفات المطلوبة، والتنوع في الزخارف وتشكيل المشربيات وتوزيعها، ومن ثم توزيع النوافذ والشرفات.

وقد وضعت أنظمة دقيقة للمحافظة على العنصر الجمالي، إضافة إلى عناصر السلامة والتهوية والتظليل، ومنع استخدام وحدات التكييف الصغيرة (مكيف نافذة) واشترطت الأنظمة وضع وحدات تكييف مركزية أو نصف مركزية، كما منعت الواجهات التجارية للدكاكين إلا بعد ارتفاع (٧٠ر٢)م عن الأرض ومنع وضع هوائيات متفرقة على سطح الأبنية، واشترط وضع هوائي

واحد مركزي لكل مبنى يثبت وسط السطح.

واشترطت الأنظمة أيضاً توفير مواقف للسيارات في الطوابق السفلية للمباني وفق المعدلات التالية:

موقف واحد لكل خمسين متراً مربعاً من المساحة الصافية للمتاجر والمطاعم.

موقف واحد لكل مائة متر مربع من المساحة الصافية للمكاتب.

موقف واحد لكل مائتي متر مربع من المساحة الصافية للمساكن الموسمية.

موقف واحد لكل ست غرف من غرف فنادق الدرجة الأولى.

موقف واحد لكل عشر غرف من غرف فنادق الدرجة الثانية والثالثة.

وأوجب التنظيم إقامة تظليل علوي على أسطح الأبنية لجميع الممرات والشوارع الفرعية.

والجدير بالذكر أن معظم الشوارع وجميع الممرات مخصصة للمشاة فقط لايسمح فيها بمرور السيارات باستثناء سيارات الطوارىء في الحالات الاسعافية فقط، وهذا سيؤمن لقاصدي المسجد النبوي سيراً حراً وآمناً ومظللاً.

وسوف ترصف الطرق والممرات والشوارع داخل المنطقة المركزية كلها بالأحجار الجرانيتية، وستكون على جوانبها أعمدة إنارة مزخرفة ارتفاعها اثنا عشر متراً في الشوارع الكبيرة، وتسعة أمتار في الشوارع الفرعية والممرات، ويتراوح عرض الشوارع بين خمسة عشر وعشرين متراً، والممرات بين ثمانية وخمسة عشر متراً، ولها أرصفة يتراوح عرضها مابين ٣-٤ أمتار مشجرة بأنواع من الأشجار دائمة الخضرة، وستوضع في تقاطعات الطرق الواسعة نوافير للمياه.

وللمحافظة على الطرق والشوارع ولضرورات الصيانة المتوالية ستبنى

أنفاق تحت الشوارع والممرات بعرض أربعة أمتار وارتفاع مترين ونصف تخصص لخدمات المياه والكهرباء والهاتف وأقنية الصرف الصحي بحيث لاتحفر الشوارع والممرات بعد رصفها.

وسيكون في المنطقة مجموعة من الخدمات الحكومية: مستشفى طوارئ، ومراكز للصحة والدفاع المدني والهاتف والبلدية.. الخ.

وللوقوف على مدى التطور والتحسين في المنطقة ننظر في هذا الجدول المقارن بين ماكانت عليه المنطقة الشمالية قبل التنظيم وما ستكون عليه بعد التنظيم:

	قبل التنظيم	بعد التنظيم
طول الطرق في المنطقة	٩٨٠٠٠م	١٢٨٠٠٠م
نسبة الطرق للمساحة الكلية	٤٠٪	٥٣٪
المساحة الكلية للأبنية	٣٨٠ ٠٠٠م٢	١ ٨٠٠ ٠٠٠م٢
عدد المباني	٩٣٨	٩٩
مسطح مجموع القطع	١٤٤٨٠٠م٢	١١٤٧٩٢م٢
نسبة القطع المبنية للمساحة الكلية	٦٠٪	٤٧
معدل نقطة البناء الواحدة	١٥٤م٢	١١٦م٢

وكما نرى فإن مساحة الطرق والساحات ومناطق التهوية قد ازادات، وعدد الأبنية قد نقص، ولكن الارتفاع الرأسي للأبنية، والتنظيم الدقيق، والتناسق، جعل القدرة الاستيعابية للمنطقة تتضاعف أكثر من خمسة أضعاف. فضلا عن الارتقاء الكبير في حجم الخدمات، وفي نوعيتها.

وقد بدأ انجاز هذا التنظيم الجديد في المنطقة الشمالية قبل عام من كتابة هذه السطور، وتجري الآن حركة بناء سريعة كأنها في سباق مع الزمن، ومن المتوقع إنجاز عدد من المجمعات السكنية التجارية والفنادق عام ١٣١٥هـ.

ولكي نتصور طبيعة المباني التي ستقوم في المنطقة، ومدى قدرتها الاستيعابية، وحجم الخدمات التي تقدمها، ونوعيتها المتطورة، نستعرض واحدة منها هي مركز طيبة السكني التجاري رقم (١) كما جاء في مخططه.

يتكون هذا المركز من مجمع سكني تجاري فيه عشرون طابقاً أربعة منها تحت الأرض وستة عشر طابقاً فوق الأرض، الطوابق الثلاثة السفلية لمواقف السيارات، وتتسع لـ ٤٨٠ سيارة، غرفاً للسائقين، وغرفاً للمحركات الكهربائية الاحتياطية، وغرفاً لمحولات الكهرباء، بعدها وفي الطابق الأول السفلي تبدأ السوق التجارية وتشغل ثلاثة طوابق أخرى فوقه، تحوي (٣٠٠) محلاً تجارياً، وتتصل طوابق السوق التجارية بسلالم كهربائية (بانورامية) وسلالم عادية، وفي السوق فسحة وممرات داخلية مكيفة، بعد ذلك تأتي طوابق المكاتب والفنادق والشقق السكنية وعددها ثلاثة عشر طابقاً ويبلغ مجموع الشقق فيها ٣٦٠ شقة مختلفة الأحجام، تتراوح مساحة الشقة بين ٥٥ متراً للشقة ذات غرفة نوم واحدة أو مكتب تجاري، و٢٧٦ متراً للشقة ذات خمس غرف نوم. وكلما ارتفعنا مع الطوابق ازدادت مساحة الشقة وعدد غرف النوم فيها. وكما نرى فإن هذا المركز مجمع ضخم يستطيع بفضل ارتفاعه الرأسي وتنظيمه الهندسي أن يستوعب أعداداً كبيرة من السكان والنزلاء والتجار.

وبحساب أولي لعدد المجمعات التي يمكن أن تقوم في الدائرة الأولى نستطيع أن نقول: إن الدائرة الأولى في المدينة المنورة ستكون قادرة على توفير الخدمات لأكثر من مليون زائر في وقت واحد، كما ستكون قادرة على استيعاب ما يقارب ثلاثمائة ألف من أهل المدينة والمقيمين فيها الذين يؤثرون القرب من المسجد النبوي، وسيكون للمجمع الحكومي الذي سيبنى في الساحة الجنوبية الوسطى المقابلة للمسجد النبوي، والتي تقع بينه وبين مجمع المحاكم الشرعية، سيكون له أثر كبير في تعزيز الجذب السكاني إلى الدائرة الأولى، وقرب المجمع الحكومي من المسجد النبوي أمر له دلالة عقدية

سياسية (أيديولوجية) هي الارتباط العضوي بين العقيدة ونظام الحكم، فالحكم يقوم على الإسلام، وبه، وله.

إذن... ستكون الدائرة الأولى والدائرة المتوسطة مدينة متناسقة ومتميزة، وستكون كما كانت طوال التاريخ الإسلامي المنطقة الذهبية تديناً، وسكناً، واستثماراً، وارتقاء في الخدمات المقدمة لزوار مسجد رسول الله ﷺ ومحبي المدينة القادمين من الآفاق.

وفي ظني أن الدائرة الأولى والمتوسطة، على ضخامة إنشاءاتهما وقدرتهما الاستيعابية الكبيرة لن تستطيعا حصر الوافدين إلى المدينة فيها لعوامل كثيرة، أهمها عوامل اقتصادية ترتبط بقدرات الزائرين المالية، فنسبة كبيرة من الزائرين هم من الطبقة الوسطى وما دون، على نحو ماهو مشاهد وملموس الآن، وبعضهم قادمون من بلاد مستوى الدخل فيها دون مستوى الدخل في المملكة، وقدرتهم على الإنفاق والتمتع بالخدمات الجيدة ذات التكلفة العالية محدودة جداً وتسبب هذه القضية وضعاً غير مريح في المواسم، فنرى الكثيرين يفترشون الشوارع والساحات ليتجنبوا دفع أجور الفنادق والشقق لأن هذه الأجور تعد كبيرة بمقاييس دخلهم ونقودهم المحلية، وهؤلاء الزائرون بخلاف السائحين لايبحثون عن المتعة والرفاه، إنما يطلبون متعة روحية خاصة بزيارة المسجد النبوي والصلاة فيه، بل والمكوث فيه أطول مدة ممكنة، ويجد بعضهم في التقشف خلال الزيارة نوعاً من الرياضة الروحية وتربية النفس، ويعيش أيام الزيارة خلاف ما يعيشه في حياته العادية في بلده، فقد يكون الميسور المرفه وصاحب السكن الفاخر، فإذا قدم للمدينة تقشف واكتفى بنزل متواضع وطعام يسير، اجتهاداً منه في تربية نفسه..

هذه العوامل، وغيرها كثير، سيكون لها أثر في ارتباط الزائرين بالدائرة الأولى، ومدى خروجهم عنها إلى مناطق أخرى قريبة منها بحثاً عن الأرخص، وعن الأكثر توافقاً مع طبائعهم وميولهم.

وأما الدائرة العمرانية الثانية في المدينة المنورة، فكما هو موضح في المصور المرفق، ستزداد حركة البناء فيها وتملأ نسبة من الفراغات الموجودة حالياً، وستشارك المناطق القريبة من الدائرة الأولى في خدمات الزائرين، حيث تقوم فنادق وشقق للسكن المؤقت، وأسواق في الطوابق الأرضية، تقدم خدمات أرخص نسبياً من خدمات الدائرة الأولى.

فإذا تعمقنا في الدائرة الثانية بعيداً عن الدائرة الأولى، وجدنا أبنية سكان المدينة والمقيمين فيها وأسواقها الداخلية والمدارس والمعاهد والجامعات والحدائق، وجدنا مدينة سكنية تعيش حياتها العادية، لاتؤثر فيها بشكل مباشر مواسم الزيارة واكتظاظ الحركة البشرية، وسوف تزداد الأبنية المتوسطة الحجم وتتضاعف وتغطي نسبة من الأرض الفضاء الموجودة الآن، وستبقى أجزاء أخرى منها لتكون من نصيب أبناء العقود التالية، ورغم أن الأسواق المركزية الكبيرة في الدائرة ستشكل نقطة جذب للتسوق فإنني اعتقد بأن أسواقاً أخرى ستنشأ في الدائرة الثانية لتقدم الخدمات للسكان.

وأما الدائرة الثالثة فسوف تبقى البقع السكنية المنتشرة في محيطها هي المناطق السكنية الأبرز، وأعتقد أن الأرض الفضاء الكبيرة فيها والتي تشغلها بساتين ومزارع تحفظ للمدينة بقايا خضرتها ونضارتها لن تخسر الكثير في الزحف العمراني ذلك أن الدائرة الأولى عندما تنجز، والمأمول أن تنجز معظم أبنيتها في أقل من خمس سنوات، ستشد عدداً من أهل المدينة إليها، فتهدأ الحركة العمرانية المتسارعة اليوم في الدائرتين الثانية والثالثة، وسوف يتجه البناء في الدائرة الثالثة نحو إقامة الأبنية الصغيرة والمتوسطة الفارهة (الفيلات) وستكون الطرق السريعة المؤدية إلى قلب المدينة عاملاً مشجعاً على ذلك.

والجديد الذي نتوقعه في الدائرة الثالثة فضلاً عن زيادة العمران هو إعادة تنظيم البقع السكنية المنتشرة فيها، والتي نمت عشوائياً في العقد الماضي

حيث كان بعضها خارج حدود البلدية ومخططاتها، فلم تتقيد كثير من الأبنية بالتعليمات المقررة في نظام البلدية، وسيتم فتح شوارع وساحات واسعة وإقامة المزيد من الحدائق، والمحافظة على بعض البساتين والمزارع المتميزة، وتشجير الشوارع الرئيسية والساحات لتواصل المدينة تاريخ خصوبتها وتبقى كما كانت واحة خضراء...

وأترك لكاتب آخر يعيش تطورات المدينة في ذلك الوقت أن يرصد مايشاء الله لها أن تكون عليه، ويعرض للمسلمين صورة زمنية لمدينة يسكن حبها في كل قلب مؤمن، ويتراءى طيفها كلما ذكر شيء من سيرة الحبيب الأعظم محمد ﷺ، وكلما قرئ شيء من سيرته وسيرة الصحابة فيها من بعده...

وستبقى المدينة حبيبة إلى القلوب بمسجدها الذي تشد إليه الرحال، وبمثوى خاتم الرسل والنبيين ﷺ وبتاريخ أمة نبتت غرستها الأولى في هذه الأرض الطيبة المباركة، وصنعت تاريخاً يعطر التاريخ......

الملاحق

ملحـــق
الأحاديث النبوية عن المدينة المنورة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعـــد :

فهذه مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بالمدينة المنورة، أضعها بين يدي القارىء الكريم، ليغسل بعطور النبوة كل ما يعلق في نفسه من أوضار الأحداث التي يمر بها وهو يقرأ تاريخ الأفراد والجماعات الذين عاشوا في المدينة أو عبروها، فأحسن من أحسن، وأســاء من أســاء. فهم في المحصلة النهائية بشر يصيبون ويخطئون ، يمضون ويتركون للتاريخ أن يحكم عليهم، فيبقى منهم ، ولهم، الذكر الحسن أو السيء، ويبقى للمدينة بعدهم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ما نقرؤه في أحاديث رسول الله ﷺ عنها من جلال وبهاء

وقد جمع هذه الأحاديث وخرَّجها، بطلب مني، باحث جاد متخصص في علوم الحديث النبوي هو الأستاذ مصطفى عمار منلا، وحرص فيها كل الحرص على الاستيعاب، واعتمد في عرضها على أسلوب الجمع بين الاختصار والتوسع، فمن أراد الاختصار اكتفى بالمتن، ومن أراد التوسع وجد في الهوامش ضالته.

كما حاول الباحث أن يقتصر على الأحاديث الصحيحة والحسنة، فإن اضطر إلى حديث فيه ضعف نبه إلى ضعفه.

أسأل الله أن يتقبل منا جميعا، وأن يلهمنا الصدق في القول والعمل.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

محتويات الملحق

فضل السكنى في المدينة والصبر على شدائدها

- عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ويفتح العراق، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»(١).

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إني أحرم ما بين لابتي المدينة: أن يقطع عضاهها، أو يقتل صيدها» وقال: «المدينة خير لهم لوكانوا يعلمون، لايدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة» (٢)- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء! هلم إلى الرخاء! والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة

---

١) البخاري ٣/٥١، مسلم ٢/١٠٠٨، وفي رواية عند مسلم: الشام ثم اليمن ٢/١٠٠٨، الموطأ ٢/٨٨٧، عبد الرزاق ٩/٢٦٥، الحميدي ٢/٣٨١، المسند ٥/٢٢٠ (ثلاث روايات: ذكر في الأولى والثانية: اليمن، وفي الثالثة: الشام)، فضائل المدينة للجندي: ٣٢، ٣٣ إلا انه لم يذكر الشام، ابن حبان ٨/٢٣٧، المعجم الكبير للطبراني ٧/٧٢ (ثلاث روايات: ذكر في الأولى: اليمن والشام، وفي الثانية: اليمن، وفي الثالثة: اليمن ثم العراق ثم الشام)، و ٧/٧٣، ٧٤ (خمس روايات: ذكر في الأولى والثانية: اليمن ثم العراق ثم الشام، وفي الروايات الأخر: ذكر اليمن فقط).

٢) انظر تخريجه في باب تحريم المدينة

كالكير، تخرج الخبيث، لاتقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكير خبث الحديد» (١).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لايخرج منها أحد - يعني المدينة - رغبة عنها إلا أبدلها الله ما هو خير لها منه، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» (٢).

وفي رواية بلفظ: «يخرج من المدينة رجال رغبة عنها، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» (٣).

وأرسله عروة بن الزبير عن النبي ﷺ بلفظ: «لايخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيراً منه» (٤).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تفتح الأرياف فيأتي ناس إلى معارفهم فيذهبون معهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» قالها مرتين (٥).

- عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: إنا مع رسول الله ﷺ على قبر حمزة، فجعلوا يجرون النمرة على وجهه، فينكشف قدماه، ويجرونها على قدميه فينكشف وجهه، فقال رسول الله ﷺ: «اجعلوها على وجهه واجعلوا على قدميه من هذا الشجر» قال فرفع رسول الله ﷺ رأسه، فإذا

---

١) انظر تخريجه في باب المدينة تنفي الخبث.

٢) ابن حبان ٦/١٩، وفي رواية: "إلا أخلف الله فيها خيراً منه" ٦/١٩. وهو عند أبي يعلى بزيادة في أوله: "لايصبر على لاوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة" ١٠/٣٤١.

٣) المسند ٢/٣٠٢، وبنحوه ٤٠٣، ٤٦٤ و ٤٦٥. مسند ابن الجعد ٢/١١٥٢.

وفي الباب: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. كشف الاستار ٢/٥٢، في حديث طويل.

٤) الموطأ ٢/٨١١. عبد الرزاق ٩/٢٦٥ و ٢٦٦. فضائل المدينة للجندي: ٣٢ و ٣٣.

٥) المسند ٢/٣٤٩. أبو يعلى ١٠/٢٦٥ بنحوه.

أصحابه يبكون فقال رسول الله ﷺ: «إنه يأتي على الناس زمان يخرجون إلى الأرياف، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة» (١).

- عن يُحَنّس مولى مصعب بن الزبير: أنه كان جالساً عند عبد الله بن عمر في الفتنة، فأتته مولاة له تسلم عليه، فقالت: إني أردت الخروج ياأبا عبد الرحمن، اشتد علينا الزمان، فقال لها عبد الله: اقعدي لكَاع، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لايصبر على لأوائها وشدتها أحد. إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة» (٢).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لايصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً» (٣)- وفي رواية: بزيادة في أوله «أيما جبار أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله في النار كما يذوب الملح في الماء، ولا يصبر أحد على لأوائها إلا ...» الحديث (٤).

---

١) المعجم الكبير ٣/١٤٤.

٢) مسلم ٢/١٠٠٤، واقتصر في رواية على المرفوع ٢/١٠٠٤، الترمذي ٥/٦٧٦، الموطأ ٢/٨٨٥، المسند ٢/١١٩ و ١١٣ و ١٣٣، أبو يعلى ١٠/ ١٦٦، فضائل المدينة للجندي ٣٠، المعجم الكبير للطبراني ١٢/٣٤٧.

وفي رواية عن نافع عن ابن عمر بلفظ: "من صبر". مسلم ٢/١٠٠٤، الترمذي ٥/٦٧٦، المسند ٢/١٥٥.

ومثلها في أخرى عن وهب بن قطن عن ابن عمر. أبو يعلى ١٠/١٦٦.

٣) مسلم ٢/١٠٠٤ و ١٠٠٥، الترمذي ٥/٦٧٨ دون ذكر: "من أمتي"، المسند ٢/٣٤٣ وفيه "وجهدها" بدل "وشدتها" وليس فيه: "من أمتي" ، و ٢/٤٤٧، أبو يعلى ١١/٣٧٢، فضائل المدينة للجندي: ٣١ بلفظ: "وحرها" بدل "وشدتها" و "شهيداً و شفيعاً" بدل: "شهيداً أو..."، ابن حبان ٦/٢١ دون ذكر "أو شهيداً" وفي رواية أخرى بذكرها، إلا أنه قال: "وجهدها" بدل "وشدتها"، دلائل النبوة للبيهقي ٢/٥٦٩ و فيه: "وجهدها" بدل "وشدتها"

وفي رواية بلفظ: «ليصبر أحد على لأواء المدينة وجهدها إلا كنت له شفيعاً وشهيداً، أو شهيداً أو شفيعاً» (١).

وفي رواية بزيادة في أوله: «تفتح البلاد و الأمصار، فيقول الرجال لإخوانهم: هلموا إلى الريف، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لايصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا ....» الحديث (٢).

- عن أبي سعيد مولى المهري، أنه جاء أبا سعيد الخدري، ليالي الحرة، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره: أن لاصبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك! لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لايصبر أحد على لأوائها فيموت، إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة، إذا كان مسلماً» (٣).

- عن عروة بن الزبير أن النبي ﷺ قال: «من صبر على لأواء المدينة، أو جهدها، كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة» (٤).

- عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من كان له بالمدينة أصل فليستمسك به، ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلاً، فليأتين على الناس زمان يكون الذي ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز إلى غيرها» (٥).

---

٤) الحميدي ٢/٤٩٢.
١) المسند ٢/٢٨٧.
٢) المسند ٢/٣٣٨.
وروي مثله عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها. المسند ٦/٣٦٩.
٣) مسلم ٢/١٠٠٢، المسند ٣/٥٨، المسند ٣/٦٩ دون ذكر: "أو شهيداً" و "إذا كان مسلماً"، و ٣/٢٩ دون ذكر: "إذاكان مسلماً"، وكذا في المنتخب لعبد بن حميد ٢/١٠٢، وفيهما: "من صبر...". أبو يعلى ٢/٤٥٥.
٤) عبد الرزاق ٩/٢٦٦.
٥) المعجم الكبير للطبراني ٦/٢٠٨.

وفي رواية: «من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به، ومن لم يكن فليجعل له بهاأصلاً ولو قصرة» (١).

- عن عبد الله بن عباد بن جعفر أن رسول الله ﷺ يقول: «أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف» (٢).

الدعاء للمدينة بالبركة

- عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة، ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة» (٣).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة» (٤).

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومدهم» (٥).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله

---

١) غريب الحديث للخطابي ٣٤٨/١.

٢) الأوائل لابن أبي عاصم: ١١، الأوائل للطبراني: ١٠٥ وروي عند الطبراني عن عبد الملك بن عباد بن جعفر، المعجم الأوسط ٤٩١/٢، وفيه: "أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف" . قال الهيثمي: فيه جماعة لم أعرفهم. مجمع الزوائد ٣٨١/١٠.

٣) البخاري ١٤١/٣، مسلم ٩٩١/٢ إلا أنه قال: "بمثلي" بدل مثل"، وفي رواية أخرى: "مثل" ٩٩١/٢. المنتخب لعبد بن حميد ٤٦٣/١، مشكل الآثار ٩٧/٢، شرح معاني الآثار ١٩٢/٤ بنحوه، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٧/٥ (روايتان)، دلائل النبوة له ٥٦٩/٢ إلا أنه قال: "بمثلي".

٤) البخاري ٥٥/٣، مسلم ٩٩٤/٢، المسند ١٤٢/٣، أبو يعلى ٢٧٣/٦ و ٢٧٤ و ٣٠٤.

٥) البخاري ١٤١/٣ و ٢٦٠/٨ و ١٨٨/٩. مسلم ٩٩٤/٢، الموطأ ٨٨٤/٢، الدارمي ١٧٢/٢، فضائل المدينة للجندي ٢٠، مشكل الآثار ٩٧/٢، ابن حبان ٢٢/٦.

ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال.... الحديث.

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة» (١).

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في صاعنا، ومدنا، واجعل مع البركة بركتين»(٢).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان الناس إذا رأو أول الثمر جاؤوا به إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ، ومثله معه»

ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر (٣).

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بأول الثمر فيقول: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدنا، وفي صاعنا، بركة مع بركة» ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان. (٤).

وفي رواية: أنه قيل لرسول الله ﷺ: صاعنا أصغر الصيعان، ومدنا أصغر الأمداد، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في قليلنا وكثيرنا، واجعل لنا مع البركة بركتين » (٥).

---

١) انظر تخريجه في باب: الدعاء للمدينة بإخراج الوباء منها.

٢) مسلم ١٠٠٢/٢، المسند ٣٤/٣ و ٤٧ و ٩١، أبو يعلى ٤٦٣/٢ و ٤٦٤، ابن حبان ٢٢/٦.

٣) مسلم ١٠٠٠/٢، الموطأ ٨٥٥/٢، الترمذي ٤٧٢/٥، فضائل المدينة للجندي: ١٩، من قوله: "إن إبراهيم عبدك..."، مشكل الآثار ٩٨/٢، ابن حبان ٢٣/٦، إلا أنه قال: "تمرنا" بدل "ثمرنا".

٤) مسلم ١٠٠٠/٢، الأدب المفرد: ١٣٣، أخلاق النبي ﷺ: ٢٠١. (وفيه:بأول التمر).

وفي رواية: «اللهم بارك لهم في صاعهم ومدهم» (١).

وفي رواية بزيادة: «اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة، وإني عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة بمثل ما دعاك به إبراهيم لأهل مكة» (٢).

- عن سعد بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لأهل المدينة في مدينتهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مدهم ، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك وإني عبدك ورسولك، وإن إبراهيم سألك لأهل مكة، وإني أسألك لأهل المدينة كما سألك إبراهيم لأهل مكة ومثله معه، إن المدينة شبكة بالملائكة، على كل نقب منها ملكان يحرسانها، لا يدخلها الطاعون و لا الدجال، من أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء» (٣).

- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، قال رسول الله ﷺ: «ائتوني بوضوء»فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ، ثم كبر، ثم قال: «اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعا لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثلي ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين»(٤).

---

٥) ابن حبان ١٢٠/٥ و ٢٢/٦ بلفظ: "اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا...".

١) المعجم الصغير للطبراني ٢٤٧/٢.

٢) السنن الكبرى للبيهقي ١٧١/٤.

٣) أخرج مسلم أوله، ثم قال: وساق الحديث، وأخرج آخره: وفيه "من أراد أهلها بسوء" ١٠٠٨/٢، أحمد: واللفظ له ١٨٣/١ و ٣٠/٢، أبو يعلى ١٢٩/٢ مسند سعد للدورقي: ٢٠١، دلائل النبوة للبيهقي ٥٧٠/٢ ، غير أنه قال: "اللهم بارك لأمتي في مدهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مدينتهم........على كل نقب منها ملائكة يحرسونها........ من أراد أهلها......"الحديث.

٤) المسند ١١٥/١، ابن خزيمة ١٠٦/١، ابن حبان ٢٣/٦.

وروي مثله عن أبي قتادة رضي الله عنه، بزيادة: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، واجعل ما بها من وباء بخم، اللهم إني قد حرمت ما بين لابتيها كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم». دون ذكر مضاعفة البركة (١).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في شامنا، وبارك لنا في يمننا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا» (٢).

وفي رواية بزيادة: ثم استقبل مطلع الشمس فقال: «من ها هنا يطلع قرن الشيطان، من ها هنا الزلازل والفتن» (٣).

وفي رواية بزيادة في أوله: «اللهم بارك لنا في مكتنا»

وفي أخره: فقال رجل: يارسول الله، العراق ومصر؟ فقال: «هناك ينبت قرن الشيطان، وثم الزلازل والفتن» (٤).

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نظر رسول الله ﷺ نحو اليمين، فقال: «اللهم أقبل بقلوبهم» ونظر نحو العراق فقال مثل ذلك، ونظر نحو كل أفق فقال مثل ذلك وقال: «اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض، وبارك لنا في مدنا وصاعنا» (٥).

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما بين لابتي المدينة حرام، قد حرمه رسول الله ﷺ كما حرم إبراهيم مكة، اللهم اجعل البركة

---

١) المسند ٥/٣٠٩، ابن خزيمة ١/١٠٦، فضائل المدينة للجندي: ١٨.

٢) المسند ٢/١٢٤.

٣) المسند ٢/١٢٦.

٤) مسند عبد الله بن عمر للطرسوسي: ٤٠.

٥) المسند ٣/٣٤٢، الأدب المفرد: ١٦٩ واللفظ له، كشف الأستار ٢/٥١.

وروى مثله زيد بن ثابت رضي الله عنه. المسند ٥/١٨٥، دلائل النبوة للبيهقي ٦/٢٣٦.

فيها بركتين، وبارك لهم في صاعهم ومدهم (١).

حب النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة

- عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ توضأ ثم صلى بأرض سعد بأصل الحرة... الحديث وفيه: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، واجعل ما بها من وباء بخم...» (٢).

- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال.... الحديث وفيه: قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد وصححها...» الحديث (٣).

وفي رواية: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة وأشد....» (٤)

- عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدرات المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حركها من حبها. (٥).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته، قال: «ماقبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه

---

١) المسند ١٦٩/١.

٢) انظر تخريجه في باب الدعاء للمدينة بالبركة.

٣) انظر تخريجه في باب الدعاء للمدينة بإخراج الوباء منها.

٤) انظر تخريجه في باب الدعاء للمدينة بإخراج الوباء منها.

٥) البخاري ٥٥/٣ و ٢٦ و ٢٥ إلا أنه قال: "درجات" بدل "جدرات"، وليس فيه: "من حبها"، الترمذي ٤٦٥/٥، المسند ١٥٩/٣، أبو يعلى ٤٧٤/٦، السنن الكبرى للبيهقي ٢٦٠/٥ دون ذكر: "من حبها" وفي رواية بذكرها ٢٦٠/٥، شرح السنة ٣١٥/٧.

في موضع فراشه» (١).

- عن يحيى بن سعيد الأنصاري رحمه الله قال: كان رسول الله ﷺ جالساً وقبر يحفر بالمدينة، فأطلع رجل في القبر فقال: بئس مضجع المؤمن، فقال رسول الله ﷺ: «بئس ما قلت»، فقال الرجل: إني لم أرد هذا يارسول الله، إنما أردت القتل في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لامثل للقتل في سبيل الله، ما على الأرض بقعة هي أحب إلي أن يكون قبري بها منها» ثلاث مرات (٢).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قد علمت أن أحب البلاد إلى الله عز وجل مكة، ولولا أن قومي أخرجوني ما خرجت، اللهم اجعل في قلوبنا من حب المدينة مثل ما جعلت في قلوبنا من حب مكة» وما أشرف رسول الله ﷺ على المدينة قط إلا عرف في وجهه البشر والفرح (٣).

- عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الله أوحى إلي: أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك: المدينة، أو البحرين، أو قنسرين» (٤).

---

١) الترمذي ٣٢٩/٣، الشمائل النبوية: ٣٠٤، قال الترمذي فيه عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، يضعف من قبل حفظه، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه ٣٢٩/٣.

٢) الموطأ ٤٦٢/٢، والحديث مرسل.

٣) المعجم الكبير للطبراني ٣٦١/١٢.

٤) الترمذي ٦٧٨/٥، المعجم الكبير للطبراني ٣٣٩/٢، المستدرك ٢/٣، دلائل النبوة للبيهقي ٤٥٨/٢، وقال: قال أهل العلم: ثم عزم له على المدينة، فأمر أصحابه بالهجرة إليها.

تحريم المدينة

- عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم حرّم مكة، ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة»(١).

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أخذتموه يقطع من الشجر شيئاً - يعني شجر الحرم - فله سلبه لايعضد» فرأى سعد غلماناً يقطعون، فأخذ متاعهم، فانتهوا إلى مواليهم، فأخبروهم أن سعداً فعل كذا وكذا، فأتوه، فقالوا: ياأبا اسحق، إن غلمانك أو مواليك أخذوا متاع غلماننا، فقال: بل أنا أخذته، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذتموه يقطع من شجر الحرم فلكم سلبه» ولكن سلوني من مالي ما شئتم(٢)

- عن سهل بن حنيف رضي الله عنهما قال: أهوى رسول الله ﷺ بيده إلى المدينة فقال: «إنها حرم آمن»(٣).

وفي رواية: «إنها حرام آمن، إنها حرام آمن»(٤).

---

١) البخاري ١٤١/٣، مسلم ٩٩١/٢ إلا أنه قال: "بمثلي" بدل "مثل"، وفي رواية أخرى: "مثل" ٩٩١/٢، المنتخب لعبد بن حميد ٤٦٣/١، مشكل الآثار ٩٧/٢، شرح معاني الآثار ١٩٢/٤ بنحوه، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٧/٥ (روايتان)، دلائل النبوة له ٥٦٩/٢ إلا أنه قال: "بمثلي".

٢) مسلم ٩٩٣/٢ بنحوه، أبو داود ٢١٧/٢ بنحوه، الطيالسي ٣٠ واللفظ له، عبد الرزاق ٢٦٢/٩ و٢٦٣ بنحوه، المسند ١٦٨/١ و ١٧٠، مسند سعد للدورقي ٢٠٣، أبو يعلى ١٣٠/٢، فضائل المدينة للجندي ٤٦ و٤٨، شرح معاني الآثار للطحاوي ١٩١/٤، المستدرك ٤٨٦/١ بمعناه و٤٨٧، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٩/٥ (أربع روايات).

٣) مسلم ١٠٠٣/٢، ابن أبي شيبة ١٨٢/١٢ و ١٩٨/١٤، المسند ٤٨٦/٣ بنحوه، شرح معاني الآثار ١٩١/٤، المعجم الكبير للطبراني ٩٢/٦ (روايتان)، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٨/٥ (روايتان).

٤) المعجم الكبير للطبراني ٩٢/٦.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين، لايقبل منه عدل ولا صرف. وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل منه يوم القيامة عدل ولاصرف»(١).

- سئل أنس بن مالك رضي الله عنه: أحرّم رسول الله ﷺ المدينة؟ قال: نعم، هي حرام، لايختلى خلاها، فمن فعل ذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (٢).

- عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أنه وجد غلماناً قد ألجأوا ثعلباً إلى زاوية فطردهم عنه.

قال مالك: لاأعلم إلا أنه قال: أفي حرم رسول الله ﷺ يصنع هذا؟(٣).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي حرم، وحرمي المدينة»(٤).

زاد الإمام أحمد: «اللهم إني أحرمك بحرمك: أن لايأوى فيها محدث، ولا يختلى خلاها، ولا يعضد شوكها، ولا تؤخذ لقطتها إلا لمنشد».

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم المدينة بمثل ما حرم» قال: «ونهى النبي ﷺ أن يعضد

---

١) مسلم ٢/٩٩٩ وفي رواية مختصراً ٢/٩٩٠، المسند ٢/٣٩٨ بنحوه، و ٢/٥٢٦ الجزء الأول منه، السنن الكبرى للبيهقي ٥/١٩٦ الجزء الأول إلا أنه قال: "المدينة حرم مابين عير إلى ثور...".

٢) مسلم ٢/٩٩٤، ابن أبي شيبة ١٤/٢٠٠، المسند ٣/١٩٩، أبو يعلى ٧/٩١، السنن الكبرى ٥/١٩٧.

٣) الموطأ ٢/٨٩٠، شرح معاني الآثار ٤/١٩١، المعجم الكبير للطبراني ٤/١٣٧ و ٥/١٢٦ (عن زيد بن ثابت)، السنن الكبرى للبيهقي ٥/١٩٨.

٤) المسند ١/٣١٨، ذكر أخبار أصبهان ١/٣٤٣، مسند ابن الجعد ٢/١١٧٩.

شجرها، أو يخبط، أو يؤخذ طيرها»(١).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «اللهم إني حرمت المدينة بما حرمت به مكة»(٢).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها، قال رسول الله ﷺ: «مابين لابتيها حرام»(٣).

وزاد في رواية بعد قول أبي هريرة: ما ذعرتها: «وجعل اثنى عشر ميلاً حول المدينة حمى»(٤).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعاً، وبدا له أحد قال: «هذا جبل يحبنا ونحبه» ثم أشار بيده إلى المدينة: «اللهم إني أحرم ما بين لابتيها، كتحريم إبراهيم مكة، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا»(٥).

---

(١) شرح معاني الآثار ١٩٣/٤.

(٢) ابن أبي شيبة ٢٠٠/١٤، أبو يعلى ٤٠٢/٤.

(٣) البخاري ٥١/٣، مسلم ١٠٠٠/٢، الموطأ ٨٨٩/٢، الترمذي ٦٧٧/٥، ابن أبي شيبة ١٩٩/١٤، المسند ٢٣٦/٢ و ٢٥٦/٢ بنحوه و٤٨٧ بنحوه، المنتقى لابن الجارود ١٨٢، ، وفي رواية أخرى زاد بعد قول النبي ﷺ: "لايعضد شجرها ولا ينفر صيدها" وليس فيه أول الحديث ١٨٢، فضائل المدينة للجندي ٤٤ و ٤٧، شرح معاني الآثار ١٩٣/٤، ابن حبان ٢٥/٦.

(٤) مسلم ١٠٠٠/٢، عبد الرزاق ٢٦٠/٩، المسند ٢٧٩/٢، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٦/٥.

(٥) البخاري ١٠١/٤ و ١٠٢ و ٢٨٨، ٢٢٩/٥ دون ذكر: "اللهم بارك..."، ١٣٧/٧، ١٤٠/٨ إلا أنه قال: "جبليها" بدل "لابتيها"، ١٨٨/٩ وليس فيه: "اللهم بارك..."، مسلم ٩٩٣/٢ غير أنه قال: "جبليها" وفي رواية: "لابتيها" ٩٩٣/٢ أيضاً، الترمذي ٦٧٨/٥ وليس فيه: "اللهم بارك..."، الموطأ ٨٨٩/٢ دون ذكر: "اللهم بارك..."، المسند ١٤٩/٣ و ١٥٩ و ٢٤٠ و ٢٤٢، أبو يعلى ٣٦٩/٦ دون ذكر: "اللهم بارك..." و ٣٧٠، فضائل المدينة للجندي ٢١ و ٤٤ دون ذكر: "اللهم

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «حُرم مابين لابتي المدينة على لساني» قال: وأتى النبي ﷺ بني حارثة فقال: «أراكم يابني حارثة قد خرجتم من الحرم» ثم التفت، فقال: «بل أنتم فيه» (١).

- عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها: لايقطع عضاهها، ولا يصاد صيدها»(٢).

وفي رواية: «لايخبط، ولا يعضد حمى رسول الله ﷺ، ولكن يهش هشاً رفيقاً»(٣).

- عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها»(٤).

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إني حرمت ما بين لابتي المدينة كما حرم إبراهيم مكة».

قال عبد الرحمن بن أبي سعيد: ثم كان أبو سعيد يجد أحدنا في يده

بارك...» فيهما، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٧/٥، دلائل النبوة للبيهقي ٢٢٨/٤، شرح السنة للبغوي ٣١٤/٧ دون ذكر: «اللهم بارك...».

١) البخاري ٤٩/٣، ابن أبي شيبة ١٩٩/١٤ إلى قوله ﷺ: «على لساني»، المسند ٢٨٦/٢ و ٣٧٦، فضائل المدينة للجندي ٤٤ الجزء الثاني فقط، المعجم الأوسط للطبراني ٤٣٨/٢.

٢) مسلم ٩٩٢/٢، عبد الرزاق ٢٦١/٩ بمعناه، المسند ٣٣٦/٣ بنحوه، المنتخب لعبد بن حميد ٣٩/٣، شرح معاني الآثار ١٩٢/٤، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٨/٥.

٣) أبو داود ٢١٧/٢، ابن حبان ٢٥/٦، السنن الكبرى للبيهقي ٢٠٠/٥ (روايتان).

٤) مسلم ٩٩١/٢، عبد الرزاق ٢٦١/٩ بنحوه، المسند ١٤١/٤ (ثلاث روايات)، فضائل المدينة للجندي ٤٣، شرح معاني الآثار ١٩٢/٤ و ١٩٣، المعجم الكبير للطبراني ٢٥٧/٤ و٢٥٨ (ست روايات)، المعجم الأوسط ١٨٧/٣ بنحوه، السنن الكبرى ١٩٧/٥ و١٩٨/٥ بنحوه.

الطير فيفكه من يده، ثم يرسله(١).

وفي رواية قال: «حرم رسول الله ﷺ مابين لابتي المدينة: أن يعضد شجرها، أو يخبط» (٢).

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إني أحرم مابين لابتي المدينة: أن يقطع عضاهها، أو يقتل صيدها» وقال: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لايدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولايثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً، أو شهيداً، يوم القيامة» (٣).

وروي مختصراً بذكر القسم الأول (٤).

وفي رواية قال: «مابين لابتي المدينة حرام، قد حرمه رسول الله ﷺ كما حرم إبراهيم مكة، اللهم اجعل البركة فيها بركتين، وبارك لهم في صاعهم ومدهم» (٥).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج حتى إذا كان عند السقيا من الحرة قال: «اللهم إن إبراهيم عبدك ورسولك حرم مكة، اللهم وإني أحرم ما بين لابتي المدينة، مثل ما حرم إبراهيم مكة» (٦).

---

(١) مسلم ١٠٠٣/٢، ابن أبي شيبة ٢٠٠/١٤، أبو يعلى ٢٩١/٢، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٨/٥.

(٢) المسند ٢٣/٣، أبو يعلى ٢٨٢/٢، شرح معاني الآثار ١٩٢/٤.

(٣) مسلم ٩٩٢/٢، المسند ١٨١/١، مسند سعد للدورقي ٨٢، المنتخب لعبد بن حميد ١٨٤/١، أبو يعلى ٥٨/٢ بنحوه، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٧/٥.

(٤) ابن أبي شيبة ١٩٨/١٤، الحربي في غريب الحديث ٩٢٤/٣، الجندي في فضائل المدينة ٤٦، الطحاوي في شرح معاني الآثار ١٩١/٤.

(٥) المسند ١٦٩/١.

(٦) ابن ماجه ١٠٣٩/٢ (القسم المرفوع فقط بنحوه)، عبد الرزاق ٢٦٢/٩ واللفظ له، فضائل المدينة للجندي: ٤٣، شرح معاني الآثار ١٣٩/٤ بزيادة في آخره: "ونهى

- عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ توضأ، ثم صلى بأرض سعد بأصل الحرة عند بيوت السقيا، ثم قال: «اللهم إن إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعاك لأهل مكة، وأنا محمد عبدك ونبيك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك إبراهيم لأهل مكة أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، واجعل مابها من وباء بخم، اللهم إني قد حرمت ما بين لابتيها كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم»(١).

- عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل المدينة كالكير ، وحرم إبراهيم مكة، وأنا أحرم المدينة، وهي كمكة حرام ما بين حرتيها، وحماها كلها لايقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل منها، ولا يقربها إن شاء الله الطاعون، ولا الدجال، والملائكة يحرسونها على أنقابها وأبوابها»(٢).

- عن كعب بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ حرم ما بين لابتي المدينة أن يصاد وحشها(٣).

- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: إن رسول الله ﷺ حرم ما بين لابتي المدينة من الصيد والعضاه(٤).

- عن شرحبيل بن سعد قال: أتانا زيد بن ثابت، ونحن في حائط ننصب

النبي ﷺ أن يعضد شجرها أو يخبط أو يؤخذ طيرها».

١) المسند ٣٠٩/٥، ابن خزيمة ١٠٦/١، فضائل المدينة للجندي ١٨.

٢) المسند ٣٩٣/٣، ورواه مختصراً عبد بن حميد في المنتخب ٦٥/٣، أبو يعلى ٢٩١/٢.

٣) المعجم الأوسط للطبراني ١٩٠/١. قال الهيثمي: فيه من لم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٣٠٤/٣.

٤) عبد الرزاق ٢٦١/٩، فضائل المدينة للجندي ٤٧ (مرسلا).

فخاخاً للطير وطردنا، وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن صيد المدينة (١).

وفي رواية بلفظ: انه دخل الأسواف، فصاد بها نهساً - يعني طائراً - فدخل عليه زيد بن ثابت وهو معه فعرك أذنه، وقال خل سبيله لا أم لك، أما علمت أن النبي ﷺ حرم ما بين لابتيها(٢).

- عن عبد الله بن عباد الزرقي أنه كان يصيد العصافير في بئر إهاب، وكانت لهم، قال: فرآني عبادة بن الصامت، وقد أخذت العصفور، فينزعه مني، فيرسله، ويقول: أي بني، إن رسول الله ﷺ حرم ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم مكة(٣).

- عن أبي اليسر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ حرم ما بين لابتي المدينة(٤).

- عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله غير هذه الصحيفة قال: فأخرجها فإذا فيها أشياء من الجراحات، وأسنان الإبل. قال: وفيها: «المدينة حرام ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل منه يوم

---

١) الحميدي ١٩٦/١، المسند ١٩٠/٥، فضائل المدينة للجندي: ٤٥، شرح معاني الآثار ١٩٢/٤.

٢) ابن أبي شيبة ١٩٩/١٤، المسند ١٨١/٥ و ١٩٢/٥، مسند ابن الجعد ١٠٠٦/٢، المعجم الكبير للطبراني ١٥٠/٥ و ١٥١، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٩/٥.

٣) المسند ٣١٧/٥ ، ٣٢٩، كشف الأستار ٥٥/٢ إلا أنه قال: "ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ حرم صيدها" بدل: "حرم ما بين لابتيها..."، المعجم الكبير للطبراني ٢٦٧/٦، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٨/٥.

وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف . كشف الأستار ٥٥/٢، شرح معاني الآثار ١٩١/٤، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٨/٥.

٤) المعجم الكبير للطبراني ١٧١/١٩. قال الهيثمي: فيه راو لم يسم. مجمع الزوائد ٣٠٢/٣.

القيامة صرف ولا عدل، ومن والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة أجمعين، لايقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل منه يوم القيامة صرف ولاعدل» (١).

وفي رواية بزيادة: «لايختلى خلاها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولايصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره»(٢).

- عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم من كذا إلى كذا، لايقطع شجرها، ولايحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٣).

---

١) البخاري ٢٧٦/٨ و ٥٠/٣ إلا أنه قال: "المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا" وكذا في ٢١٣/٤ (مختصراً) وكذا في ١٧٤/٩.

مسلم ٩٩٤/٢ وليس فيه: "فمن أخفر مسلماً ..."الخ، و٩٩٩/٢ بنحوه. أبو داود ٢١٧/٢ بنحوه، الترمذي ٣٨١/٤ وليس فيه "فمن أخفر..."الخ.

الطيالسي: ٢٦ وليس فبه: "فمن أخفر..." الخ، عبد الرزاق ٢٦٣/٩، ابن أبي شيبة ١٩٨/١٤ (مختصراً)، المسند ٨١/١ و ١٢٦/١ وليس فيهما: "فمن أخفر..." و ١٥١/١، أبو يعلى ٢٢٨/١ وليس فيه: "فمن أخفر ...." وفي رواية بوجودها ٢٥٤/١، شرح معاني الآثار ١٩١/٤ (مختصراً) ابن حبان ١٢/٦، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٦/٥، دلائل النبوة له ٢٢٧/٧و ٢٢٨.

٢) أبو داود ٢١٧/٢، المسند ١١٩/١ إلا أنه قال قبل ذلك: "إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم المدينة حرام ما بين حرتيها، وحماها كله..." ثم قال: "لايختلى...".

مشكل الآثار ٢١٥/٤ ذكر بعض الزيادة الأولى فقط، السنن الكبرى للبيهقي ٢٠١/٥.

وروي نحوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه . الأموال لابن زنجويه ٤٤٢/٢ وليس فيه: "ومن والى قوماً ....".

٣) البخاري ٤٩/٣ و ١٧٩/٩ بنحوه، مسلم ٩٩٤/٢ بزيادة: "لايقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً" وفي رواية بدونها ٩٩٤/٢.

- عن أبي سعيد مولى المهري، أنه أصابهم بالمدينة جهد وشدة، وأنه أتى أبا سعيد الخدري، فقال له: إني كثير العيال، وقد أصابتنا شدة، فأردت أن أنقل عيالي إلى بعض الريف، فقال أبو سعيد: لا تفعل، الزم المدينة، فإنا خرجنا مع نبي الله ﷺ -أظن أنه قال- حتى قدمنا عسفان فأقام بها ليالي....» ثم قال ﷺ: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرماً، وإني حرمت المدينة حراماً ما بين مأزميها: أن لا يراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يخبط فيها شجرة إلا لعلف، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين، والذي نفسي بيده، ما من المدينة شعب ولا نقب إلا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا إليها»(١).

- عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: ما بين كداء وأحد حرام حرمه رسول الله ﷺ ما كنت لأقطع به شجرة ولا أقتل به طائراً(٢).

- عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ حمى المدينة بريداً من كل ناحية»(٣).

- عن عدي بن زيد قال: حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريداً بريداً: لا يخبط شجره، ولا يعضد، إلا ما يساق به الجمل(٤).

- عن جابر رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لايحل لأحد فيها السلاح لقتال»(٥).

---

١) مسلم ١٠٠١/٢، السنن الكبرى للبيهقي ٢٠١/٥.

٢) المسند ٤٥٠/٥.

٣) المعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٢٠.

وروي مثله عن جابر رضي الله عنه. كشف الأستار ٥٤/٢.

٤) أبو داود ٢١٧/٢.

- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ نهى عن آطام المدينة أن تهدم(١).

وفي رواية: «لاتهدموا الآطام، فإنها زينة المدينة»(٢).

- عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «لا يدخل مسجدنا هذا بعد عامنا هذا مشرك، إلا أهل العهد وخدمهم»(٣).

---

٥) المسند ٣/٣٤٧ و ٣٩٣.

١) كشف الأستار ٢/٥٤، شرح معاني الآثار ٤/١٩٤.

٢) شرح معاني الآثار ٤/١٩٤.

٣) المسند ٣/٣٩٢

إثم من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً أو آذى أهلها

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء» (١).

وفي رواية: « ولايريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص، أو ذوب الملح في الماء» (٢).

- عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله غير هذه الصحيفة، قال: فأخرجها فإذا فيها أشياء من الجراحات، وأسنان الإبل. قال: وفيها: «المدينة حرام ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل ومن والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة أجمعين، لايقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل» (٣).

- عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم من كذا إلى كذا، لايقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» (٤).

- عن سعد بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لأهل المدينة في مدينتهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في

---

١) البخاري ٣/٥٢، مسلم ٢/١٠٠٨ بلفظ: "من أراد أهل المدينة بسوء...".

٢) مسلم ٢/٩٩٢، المسند ١/١٨٥ (في حديث طويل)، أبو يعلى ٢/٥٨ (في حديث طويل)، وهو كذلك في فضائل المدينة للجندي: ٢٩ بزيادة في أخره: "أو بالماء". وفي مسند سعد للدورقي: ٢٠٢، بلفظ: "من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله إذابة الملح في الماء" و فضائل المدينة للجندي بنحوه: ٢٨.

٣) انظر تخريجه في باب تحريم المدينة.

٤) انظر تخريجه في باب تحريم المدينة.

مدهم، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك وإني عبدك ورسولك، وإن إبراهيم سألك لأهل مكة، وأني أسألك لأهل المدينة كما سألك إبراهيم لأهل مكة ومثله معه، إن المدينة مشبكة بالملائكة، على كل نقب منها ملكان يحرسانها، لايدخلها الطاعون ولا الدجال، من أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء» (١).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء» (٢).

- عن السائب بن خلاد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله عزو جل، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» (٣).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف. وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن

---

١) انظر تخريجه في باب الدعاء للمدينة بالبركة.

٢) مسلم ١٠٠٧/٢ واللفظ له، ابن ماجه ١٠٣٩/٢ بلفظ: "من أراد أهل المدينة"، عبد الرزاق ٢٦٣/٩ و ٢٦٤، الحميدي ٤٩٢/٢ بلفظ: "أيما جبار أراد أهل المدينة ..."، المسند ٢٧٩/٢ و ٣٠٩ و ٣٥٧، أبو يعلى ٣٩١/١ بلفظ: "من أراد أهل المدينة بشر..."،الجندي في فضائل المدينة: ٢٧ بلفظ "من أخاف أهل المدينة" و ٢٨ بلفظ: "أيما جبار أراد المدينة بسوء ..." و ٢٩، ابن حبان ٢٠/٦.

٣) المسند ٥٥/٤ و ٥٦، المعجم الكبير للطبراني ١٤٣/٧، وفي روايات عنده بنحوه ١٤٣/٧ و ١٤٤. وفي رواية عنده: "أخافه الله عز وجل يوم القيامة..." ١٤٤/٧. وفي أخرى: "اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفهم..." ١٤٤/٧. وفي رواية بلفظ: "من أخاف أهل المدينة ظلماً..." المسند ٥٥/٤ و ٥٦. وروى الحربي أوله في غريب الحديث ٨٣٤/٢. و روي مرسلاً عن عدد من التابعين، انظر: عبد الرزاق ٢٦٥/٩ وفضائل المدينة للجندي ٣٠.

أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف» (١).

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخاف أهل المدينة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، من أخافها فقد أخاف ما بين هذين» وأشار إلى ما بين جنبيه (٢).

- عن زيد بن أسلم رحمه الله عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم من أراد المدينة بسوء فأذبه كما يذوب الرصاص في النار، وكما يذوب الملح في الماء، وكما تذوب الإهالة في الشمس» (٣).

---

١) مسلم ٩٩٩/٢ وفي رواية مختصراً ٩٩٩/٢، المسند ٣٩٨/٢ بنحوه، و٥٢٦/٢ الجزء الأول منه، السنن الكبرى للبيهقي ١٩٦/٥ الجزء الأول إلا أنه قال: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور...».

٢) ابن أبي شيبة ١٨١/١٢ واللفظ له، أحمد ٣٥٤/٣ و ٣٩٣ بلفظ: «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي» ولم يزد على ذلك. وابن حبان بلفظ: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله» ٢٠/٦.

٣) عبد الرزاق ٢٦٤/٩.

لايدخل المدينة الطاعون و لا الدجال

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لايدخلها الطاعون و لا الدجال» (١).

وفي رواية: «المدينة و مكة محفوفتان بالملائكة، على كل نقب منها ملك، لايدخلها الدجال و لا الطاعون» (٢).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المدينة يأتيها الدجال، فيجد الملائكة يحرسونها، فلا يقربها الدجال و لا الطاعون إن شاء الله» (٣).

- عن سعد بن مالك و أبي هريرة رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لأهل المدينة في مدينتهم، وبارك لهم في صاعهم، وبارك لهم في مدهم، اللهم إن إبراهيم عبدك و خليلك و إني عبدك و رسولك، وإن إبراهيم سألك لأهل مكة، وإني أسألك لأهل المدينة كما سألك إبراهيم لأهل مكة و مثله معه، إن المدينة مشبكة بالملائكة، على كل نقب منها ملكان يحرسانها، لايدخلها الطاعون و لا الدجال، من أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء» (٤).

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لايدخلها - يعني المدينة - الطاعون ولا الدجال» (٥).

---

١) البخاري ٣/٥٣ و ٧/٢٣٩ و ٩/١١٠، مسلم ٢/١٠٠٥، الموطأ ٢/٨٩٢، المسند ٢/٢٣١ و ٣٥٧ و ٣٧٨، فضائل المدينة للجندي ٢٤، شرح السنة للبغوي ١/٣٢٥.

٢) المسند ٢/٤٨٣.

٣) البخاري ٩/١١٠ و ٢٤٩، الترمذي ٤/٤٤٦، المسند ٣/٢٠٢ و ٢١١، أبو يعلى ٥/٢٩٠، ابن حبان ٨/٢٨٤.

٤) انظر تخريجه في باب الدعاء للمدينة بالبركة.

٥) فضائل المدينة للجندي ٢٤.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق» (١).

وفي رواية: أن قائلاً من الناس قال: يانبي الله، مايرد الدجال المدينة؟ قال: «أما أنه ليعمد إليها، ولكنه يجد الملائكة صافة بنقابها وأبوابها يحرسونها من الدجال» (٢).

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا به أنه قال: «يأتي الدجال، وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل، وهو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله، ثم يحييه، فيقول: والله، ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه» (٣).

- عن أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل المدينة

---

١) البخاري ٥٣/٣، ١٠٧/٩ مختصرا، مسلم ٢٢٦٥/٤ بنحوه، ٢٢٦٦/٤ غير أنه قال: "فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه فيخرج إليه كل كافر ومنافق" وهو كذلك عند ابن أبي شيبة ١٨١/١٢ و ١٤٣/١٥، المسند ١٩١/٣ و ٢٣٨/٣ بنحوه، وابن حبان ٢٨٤/٨ و شرح السنة للبغوي ٣٢٦/٧ .

أخبار مكة للفاكهي ٢٦٢/٢ و ٢٦٣.

٢) المسند ٢٠٦/٣ و ٢٢٩، أبو يعلى ٣١٧/٥ و ٣٦٨ بنحوه و ١٣/٦.

٣) البخاري ١١٠/٩ و ٥٣/٣، مسلم ٢٢٥٦/٤، عبد الرزاق ٣٩٣/١١، المسند ٣٦/٣، ابن حبان ٢٨٣/٨، الايمان لابن منده ٩١٥/٣، شرح السنة للبغوي ٥١/١٥.

رعب المسيح، لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان» (١).

وفي رواية: «كل قرية يدخلها فزع الدجال إلا المدينة يأتيها ليدخل، فيجد على بابها ملكاً مصلتاً بالسيف، فيرده عنها» (٢).

- عن عامر بن شراحيل الشعبي أنه سأل فاطمة بنت قيس رضي الله عنها فقال: حدثيني حديثاً سمعتيه من رسول الله ﷺ لا تسنديه إلى أحد غيره، فقالت: لئن شئت لأفعلن، فقال لها: أجل حدثيني، فقالت: نكحت ابن المغيرة، وهو من خيار شباب قريش - ثم ذكرت طلاقها وعدتها، وذكرت قصة الجساسة و الدجال في حديث طويل، وفيه قول الدجال -: إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها» (٣).

- وفي رواية بزيادة: قال عامر الشعبي: فلقيت المحرر بن أبي هريرة فحدثته بحديث فاطمة، فقال: أشهد على أبي أنه حدثني كما حدثتك فاطمة ما نقص حرفاً واحداً، غير أن أبي قد زاد فيه باباً واحداً، قال: فخط النبي ﷺ بيده نحو المشرق قريباً من عشرين مرة (٤).

---

١) البخاري ١٠٧/٩ و ٥٣/٣ إلا أنه قال: "المسيح الدجال"، ابن أبي شيبة ١٨٠/١٢ و ١٤٠/١٥، المسند ٤٣/٥ و ٤٧، ابن حبان ١٨/٦ بنحوه و ٢٨٤/٨.

٢) المعجم الأوسط للطبراني ٤٦/٢.

٣) مسلم ٢٢٦١/٤ و اللفظ له و ٢٢٦٤، ٢٢٦٥، الطيالسي ٢٢٨، المسند ٣٧٤/٦ و ٤١٢ و ٤١٧ و ٤١٨، ابن حبان ٢٧٧/٨ و ٢٧٨، المعجم الكبير للطبراني ٣٨٥/٢٤ و ٣٨٦ و ٣٨٨ و ٣٩١ و ٣٩٦ و ٣٩٧، الايمان لابن منده ٩٣٠/٣، دلائل النبوة للبيهقي ٤١٦/٥.

٤) ابن أبي شيبة ١٨٩/١٥ و اللفظ له، الحميدي ١٧٧/١، المسند ٣٧٣/٦ و ٤١٦، الايمان لابن مندة ٩٥٠/٣.

- وفي رواية يقول الدجال: «أما إنه لو قد أذن لي في الخروج، قد وطئت البلاد كلها غير طيبة» (١).

- وجاء في رواية مختصراً بلفظ: «هذه طيبة -يعني المدينة- والذي نفس محمد بيده، ما فيها طريق واسع و لا ضيق إلا عليه ملك شاهر بالسيف إلى يوم القيامة» (٢).

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: صحبت ابن صائد إلى مكة، فقال لي: أما قد لقيت من الناس يزعمون أني الدجال. ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لا يولد له» قال قلت: بلى. قال: فقد ولد لي أوليس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لايدخل المدينة و لا مكة» قلت: بلى. قال: فقد ولدت بالمدينة، و هذا أنا أريد مكة. قال: ثم قال لي في آخر قوله: أما والله إني لأعلم مولده، و مكانه، و أين هو. قال: فلبسني. (٣).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي المسيح من قبل المشرق، همته المدينة، حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه

---

١) مسلم ٢٢٦٥/٤ و اللفظ له، ابن أبي شيبة ١٨٩/١٥ بزيادة، فقال رسول الله ﷺ: "إلى هذا انتهى فرحي، هذه طيبة، و الذي نفس محمد بيده، إن هذه طيبة، و لقد حرم الله حرمي على الدجال أن يدخله، ثم حلف ﷺ ما لها طريق ضيق و لا واسع في سهل أو جبل إلا عليه ملك شاهر بالسيف إلى يوم القيامة ما يستطيع الدجال أن يدخلها عن أهلها" وكذا في المسند ٣٧٣/٦ و ٤١٦.

الحميدي ١٧٧/١، المسند ٣٧٣/٦، المعجم الكبير ٣٩٥/٢٤ و ٣٩٨ و ٣٩٩، الايمان لابن مندة ٩٥٠/٣ و ٩٥٥.

٢) ابن أبي شيبة ١٨٠/١٢، ابن حبان ١٨/٦ بنحوه.

٣) مسلم ٢٢٤١/٤ و ٢٢٤٢، الترمذي ٥١٦/٤، المسند ٤٣/٣ و ٧٩ و ٩٧، شرح السنة للبغوي ٧٦/١٥.

قبل الشام، و هنالك يهلك» (١).

- عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: أكثر الناس في مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئاً، فقام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال: «أما بعد ففي شأن هذا الدجال الذي قد أكثرتم فيه، و إنه كذاب من ثلاثين كذاباً يخرجون بين يدي المسيح، و إنه ليس من بلد إلا يبلغه رعب المسيح إلا المدينة، على كل نقب من أنقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح» (٢).

- عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي، أنه أخبره رجل من الأنصار، عن بعض أصحاب محمد ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال، فقال: «يأتي سباخ المدينة، و هو محرم عليه أن يدخل نقابها، فتنتفض المدينة بأهلها نفضة او نفضتين - وهي الزلزلة - فيخرج إليه منها كل منافق و منافقة، ثم يولي الدجال قبل الشام حتى يأتي بعض جبال الشام فيحاصرهم، وبقية المسلمين يومئذ معتصمون بذروة جبل من جبال الشام، فيحاصرهم الدجال نازلاً بأصله، حتى إذا طال عليهم البلاء قال رجل من المسلمين: يا معشر المسلمين! حتى متى أنتم هكذا، وعدو الله نازل بأرضكم هكذا، هل أنتم إلا بين إحدى الحسنيين، بين أن يستشهدكم الله، أو يظهركم، فيبايعون على الموت بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم، ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر امرؤ فيها كفه، قال: فينزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم، وبين أظهرهم رجل عليه لامته، يقولون: من أنت؟ يا عبد الله! فيقول: أنا عبد الله، ورسوله،

---

١) مسلم ١٠٠٥/٢، الترمذي ٤٤٦/٤ و زاد في أوله: "الايمان يمان، و الكفر من قبل المشرق، و السكينة لأهل الغنم، و الفخر و الرياء في الفدادين: أهل الخيل و أهل الوبر، يأتي المسيح...."، المسند ٣٩٧/٢ و ٤٠٧ و قال في رواية: "ضربت الملائكة وجهه...." ٤٠٧، أبو يعلى ٣٤٦/١١، ابن حبان ٢٨٥/٨، شرح السنة للبغوي ٣٢٦/٧.

٢) عبد الرزاق ٣٩٢/١١، المسند ٤١/٥ و ٤٦ و ٤٧، ابن شبة ٥٧٦/٢، المستدرك ٥٤١/٤.

وروحه، وكلمته، عيسى ابن مريم، اختاروا بين إحدى ثلاث، بين أن يبعث الله على الدجال و جنوده عذاباً من السماء، أو يخسف بهم الأرض، او يسلط عليه سلاحكم، ويكف سلاحهم عنكم، فيقولون: هذه يا رسول الله! أشفى لصدورنا و لأنفسنا، فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل، الأكول الشروب، لاتقل يده سيفه من الرعدة، فيقومون إليهم، فيسلطون عليهم، ويذوب الدجال حين يرى ابن مريم كما يذوب الرصاص، حتى يأتيه -أو يدركه- عيسى فيقتله» (١).

- عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «ألا إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد حذر الدجال أمته.....إلى أن قال: ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذلك الرجل، ثم يسير حتى يأتي الشام فيقتله الله عند عقبة أفيق» (٢).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي النبي ﷺ وأنا أبكي، فقال: «ما يبكيك» ؟ فقلت: يارسول الله، ذكرت الدجال، قال: «فلا تبكي فإن يخرج وأنا حي أكفيكموه، وإن أمت فإن ربكم ليس بأعور، وإنه يخرج معه يهود أصبهان، فيسير حتى ينزل بضاحية المدينة، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان، فيخرج إليه شرار أهلها، فينطلق حتى يأتي لد، فينزل عيسى ابن مريم فيقتله، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة، أو قريباً من أربعين سنة، إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً» (٣).

- عن رجاء بن أبي رجاء قال: دخل بريدة المسجد ومحجن على باب المسجد وسَكَبَة يصلي، فقال بريدة -وكان فيه مزاح-: ألا تصلي كما يصلي

---

١) عبد الرزاق ١١/٣٩٧.

٢) الطيالسي ١٥٠، ابن أبي شيبة ١٥/١٣٧، المسند ٥/٢٢١.

٣) ابن أبي شيبة ١٥/١٣٤ - واللفظ له -، المسند ٦/٧٥ بنحوه، ابن حبان ٨/٢٩٠ إلا أنه قال: "يخرج معه اليهود" بدل "يهود أصبهان".

سكبة، فقال محجن: إن رسول الله ﷺ أخذ بيدي فصعد على أحد، وأشرف على المدينة فقال: «ويلها مدينة يدعها أهلها وهي خير ما كانت، أو أعز ما كانت، يأتيها الدجال فيجد على كل باب من أبوابها ملكاً، مصلتاً بجناحيه فلا يدخلها» (١).

- عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلت أنا وصاحب لي على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ، ولا تحدثنا عن غيره وإن كان عندك مصدقاً، قال: نعم، قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «أنذركم الدجال، أنذركم الدجال، أنذركم الدجال، فإنه لم يكن نبي إلا وقد أنذره أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جعد آدم ممسوح العين اليسرى، وإن معه جنة وناراً، فناره جنة، وجنته نار، وإن معه نهر ماء، وجبل خبز، وإنه يسلط على نفس فيقتلها، ثم يحييها، لايسلط على غيرها، وإنه يمطر السماء، ولاتنبت الأرض، وإنه يلبث في الأرض أربعين صباحاً حتى يبلغ منها كل منهل، وإنه لايقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد المقدس، والطور، وما شبه عليكم من الأشياء، فإن الله ليس بأعور» مرتين (٢).

- عن ثعلبة بن عباد البصري - من أهل البصرة - أنه شهد يوماً خطبة لسمرة بن جندب، فذكر في خطبته حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والله لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، آخرهم الأعور الدجال، ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبي تحيى - أو يحيى - لشيخ من الأنصار، وإنه متى يخرج فإنه يزعم أنه الله، من آمن به وصدقه واتبعه فليس ينفعه صالح من عمل له سلف، ومن كفر به وكذبه فليس يعاقب بشيء من عمله سلف، وإنه

---

(١) ابن أبي شيبة ١٥/١٤٠ واللفظ له، المسند ٤/٣٣٨، ابن شبة ١/٢٧٣.

(٢) ابن أبي شيبة ١٥/١٤٧ و اللفظ له، المسند ٣/٣٦٤و ٥/٤٣٤، فضائل بيت المقدس للمقدسي ٦٢.

سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وإنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس . . . . . . » الحديث (١).

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أشرف رسول الله ﷺ على فلق من أفلاق الحرة ونحن معه، فقال: «نعمت الأرض المدينة إذا خرج الدجال، على كل نقب من أنقابها ملك لايدخلها، فإذا كان كذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات، لايبقى منافق ولامنافقة إلا خرج إليه، وأكثر من يخرج إليه النساء، وذلك يوم التخليص، وذلك يوم تنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد، يكون معه سبعون ألفاً من اليهود. . . . . . » الحديث (٢).

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في خفقة من الدين، وإدبار من العلم، فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض..... إلى أن قال -يرد كل ماء ومنهل، إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابها.....»الحديث (٣).

- عن محجن بن الأدرع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: «يوم الخلاص وما يوم الخلاص، يوم الخلاص وما يوم الخلاص، يوم الخلاص وما يوم الخلاص، فقيل له: وما يوم الخلاص؟ قال: يجيء الدجال فيصعد أحداً، فينظر إلى المدينة فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملكاً مصلتاً فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق

---

١) ابن أبي شيبة ١٥/١٥١ واللفظ له، المسند ٥/١٦، ابن حبان ٤/٢٢٤، المستدرك ١/٣٣١ وقال: حديث حسن صحيح، السنن الكبرى للبيهقي ٣/٣٣٩.

٢) المسند ٣/٢٩٢.

٣) المسند ٣/٣٦٧، المستدرك ٤/٥٣٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ولا منافقة، ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه فذلك يوم الخلاص» (١).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «لايدخل الدجال مكة ولا المدينة» (٢).

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر فقال: «إنه بينما أناس يسيرون في البحر.....» الحديث وفيه: «قالوا: هو المسيح تطوى له الأرض فيسلكها في أربعين يوماً إلا ما كان من طيبة» فقال رسول الله ﷺ: «ألا وإن طيبة هي المدينة، ما من باب من أبوابها إلا ملك صالت سيفه يمنعه منها وبمكة مثل ذلك» (٣).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ركب رسول الله ﷺ إلى مجمع السيول فقال: إلا أنبئكم بمنزل الدجال من المدينة؟ فقال: «هذا منزله، يريد المدينة فلا يستطيعها، على كل نقب من نقابها ملك شاهر سلاحه لا يدخلها الدجال» (٤).

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «- في الدجال - ما شبه عليكم منه، فإن الله عز وجل ليس بأعور، يخرج فيكون في الأرض أربعين صباحاً، يرد منها كل منهل إلا الكعبة، وبيت المقدس، والمدينة، الشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، ومعه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار، معه جبل من خبز، ونهر من ماء، يدعو برجل - لايسلطه الله إلا عليه - فيقول: ما تقول فيه؟ فيقول: أنت عدو الله، وأنت الدجال

---

١) المسند ٣٣٨/٤، المستدرك ٥٤٣/٤ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

٢) المسند ٢٤١/٦، المعجم لأبي يعلى ٨٦.

٣) أبو يعلى ١٤٢/٤. ورواه مختصراً الفاكهي في أخبار مكة ٢٥٢/٢.

٤) أبو يعلى ٤٢٦/١١. قال الهيثمي: فيه أبو معشر وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٣٤٥/٧.

الكذاب، فيدعوه بمنشار فيضعه حذو رأسه فيشقه حتى يقع بالأرض، ثم يحييه فيقول له: ما تقول فيه؟ فيقول: والله ما كنت أشد بصيرة مني فيك الآن، أنت عدو الله الكذاب الذي أخبرنا عنك رسول الله ﷺ قال: فيهوي إليه بسيفه فلا يستطيعه، فيقول: أخروه عني» (١).

- عن عكرمة قال: سئل النبي ﷺ عن الدجال، فقال: «ما من نبي إلا وقد حذر قومه الدجال، نوح فمن دونه، فاحذروه، يطوف القرى كلها غير مكة و المدينة لن يدخلها، الملائكة على حافتي مكة والمدينة» (٢).

---

١) فضائل بيت المقدس للمقدسي ٥٩.

٢) أخبار مكة للفاكهي ٢/٢٦٠.

الدعاء للمدينة بإخراج الوباء منها

- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر و بلال، قالت: فدخلت عليهما، قلت: ياأبت، كيف تجدك؟ ويابلال، كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة»(١).

وفي رواية نحوه، وزاد بعد بيتي بلال: اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء. ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب.... »

قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، قالت: فكان بطحان يجري

١- البخاري ١٦٨/٥ و ٢١٢/٧ و٢٢٢، الموطأ ٨٩٠/٢ وذكر عقيبه أن عائشة رضي الله عنها قالت: "وكان عامر بن فهيرة يقول:

قد رأيت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه"

الحميدي ١١٠/١ وذكر فيه قول عامر بنحوه، ثم زاد في أول دعاء النبي ﷺ: "اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك لأهل مكة اللهم بارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، وبارك لنا في مدينتنا، وفي فرقنا....-إلى أن قال:- وانقل وباءها وحماها إلى خم أو إلى الجحفة".

الأدب المفرد للبخاري: ١٨٤، ابن حبان ١٦/٤، شرح السنة للبغوي ٣١٦/٣.

نجلاً تعني ماء آجناً(١).

وفي رواية أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة اشتكى أصحابه، واشتكى أبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وبلال، فاستأذنت رسول الله في عيادتهم، فقلت لأبي بكر: كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وسألت عامراً فقال:

وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

وسألت بلالاً فقال

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ وحولي إذخر وجليل

فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بقولهم، فنظر إلى السماء ثم قال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة وأشد، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل وباءها إلى مهيعة» وهي الجحفة(٢).

وروي مختصراً، مع ذكر الدعاء كاملاً. وفي بعضها بذكر الدعاء فقط(٣).

---

١) البخاري ٣/٥٦، المسند ٦/٢٦٠، دلائل النبوة للبيهقي ٢/٥٦٨، وليس في الروايتين الأخيرتين قول عائشة "وقدمنا المدينة..." لكن فيهما: "فكان المولود يولد بالجحفة، فما يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى"، وفي رواية: دون ذكر المولود، المسند ٦/٢٦٠.

أخبار مكة للأزرقي ٢/١٥٤ إلى قوله: "كما أخرجونا من مكة" بدل "من أرضنا"، مسند عائشة لابن أبي داود: ٥٩ بنحوه و٦٧، دلائل النبوة للبيهقي ٢/٥٦٥ إلى قوله: "وأمية بن خلف" ورواه كاملاً في رواية أخرى ٢/٥٦٥.

٢) المسند ١/٢٢١ و ٦/٦٥ و ٦/٢٣٩ وفيه "إلى خم ومهيعة"، ابن حبان ٧/٤٤٦، دلائل النبوة للبيهقي ٢/٥٦٦ وزاد بعد قوله: فاستأذنت عائشة رسول الله ﷺ في عيادتهم: "فأذن لها، وكان ذلك قبل أن يضرب الحجاب".

٣) البخاري ٨/١٤٣، مسلم ٢/١٠٠٣، المسند ٦/٥٦، أخبار مكة للأزرقي ٢/٥٣، فضائل المدينة للجندي ٢٠، المعجم الأوسط للطبراني ٢/١٧٩، دلائل النبوة للبيهقي ٢/٥٦٨.

- عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ توضأ ثم صلى بأرض سعد بأصل الحرة ...... الحديث، وفيه: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، واجعل مابها من وباء بخم ......» (١).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة، فأولت أن وباء المدينة نقل إليها»(٢).

- عن جابر رضي الله عنه قال: استأذنت الحمى على النبي ﷺ فقال: «من هذه»؟ قالت: أم ملدم، قال: فأمر بها إلى أهل قباء، فلقوا منها ما يعلم الله، فأتوه فشكوا ذلك إليه، فقال: «ما شئتم إن شئتم أن أدعو الله فيكشفها عنكم، وإن شئتم أن تكون لكم طهورا» قالوا: يارسول الله أو تفعل ذلك؟ قال: «نعم» قالوا: فدعها(٣).

- عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أن قوما من العرب أتوا رسول الله ﷺ المدينة فأسلموا، وأصابهم وباء المدينة حماها فأركسوا،

---

١) المسند ٣٠٩/٥، ابن خزيمة ١٠٦/١، فضائل المدينة للجندي ١٨. وسيأتي الحديث كاملاً في باب الدعاء للمدينة بالبركة.

٢) البخاري ٧٦/٩ (ثلاث روايات)، الترمذي ٤٦٩/٤، ابن ماجه ١٢٩٣/٢، ابن أبي شيبة ٦١/١١، المسند ١٠٧/٢ و١١٧ و١٣٧ وفي الرواية الأخيرة: "ثائرة الشعر تفله" وكذا في سنن الدارمي ٥٥/٢، أبو يعلى ٣٩٥/٩، المعجم الكبير للطبراني ٢٩٠/١٢، دلائل النبوة للبيهقي ٥٦٨/٢.

٣) المسند ٣١٦/٣، المنتخب لعبد بن حميد ١٥/٣، أبو يعلى ٤٠٨/٣، المستدرك ٣٤٦/١ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وفي الباب عن أم طارق مولاة سعد بن عبادة رضي الله عنها وعنه. المسند ٣٧٨/٦، السنن الكبرى للبيهقي ٣٧٥/٣، دلائل النبوة له ١٥٨/٦.

و سلمان الفارسي رضي الله عنه. المعجم الكبير للطبراني ٣٠٢/٦، دلائل النبوة للبيهقي ١٥٩/٦.

فخرجوا من المدينة، فاستقبلهم نفر من أصحابه يعني أصحاب النبي ﷺ فقالوا لهم: مالكم رجعتم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة فاجتوينا المدينة فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة حسنة؟ فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، هم مسلمون، فأنزل الله عز وجل ﴿فمالكم في المنفقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا﴾(١).

المدينة تنفي الخبث

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن أعربياً بايع رسول الله ﷺ على الإسلام، فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة، فأتى الأعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله، أقلني بيعتي، فأبى رسول الله ﷺ، ثم جاءه، فقال: أقلني بيعتي، فأبى، ثم جاءه، فقال: أقلني بيعتي، فأبى، فخرج الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: «إنما المدينة كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها» (٢).

وفي رواية: أن قوماً قدموا المدينة مع النبي ﷺ، وبها مرض، فنهاهم النبي ﷺ أن يخرجوا حتى يأذن لهم، فخرجوا بغير إذنه، فقال رسول الله ﷺ: «إنما المدينة كالكير تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد» (٣).

وفي رواية: قدم رجل المدينة مهاجراً، قال: فحم حمى شديدة، فأتى

---

١) المسند ١/١٩٢.

٢) البخاري ٩/١٤٢ و ١٤٣ و ١٨٥ وفي رواية: "فجاء من الغد محموماً" ولم يذكر فيها مجيئه ثلاث مرات ٩/١٤٤ و ٣/٥٤، مسلم ٢/١٠٠٦، الموطأ ٢/٨٨٦، الترمذي ٥/٦٧٧ والنسائي ٧/١٥١ وفيهما: "وتنصع"، الطيالسي ٢٣٧ وفيه: "وتنصع"، عبد الرزاق ٩/٢٦٦ وفيه: "وتنصع"، الحميدي ٢/٥٢١، المسند ٣/٣٠٦و ٣٠٧ و ٣٩٢ وفيها "وتنصع" ، و ٣٦٥ وفيه: محموماً و "وتنصع" و أبو يعلى ٤/٢٠ (مختصراً)، والجندي في فضائل المدينة: ٢٦ (ولم يذكر وعكه) و٢٧ ،ابن حبان ٦/١٨و ١٩ (ولم يذكر فيهما مجيئه ثلاث مرات).

٣) المسند ٣/٣٨٥، وذكر ابن أبي شيبة آخره ١٢/١٨٠ من قوله: "إنما المدينة...".

رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أقلني الهجرة، فقال: «لا والله لا أقيلك، إن الإسلام لايقال. قال أحد رواته: وذكر أنه غير مرة، كل ذلك يأبى عليه، فخرج بغير إذنه، فأخبر به النبي ﷺ فقال: «إنها طيبة تنفي خبث الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد» (١).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد» (٢).

- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ﴿فما لكم في المنفقين فئتين﴾: رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد وكان الناس فيهم فرقتين فريق يقول: اقتلهم. وفريق يقول: لا. فنزلت: ﴿فما لكم في المنفقين فئتين﴾ وقال: «إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة» (٣).

وفي رواية: «إنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد» (٤).

وفي أخرى: «إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة» (٥).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء! هلم إلى الرخاء! والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد

---

(١) أبو يعلى ١٢٥/٤.

(٢) البخاري ٥٠/٣، مسلم ١٠٠٦/٢، وفي روايتين عنده دون ذكر «الحديد» ١٠٠٦/٢، الموطأ ٨٨٧/٢، عبد الرزاق ٢٦٧/٩ دون ذكر «الحديد»، الحميدي ٤٨٧/٢، المسند ٢٣٧/٢ و ٢٤٧ و ٣٨٤، أبو يعلى ٢٦١/١١، فضائل المدينة للجندي: ٢٥ و ٢٦، ابن حبان ١٥/٦.

(٣) البخاري ٩٣/٦، مسلم ١٠٠٦/٢، ابن أبي شيبة ١٨٢/١٢ (مختصراً) و ٤٠٦/١٤، المسند ٨٧٥/٥ و ١٨٨ (أربع روايات).

(٤) البخاري ٥٤/٣.

(٥) البخاري ٢١٧/٥.

رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكير، تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكير خبث الحديد» (١).

الإيمان يأرز إلى المدينة

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها»(٢).

وفي رواية بلفظ: «يوشك أن ينطوي الإسلام في كل بلد إلى المدينة كما تنطوي الحية إلى جحرها»(٣).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها»(٤).

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «إن الإيمان بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذ للغرباء

---

١) مسلم ١٠٠٥/٢، وأخرجه بنحوه أحمد ٤٣٩/٢ بزيادة: "والذي نفس محمد بيده لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة". ابن حبان ٢٧٢/٨ بنحوه، الطبراني في المعجم الأوسط ٣٧٦/٣ و ٣٧٧ بنحوه.

وروي نحوه عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه. المعجم الكبير للطبراني ١٤٤/٣ و ٢٦٥/١٩.

و زيد بن ثابت وأبي أيوب الأنصاري . المعجم الكبير للطبراني ١٥٣/٤.

٢) البخاري ٥٢/٣، مسلم ١٣١/١، ابن ماجه ١٠٣٨/٢، ابن أبي شيبة ١٨١/١٢، المسند ٢٨٦/٢ و ٤٩٦/٢، فضائل المدينة للجندي ٢٤، وبنحوه: ٢٥، أبو عوانة ١٠١/١ (ثلاث روايات) ، ابن حبان ١٧/٦، كتاب الايمان لابن مندة ٥١٩/٢، دلائل النبوة للبيهقي ٥٢٠/٢.

وروى مثله ابن عمر رضي الله عنهما. ابن حبان ١٧/٦.

٣) أمثال الحديث للرامهرمزي ٢٠٠.

٤) مسلم ١٣١/١، كتاب الايمان لابن مندة ٥٢٠/٢٥، دلائل النبوة للبيهقي ٥٢٠/٢.

إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرزن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في حجرها»(١).

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي خليفة يحثي المال حثياً . . .» ثم قال: «والذي نفسي بيده ليعودن الأمر كما بدأ، ليعودن كل إيمان إلى المدينة كما بدأ منها، حتى يكون كل

إيمان بالمدينة» (٢).

- عن كثير بن عبد الله عن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ماأفسد الناس من بعدي من سنتي».(٣).

- عن عبد الرحمن بن سنة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «بدأ الإسلام غريباً، ثم يعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس، والذي نفسي بيده لينحازن الايمان إلى المدينة كما يحوز السيل، والذي نفسي بيده ليأرزن الإسلام إلى ما بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها»(٤).

---

١) المسند ١/١٨٤ واللفظ له، مسند سعد للدورقي ١٥٦ بنحوه، أبو يعلى ٢/٩٩، كتاب الايمان لابن منده ٢/٥٢١ بنحوه.

٢) المستدرك ٤/٤٥٤ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، دلائل النبوة للبيهقي ٦/٣٣٠.

٣) الترمذي ٥/١٨ وقال: حسن صحيح، المعجم الكبير للطبراني ١٧/١٦، كتاب الأمثال لأبي الشيخ الأصبهاني ٢/١٩٠ إلى قوله:"الجبل".

٤) زوائد مسند الإمام أحمد ٤/٧٣، مجمع الزوائد ٧/٢٧٨ وقال: رواه عبد الله والطبراني وفيه: إسحق بن عبد الله بن أبي فروة، وهو متروك.

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الإيمان لينحاز إليها - يعني المدينة - كما يحوز السيل الغثاء، والله إن تربتها لمؤمنة»(١).

فضل الموت في المدينة

- عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها» (٢).

- عن صميتة الليثية رضي الله عنها - وكانت في حجر النبي ﷺ - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت، فإنه من مات بالمدينة كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة» (٣).

وفي رواية: «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت، فإنه يمت شهيداً ويشفع له» (٤).

- عن رجل من آل عمر عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زار قبري - أو زارني - كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة» (٥).

---

(١) العلل لابن أبي حاتم ١/٢٩٩، الكامل لابن عدي ٣/١٠٨٢ (مختصراً) في إسناده موسى بن يعقوب وهو ضعيف.

(٢) الترمذي ٥/٦٧٦، ابن ماجه وفيه: "فإني أشهد لمن مات بها" ٢/١٠٣٩، المسند ٢/٤٧ و ١٠٤، ابن حبان ٦/٢١، شرح السنة ٧/٣٢٤.

وأرسله نافع في رواية عن النبي ﷺ. ابن أبي شيبة ١٢/١٧٩.

(٣) ابن حبان ٦/٢١، المعجم الكبير للطبراني ٢٤/٣٣١ و ٣٣٢ و ٢٥/١٨٦، معجم الشيوخ لابن جميع: ٣٥٣، الجامع لشعب الايمان للبيهقي ٨/١١٢.

وروي مثله عن سبيعة بنت الحارث الأسلمية رضي الله عنها. المعجم الكبير للطبراني ٢٤/٢٩٤، الجامع لشعب الايمان ٨/١١٤.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٢٤/٣٣١.

(٥) الطيالسي: ١٢. وهو ضعيف لجهالة بعض رواته.

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات في أحد الحرمين بعث آمناً يوم القيامة» (١).

- عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي، وكان يوم القيامة من الآمنين» (٢).

---

١) المعجم الصغير للطبراني ٢/٢٢، الجامع لشعب الايمان للبيهقي ٨/١١١. قال الطبراني: لم يروه عن أبي الزبير إلا عبد الله بن المؤمل. المعجم الصغير ٢/٢٢، وعبد الله ضعيف.

٢) المعجم الكبير للطبراني ٦/٢٩٤، الجامع لشعب الايمان ٦/٢٩٤. قال الهيثمي: فيه عبد الغفور بن سعيد وهو متروك. مجمع الزوائد ٢/٣١٩، فالحديث واه.

- عن أبي حميد رضي الله عنه قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: « هذه طابة، وهذا أُحُد، جبل يحبنا ونحبه»(١).

وفي أخرى: «هذه طابة». دون ذكر أحد(٢).

- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى سمى المدينة طابة»(٣).

وفي رواية: «إن النبي ﷺ سمى المدينة طابة»(٤).

وفي أخرى: «سماها رسول الله ﷺ طيبة»(٥).

وفي رواية: «إن الله عز وجل أمرني أن أسمي المدينة طيبة»(٦).

- عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: أن النبي ﷺ ذكر المدينة فقال: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة»(٧).

- ابن أبي ليلى، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول

---

١) البخاري ٢٦/٦، مسلم ١٠١١/٢، المسند ٤٢٤/٥، ابن شبة ٨٢/١، دلائل النبوة للبيهقي ٢٦٦/٥.

٢) البخاري ٥٠/٣، ابن شبة ١٦٤/١.

٣) مسلم ١٠٠٧/٢، ابن أبي شيبة ١٧٩/١٢، المسند ٨٩/٥ و ١٠١ و١٠٦ و١٠٨ و ٩٤ و ٩٦ و٩٧ و٩٨، ابن شبة ١٦٤/١، المعجم الكبير للطبراني ٢١٧/٢ و٢٣٣ و٢٣٤.

٤) المسند ١٠٨/٥، ابن حبان ١٧/٦.

وروى مثله النعمان بن بشير رضي الله عنه. ابن شبة ١٦٥/١.

٥) الطيالسي ١٠٤، ابن شبة ١٦٣/١ و١٦٤.

٦) المعجم الكبير للطبراني ٢٣٦/٢.

٧) مسلم في حديث طويل (رقم:٢٩٤٢)، الترمذي ٥٢١/٤، الحميدي ١٧٧/١، ابن أبي شيبة ١٨٠/١٢، المسند ٣٧٣/٦ و ٤١٢، ابن حبان ١٨/٦، دلائل النبوة للبيهقي ٤١٦/٥.

الله ﷺ: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل، هي طابة، هي طابة» مرتين(١).

وفي رواية، ثلاث مرات(٢).

وأرسله عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي ﷺ، إلا أنه قال: «هي طيبة» ثلاث مرات(٣).

وفي رواية مرتين(٤).

وفي أخرى: «هي طابة» ثلاث مرات(٥).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله» (٦).

- عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى أن يقال للمدينة يثرب»(٧).

- عن زيد بن أسلم قال: قال النبي ﷺ: «للمدينة عشرة أسماء، وهي: المدينة، وطيبة، وطابة، ومسكينة، وجبار، ومجبورة، ويندد، ويثرب».

قال أحد رواته: عن عبد الله بن جعفر قال: (سمى الله المدينة: الدار والإيمان). قال: فجاء في حديث الأول ثمانية أسماء، فالله أعلم أهما تمام العشرة، أم لا ؟ (٨).

---

١) المسند ٤/٢٨٥.

٢) ابن شبة ١/١٦٥.

٣) المصنف لعبد الرزاق ٩/٢٦٧ و٢٦٨.

٤) فضائل المدينة للجندي ٢٦.

٥) ابن شبة ١/١٦٤.

٦) ابن شبة ١/١٦٥ .

٧) ابن شبة ١/١٦٥.

٨) ابن شبة ١/١٦٢. أحد رواته - عبد العزيز بن عمران - متروك، احترقت كتبه فحدث من حفظه، فاشتد غلطه.

تمر المدينة وتربتها

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أكل سبع تمرات من بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي» (١).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن في عجوة العالية شفاء، وإنها ترياق أول البُكرة» (٢).

وفي رواية: «من أكل سبع تمرات عجوة من تمر العالية حين يصبح لم يضره سم ولاسحر حتى يمسي» (٣).

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرضت مرضاً، فأتاني رسول الله ﷺ يعودني، فوضع يده بين ثديي، حتى وجدت بردها على فؤادي، فقال: «إنك رجل مفؤود، ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة، فليجأهُنّ بنواهن، ثم ليدلك بهن» (٤).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة، أو جرح قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا - ووضع سفيان بن عيينة - سبابته بالأرض ثم رفعها، وقال: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليشفى به سقيمنا، بإذن ربنا» (٥).

---

١) مسلم (رقم:٢٠٤٧)، المسند ١٦٨/١ و ١٧٧، المنتخب لعبد بن حميد ١٧٩/١ بنحوه، أبو يعلى ١٢٠/٢، السنن الكبرى ٣٤٥/٩.

٢) مسلم (رقم:٢٠٤٨)، ابن أبي شيبة ١٩/٨، المسند ٧٧/٦ بنحوه، ١٠٥، شرح السنة للبغوي ٣٢٥/١١.

٣) المعجم الصغير للطبراني ١٩/١.

٤) أبو داود ٢٠٧/٤، غريب الحديث للخطابي ١٩٥/١.

٥) البخاري ١٧٦/١٠ و ١٧٧، مسلم (رقم: ٢١٩٤) واللفظ له، أبو داود ٢١٩/٤، الحميدى ١٢٣/١، أبن أبي شيبة ٣١٣/١٠، المسند ٩٣/٦.

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «إن المدينة تربتها مؤمنة» (١).

عمارة المسجد النبوي وفضل طلب العلم فيه

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ بني النجار، فجاؤوا متقلدين بسيوفهم قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه، وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب فكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم. قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملأ بني النجار فجاؤوا فقال: «يابني النجار ثامنوني حائطكم هذا»، فقالوا: لا والله لانطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى، قال أنس: فكان فيه ما أقول لكم، كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب، وكان فيه نخل، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، قال فصفو النخل قبلة المسجد، قال: وجعلوا عضادتيه حجارة، قال: جعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقولون: «اللهم إنه لاخير إلا خير الآخرة، فانصر الأنصار والمهاجرة» (٢).

وروي مختصراً (٣).

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان سقف المسجد من

---

١) الكامل لابن عدي ١٠٨٢/٣. وفي سنده ضعف.

٢) البخاري ١٧٠/٥ (واللفظ له) و ١٨٦/١، مسلم (رقم:٥٢٤)، ابو داود ١٢٣/١ وفي رواية: "حرث" بدل "خرب" و "فاغفر" بدل "فانصر" ١٢٤/١، النسائي ٣٩/٢، المسند ٢١١/٣ ، أبويعلى ١٩٣/٧، أبو عوانة ٣٩٧/١ و ٣٩٨ .

٣) البخاري ٤٩/٣ و١٤٣ و٦١/٤ و ٦٢ و٦٤، ابن أبي شيبة ٣٨٨/٣، أبو يعلى ١٩٢/٧ بنحوه، ابن خزيمة ٥/٢.

جريد النخيل، فأمر عمر في خلافته ببناء المسجد وقال: أكِنّ الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس»(١).

- عن الحسن رضي الله عنه قال: كان مسجد رسول الله ﷺ مربداً لغلامين من الأنصار، يقال لهما سهل وسهيل، فلما رآه النبي ﷺ أعجبه، فكلم عمهما - وكانا في حجره - أن يبتاعه منهما، فطلبه عمهما منهما فقال: وما تصنع به؟ فلم يجد بداً من أن يخبرهما، فأخبرهما أن رسول الله ﷺ أراده، فقالا: نحن نعطيه إياه فأعطياه رسول الله ﷺ فبناه وقال الحسن: فأدركت فيه أصول النخل غلاب - يعني غلاظاً - وكان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذعٍ منها ويسند إليها ظهره، ولايصل إليه، فلما اتخذ النبي ﷺ المنبر وجلس عليه، حن الجذع كما يحن البعير، فأتاه رسول الله ﷺ فهدأه ومسه حتى سكن.

فقال الحسن: فيا سبحان الله هذا جذع يحن إلى رسول الله ﷺ فكيف بنا ونحن ناس(٢).

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه فقلت: يارسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: «هو مسجدكم هذا» لمسجد المدينة(٣).

وفي رواية: امترى رجل من بني خدرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال الخدري: هو مسجد رسول الله ﷺ، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ في ذلك فقال: «هو هذا»

---

١) البخاري ١/٤٤٨ و ٤٤٩.

٢) فضائل المدينة للجندي ٣٧، دلائل النبوة للبيهقي ٢/٥٠٣ بنحو، و ٥٣٨.

٣) مسلم ٢/١٠١٥، ابن أبي شيبة ٢/٣٧٢، المسند ٣/٢٤، أبو يعلى ٢/٣٠٣، السنن الكبرى للبيهقي ٥/٢٤٦ بنحوه، دلائل النبوة له ٢/٥٤٤ و ٥/٢٦٣ و٢٦٤ بنحوه.

يعني مسجده «وفي ذلك خير كثير»(١).

وفي رواية: «هو مسجدي هذا» وليس فيه: «وفي ذلك...»(٢).

- عن أبي بن كعب رضي الله عنه. عن النبي ﷺ قال: «المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجدي»(٣).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما «كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه بالجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر، وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه

---

١) الترمذي ١٤٤/٢، ابن أبي شيبة ٣٧٢/٢، المسند ٢٣/٣ و٩١، أبو يعلى ٢٧٢/٢، ابن حبان ٧٤/٣، المستدرك ٤٨٧/١، شرح السنة للبغوي ٣٤٠/٢.

٢) الترمذي ٢٦١/٥، النسائي ٣٦/٢، ابن أبي شيبة ٣٧٢/٢، المسند ٨/٣ و٨٩، فضائل المدينة للجندي: ٣٥، ابن حبان ٦٧/٣، المستدرك ٣٣٤/٢، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٦/٥، دلائل النبوة له ٥٤٥/٢ و ٢٦٤/٥.

وفي الباب عن سهل بن سعد رضي الله عنه. ابن أبي شيبة ٣٧٢/٢، المسند ٥٣١/٥ و٣٣١ و ٣٣٥، المنتخب لعبد بن حميد ٤٢٠/١، ابن حبان ٦٦/٣ (روايتان)، المعجم الكبير للطبراني ٢٠٧/٦.

و زيد بن ثابت رضي الله عنه. المعجم الكبير للطبراني ١٣٣/٥.

و أبي بن كعب رضي الله عنه. المسند ١١٦/٥، المنتخب لعبد بن حميد ١٩١/١، فضائل المدينة للجندي: ٣٥، المستدرك ٣٣٤/٢.

٣) ابن أبي شيبة ٣٧٣/٢ و ٢١٠/١٢، المسند ١١٦/٥.

وروى مثله زيد بن ثابت رضي الله عنه. فضائل المدينة للجندي: ٣٤، المعجم الكبير للطبراني ١٢٦/٥ و ١٣٣ بمعناه.

وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه. فضائل المدينة للجندي ٣٤، المستدرك ٣٣٤/٢.

وروي مرسلاً عن خارجة بن زيد. ابن أبي شيبة ٣٧٢/٢، فضائل المدينة للجندي: ٣٥.

ساجاً»(١).

وفي رواية: «أن مسجد النبي ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل، أعلاه مظلل بجريد النخل، ثم إنها نخرت في خلافة أبي بكر، فبناها بجذوع النخل، وبجريد النخل، ثم إنها نخرت في خلافة عثمان، فبناها بالآجر فلم تزل ثابتة حتى الآن». (٢).

- عن نافع رحمه الله: أن عمر رضي الله عنه زاد في المسجد من الإسطوانة إلى المقصورة، وزاد عثمان رضي الله عنه، وقال عمر رضي الله عنه: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نبغي نزيد في مسجدنا» مازدت فيه(٣).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»(٤).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كانوا يحملون اللبن إلى بناء المسجد ورسول الله ﷺ معهم، قال: فاستقبلت رسول الله ﷺ وهو عارض لبنة على بطنه فظننت أنها قد شقت عليه قلت: ناولينها يارسول الله قال: «خذ غيرها ياأبا هريرة، فإنه لاعيش إلا عيش الآخرة»(٥).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من جاء مسجدي، لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في

---

١) البخاري ١٩٣/١، أبو داود ١٢٣/١، عبد الرزاق ١٥٣/٣، ابن خزيمة ٢٨٢/٢، ابن حبان ٦٥/٣، دلائل النبوة للبيهقي ٥٤٠/٢.
٢) أبو داود ١٢٣/١، دلائل النبوة للبيهقي ٥٤١/٢.
٣) المسند ٤٧/١.
٤) البخاري ٤٥٠/١ - ٤٥١ في حديث طويل.
٥) المسند ٣٨١/٢.

سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره(١).

- عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد لايريد إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه، كان له أجر معتمر تام العمرة، ومن راح إلى المسجد لايريد إلا ليتعلم خيراً، أو يعلمه، كان له أجر حاج تام الحجة»(٢).

وفي رواية: «من غدا إلى المسجد لايريد إلا أن يتعلم خيراً، أو يعلمه، كان له كأجر حاج تاماً حجته»(٣).

- عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من دخل مسجدي هذا ليتعلم خيراً، أو ليعلمه، كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان بمنزلة من يرى ما يعجبه وهي شيء غيره»(٤).

شد الرحال إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و مسجدي هذا، والمسجد الأقصى» (٥).

---

١) ابن ماجه ٨٢/١، ابن أبي شيبة ٣٧١/٢ و ٢٠٩/١٢، المسند ٣٥٠/٢ بنحوه و٤١٨، أبو يعلى ٣٥٩/١١، ابن حبان ١٥١/١.

٢) المستدرك ٩١/١، الآداب للبيهقي: ٥٢٤.

٣) المعجم الكبير للطبراني ١١١/٨.

٤) المعجم الكبير للطبراني ٢١٥/٦.

٥) البخاري ٦٣/٣، مسلم ١٠١٤/٢، ١٠١٥ إلا أنه قال: "تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد ...."، ابن ماجه ٤٥٢/١، أبو داود ٢١٦/٢، النسائي ٣٧/٢، عبد الرزاق ١٣٢/٥، الحميدي ٤٢١/٢، ابن أبي شيبة ٦٥/٤ إلا أنه قال: "ومسجد الرسول" بدل "ومسجدي هذا"، ٦٧، المسند ٢٣٤/٢، ٢٣٨ إلا أنه قال: "تشد الرحال..."، ٢٧٨ و ٥٠١، أخبار مكة للفاكهي ٩٣/٢ بلفظ: "تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد..."، أبو يعلى ٢٨٣/١٠ بلفظ: "لاتشدوا الرحال..."، المنتقى لابن

وفي رواية: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، و مسجدي، ومسجد إيلياء» (١).

وفي رواية: «إنما الرحلة إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدكم هذا، ومسجد إيلياء» (٢).

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت أربعاً من النبي ﷺ فأعجبنني، قال: «لاتسافر المرأة مسيرة يومين إلا ومعها زوجها، أو ذو محرم. ولاصوم في يومين: الفطر، والأضحى. ولاصلاة بعد الصبح حتى تطلع

الجارود ١٨٢، ابن حبان ٧١/٣، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٤/٥ و ٨٢/١٠، شرح السنة للبغوي ٢٣٧/٢ بلفظ: "لاتشدوا...".

(١) مسلم ١٠١٥/٢، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٤/٥، دلائل النبوة له ٥٤٢/٢ و زاد في آخره فيهما: "والصلاة في مسجدي أحب إلي من ألف صلاة في غيره إلا مسجد الكعبة".

(٢) مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٤/١. ابن حبان ٧٥/٣.

وروى مثل حديث الباب:

أبو سعيد الخدري رضي الله عنه. الترمذي ١٤٨/٢ و قال: حديث حسن صحيح، ابن أبي شيبة ٣٧٤/٢، المسند ٧٨/٣، ٩٣ بلفظ: "لاتشد المطي... ومسجد المدينة، وبيت المقدس"، أخبار مكة للأزرقي ٦٣/٢ إلا أنه قال: "تشد الرحال إلى..."، المنتخب لعبد بن حميد ٩١/٢ بلفظ: "لاتشد المطي..."، مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٢/١، ابن حبان ٧١/٣، المعجم الأوسط ١٠٢/٣.

وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. ابن ماجه ٤٥٢/١، أخبار مكة للفاكهي ٩٩/٢.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه. كشف الأستار ٣/٢.

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. فضائل بيت المقدس للمقدسي ٤٢.

وأبو الجعد الضمري رضي الله عنه. كشف الأستار ٤/٢، مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٤/١، المعجم الكبير للطبراني ٣٦٦/٢٢، فضائل بيت المقدس للمقدسي ٤٣.

وواثلة بن الأسقع رضي الله عنه. فضائل بيت المقدس للمقدسي ٤٣ إلا أنه قال: "ومسجد بيت المقدس" بدل "والمسجد الأقصى".

الشمس، ولا بعد العصر حتى تغرب. ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا» (١).

- عن أبي بصرة الغفاري قال: لقيت أبا هريرة وهو يسير إلى مسجد الطور ليصلي فيه قال: فقلت له: لو أدركتك قبل أن ترتحل ما ارتحلت، قال: فقال: ولم؟ قال: فقلت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي» (٢).

وفي رواية مثله إلا أنه قال: «لاتعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد إيلياء» (٣).

---

١) البخاري ٩٤/٣ و ١٣٦/٢ و ١٣٨ و ٤٨/٣، مسلم ٩٧٥/٢، المسند ٧/٣ بنحوه و ٣٤/٣ و ٤٥ إلا أنه قال: "إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد إبراهيم، ومسجد محمد، وبيت المقدس" وفي روايات أخرى كحديث الباب ٤٥ و ٥١ و ٥٣، ٦٤ بلفظ: "لاينبغي للمطي أن تشد رحاله إلى مسجد ينبغي فيه الصلاة غير..." ، ٧١ و ٧٧ بنحوه، زيادات المسند ٧٧/٣، أبو يعلى ٣٨٨/٢ و ٣٩٣ و ٤٨٩ إلا أنه قال: "لاتشد رحال المطي إلى مسجد يذكر الله فيه إلا إلى ثلاثة مساجد..."، السنن الكبرى للبيهقي ٨٢/١٠، شرح السنة للبغوي ٣٣٦/٢.

٢) الطيالسي ١٩٢، ٣٢٧ إلا أنه قال: "تشد الرحال إلى.... "، عبد الرزاق ١٣٢/٥ و قال: "تشد الرحال..."، المسند ٣٩٧/٣ و اللفظ له و ٧/٦، مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٣/١، المعجم الكبير للطبراني ٢٧٧/٢، المعجم الأوسط ٣٧٨/٣ بلفظ: "إنما تضرب أكباد المطايا...".

٣) عبد الرزاق ١٣٣/٥، الحميدي ٤٢١/٢ و قال: "ومسجد بيت المقدس"، المسند ٧/٦، أخبار مكة للفاكهي ٩٧/٢ قال: "ومسجد بيت المقدس"، أبو يعلى ٤٣٥/١١ بلفظ: "تضرب أكباد المطي إلى ثلاثة مساجد..."، مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٢/١، وفي رواية عنده: "لاتضرب أكباد المطي إلا ..." ٢٤٢ و ٢٤٣، المعجم الكبير للطبراني ٢٧٦/٢ بلفظ: "لاتضرب المطايا..." وفي رواية: "إنما تضرب أكباد المطايا إلى ..." ٢٧٦، ٢٧٧ بلفظ: "لاتشد المطي ..."، المعجم الأوسط ٤٧١/١ بلفظ: "لاتضرب المطايا..."، معرفة الصحابة لأبي نعيم ١٣٦/٣، فضائل بيت المقدس للمقدسي ٤١.

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن خير ماركبت إليه الرواحل مسجدي هذا، والبيت العتيق» (١).

- عن قزعة البصري قال: أردت الخروج إلى الطور، فسألت ابن عمر، فقال ابن عمر: أما علمت أن النبي ﷺ قال: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى» ودع عنك الطور فلا تأته (٢).

فضل الصلاة في المسجد النبوي

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» (٣).

---

١) المسند ٣٥٠/٣ ، ٣٣٦ إلا أنه قال: "مسجد إبراهيم عليه السلام، ومسجدي"، المنتخب لعبد بن حميد ٢٦/٣، كشف الأستار ٤/٢ إلا أنه قال: "مسجد إبراهيم، ومسجد محمد ﷺ"، أبو يعلى ١٨٢/٤، مشكل الآثار للطحاوي ٢٤١/١ بلفظ: "مسجد إبراهيم عليه الصلاة و السلام، ومسجد محمد ﷺ"، ابن حبان ٧٠/٣، المعجم الأوسط للطبراني ٤١٥/١.

٢) عبد الرزاق ١٣٥/٥ ، ١٣٢ مقتصراً على المرفوع إلا أنه قال: "تشد الرحال إلى..."، ابن أبي شيبة ٣٧٤/٢ و ٦٥/٤، أخبار مكة للأزرقي ٦٥/٢ و اللفظ له، أخبار مكة للفاكهي ٩٤/٢، المعجم الكبير للطبراني ٣٣٧/١٢ مقتصراً على المرفوع، فضائل بيت المقدس للمقدسي ٤٢ مقتصراً على المرفوع إلا أنه قال: "لاتشد المطي. ..".

٣) البخاري ١٣٦/٢، مسلم ١٠١٢/٢، ١٠١٣ إلا أنه قال: "خير من ألف صلاة أو كألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام"، الموطأ ١٩٦/١، الترمذي ١٤٧/٢ و ٦٧٥/٥، عبد الرزاق ١٢١/٥، الحميدي ٤١٩/٢، المسند ٢٥٦/٢ و ٢٧٧ و ٤٦٦، ٤٨٤ إلا أنه قال في الرواية الأخيرة: "خير أو أفضل" على الشك، أخبار مكة للأزرقي ٦٤/٢، أخبار مكة للفاكهي ٩٥/٢، أبو يعلى ٢٧/١١ و ٤٣١، مسند ابن الجعد ١٠٥٩/٢، مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٥/١ و ٢٤٦، المعجم الأوسط للطبراني ٣٥٣/٢، معجم الشيوخ لابن جميع ١٣٧، السنن

وفي رواية مثله، إلا أنه قال: «أفضل من ألف صلاة....» (١).

وفي رواية: «صلاة في مسجدي هذا كألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة الجميع تعدل خمساً وعشرين من صلاة الفذ»(٢).

وفي رواية: «صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام، فإنها تزيد عليه مائة صلاة» (٣).

وفي رواية: عن أبي هريرة رضي الله عن قال: أتيت الطور فلقيني جميل بن بصرة، فقال لي: من أين جئت؟ فقلت: من الطور، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد» فلو صليت في هذا المسجد كان خيراً لك» (٤).

وفي رواية: «إن منبري على حوضي، وإن ما بين منبري وبين بيتي روضة من رياض الجنة، و صلاة في مسجدي هذا كألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» (٥).

الكبرى للبيهقي ٥/٢٤٦ و ١٠/٨٣، شرح السنة للبغوي ٢/٣٣٥.

١- مسلم ٢/١٠١٢، ابن ماجه ١/٤٥٠، النسائي ٥/٢١٣ و ٢١٤ وقال فيهما: "إلا مسجد الكعبة" بدل "إلا المسجد الحرام"، عبد الرزاق ٥/١٢٣، ابن أبي شيبة إلا أنه قال: "إلا الكعبة" بدل "إلا المسجد الحرام"، المسند ٤٦٦، ٤٦٨، وقال "إلا الكعبة"، ٤٧٣، ٤٩٩، الدارمي ١/٢٧١، أخبار مكة للفاكهي ٢/٩٦ و ٩٧، أبو يعلى ١٠/٢٤١ و ٢٧٨ و ١١/٤٠٤، فضائل المدينة للجندي ٣٤، مشكل الآثار للطحاوي ١/٢٤٧، ابن حبان ٣/٧٣، المعجم الأوسط للطبراني ٣/٧٦.

٢) المسند ٢/٤٨٥، الدارمي ١/٢٧٠ إلى قوله:"إلا المسجد الحرام".

٣) أخبار مكة للفاكهي ٢/١٠١. وروي مثله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ٢/١٠١.

٤) كشف الأستار ١/٢١٤.

٥) المسند ٢/٣٩٧ و ٥٢٨، كشف الأستار ١/٢١٦ بنحوه، أبو يعلى ١١/٢٨ بنحوه.

- وروى مثل حديث الباب عدد من الصحابة:

- ابن عمر رضي الله عنهما. مسلم ٢/١٠١٣ و ١٠١٤، ابن ماجه ١/٤٥١، النسائي

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن امرأة اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس، فبرأت، ثم تجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ تسلم عليها، فأخبرتها ذلك، فقالت: إجلسي فكلي ما صنعت، وصلي في مسجد الرسول ﷺ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من

٢١٣/٥، أبو يعلى ١٦٣/١٠، الطيالسي ٢٥١، عبد الرزاق ١٢١/٥، ابن أبي شيبة ٣٧١/٢، المسند ١٦/٢ و ٢٩ و ٥٣ و ٦٨ و ١٠١ و ١٥٥، الدارمي ٢٧٠/١، أخبار مكة للفاكهي ٩٦/٢ و ٩٩ و ١٠٠، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٦/٥.

- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. عبد الرزاق ١٢٠/٥، ابن أبي شيبة ٣٧١/٢ و ٢١١/١٢، المسند ٢٧٧/٢ و ٢٧٨، أخبار مكة للفاكهي ١٠٢/٢، العلل الكبير للترمذي ٢٤٠/١، أبو يعلى ١٤٦/٨.
- جبير بن مطعم رضي الله عنه. الطيالسي ١٢٨، ابن أبي شيبة ٣٧١/٢ و ٢١١/١٢، المسند ٨٠/٤، أخبار مكة للفاكهي ٩١/٢، كشف الأستار ٢١٣/١، مشكل الآثار ٢٤٦/١، المعجم الكبير للطبراني ١٣٢/٢ و ١٣٣ و ١٤٣ و ١٤٤.
- أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها. النسائي ٣٣/٢، عبد الرزاق ١٢١/٥، ابن أبي شيبة ٣٧١/٢ و ٢٠٩/١٢، المسند ٣٣٤/٦، أخبار مكة للفاكهي ١٠٣/٢، المعجم الكبير للطبراني ٤٢٥/٢٣.
- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. المسند ١٨٤/١، أبو يعلى ١١٢/٢.
- عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما. الطيالسي ١٩٥، عبد الرزاق ١٢١/٥ و ١٢٢، الحميدي ٤٢٠/٢، أخبار مكة للأزرقي بنحوه ٦٤/٢، أخبار مكة للفاكهي ١٠٤/٢، كشف الأستار ٢١٤/١، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٦//٥.
- أنس بن مالك رضي الله عنه. كشف الأستار ٢١٣/١ و ٢١٤، شرح السنة للبغوي ٣٣٥/٢.
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أخبار مكة للفاكهي ٩٠/٢.
- أبو سعيد الخدري رضي الله عنه. كشف الأستار ٢١٥/١.

المساجد إلا مسجد الكعبة» (١).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: صلاة في مسجد رسول الله ﷺ أفضل سن ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، فإن رسول الله ﷺ آخر الأنبياء، وإن مسجده آخر المساجد.

وعنه رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فإني آخر الأنبياء، وإن مسجدي آخر المساجد» (٢).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى في مسجدي أربعين صلاة لايفوته صلاة كتبت له براءة من النار، ونجاة من العذاب، وبرئ من النفاق» (٣).

- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، و صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» (٤).

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي

---

١) مسلم ١٠١٤/٢، المسند ٣٣٣/٦، مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٦/١، السنن الكبرى للبيهقي ٨٣/١٠، وروي مختصراً، كما مر في الحديث السابق.

٢) مسلم ١٠١٢/٢، النسائي ٣٥/٢، أخبار مكة للفاكهي ٩٥/٢ نحوه، ابن حبان ٧٢/٣.

٣) المسند ١٥٥/٣. قال الهيثمي: رواته رواة الصحيح. مجمع الزوائد ٨/٤.

٤) ابن ماجه ٤٥١/١، المسند ٣٩٧/٣ و ٣٤٣ نحوه، أخبار مكة للفاكهي ٩٠/٢ بزيادة في آخره: "وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة"، مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٦/١.

وروى مثله ابن الزبير رضي الله عنهما. المسند ٥/٤، أخبار مكة للفاكهي ٨٩/٢، العلل الكبير للترمذي ٢٤٠/١، مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٥/١، ابن حبان ٧١/٣.

مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة» (١).

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء، و مسجدي خاتم المساجد، وأحق المساجد أن يزار و تركب إليه الرواحل المسجد الحرام ومسجدي هذا. وصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» (٢).

- عن الأرقم رضي الله عنه قال: جئت رسول الله ﷺ لأودعه، وأردت الخروج إلى بيت المقدس، قال: «وما يخرجك إليه، أفي تجارة؟» قلت: لا، ولكني أصلي فيه، فقال رسول الله ﷺ: «صلاة هاهنا خير من ألف صلاة ثم»(٣).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في بيته بصلاة، و صلاته في مسجد القبائل بخمس و عشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه خمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة، و صلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة» (٤)- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: الصلاة في مسجدك أفضل أم الصلاة في بيت المقدس؟ فقال: «الصلاة في مسجدي مثل أربع صلوات في مسجد بيت المقدس، ولنعم المصلى، هو أرض المحشر، وأرض المنتشر» (٥).

---

١) كشف الأستار ٢١٢/١، مشكل الآثار للطحاوي ٢٤٨/١. قال الهيثمي: حديث حسن. مجمع الزوائد ٧/٤.

٢) أخبار مكة للفاكهي ٩٣/٢، كشف الأستار ٥٦/٢ نحوه. قال الهيثمي: رواه البزار وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٤/٤.

٣) المعجم الكبير للطبراني ٣٠٦/١، المسترك ٥٠٤/٣ و قال: هذا حديث صحييح الإسناد ولم يخرجاه، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٣٨١/٢، وروي مختصراً، أخبار مكة للفاكهي ٩٢/٢.

٤- ابن ماجه ٤٥٣/١، فضائل بيت المقدس للمقدسي ٥٢. وهو حديث ضعيف.

- عن بلال بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان، وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان» (١).

---

٥) مشكل الآثار للطحاوي ١/٢٤٨، الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ٨/٨٣.

١) المعجم الكبير للطبراني ١/٣٧٢. قال الهيثمي: فيه عبد الله بن كثير وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٣/٣٠١.

الروضـــة والمنبر

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي» (١).

وفي رواية بلفظ: «مابين قبري ومنبري...» (٢).

وفي رواية: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة» (٣).

وفي رواية: «إن منبري على حوضي، وإن ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة، وصلاة في مسجدي هذا كألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا

---

١) البخاري ١٣٧/٢ و ٥٥/٣ و٢١٧/٨ و ١٨٨، مسلم ١٠١١/٢ وأخرجه في الموطأ هكذا: عن أبي هريرة أو أبي سعيد رضي الله عنهما ١٧٩/١، عبد الرزاق ١٨٢/٣، المسند ٢٣٦/٢ و٣٧٦ و ٤٠١ و ٤٣٨ و ٤٦٥ و٥٣٣ وقال في الروايتين الأخيرتين عن أبي هريرة أو أبي سعيد، وفي ٤٤/٣ عن أبي هريرة وأبي سعيد، ابن حبان ٢٤/٦، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٦/٥، دلائل النبوة له ٥٦٣/٢، شرح السنة للبغوي ٣٣٧/٢ عن أبي هريرة أو أبي سعيد.

وروي مثله عن ابن عمر رضي الله عنهما. مشكل الآثار ٦٨/٤، المعجم الكبير للطبراني ٢٩٤/١٢، المعجم الأوسط له ٤١٢/١.

٢) ابن أبي شيبة ٤٣٩/١١، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٦/٥.

٣) المسند ٤٠١/٢ و ٤١٢ بنحوه و٥٣٤ بنحوه، المعجم الصغير للطبراني ٢٤٩/٢.

وروي مثله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. المسند ٣٨٩/٣، أبو يعلى ٣١٩/٣ و ٤٦٢ إلا أنه قال: "حجرتي" بدل "بيتي" فيهما، مشكل الآثار ٧٠/٤.

وآخر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. مسند أبي بكر للمروزي ١٥٢، أبو يعلى ١٠٩/١.

وآخر عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه . المسند ٤٠/٤ إلا أنه قال: "ما بين هذه البيوت إلى منبري...".

وآخر عن عمر رضي الله عنه. مشكل الآثار للطحاوي ٦٨/٤ إلا أنه قال: "وضع منبري علىٰ ترعة من ترعات الجنة ...".

المسجد الحرام»(١).

- عن عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» (٢).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن منبري هذا لعلى ترعة من ترع الجنة»(٣).

- عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، وقوائم منبري رواتب في

---

١) المسند ٣٩٧/٢ و٥٢٨ ، مشكل الآثار ٦٩/٤.

٢) البخاري ١٣٧/٢، مسلم ١٠١٠/٢ (روايتان)، الموطأ ١٩٧/١، عبد الرزاق ١٨٣/٣، المسند ٣٩/٤ و ٤٠ و ٤١، النسائي ٣٥/٢، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٧/٥، شرح السنة للبغوي ٣٣٨/٢.

وروى مثله علي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهما. الترمذي ٦٧٥/٥.

و جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. كشف الأستار ٥٧/٢.

و معاذ بن الحارث رضي الله عنه. كشف الأستار ٥٧/٢.

و أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. فضائل المدينة للجندي ٣٩، المعجم الكبير للطبراني ٢٥٥/٢٣.

و سعد رضي الله عنه. كشف الأستار ٥٦/٢. بزيادة: "أو قبري ومنبري" بعد "مابين بيتي ومنبري".

٣) ابن أبي شيبة ٤٧٨/١١، المسند ٣٦٠/٢ و٤٥٠، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٧/٥، شرح السنة للبغوي ٣٣٩/٢.

وروى مثله سهل بن سعد رضي الله عنه. المسند ٣٣٥/٥ و٣٣٩، مسند ابن الجعد ١٠٥٥/٢، مشكل الآثار ٧١/٤، المعجم الكبير للطبراني ١٤٢/٦ و ١٤٩ و١٩٩، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٧/٥.

و معاذ بن الحارث رضي الله عنه . كشف الأستار ٥٧/٢.

ورواه الجندي في فضائل المدينة عن شيخ من الأنصار من أهل المدينة ص: ٤٠.

الجنة»(١).

وفي رواية: «إن قوائم منبري رواتب في الجنة». دون أوله (٢).

- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما بين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة»(٣).

- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « منبري على ترعة من ترع الحوض»(٤).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»(٥).

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ (٦).

- عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه كان يتحرى موضع مكان

---

١)- مسند الحميدي ١٣٩/١، فضائل المدينة للجندي ٣٩، مشكل الآثار ٦٨/٤ إلا أنه قال: "مابين قبري" بدل "بيتي".

وروى مثله سهل بن سعد رضي الله عنه. السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٧/٥.

٢) النسائي ٣٥/٢، عبد الرزاق ١٨٢/٣، المسند ٢٨٩/٦ و٢٩٢ و٣١٨، ابن حبان ٢٤/٦، المعجم الكبير للطبراني ٢٥٤/٢٣(روايتان)، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٨/٥، دلائل النبوة للبيهقي ٥٦٤/٢.

وروي مثله عن أبي واقد رضي الله عنه. المعجم الكبير للطبراني ٢٤٥/٣،المستدرك ٥٣٢/٣. قال الهيثمي: فيه يحيى الحماني وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٩/٤.

٣) المعجم الكبير للطبراني ١٤٧/١، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٤٢١/١، ابن شبة ١٣٨/١. بمعناه وفيه عبد العزيز بن عمران وهو متروك.

وروي مثله عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. كشف الأستار ٥٦/٢.

٤) غريب الحديث للحربي ٢٠٣/١.

٥) المسند ٦٤/٣، أبو يعلى ٤٩٦/٢، مشكل الآثار٧٠/٤.

٦) مشكل الآثار ٦٩/٤، المعجم الأوسط للطبراني ٣٦٠/١.

وروى مثله عبد الله بن زيد رضي الله عنه. مشكل الآثار ٧٠/٤ (ثلاث روايات).

المصحف يسبح فيه، وذكر أن رسول الله ﷺ كان يتحرى ذلك المكان، وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر شاة(١).

وفي رواية: قيل له: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال:

رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها(٢).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «إن في المسجد لبقعة قبل هذه الإسطوانة، لو يعلم الناس ما صلوا فيها إلا أن يطير لهم فيها قرعة». وعندها جماعة من أصحابه، وأبناء المهاجرين فقالوا: ياأم امؤمنين، وأين هي؟ فاستعجمت عليهم، فمكثوا عندها ساعة، ثم خرجوا، وثبت عبد الله بن الزبير فقالوا: إنها ستخبره بذلك المكان، فأرمقوه في المسجد حتى ينظروا حيث يصلي، فخرج بعد ساعة، فصلى عند الإسطوانة التي صلى إليها ابنه عامر، وقيل لها إسطوانة القرعة.

قال أحد رواته - عتيق بن يعقوب -: وهي الاسطوانة التي واسطة بين القبر والمنبر، عن يمينها إلى المنبر اسطوانتان وبينها وبين المنبر اسطوانتان، وبينها وبين الرحبة اسطوانتان، وهي واسطة بين ذلك، وهي تسمى إسطوانة القرعة(٣).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا اعتكف يطرح له فراشه أو سريره إلى إسطوانة التوبة مما يلي القبلة يستند إليها(٤).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقول في الإسطوانة التي ارتبط إليها

---

١) مسلم ١/٣٦٤.

٢) البخاري ١/٤٧٥، مسلم ١/٣٦٤، المسند ٤/٤٨، السنن الكبرى للبيهقي ٥/٢٤٧.

٣) المعجم الأوسط ١/٤٧٥-٤٧٦.

٤) السنن الكبرى للبيهقي ٥/٢٤٧.

أبو لبابة: الثالثة من القبر، وهي الثالثة من الرحبة(١).

قبـــاء

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يأتي قباء راكباً وماشياً» (٢).

- وفي رواية: «أنه كان يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً» (٣).

- وفي رواية: «أن رسول الله كان يزور قباء راكباً وماشياً» (٤).

- وفي رواية: «كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفعله» (٥).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يأتي قباء راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين» (٦).

- عن سهل بن حنيف رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ، فأحسن وضوءه، ثم جاء مسجد قباء، فركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل

---

١) السنن الكبرى ٢٤٧/٥.

٢) البخاري ١٣٧/٢ و١٨٧/٩، مسلم ١٠١٦/٢ و١٠١٧ (خمس روايات)، أبو داود ٢١٨/٢، النسائي ٣٧/٢، الموطأ ١٦٧/١، الزهد لوكيع ٦٨٨/٣ و٦٨٩، ابن أبي شيبة ٢١١/١٢، المسند ٣٠/٢ و٥٨ و٦٥ و١٠١ و١٠٧، المنتخب لعبد بن حميد ٣١/٢، ابن حبان ٧١/٣ و٧٥ (ثلاث روايات)، معجم الشيوخ لابن جميع ٣٣١، السنن الكبرى للبيهقي٢٤٨، شرح السنة للبغوي ٣٤٣/٢.

٣) ابن أبي شيبة ٣٧٣/٢، المسند ٥٧/٢ و٥٨ و٨٠ و١٥٥، فضائل المدينة للجندي ٤٢، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٨/٥.

٤) مسلم ١٠١٦/٢، المسند ٥٠٤/٢، ابن حبان ٧٥/٣ و١٣٦.

٥) البخاري ١٣٧/٢، مسلم ١٠١٧/٢ دون ذكر: مسجد، مسند الحميدي ٢٩١/٢، ابن حبان ٧٥/٣، شرح السنة للبغوي ٣٤٣/٢.

٦) البخاري ١٣٧/٢، مسلم ١٠١٦/٢ وفيه: "مسجد قباء"، أبو داود ٢١٨/٢، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٨/٥، شرح السنة للبغوي ٣٤٣/٢.

عمرة»(١).

- وفي رواية: «من خرج حتى يأتي هذا المسجد -يعني مسجد قباء- فيصلي فيه كان كعدل عمرة» (٢).

- عن أسيد بن ظهير رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الصلاة في مسجد قباء كعمرة»(٣).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه شهد جنازة بالأوساط في سعد بن عبادة، فأقبل ماشياً إلى بني عمرو بن عوف بقباء بني الحارث بن الخزرج، فقيل له أين تؤم يا أبا عبد الرحمن؟ قال أؤم هذا المسجد في بني عمرو بن عوف، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى فيه كان كعدل عمرة»(٤).

- عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من

---

١) الزهد لوكيع ٣/٦٩٠ بلفظ: "فصلى فيه ركعتين أو أربع"، ابن أبي شيبة ٢/٣٧٣ و١٢/٢١٠، المنتخب لعبد بن حميد ١/٤٢٢، ابن شبة ١/٤١، المعجم الكبير للطبراني ٦/٧٥ إلا أنه قال: "عدل رقبة" بدل "عدل عمرة" وفي رواية عنده: "ثم صلى في مسجد قباء ركعتين" ٦/٧٥ .

٢) ابن ماجه ١/٤٥٣ بزيادة في أوله: "من تطهر في بيته"، النسائي ٢/٣٧ واللفظ له، المسند ٣/٤٨٧ (روايتان)، ابن شبة ١/٤٠ بزيادة في أوله: "من تطهر في بيته..."وفي رواية عنده بزيادة: "لاينزعه إلا الصلاة .." ١/٤١ وبمعناه ٤٣، فضائل المدينة للجندي ٤١ و فيه: "من توضأ في أهله فأحسن في وضوئه ثم خرج عامداً إلى المسجد لاتنزعه حاجة إلا الصلاة فيه ..."، المعجم الكبير للطبراني ٦/٧٤ و ٧٥، المستدرك ٣/ ١٢ وقال: حديث صحيح الإسناد، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٢/١٣٠.

٣) ابن ماجه ١/٤٥٣، الترمذي ٢/١٤٥ وقال: حديث حسن غريب، ابن أبي شيبة ٢/٣٧٣ و ١٢/٢١٠، ابن شبة ١/٤١، المعجم الكبير للطبراني ١/٢١٠، المستدرك ١/٤٨٧، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٢/٢٦٢، السنن الكبرى للبيهقي ٥/٢٤٨، شرح السنة للبغوي ٢/٣٤٤.

٤) ابن حبان ٣/٧٤.

توضأ فأسبغ الوضوء، ثم عمد إلى مسجد قباء لايريد غيره، ولم يحمله على الغدو إلا الصلاة في مسجد قباء، فصلى فيه أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بأم القرآن كان له مثل أجر المعتمر إلى بيت الله (١).

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم الإثنين إلى قباء» (٢).

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يأتي قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان (٣).

- عن الشموس بنت النعمان رضي الله عنها قالت: نظرت إلى رسول الله ﷺ حين قدم، ونزل وأسس هذا المسجد، مسجد قباء، فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره الحجر، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه وسرته، فيأتي الرجل من أصحابه ويقول: بأبي وأمي يارسول الله أعطني أكفك، فيقول: «لا، خذ حجراً مثله» حتى أسسه، ويقول: «إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة» قالت: فكان يقال: إنه أقوم مسجد قبلة (٤).

- عن جرير رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال لأصحابه: «انطلقوا بنا إلى أهل قباء فنسلم عليهم» ورحبوا به، ثم قال: «ياأهل قباء ايتوني بأحجار من هذه الحرة» فجمعت عنده أحجار كثيرة ومعه عَنَزَة له، فخط قبلتهم، فأخذ حجراً، فوضعه رسول الله ﷺ، ثم قال: «ياأبا بكر، خذ حجراً فضعه إلى حجري» ثم قال: «ياعمر، خذ حجراً فضعه إلى

---

١) المعجم الكبير للطبراني ١٤٦/١٩. قال الهيثمي: أحد رواته ضعيف، مجمع الزوائد ١١/٤.

٢) مسلم، أبو عوانة ٢٨٥/١، المسند ٧/٣، ابن شبة ٤٥/١ (مرسلاً).

٣) ابن شبة ٤٤/١، وأرسله محمد بن المنكدر رحمه الله ٤٤/١. في سنده عبد العزيز بن عمران، وهو متروك.

٤) المعجم الكبير للطبراني ٣١٨/٢٤ و٣١٧ بنحوه. قال الهيثمي: رجاله ثقات. مجمع الزوائد ١١/٤.

جنب حجر أبي بكر» ثم التفت فقال: «ياعثمان خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر عمر» ثم التفت إلى الناس بآخرة فقال: «وضع رجل حجره حيث أحب على ذي الخط» (١).

- عن أبي جعفر الخطمي رحمه الله أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه كان يقول وهم يبنون مسجد قباء: أفلح من يعالج المساجدا. فقال رسول الله ﷺ: «المساجدا». فقال عبد الله: ويقرأ القرآن قائماً وقاعدا. فقال رسول الله ﷺ: «قاعدا». فقال عبد الله: ولا يبيت الليل عنه راقدا. فقال رسول الله ﷺ: «راقدا» (٢).

- عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: مالرسول الله ﷺ بد من أن نجعل له مكاناً إذا استيقظ من قائلته استظل فيه، وصلى فيه، فجمع عمار حجارة، فسوى مسجد قباء، فهو أول مسجد بني، وعمار بناه (٣).

أحـــد

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعاً، وبدا له أحد قال: «هذا جبل يحبنا ونحبه» ثم أشار بيده إلى المدينة: «اللهم إني أحرم ما بين لابتيها، كتحريم إبراهيم مكة، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا» (٤).

---

١) المعجم الكبير للطبراني ٣٣٩/٢. قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه. مجمع الزوائد ١٧٧/٥.

٢) ابن شبة ٥٢/١.

٣) المستدرك ٣٨٥/٣.

٤) البخاري ١٠١/٤ و ١٠٢ و٢٢٨ و٢٢٩/٥ دون ذكر : "اللهم بارك ..." و ١٣٧/٧ و ١٤٠/٨ إلا أنه قال: " جبليها " بدل " لابتيها " و ١٨٨/٩ وليس فيه: "اللهم بارك ...".

مسلم ٩٩٣/٢ غير أنه قال " جبليها " وفي رواية: " لابتيها" ٩٩٣/٢ أيضاً ، الترمذي ٦٧٨/٥ وليس فيه: " اللهم بارك ...".

وفي رواية: «إن أحداً جبل يحبنا ونحبه». (١).

وفي رواية قال: طلع علينا أحد ونحن مع رسول الله ﷺ فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه ». (٢).

وفي رواية: أن النبي ﷺ ذكر أحداً فقال: «جبل يحبنا ونحبه» (٣).

- عن سويد الأنصاري رضي الله عنه قال: قفلنا مع النبي ﷺ من غزوة خيبر، فلما بدا له أحد قال: « الله أكبر ، جبل يحبنا ونحبه». (٤).

- عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه» (٥) .

وفي رواية: أقبلنا مع النبي ﷺ من منزل حتى إذا كنا بغرابات نظر إلى أحد فكبر ثم قال: «جبل يحبنا ونحبه، جبل سائر ليس من جبال أرضنا» (٦).

- عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحد جبل يحبنا ونحبه» (٧).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما قدمنا مع النبي ﷺ من غزوة خيبر، بدا لنا أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه، إن أحداً هذا لعلى باب من

---

١) مسلم ١٠١١/٢ ، ابن شبة ٨١/١، أبو يعلى ٣٢٥/٥ و ٤٣٨، ابن حبان ١٦/٦

٢) عبد الرزاق ٢٦٨/٩ ، ابن شبة ٨١/١ ، فضائل المدينة للجندي ٢١. وأرسله عروة بن الزبير: الموطأ ٨٩٣/٢ ، عبد الرزاق ٢٦٨/٩ ، ابن شبة ٨٢/١ ، فضائل المدينة للجندي: ٢١ .

٣) المسند ١٤٠/٣

٤) المسند ٤٤٣/٣ ، ابن شبة ٨٠/١ ، المعجم الكبير للطبراني ١٠٦/٧

٥) البخاري ٢٦/٦، مسلم ١٠١١/٢، ابن أبي شيبة ٥٤٠/١٤ في حديث طويل، المسند ٤٢٤/٥ في حديث طويل، ابن شبة ٨٢/١، دلائل النبوة للبيهقي ٢٦٦/٥.

٦) ابن شبة ٨٢/١. أحد رواته ـ عبد العزيز بن عمران ـ متروك.

٧) البخاري ٢١٣/٣.

أبواب الجنة» (١).

- وروي مرسلاً، أرسله أبو قلابة قال: كان النبي ﷺ إذا جاء من سفر فبدا له أحد قال: «هذا جبل يحبنا ونحبه» ثم قال: «آيبون تائبون، ساجدون لربنا حامدون» (٢).

- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أحد ركن من أركان الجنة» (٣).

- عن ابن أبي يعلى رحمه الله قال: قال النبي ﷺ: «أحد على ترعة من ترع الجنة - والترعة: باب - وعير على ركن من أركان النار» (٤).

- عن أبي عَبْس بن جبرالحارثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه، على باب من أبواب الجنة، وهذا عَيْر جبل يبغضنا ونبغضه، على باب من أبواب النار» (٥).

- عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة أجبل من جبال الجنة: أحد جبل يحبنا ونحبه، جبل من جبال الجنة، وورقان جبل من جبال الجنة، ولبنان جبل من جبال الجنة، وطور جبل من جبال الجنة» (٦).

---

١) ابن شبة ٨٢/١ . أحد رواته - يحيى بن عبيد الله - متروك .

٢) ابن شبة٨١/١ .

٣) أبو يعلى ٥٠٨/١٣، المعجم الكبير للطبراني ١٨٦/٦. في سنده عبد الله بن جعفر: ضعيف .

٤) عبد الرزاق ٢٦٨/٩ (حديث مرسل) .

٥) كشف الأستار ٥٨/٢، الكنى والأسماء للدولابي ٤٣/١ . أحد رواته وهو: عبد المجيد بن أبي عبس بن جبر، ضعيف.

٦) ابن شبة ٨٠/١، الطبراني ١٨/١٧ بنحوه بزيادة "وأربعة أنهار من أنهار الجنة، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة ..." وعدَّدَها. في سنده كثير بن عبد الله المزني: واهي الحديث .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة أنهار في الجنة، وأربعة أجبل، وأربع ملاحم في الجنة: فأما الأنهار: فسيحان، وجيحان، والنيل، والفرات، وأما الأجبل: فالطور، ولبنان، وأحد، وورقان» وسكت عن الملاحم (١).

- عن عبد الرحمن الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «أحد على باب من أبواب الجنة، وعير على باب من أبواب النار» (٢).

- عن داود بن الحصين قال: قال رسول الله ﷺ: «أحد ركن من أركان الجنة، وعير على ركن من أركان النار» (٣).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحداً على باب من أبواب الجنة، فإذا جئتموه فكلوا من شجره، ولو من عضاهه» (٤).

- عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يحتش أحد إلا يوماً بيوم (٥).

وادي العقيق

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: حدثني النبي ﷺ قال: «أتاني الليلة آت من ربي - وأنا بالعقيق - أن صل في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة» (٦).

---

١) ابن شبة ١/ ٨٥ . في سنده عبد العزيز بن عمران: متروك.

٢) ابن شبة ١/ ٨٣ في سنده عبد العزيز بن عمران: متروك .

٣) ابن شبة ١/ ٨٣ . في سنده عبد العزيز بن عمران: متروك .

٤) عبد الرزاق ٩/ ٢٦٩، ابن شبة ١/ ٨٤، غريب الحديث للحربي ٣/ ٩٢٤ من قوله: «فإذا جئتموه ...»، فضائل المدينة للجندي ٢٢. وفي أسانيدها ضعف .

٥) ابن شبة ١/ ٨٤.

٦) البخاري ٩/ ١٩٠، الحميدي ١/ ١١، المسند ١/ ٢٤. المنتخب لعبد بن حميد ١/ ٥٤، ابن شبة ١/ ١٤٦، مسند عمر بن الخطاب ليعقوب بن شيبة ٨١، غريب

وفي رواية: «العقيق واد مبارك» (١).

- عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه كان يصيد ويأتي النبي ﷺ من صيده فأبطأ عليه، ثم جاءه. فقال له رسول الله ﷺ: «ما الذي حبسك؟» فقال: يارسول الله انتفى عنا الصيد، فصرنا نصيد ما بين نبت إلى قناة. فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا ذهبت، وتلقيتك إذا جئت فإني أحب العقيق» (٢).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قيل له وهو بالعقيق: «إنك بالوادي المبارك، أو بطحاء مباركة» (٣).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أتاني آت وأنا بالعقيق فقال: إنك بواد مبارك» (٤).

- عن عروة بن الزبير رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «العقيق واد مبارك» (٥).

- عن هشام بن عروة رحمه الله قال: اضطجع النبي ﷺ بالعقيق فقيل: «إنك في واد مبارك» (٦).

بطحـــان

الحديث للحربي ٤٣/١، شرح معاني الآثار ١٤٦/٢، السنن الكبرى للبيهقي ١٣/٥.

١) ابن شبة ١٤٨/١.

٢) ابن شبة ١٤٧/١ و ١٤٨، شرح معاني الآثار للطحاوي ١٩٥/٤ واللفظ له، المعجم الكبير للطبراني ٦/٧. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. مجمع الزوائد ١٤/٤.

٣) المعجم الكبير للطبراني ٣٦٨/١٢.

٤) كشف الأستار ٥٨/٢.

٥) ابن شبة ١٤٧/١ وهو حديث مرسل.

٦) ابن شبة ١٤٨/١ وهو حديث مرسل.

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بُطحان على ترعة من ترع الجنة» (١).

وفي رواية: «بطحان على بركة من برك الجنة» (٢).

- عن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه دخل على ثابت بن قيس وهو مريض فقال: «اكشف الباس رب الناس عن ثابت بن قيس بن شماس» ثم أخذ تراباً من بُطحان، فجعله في قدح، ثم نفث عليه بماء، وصبه عليه (٣).

مساجد صلى فيها رسول الله ﷺ

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثاً: يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين، فعرف البشر في وجهه، قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة (٤).

وفي رواية: دعا رسول الله ﷺ في المسجد الأعلى يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء، واستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين (٥).

وفي رواية: دعا النبي ﷺ على الجبل الذي عليه مسجد الفتح من ناحية الغرب، وصلى من وراء المسجد (٦).

وفي رواية: أن النبي ﷺ قعد على موضع مسجد الفتح، وحمد الله، ودعا عليه، وعرض أصحابه وهو عليه(٧).

---

١) التاريخ الكبير للبخاري ٥١/٢ و ٥٢، ابن شبة ١٦٧/١.

٢) كشف الأستار ٥٨/٢.

والروايتان ضعيفتان لجهالة أحد الرواة.

٣) أبو داود ٢١٣/٤، ابن حبان ٦٢٣/٧، المعجم الكبير للطبراني ٦٣/٢.

٤) المسند ٣٣٢/٣.

٥) ابن شبة ٥٨/١.

٦) ابن شبة ٥٩/١.

وفي رواية: دعا النبي ﷺ في المسجد المرتفع ورفع يديه مداً(١).

- عن المطلب بن حنطب رحمه الله قال: دعا رسول الله ﷺ في المسجد الأعلى على الجبل، يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء، واستجيب يوم الأربعاء بين الصلاتين(٢).

وفي رواية: أن النبي ﷺ دعا يوم الإثنين في مسجد الفتح، واستجيب له عشية الأربعاء بين الصلاتين(٣).

- عن سعيد مولى المهديين قال: أقبل النبي ﷺ من الحرب فأدركته صلاة العصر فصلاها في المسجد الأعلى(٤).

- وعن عمارة بن أبي اليسر قال: صلى في المسجد الأسفل(٥).

- عن أسيد بن أبي أسيد، عن أشياخهم: أن النبي ﷺ دعا على الجبل الذي عليه مسجد الفتح، وصلى في المسجد الصغير الذي بأصل الجبل على الطريق حتى مصعد الجبل(٦).

- عن ابن اسحق قال: نزل رسول الله ﷺ بقباء على كلثوم بن هرم أخي بني عمرو بن عوف. ويقال: بل نزل على سعد بن خيثمة، فأقام في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجدهم، وخرج من بني عمرو بن عوف فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلى الجمعة في المسجد الذي ببطن الوادي(٧).

---

٧) ابن شبة ٥٩/١.

١) ابن شبة ٦٠/١. (مرسل).

٢) ابن شبة ٥٨/١.

٣) ابن شبة ٦٠/١.

٤) ابن شبة ٥٩/١.

٥) ابن شبة ٥٩/١.

٦) ابن شبة ٥٨/١.

٧) المعجم الكبير للطبراني ٣٠/٦.

- وفي رواية: «ثم ظعن يوم الجمعة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن معه ببطن مهزور »(١).

- عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك قال: جاءنا ابن عمر رضي الله عنهما في بني معاوية - وهي قرية من قرى الأنصار - فقال: تدرون أين صلى النبي ﷺ من مسجدكم هذا؟ قلت نعم، وأشرت إلى ناحية منه. قال فهل تدرون بالثلاث التي دعا بهن فيه؟ قلت نعم، قال فأخبرني بهن. قلت دعا أن لايظهر عليهم عدو من غيرهم، وأن لايهلكهم بالسنين، فأعطيهما، ودعا بأن لايجعل بأسهم بينهم فمنعها. قال صدقت ، فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة(٢).

- عن رافع بن خديج رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صلى في المسجد الصغير الذي بأحد في شعب الجرار على يمينك لازقاً بالجبل (٣).

عن جابر بن أسامة الجهني رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بالسوق فقلت: أين تريدون ورسول الله ﷺ؟ قالوا: يخط لقومك مسجداً فرجعت، فإذا قومي قيام، وإذا رسول الله ﷺ قد خط لهم مسجداً، وغرز في القبلة خشبة أقامها فيها(٤).

- عن يحيى بن النضر الأنصاري رحمه الله: أن النبي ﷺ لم يصل في مسجد ما في جوبة المدينة إلا في مسجد أبي بن كعب في بني جديلة(٥).

- وعن يحيى بن سعيد رحمه الله قال: كان النبي ﷺ يختلف إلى مسجد أبي فيصلي فيه غير مرة ولا مرتين وقال: «لولا أن يميل الناس إليه لأكثرت

---

١) دلائل النبوة للبيهقي ٢/٥٠٣.
٢) ابن شبة ١/٦٧.
٣) ابن شبة ١/٥٧.
٤) ابن شبة ١/٦٣. (أربع روايات بعضها مرسل). و ١/٧٩. و ١/٢٦٦.
٥) ابن شبة ١/٦٤.

الصلاة فيه»(١).

- عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ صلى على ذباب(٢).

وأرسله عبد الرحمن بن الأعرج(٣).

- عن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صلى في مسجد الخربة، ومسجد القبلتين، وفي مسجد بني حرام الذي بالقاع(٤).

- عن هشام بن عمرو رحمه الله: أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني عمرو بن مبذول، وفي دار النابغة، ومسجد بني عدي، ومسجد بني خدارة، ومسجد بني عضية، وبني الحبلى، وبني الحارث بن الخزرج، ومسجد السنح، وبني خطمة، ومسجد الفضيخ، وفي صدقة الزبير في بني محمم، وفي بيت صرمة في بني عدي، وفي بيت عتبان(٥).

- عن يحيى بن عمارة المازني رحمه الله: أن النبي ﷺ صلى في مسجد دار النابغة، واغتسل في مسجد بني عدي (٦).

- عن عبد الله بن الحارث بن الفضيل: أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني خطمة (٧).

- عن الحارث بن سعيد بن عبيد الحارثي: أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني حارثة، وفي بني ظفر، وفي بني عبد الأشهل (٨).

- عن سعد بن اسحق بن كعب: أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني

---

١) ابن شبة ١/ ٦٤.

٢) ابن شبة ٦٢/١.

٣) ابن شبة ٦١/١.

٤) ابن شبة ٦٨/١.

٥) ابن شبة ٦٥/١.

٦) ابن شبة ٦٥/١.

٧) ابن شبة ٦٦/١.

٨) ابن شبة١/٦٦.

ساعدة الخارج من بيوت المدينة، وفي مسجد بني بياضة، ومسجد بني الحبلى، ومسجد بني عضية، ومسجد بني خدارة(١).

- وعن العباس بن سهل رحمه الله: أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني ساعدة في جوف المدينة(٢).

- عن عمرو بن شرحبيل رحمه الله: أن النبي ﷺ وضع يديه على الحجر الذي في أجم سعد بن عبادة عند جدار سعد، وصلى في مسجد بني خدارة(٣)

- عن شيخ من الأنصار: أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني خدارة، وحلق رأسه فيه (٤).

- عن يحيى بن عمارة أن النبي ﷺ وضع مسجد مازن بيده، وخطه وهيأ قبلته، ولم يصل فيه(٥).

البقيع ومقابر أخرى في المدينة

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ - كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ - يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ماتوعدون، غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد» (٦).

وفي رواية مثله إلا أنه قال: «السلام عليكم ديار قوم مؤمنين، وإنا بكم

---

١) ابن شبة ٦٤/١.

٢) ابن شبة ٦٤/١.

٣) ابن شبة ٦٠/١.

٤) ابن شبة ٦٠/١.

٥) ابن شبة ٧٦/١.

٦) مسلم (رقم:٩٧٤)، النسائي ٩٣/٤، المسند ١٨٠/٦ وليس فيه: "اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد"، ابن شبة ٩٠/١، ٩٧ (مرسلا)، أبو يعلى ١٩٩/٨، ابن حبان ٦٩/٥، ٢٧/٧، السنن الكبرى للبيهقي ٧٩/٤ و ٢٤٩/٥.

لاحقون، أنتم لنا فرط، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولاتفتنا بعدهم»(١).

- عن محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب أنه قال: سمعت عائشة تحدث فقالت: ألا أحدثكم عن النبي ﷺ وعني؟ قلنا: بلى، قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه .... وذكرت قصة خروجه ﷺ إلى البقيع ثم قالت: فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام، فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف .... وذكرت قصة عودتها قبله .... وفيه قال ﷺ: «فإن جبريل أتاني ..... فأجبته.... فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم» قالت عائشة: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون» (٢).

- عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال: «ياأبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع، فانطلق معي» فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس لو تعلمون ما نجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها، الآخرة شر من الأولى» قال: ثم أقبل علي فقال: «ياأبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، وخيرت بين لقاء ربي عز وجل والجنة، قال: قلت بأبي وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: «لا والله ياأبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة» ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف،

---

١) ابن شبة ٩١/١.

٢) مسلم (رقم:٩٧٤)، النسائي ٩١/٤، عبد الرزاق ٥٧٠/٣، المسند ٢٢١/٦، ابن شبة ٨٧/١، السنن الكبرى للبيهقي ٧٩/٤.

فبدئ وجع رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبضه الله عز وجل فيه حين أصبح(١).

- عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قام ذات ليلة، فلبس ثيابه ثم خرج، قالت: فأمرت جاريتي بريرة تتبعه، فتبعته، حتى جاء البقيع، فوقف في أدناه ماشاء الله أن يقف، ثم انصرف، فسبقته بريرة، فأخبرتني فلم أذكر له شيئاً حتى أصبح، ثم ذكرت ذلك له، فقال: «إني بعثت إلى أهل البقيع لأصلي عليهم»(٢).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يخرج إلى البقيع فيدعو لهم، فسألته عائشة عن ذلك فقال: «إني أمرت أن أدعو لهم»(٣).

وفي رواية : « إني أمرت أن آتي أهل البقيع فأدعو لهم ، وأصلي عليهم» (٤).

- عن أم قيس بنت محصن قالت: لقد رأيتني ورسول الله ﷺ آخذ بيدي في بعض سكك المدينة، وما فيها بيت، حتى انتهينا إلى بقيع الغرقد، فقال: «ياأم قيس» فقلت: لبيك يارسول الله وسعديك، قال: «ترين هذه المقبرة»؟ قلت: نعم يارسول الله. قال: «يُبعث منها سبعون ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر، يدخلون الجنة بغير حساب». فقام رجل فقال: يارسول الله، وأنا، قال:

---

١) المسند ٤٨٨/٣ و٤٨٩، الدارمي ٣٨/١، ابن شبة ٨٧/١، تركة النبي ﷺ لحماد بن اسحق: ٥١، المعجم الكبير للطبراني ٣٤٦/٢٢و ٣٤٧ وفي آخره: فما مكث رسول الله ﷺ إلا سبع أو ثمان حتى قبض ﷺ، المستدرك ٥٥/٣.

ورواه مختصراً: ابن شبة ٨٦/١، البزار في كشف الأستار ٤٠٨/١.

٢) الموطأ ٢٤٢/١، النسائي ٩٣/٤، المسند ٩٢/٦، ابن شبة ٨٩/١ و ٩٠، ابن حبان ٢٤/٦، المستدرك ٤٨٨/١ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٣) المسند ٢٥٢/٦، ابن شبة ٩٥/١.

٤) ابن شبة ٩٠/١.

«وأنت»، فقام آخر، فقال: وأنا يارسول الله؟ قال: «سبقك بها عكاشة»(١).

- عن الحسن رحمه الله قال: إن النبي ﷺ قام على أهل البقيع فقال: «السلام عليكم ياأهل القبور من المؤمنين والمسلمين، لو تعلمون مانجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم» ثم نظر إلى أصحابه فقال: «هؤلاء خير منكم» قالوا: يارسول الله، وما يجعلهم خيراً منا؟ قد أسلمنا كما أسلموا، وهاجرنا كما هاجروا، وأنفقنا كما أنفقوا، فما يجعلهم خيراً منا؟ قال: «إن هؤلاء مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً، وشهدت عليهم، وإنكم قد أكلتم من أجوركم بعدهم، ولاأدري كيف تفعلون بعدي»(٢).

- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين»(٣).

- عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء، حتى إذا أشرفنا على حرة واقم، فلما تدلينا منها وإذا قبور بمحنية، قال: قلنا يارسول الله أقبور إخواننا هذه؟ قال: «قبور أصحابنا» فلما جئنا قبور الشهداء قال: «هذه قبور إخواننا»(٤).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مقبرة بغربي المدينة يقرضها السيل يساراً، يبعث منها كذا وكذا لاحساب عليهم»(٥).

---

١) الطيالسي: ٢٢٧، ابن شبة ٩١/١ بزيادة في آخره: "قال سعد - أحد رواته - فقلت لها: ماله لم يقل للآخر، قالت: أراه كان منافقاً". المستدرك ٦٨/٤.

٢) ابن شبة ٩٤/١.

٣) الترمذي ٦٢٢/٥، ابن حبان ٢٤/٩، المعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٣٠٥، المستدرك ٦٨/٣ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: أحد رواته ضعيف، هامش المستدرك ٦٨/٣.

٤) أبو داود ٥٣٥/٢، أحمد ١٦١/١، ابن شبة ١٣٣/١، السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٩/٥.

- عن ابن أبي عتيق وغيرهما من مشيخة بني حرام، عن رسول الله ﷺ قال «مقبرة بين سيلين غربية، يضيء نورها يوم القيامة ما بين السماء إلى الأرض»(١).

---

٥) ابن شبة ١/٩٢، وفيه عبد العزيز بن عمران وهو متروك.

١) ابن شبة ١/٩٤، وفي سنده من لم يعرف.

فهـــرس الأعـــلام

حـــــرف الألــــف

حـــرف البـــاء

حـــرف التـــاء

حـــرف الثـــاء

حـــرف الجيم

حـــرف الحـــاء

حـــرف الخـــاء

حرف الدال

حـــرف الـــذال

حـــرف الراء

حـــرف الـــزاء

حرف السين

حـــرف الشـــين

حـــرف الصاد

حـــرف الضاد

حـــرف الطاء

حرف العين

حـــرف القـــاف

حــــرف الكــــاف

حرف اللام

حــــرف المــــيم

حرف النون :

حـــرف الهـــاء

حـــرف الـــواو

حـــرف اليـــاء

فهرس القبائل والجماعات

حـــرف الألـــف

حــرف البـاء

حــرف التـاء

حــرف الثـاء

حــرف الجيـم

حــرف الحـاء

حـــرف الـخـــاء

حـــرف الـــدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حــرف الـغـيـن

حــرف الـفـاء

حــرف الـقـاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الأماكن

حـــرف الألـــف

حـرف البـاء

حـــرف الـتـاء

حـــرف الـثـاء

حـــرف الجـيـم

حـرف الحـاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حــرف الغيـن

حــرف الـفـاء

حرف القاف

حـــرف الـكـاف

حـــرف الـــلام

حـــرف المـيـم

حرف النون

حـــرف الـهـاء

حـــرف الــواو

حـــرف الـيـاء

فهرس الصور والمخططات والخرائط في «الجزء الأول»

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحه

فهرس المصورات والمخططات والخرائط والصور
في «الجزء الثاني»

الموضـــــوع	رقم الصفحه

فهرس المصورات والمخططات والخرائط والصور
في «الجزء الثالث»

الموضـــــــــــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحه

مخطوطات عن المدينة المنورة

حرف الألف

* الابتغاء في أخبار المدينة المنورة- أبوطاهر محمد بن عبد الرحمن بن زكريا المخلصي الذهبي (٣٠٥-٣٩٣هـ) والكتاب مفقود.
* اتحاف الزائر- لأبي اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقي ثم المكي (٦١٤-٦٧٦هـ) وهو كتاب في تاريخ المدينة (معجم المؤلفين ١٠--١٤) وأشار حمد الجاسر- في «رسائل في تاريخ المدينة» إلى أن له نسخة خطية لدى الشيخ محمد سلطان النمنكاني الكتبي في المدينة المنورة.
* اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن- محمد بن علي بن فضل بن عبد الله الطبري (ت١١٧٣هـ)- مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم -٨٧. ونسخة أخرى مخطوطة بمكتبة الحرم المكي برقم ٣٤١١.
* أخبار أمراء المدينة- لأبي زيد عمر بن شبة النميري (٢٦٢هـ): ذكره ابن النديم في الفهرست ص:١٢٥.
* أخبار دار الهجرة- لرزين بن معاوية العبدري السرقسطي الأندلسي ثم المكي- إمام الحرمين (ت٥٣٥هـ) قال العلامة حمد الجاسر في «رسائل في تاريخ المدينة»: ذكره المراغي في تحقيق النصرة، وقد استقى منه السمهودي كثيراً من المعلومات.
* أخبار ظرفاء أهل المدينة- لأبي أيوب سليمان بن محمد المديني(١٧٢-١٧٧) مفتي أهل المدينة. ذكره ابن النديم في الفهرست ص:١٦٥.
* الأخبار الغريبة في ذكر ماوقع بطيبة الحبيبة لجعفر بن هاشم الحسيني المدني، ت:١٣٤٢هـ. يشتمل الكتاب على ذكر الفتن التي وقعت في المدينة من ١١١١-١١٩٩هـ، وعددها سبع فتن، مخطوطات في مكتبة الحرم المكي

برقم (٢٧٥٥). وقد حققه الدكتور عاصم حمدان في عام ١٩٨٦م. ضمن رسالة علمية تقدم بها لنيل درجة «الدكتوراه» من جامعة مانشستر بالمملكة المتحدة وما زالت الرسالة مخطوطة لم تنشر.

* أخبار المدينة- لابن زبالة محمد بن الحسن (ت٢٠٠هـ) تقريباً، وقد أكثر السمهودي من النقل عنه في كتابه «وفاء الوفاء» وذكره ابن النديم في الفهرست ص٢٧٤، وذكر أيضاً في كشف الظنون ١-٢٩، وهداية العارفين ٢-٩ ومعجم المؤلفين ٩-١٩١، وقال السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص ٢٧٤: «إنه مجلد ضخم ويبدو أنه اطلع عليه، وقد نشر هذا الكتاب مستلاً من «وفاء الوفاء».

* أخبار المدينة- للزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ) ينتهي نسبه إلى الزبير بن العوام -رضي الله عنه- وهو من أهل المدينة - ذكره «ابن النديم» وقال حمد الجاسر في مقدمة المغانم ص (ز) «نقل عن ابن حجر في الإصابة في مواضع، ونقل عنه الفيروز آبادي في المغانم المطابة فصلاً مطولاً عن مساكن القبائل في المدينة، ونقل أشياء أخرى».

* أخبار المدينة - ليحي بن الحسن الحسيني العلوي (ت٢٧٧هـ) ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ٢٧٤هـ وذكر حمد الجاسر أن ثلاثة من نسخه هذا الكتاب وصلت إلى السمهودي وهو من مصادره التي نقل عنها كثيراً.

* الأخبار المستطابه في فضل سكان طابة- جلال الدين بن خير الدين الحنفي- مخطوط بمكتبة الحرم بمكة المكرمة رقم (٢٤٢٣) وتوجد نسخة أخرى بدارة الملك عبد العزيز برقم (٦٦-٦٧)، كتبها محمد محمد بن سعيد المداح ١٠٥٥هـ.

* الاستبصار في أنساب الأنصار- أبو محمد عبد الله بن قدامه المقدسي ت ٦٢٠هـ-١٢٢٣م ميكروفلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

* أسماء جبال مكة والمدينة وما يتصل بها- المؤلف مجهول. مخطوط في دارة الملك عبد العزيز برقم ٦٥٣م.
* الإعلام بمن دخل المدينة من الأعلام - للعفيف عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف المطري (٦٩٨-٧٦٥هـ) ذكره السخاوي (الإعلان بالتوبيخ ص ٢٧٥).
* أعلام المدينة المنورة - للشيخ محمد بن محمد بن سعيد بن يحيى دفتردار (١٣٩٢هـ) وقد نشرت حلقات منه في جريدة المدينة المنورة- ومجلة المنهل.
* اقتضاء الوفا بأخبار دار المصطفى، لنور الدين على السمهودي (٨٨٤-٩١١هـ) ولعل هذا الكتاب ضمن ما احترق من كتب السمهودي في حريق المسجد النبوي سنة ٨٦١هـ ويشمل هذا الكتاب خلاصة ما وقف عليه السمهودي من تواريخ المدينة.
* الإنارة في الزيارة للحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).
* الأنباء المبينه في فضل المدينة لأبي محمد القاسم بن علي بن عساكر (٥٢٧-٦٠٠هـ) ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ: ٢٧٤، ومعجم المؤلفين ١٠٦٨ وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ١-١٧١ أنه مختصر.
* الأوائل في تاريخ المدينة، لأحمد بن ياسين الخياري (١٣٢١-١٣٨٠هـ) ذكره كحالة في معجم مصنفي الكتب العربيه ٨٤.
* الأوس والخزرج - لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢١١هـ) ذكره ابن النديم في الفهرست ٦٠.

حرف الباء

* بهجة النفوس في تاريخ المدينة- القرطبي : عبد الله ، مخطوط في دارة الملك عبد العزيز برقم ٥٣٤.
* بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار. عبد الله القرشي

المرجاني(٧٦٠هـ)- مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ٣٤٤٠، ونسخة أخرى مخطوطه في مكتبة عارف حكمت برقم ٢٨٣. وذكره السخاوي (الإعلان بالتوبيخ ٢٧٤، وحاجي خليفة (كشف الظنون ١-٣٠٢).

* بين المسجدين- لعلي بن أحمد بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب العفيفي: ذكره- معجم المؤلفين ٧-٢١.

حرف التاء

* تاريخ المدينة في الشعر قديماً وحديثاً- لأحمد ياسين الخياري (١٣٨٠هـ) (معجم مصنفي الكتب العربية ٨٤).

* تاريخ المدينة المنورة- قطب الدين (قدس سره) مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات في القاهرة رقم ٩٦٥ تاريخ.

* تاريخ المدينتين (مكة والمدينة) لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ).

* تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف- لابن الضياء القرشي محمد بن أحمد (ت٨٥٤هـ) مخطوط بدارة الملك عبد العزيز مصور من دار الكتب المصريه نسخ عام ١٣٣٠هـ برقم ٦٧.

* تاريخ مكة والمدينة والطائف. لحسن بن علي المكي العجمي الحنفي، كان حياً في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري. وللكاتب نسخة مصورة بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود برقم ٤٣ص تاريخ نسخها سنة ١٣٦٧هـ.

* تاريخ مكة والمدينة وفضلهما - المؤلف مجهول- ٢٤٥ص تاريخه ٨٣٦هـ مخطوط برقم ٣٩٧ بمكتبة الحرم المكي.

* تاريخ مكة المكرمه والمسجد الحرام والمدينة والقبر: لمحمد بن أحمد بن ضياء الصاغاني أبو البقاء له نسخة مصورة بمركز العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى: برقم ١٧ تاريخ أغوات الحرم النبوي -

بالتركية - مخطوط بالمكتبه المحمودية- برقم ٢٥٣٣ عام

* تحفة الدهر ونفحة الزهر في شعراء المدينة من أهل العصر: لعمر بن عبد السلام الداغستاني (١١٧٣-١٢٠٦هـ) فرغ من تأليفه في ٢٦ ذي القعدة ١٢٠١هـ وله نسخة لدى ورثة الاستاذ عبد الرحيم أبي بكر رحمه الله.

* تحقيق النصرة في تلخيص معالم دار الهجرة. زين الدين المراغي (ت٨١٦هـ) مخطوط بدار الكتب المصريه برقم ١٦٤١ تاريخ.

* تنزيل السكينة على قناديل المدينة. عبد الغني السبكي. مخطوط في دارة الملك عبد العزيز برقم ٢٦٨-٨٣.

حرف الجيم

* الجامع الأموي في المدينة المنورة للمستشرق الفرنسي سورهاج نشر باللغة الفرنسية. ذكره عبد السلام حافظ في كتاب المدينة المنورة في التاريخ ص ٢٠٧.

* الجوهر الثمينة في محاسن المدينة. السيد محمد كبريت بن عبد الله بن محمد الحسيني المدني الموسوي (١٠١٢-١٠٧٠هـ) مخطوط بدار الكتب المصريه رقم ٢٢٢٨ تاريخ. ونسخة أخرى في مكتبة الحرم المكي نسخت عام ١٠٤٧ ربما تكون نسخة المؤلف بهامشها تعليقات وجيزة برقم ٦٦٧ف. ونسخة أخرى مصورة من مكتبة رضا امبور رقمها ١٣- في دارة الملك عبد العزيز.

* الجوهر المنتظم في زيارة قبر النبي المكرم للعلامة ابن حجر الهيثمي المكي (٩٧٣هـ) ذكره عبد السلام حافظ في كتاب المدينة المنوره في التاريخ ص٢٠٨.

حرف الحاء

* الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة- لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) حسن المحاضرة (١-٢٤٣) وذكره حاجي خليفة في

كشف الظنون (١-٦٣٢)، وله نسختان خطيتان في برلين برقم (٩٧٥٦-٣) والظاهرية برقم ١١٣٤ حديث ورقمه العام ٧٦٦٤.

* حرب الأوس والخزرج. لمحمد بن عمر الواقدي ذكره ابن النديم في الفهرست ص ١١١.

* الحرة. لمحمد بن عمر الواقدي. وذكره السمهودي في وفاء الوفا ٣-٧٤٧.

* حُسن البِنَا في فضل مسجد قبا. البكري: الصديقي، مخطوط في دارة الملك عبد العزيز برقم ١٤.

* حمى المدينة وجبالها وأوديتها لأبي الحسن على بن محمد بن عبد الله ابن أبي سيف المدائني (٢٢٥) مولى سمرة بن جندب بن حبيب. ذكره ابن النديم في الفهرست ١١٦.

حرف الخاء

* الخلاصة في تاريخ المدينة، لعمر بن الحافظ الرومي بالفارسية. وذكر حاجي خليفة (٥١).

حرف الدال

* دليل الزائرين: للشيخ حسن البسنوي: ذكره عبد السلام حافظ في كتاب المدينة المنوره في التاريخ ص٢٠٨.

حرف الذال

* ذروة الوفا بأخبار دار المصطفي. السمهودي: علي بن عبد الله (٨٤٤-٩١١هـ) مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ٣٤٨٥، ونسخة أخرى في دارة الملك عبد العزيز برقم ٢٦٣ بخط المؤلف كتب عام ٨٧٦هـ بعد الحريق مباشرة.

* ذيل تاريخ المدينة لأحمد بن عبد الله بن حسن باعنتر السيوفي الحضرمي المرجاني (١٠٩١هـ) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ١-٢١٧.

* ذيل الدرة الثمينة في أخبار المدينة، لإبي العباس القرافي ذكر السخاوي

في الإعلان بالتوبيخ ٢٧٤ أنه في كراسة.

حرف الراء

* الرحلة الحجازية. محمد محي الهاشمي بوشعره البلوي- مخطوط في دارة الملك عبد العزيز برقم ٢٥٩ق.
* رسالة في فضل المدينة المنورة وساكنها لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (٩٧٧-١٠٦٩هـ) المكتبة المحمودية في المدينة المنوره برقم ٢٧٢٨ مجاميع فضل.
* روضة الصفا في أداب زيارة المصطفى لعلان المكي (١٠٥٧هـ).
* الروضة الفردوسية في أسماء من دفن في البقيع لمحمد بن أحمد بن أمية الأقشهري (٦٦٥-٧٣١هـ) ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ٢٧٥ ونقل عنه السمهودي في مواضع عديدة.

حرف الزاي

* زبدة الأعمال في تاريخ مكة والمدينة- محمد بن عمر الاسفرائيني مخطوط بمكتبة الحرم المكي.
* زبدة الربا في فضائل قبا. للسيد ابن على المكي. ذكره عبد السلام حافظ. المدينة المنورة في التاريخ ص٢٠٧.

حرف الطاء

* طراز العلمين في فضائل الحرمين المحترمين، لعبد الهادي الصنعاني اليماني الزبيدي (٨٢٢هـ) ذكره كحالة في معجم المؤلفين (٦-٢٠٢).

حرف العين

* عرف الطيب في أخبار مكة ومدينة الحبيب، غياث الدين محمد بن محمد- مخطوط في دارة الملك عبد العزيز برقم ٤١.
* عروة التوثيق في النار والحريق، لمحمد بن أحمد بن علي القسطلاني قطب الدين (٦١٤-٦٨٦هـ) وهو رسالة تتضمن تفصيل خروج النار (البركان) في

سنة ٦٥٤هـ وحريق المسجد النبوي الشريف في السنة نفسها، وقد لخصها السمهودي في كتابه وفاء الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى.

* العقيق وأخباره للزبير بن بكار المدني القرشي (٢٥٦هـ).

حرف الفاء

فضائل المدينة على مكة. لأبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الأبهري (٢٨٧-٣٧٥هـ) ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٥٣.

* الفلك المشحون: ليحيى بن هاشم المدني، له نسخة خطية بمكتبة عارف حكمت برقم ٣٢٠٤ عام.

حرف القاف

* قضاء أهل المدينة لأبي الحسن علي بن محمد المدائني (٢٢٥هـ) ذكره ابن النديم الفهرست ١١٧.

حرف الكاف

* كتاب في أحوال الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى، المؤلف مجهول، مخطوط في دارة الملك عبد العزيز برقم ٣٧١.
* كتاب في تاريخ المدينة. لايعرف عنوانه ولعله (المنسك) لابي عبد الله الأسدي، وصفه السمهودي بأنه من المتقدمين.
* كتاب في تاريخ المدينة، لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الغربالي، قال السخاوي: ذكره أبو القاسم بن منده في الوصية له.
* كتاب عن المدينة والحجاز لأبي عبد الله عمرو بشر السكوني نقل عنه البكري في معجم مااستعجم.
* كتاب في تاريخ المدينة، لجعفر حسين بن يحي بن إبراهيم بن هاشم الحسيني ١٣٤٢هـ ذكره كحالة في معجم مصنفي الكتب العربية ١٣٣.
* كتاب في تاريخ المدينة لمحمد بن موسى بن علي المراكشي (٧٨٩-٨٢٣هـ)

ذكره كحالة في معجم مصنفي الكتب العربية ٥٩٤.

* كتاب في العقيق. لهارون بن زكريا الهجري (من اهل القرنين الثالث والرابع الهجريين) ذكر حمد الجاسر في رسائل في تاريخ المدينة ٤٣ أن السمهودي أكثر من النقل عنه. ينظر وفاء الوفا (٣-١٠٨٣-١٠٩٣).

* كتاب في فضائل المدينة والحجة لها. لمحمد بن أحمد بن عمر التستري أبي عبد الله (٢٧٣-٣٤٥هـ) ذكره كحالة في معجم مصنفي الكتب العربية ٤٢٧.

* كشف الحجاب والستور عما وقع لأهل المدينة من أمير مكة سرور، نشر حمد الجاسر نص هذه الرسالة في مجلة العرب (ج٩و١٠ الربيعان ١٤٠٦هـ).

* الكلمات المفيدة على أخبار المدينة، للشيخ عبد الله بن محمد الدويش، وهو شرح مذيّل بأخبار المدينة لابن شبه.

حرف الميم

* مجتمع الحجاز في العصر الأموي. عبد الله الخلف . رسالة ماجستير مقدمة الى كلية اللغة العربيه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤٠٧هـ.

* مجتمع المدينة المنوره في عهد الرسول ﷺ لمحمد ابن لقمان الأعظمي الندوي.

* المجموع الظريف في حجة المقام الشريف، وهي رحلة الأشرف قايتباي، نشرها حمد الجاسر في مجلة العرب السنة العاشرة(ج٩و١٠ص٦٥٩).

* المحاسن اللطيفة في معاهد المدينة الشريفة، لابن طولون (٩٥٣هـ).

* المدينة وأخبارها، لعبيد الله بن ابي سعيد الوراق (١٩٧-٢٧٤هـ) نقل عنه صاحب المناسك وصاحب الأغاني فيما يتعلق ببعض شعراء المدينة كالأحوص. وذكره ابن النديم في الفهرست ١٢١.

* مصباح الحرمين في تاريخ مكة والمدينة ومناسكهما، لعبد الجبار ابن زين

العابدين الشكوني (١٣٢٦هـ) ذكره كحالة في معجم مصنفي الكتب العربيه ٢٤٣.

* المغانم المطابة في معالم طابة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٧٢٩-٨١٧هـ) مخطوط بمكتبة شيخ الإسلام فيض الله أفندي في استانبول برقم ١٥٢٩ طبع قسم منه.
* المكتبات العامة بالمدينة المنورة. ماضيها وحاضرها، إعداد: حمادي على التونسي. رسالة ماجستير بإشراف د عباس صالح طاشكندي (١٤٠١-١٩٨١م)، مكتبة المسجد النبوي رقم ٢٠ ت وم.
* منازل الحجاز التي تلقى الحاج الذي يقصد الحجاز. ابن العطار مخطوط في دارة الملك عبد العزيز برقم ١٠٩.
* مناظرات الحرمين. المؤلف مجهول. وهو مخطوط في مكتبة باريس الوطنية برقم ١١٦٧.
* المناهل الصافية العذبة في بيان ماخفي من مساجد طيبة للشيخ عباس المدني. مخطوط بمكتبة عارف حكمت برقم ٢٢١-٩٠٠.

حرف النون

* نتيجة الفكر في خبر مدينة سيد البشر، لزين العابدين بن محمد بن عبد الله العباسي المعروف بالخليفتي (١١٣٠هـ) ذكره كحالة في معجم المؤلفين.
* نصيحة المشاور وتسلية المجاور، ابن فرحون (٦٩٣-٧٧٤هـ) مخطوطه بدارة الملك عبد العزيز برقم ٤٠٩، ونسخة في مكتبة عارف حكمت برقم ٢٥٦-٩٠٠.
* نعمات الرضا والقبول في زيارة المدينة وسيدنا الرسول ﷺ للشيخ أحمد الخضراوي المكي ت (١٣٣٦هـ) ذكره كحالة في معجم المؤلفين ٢-٦٤) وعبد السلام حافظ في المدينة المنورة في التاريخ ٢٠٩.
* نوادر المدينين للزبير بن بكار (٢٥٦هـ) ذكره ابن النديم في الفهرست

.١٢٣

حرف الهاء

* هداية الثقلين في فضل الحرمين. لمحمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الصمداني نزيل المدينة المنورة (٩٣٣هـ) ذكره نجم الدين الغزي. الكواكب السائرة ١-٦٥.

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

❊ آثار المدينة المنورة - عبد القدوس الأنصاري - ط٤ المكتبه العلمية بالمدينة ١٤٠٦هـ.

❊ إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية بين المصادر القديمة والحديثة - د. حمد بن محمد العرينان. ط٢ - مكتبة ابن تيميه. الكويت ١٤٠٨هـ.

❊ إتحاف المؤمنين بتاريخ مسجد خاتم المرسلين - مصطفى بن محمد بن عبد الله بن العلوي الرافعي- المكتبة العلمية بالمدينة المنوره-١٤٠٤هـ.

❊ إتحاف الورى بأخبار أم القرى . النجم عمر بن محمد بن محمد بن فهد تحقيق فهيم محمد شلتوت جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤٠٣هـ

❊ إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء - احمد بن على بن عبد القادر المقريزي- تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد حلمي أحمد - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة ١٣٨٧هـ.

❊ الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، جمع ودراسة - د/صالح بن حامد بن سعد الرفاعي- مركز خدمة السنة والسيرة بالمدينة المنوره ١٤١٣هـ.

❊ أخبار مدينة الرسول (الدرة الثمينة) محمد بن محمود بن النجار البغدادي- تحقيق صالح بن محمد جمال - مكتبة الثقافة بمكة المكرمة ١٤١٠هـ.

❊ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي - تحقيق رشدي الصالح ملحس - ط٣ دار الثقافة بيروت ١٣٩٩هـ.

❊ أخبار الوادي المبارك - محمد حسن شراب - دار التراث - المدينة المنوره

١٤٠٥هـ.

* أخبار الوافدين من الرجال على معاوية بن أبي سفيان - العباس بن بكار الضبي - تحقيق سكينة الشهابي. مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ.

* أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان . العباس بن بكار الضبي تحقيق سكينة الشهابي. مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ.

* استشهاد الحسين لابن كثير ورأس الحسين لابن تيمية - اعداد وتقديم د محمد جميل غازي . دار المدني للنشر والتوزيع - جده . د ت

* الاستيعاب في أسماء الأصحاب - عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر - تحقيق طه المزيني - مكتبة الكليات الأزهريه - القاهره ١٣٩٧هـ.

* الإصابة في تمييز الصحابه - ابن حجر العسقلاني - تحقيق علي محمد البجاوي - دار نهضة مصر القاهره ١٩٧١م.

* الأصول في فضل ميدنة الرسول ﷺ - صلاح بن محمد كرنبه - ط١ دار القبلة- جده ١٤٠٩هـ.

* أضواء حول الاستراتيجية العسكريه للملك عبد العزيز وحروبه - العميد أح-محمد إبراهيم رحمو - دارة الملك عبد العزيز - الرياض ١٣٩٨هـ.

* أطلس المدينة المنوره- د-محمد شوقي مكي - ط١جامعة الملك سعود الرياض ١٤٠٥هـ.

* إعلام الساجد بأحكام المساجد - محمد بن عبد الله الزركشي - تحقيق الشيخ - أبي الوفا مصطفى المراغي - ط٢ القاهرة ١٤٠٢هـ.

* إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام.

* إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة -د.إبراهيم فوزان الفوزان المؤلف نفسه- الرياض ١٤٠١هـ.

* أمراء المدينة المنورة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم - أحمد ياسين - الخياري الأزهري - ط١ جده ١٣٨٢هـ.

* إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ - ابن حجر العسقلاني -ط٢-دائرة المعارف العثمانية بالهند - ودار الفكر ببيروت - ١٤٠٦هـ.
* إنباء المصر بأنباء العصر - علي بن داود الجوهري الصيرفي - دار الفكر - القاهرة ١٩٧١م.
* أنس الساري والسارب - محمد بن أحمد القليسي السراج - ط١- فاس ١٣٨٨هـ.
* أيام خالدة في طيبة الطيبة (وقائع زيارة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز للمدينة المنوره عام ١٤٠٥هـ - الجامعة الإسلامية- المدينة المنوره ١٤٠٥هـ.

(ب)

* بحوث في تاريخ السنة المشرفة -د.أكرم ضياء العمري- المؤلف نفسه - ط٤ المدينة المنوره- ١٤٠٥هـ.
* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - محمد بن علي الشوكاني - مكتبة ابن تيميه - القاهرة د ت.
* بدائع الزهور في وقائع الدهور - محمد بن أحمد بن إياس الحنفي - تحقيق - محمد مصطفى - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٤٠٣هـ.
* البداية والنهاية - ابن كثير - تحقيق - د.أحمد أبو ملجم وزملاؤه- دار الريان للتراث- القاهره ١٤٠٨هـ.
* البرق اليماني في الفتح العثماني - قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني الحكمي- اشراف حمد الجاسر - دار اليمامة - الرياض ١٣٨٧هـ.

(ت)

* تاريخ الإسلام - د حسن ابراهيم حسن - دار إحياء التراث العربي - ط٧-مكتبة النهضة- القاهرة ١٩٦٤م.
* التاريخ الإسلامي - محمود شاكر - ط٤ المكتب - الإسلامي- بيروت ١٤٠٥هـ.

* تاريخ بني إسرائيل من اسفارهم - محمد عزة دروزة -ط٢- المكتبة العصريه- بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

* تاريخ حضارة وادي الرافدين - د. أحمد سوسة - بغداد - د.ت.

* تاريخ الخلفاء - السيوطي - تحقيق - قاسم الرفاعي ومحمد العثماني - دار القلم - بيروت ١٩٨٦م.

* تاريخ الدولة السعوديه الأولى - أمين سعيد - دارة الملك عبد العزيز - الرياض د.ت.

* تاريخ الدولة السعودية - مديحة أحمد درويش - دار الشروق -٠ جده ١٤٠٥هـ.

* تاريخ الدولة العلية العثمانية - محمد فريد -٠ تحقيق - إحسان حقي - دار النفائس - بيروت ١٤٠٣هـ.

* تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - تحقيق - محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٥ - دار المعارف - القاهرة ١٩٨٧م.

* تاريخ الجبرتي - عجائب الآثار في التراجم والأخبار - عبد الرحمن الجبرتي - دار الجيل - بيروت د.ت.

* التاريخ العربي القديم - دنيف نيلسون - ترجمة د.فؤاد حسين علي - مكتبة النهضة المصريه - القاهرة ١٩٥٨م.

* تاريخ قريش - د.حسن مؤنس - الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٨هـ.

* تاريخ المدينة المنورة - عمر بن شبه بن عبيدة بن ربطة النميري البصري - ط١٣٩٩هـ/١٩٧٩م - تحقيق - فهيم محمد شلتوت - الناشر - السيد حبيب محمود أحمد.

* تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً- أحمد ياسين أحمد الخياري - تعليق وايضاح - عبيد الله محمد أمين كردي - ط١ ١٤١٠هـ - نادي

المدينة المنورة الأدبي.
* تاريخ مكة - أحمد السباعي - ط٦ نادي مكة الثقافي - مكة المكرمة ١٤٠٦هـ.
* تاريخ ملوك آل سعود - تأليف سعود بن هزلول - تقديم وإشراف محمد العبودي- الرياض١٣٨٠هـ.
* تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها - صلاح الدين المختار - دار الحياة - بيروت - د ت.
* تاريخ اليعقوبي - دار صادر - بيروت د ت.
* تجارب الأمم - ابن مسكويه (أحمد بن يعقوب) - تحقيق - آمدروز - القاهرة ١٣٣٢هـ.
* تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد-تقي الدين أبي بكر زبير الجراعي الحنبلي-المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠١/١٩٨١م.
* التحفة الشماء في تاريخ العين الزرقاء-أحمد ياسين الخياري-المدينة المنورة ١٤١٢هـ.
* التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة-محمد بن عبد الرحمن السخاوي-ط١-الناشر- أسعد طرابزوني الحسيني ١٣٩٩هـ.
* تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ماللمدنيين من الأنساب- عبد الرحمن الأنصاري-تحقيق-محمد العروسي المطوي ط١-المكتبة العتيقة-تونس ١٣٩٠هـ.
* التحفة الملوكية في الدولة التركية-بيبرس المنصوري-الدار المصريه اللبنانية - القاهرة ١٤٠٧هـ.
* تحفة النظار في غرائب الأمصار - رحلة ابن بطوطة - محمد بن عبد الله بن محمد - اللوائي الطنجي ابن بطوطة - ط١ ١٣٠٧هـ- دار الكتب العلمية- بيروت.

* التحفة الملوكية في الدولة التركية- بيبرس المنصوري- الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ١٤٠٧هـ.
* تحقيق النصرة في تلخيص معالم دار الهجرة- زين الدين المراغي -ط٢ ١٤٠١هـ/١٩٨١م - تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي - المكتبة العلمية - المدينة المنورة.
* تذكرة أولي النهي والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان - إبراهيم ابن عبيد عبد المحسن - المؤلف نفسه - الرياض د ت.
* تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه - للمحسن بن عمر بن حبيب - تحقيق -د محمد محمد أمين -دار الكتب -القاهرة ١٩٧٦م.
* تراجم أعيان المدينة في القرن (١٢) هجري - المؤلف..-تحقيق-د محمد التونجي-مطبعة دار الشروق د ت.
* تطوير المنطقة المركزيه في المدينة المنورة - مجموعة بن لادن السعودية. المدينة المنوره١٤١٢هـ.
* التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة - محمد بن أحمد المطري- المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٤٠٢هـ.
* التعليم الأهلي في المدينة المنوره من ١٣٤٤-١٤٠٨هـ-دخيل الله عبد الله الحيدري - النادي الأدبي بالمدينة المنوره ١٤١٢هـ.
* التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني -د محمود عبد الرحمن الشامخ- دار العلوم- الرياض١٣٩٣هـ.
* التنبيه والإشراف- على بن الحسين المسعودي- تصحيح ومراجعة- عبد الله اسماعيل الصاوي- دار الصاوي للطباعة والنشر- القاهرة ١٣٥٧هـ.
* توسعة الحرم النبوي الشريف - هاشم دفتردار - جعفر فقيه- مطبعة الإنصاف - بيروت ١٣٧٣هـ.

(ج)

* جزيرة العرب في القرن العشرين - حافظ وهبة- طه- لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة١٣٨٧هـ.
* الجوهرة الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين-إبراهيم بن محمد ابن دقماق- تحقيق- سعد عبد الفتاح عاشور- جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ.

(ح)

* الحجاز والدولة الإسلامية- د.إبراهيم بيضون - المؤسسة للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت ١٤٠٣هـ.
* الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ - عبد العزيز إبراهيم العمري- ١٤٠٥/١٩٨٥م.
* الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه- د.محمد السيد الوكيل - دار المجتمع للنشر والتوزيع- جده ١٤٠٦هـ.
* الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز - عبد الغني بن اسماعيل النابلسي - تقديم وإعداد - أحمد عبد المجيد هريدي- الرحلة ١١٠٥-١١٠٦- الهيئة العربية للكتاب- القاهرة ١٤٠٦هـ.
* الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام- نورة بنت عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ - تهامة - جدة ١٤٠٣هـ.

(خ)

* خطط المدينة المنورة - د.صالح أحمد العلي- طبعة مجلة العرب- الجزء الثاني عشر- السنة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
* خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر- محمد بن أحمد بن فضل الله المحبي- المطبعة الوهبية- القاهرة ١٣٨٤هـ.
* خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- أحمد زيني دحلان- مكتبة الكليات الأزهريه- القاهرة ١٣٩٧هـ.
* خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ - الإمام علي بن عبد الله بن

أحمد الحسيني السمهودي- المكتبة العلمية بالمدينة المنوره ١٣٩٢هـ.

(د)

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- ابن حجر العسقلاني - تحقيق- محمد سعيد جاد الحق - دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٣٨٥هـ.

* در الفوائد المنتظمة - عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري- المكتبة السلفية - القاهرة ١٣٨٤هـ.

* الدرة الثمينة فيما لزائر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة نورها الله تعالى إلى يوم القيامة-الشيخ محمد بن عبد رب النبي المدني الدجاني الأنصاري الملقب بالقشاشي- ط١- مطبعة التقدم العلمية بمصر ١٣٢٦هـ.

* دلائل النبوة- لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي- تحقيق- د عبد المعطي قلعجي- دار الريان- القاهرة ١٤٠٨هـ.

* الدولة السعودية الثانية- د عبد الفتاح حسن ابو عليه- المؤلف نفسه- الرياض ١٩٧٤م.

* الدولة العثمانية وغرب الجزيرة العربية - نبيل عبد الحي رضوان - تهامه - جده ١٤٠٣هـ.

* دائرة المعارف الإسلامية - ترجمة - أحمد الشنتاوي وزملاؤه- دار الفكر- بيروت د ت.

(ذ)

* ذخائر المدينة المنورة - محمد سعيد دفتردار - مطبعة الإنصاف - بيروت - ١٣٩٠هـ.

* ذكريات طيبة - هاشم محمد سعيد دفتردار- مكتبة فقيه بالمدينة المنورة ١٣٧٠هـ.

* ذكريات العهود الثلاثة- محمد حسين زيدان- المؤلف نفسه - الرياض ١٩٨٨/١٤٠٨م.

❊ الذيل على الروضتين- أبو شامة المقدسي- مكتبة نشر الثقافة الإسلامية- القاهرة١٣٦٦هـ.

❊ الذيل على العبر في أخبار من غبر - أحمد بن عبد الرحيم الراقي- تحقيق صالح مهدي عباس - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٩هـ.

❊ ذيول العبر في خبر من غبر- الذهبي - تحقيق - أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ.

(ر)

❊ رحلة ابن بطوطة (المسماه - تحفة الأنظار في غرائب الأمصار) - شرح وهوامش - طلال حرب - دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٧هـ.

❊ رحلة ابن جبير- محمد بن أحمد بن جبير- دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ.

❊ الرحلة إلى المدينة المنورة- الشيخ محمود ياسين- الناشر- المحقق نفسه- ط١- ١٤٠٧/١٩٨٧م.

❊ الرحلة الحجازية-محمد لبيب البنتوني- ط٣- مكتبة المعارف- الطائف د ت.

❊ الرحلة الحجازية- محمد السنوسي- تحقيق- على الشنوفي- الشركة التونسية للتوزيع- تونس ١٣٩٦هـ.

❊ الرحلة النميرية الحجازيةفي ١٣٣٨هـ إلى ١٩٢٠م- محمد بهجة البيطار- المطبعة الجديدة- دمشق ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

❊ رسائل في تاريخ المدينة- تحقيق- حمد الجاسر-ط١- دار اليمامة- الرياض ١٣٩٢هـ.

❊ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهلي- تحقيق عبد الرحمن الوكيل- دار الكتب الحديثة- القاهرة ١٩٧٣م.

❊ الروضتين في أخبار الدولتين - أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل بن

ابراهيم المقدسي- دار الجيل- بيروت د ت.

(ز)

* زاد المعاد في هدي خير العباد- لابن قيم الجوزية - تحقيق - شعيب وعبد القادر الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٧هـ.

(س)

* سعد بن الربيع الأنصاري النقيب الشهيد - محمد على كاتبي- سللة اعلام المسلمين- دار القلم - دمشق ١٤١٢هـ.
* سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل- عبد الملك بن الحسن العصامي- المكتبة السلفية - القاهرة ١٣٧٩هـ.
* سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب- محمد أمين البغدادي السويدي- دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٦هـ.
* سكة حديد الحجاز الحديدية (دراسة وثائقيه) د محمد سيد الدقن- المؤلف نفسه- القاهرة ١٤٠٥هـ.
* سكان المدينة المنورة- محمد شوقي بن ابراهيم مكي- ط١-١٤٠٥/١٩٨٥م- دار العلوم للطباعة والنشر- الرياض.
* سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر- محمد خليل المرادي- القاهرة ١٣٠١هـ.
* السلوك لمعرفة دول الملوك- احمد بن على المقريزي- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر- القاهرة د ت.
* سنا البرق الشامي- الفتح بن علي البغدادي الأصفهاني- تحقيق- فتحية النبراوي- مكتبة الخانجي- القاهرة١٩٧٩م.
* سير أعلام النبلاء- محمد بن أحمدبن عثمان الذهبي- تحقيق- إبراهيم الأبياري- دار المعارف- مصر١٩٧٥م.
* السيرة النبوية- لابن هشام- دار الريان للتراث - القاهرة ١٤٠٨هـ.

* سياسة الفاطميين الخارجية- محمد جمال الدين سرور- دار الفكر العربي- القاهرة ١٣٤٦هـ.
* سؤال في يزيد بن معاوية لشيخ الإسلام أحمد بن تيميه- تحقيق د صلاح الدين المنجد. ط٣- دار الكتاب الجديد- بيروت ١٤٠٥هـ.

(ش)

* شبه الجزيرة العربيه- جودة حسين جودة- دار المعرفة الجامعية- الاسكندريه ١٩٨٩م.
* شذرات الذهب في أخبار من ذهب- أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي- دار الفكر- بيروت ١٣٩٩هـ.
* الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري- د. عائض الردادي- المؤلف نفسه- الرياض ١٤٠٤هـ.
* شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام- تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي- مكتبة النهضة الحديثة- مكة المكرمة ١٩٥٦م.

(ص)

* صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند- محمد ناصر الدين الألباني- مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض ١٤٠٨هـ.
* صحيح مسلم - بشرح النووي- دار الريان للتراث- القاهرة ١٤٠٧هـ.
* صور وذكريات عن المدينة المنورة- عثمان حافظ -ط١- نادي المدينة المنوره الأدبي ١٤٠٣/١٩٨٣م.

(ض)

* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن عثمان السخاوي - مكتبة الحياة- بيروت د ت.

(ط)

* الطبقات الكبرى- لابن سعد- دار الفكر- بيروت د ت.

* الطريق إلى المدينة - أبو الحسن على الحسني الندوي- ط١- ١٣٨٥/١٩٦٥م- المجمع الإسلامي العلمي -لكنو- الهند- ط٢- ١٤٠٧/٨٧
* طيبة في عيون فنان تشكيلي- فؤاد مغربل- النادي الأدبي ف. المنوره-١٤٠٩هـ.
* طيبة وفنها الرفيع- حاتم عمر طه- ط١- ١٤٠٤هـ - منشورات النادي الأدبي بالمدينة المنورة.

(ع)

* العبر في خبر من غبر- الحافظ الذهبي- تحقيق- أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٥هـ.
* العرب واليهود في التاريخ- د.أحمد سوسة- مكتبة العربي للإعلام والنشر- دمشق ١٩٧٣م.
* العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين- تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي- تحقيق- فؤاد سيد- مكتبة السنة المحمدية- القاهرة ١٣٨٥هـ.
* عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان- بدر الدين محمود العينى- تحقيق د محمد محمد أمين- الهيئة المصرية العامه للكتاب- القاهرة ١٤٠٧هـ.
* عمدة الأخبار في مدينة المختار- الشيخ أحمد بن عبد الحميد العباسي- ط٤- الناشر أسعد طرابزوني الحسيني- توزيع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة-د ت.
* عنوان النجابة في معرفة من مات بالمدينة من مشاهير الصحابة- مصطفى بن محمد بن عبد الله العلوي الرافعي- ط١ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٤٠٤هـ.
* عارف حكمة- حياته ومآثره- شهاب الدين الألوسي - تحقيق- د محمد العيد الخطراوي- مكتبة دار التراث - المدينة المنورة ١٤٠٣هـ.

* العواصم من القواصم- القاضي أبو بكر بن العربي- تحقيق محب الدين الخطيب. بيروت د ت.

(غ)

* غاية الأماني في اخبار القطر اليماني- يحي بن الحسين بن محمد بن علي- تحقيق- سعيد عبد الفتاح عاشور- دار الكتاب العربي- القاهرة ١٣٨٨هـ.
* غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام- عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القريشي- تحقيق- فهيم محمد شلتوت- جامعة أم القرى- مكة المكرمة د ت.

(ف)

* فتح الباري في شرح صحيح البخاري- ابن حجر العسقلاني- مراجعة قصي محب الدين الخطيب- دار الريان للتراث- القاهرة ١٤٠٧هـ.
* الفتح القسي في الفتح القدسي- العماد الأصفهاني- تحقيق محمد محمود صبيح- الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة د ت.
* فترة التأسيس الدولة السعودية المعاصرة- عبد الله بن محمد الشهيل- دار الوطن للنشر والإعلام- الرياض ١٤٠٤هـ.
* فصول من تاريخ المدينة المنورة- على حافظ - شركة المدينة للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ.
* فضائل المدينة المنورة- لأبي سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم الجنيدي اليمني المكي-ط١-١٤١٠هـ-مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة ١٤٠١هـ.
* الفلاحة المدنية لبلدة خير البرية- إبراهيم بن أحمد حمدي خربوتي المدني- تحقيق- أديب عمر الحصري- دار الارشاد الزراعي- المدينة المنورة ١٤٠٩هـ.
* فوات الوفيات - صلاح الدين محمد بن شاكر الدراني- تحقيق- محي الدين عبد الحميد- مكتبة النهضة- القاهرة ١٩٥١م.

(ق)

* القبة الخضراء (مسجد رسول الله ﷺ)- الشريف أحمد محمد صالح الحسيني- المدينة المنورة د.ت.
* قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية- د.سليمان بن محمد الغنام. تهامة- جده ١٤٠٠هـ.
* قصة الحضارة- ول ديورانت - ترجمة د.زكي نجيب محمود- دار الجيل- بيروت ١٤٠٨هـ.
* قلب جزيرة العرب- فؤاد حمزة- المكتبة السلفية- القاهرة١٣٥٢هـ.

(ك)

* كتاب الدر الثمين في معالم الرسول الأمين ﷺ- غالي محمد الأمين الشنقيطي- إدارة إحياء التراث الإسلامي- قطر ١٤٠٨هـ.
* كتاب المغازي- الواقدي- تحقيق د.مارسدن جونسن- ط٣- عالم الكتب- بيروت ١٤٠٤/ ١٩٨٤م.
* كتاب نسب قريش- المصعب الزبيري- تحقيق- ليفي بروفنسال- ط٣- دار المعارف- القاهرة ١٩٨٢م.
* الكواكب الدرية في السيرة النبوية- ابن قاضي شهبة- بدر الدين محمد بن أبي بكر- تحقيق- محمود زايد- دار الكتاب الجديد- بيروت ١٩٧١م.
* الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة-نجم الدين محمد بن أحمد الغزي- تحقيق- جبريل سليمان جبور- دار الآفاق - بيروت ١٩٧٩م.
* الكامل في التاريخ - عز الدين بن الأثير الجزري- ط٦-دار الريان للتراث- القاهرة ١٤٠٦هـ.

(م)

* مجتمع الحجاز في العصر الأموي- عبد الله الخلف- رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية- الرياض

١٤٠٧هـ.
* المجتمع المدني في عهد النبوة- الجهاد ضد المشركين- د.أكرم ضياء العمري -ط١- المؤلف نفسه ١٤٠٤هـ.
* مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ د. عبد العزيز بن إدريس - ط١- جامعة الملك سعود- الرياض ١٤٠٢هـ.
* مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - محمد حميد الله- ط٦- دار النفائس- بيروت ١٤٠٧هـ.
* مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنوره- د.محمد عيد الخطراوي - دار التراث- المدينة ١٤١١هـ.
* المدرسة الناصرية بالمدينة المنورة- وزارة المعارف- مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي بوزارة المعارف ١٣٩٤هـ.
* المدينة في العصر الأموي- محمد محمد حسن شراب- ط١-دار التراث بالمدينة المنورة- مؤسسة علوم القرآن - بيروت - دمشق ١٤٠٤هـ.
* المدينة في العصر الأيوبي- عائشة بوقاسي - نادي مكة المكرمة الثقافي ١٤٠٠هـ.
* المدينة في العصر الجاهلي- الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية- محمد العيد الخطراوي -ط١- مؤسسة علوم القرآن- دمشق.
* المدينة في العصر الجاهلي- الحياة الأدبية- محمد العيد الخطراوي-ط١-دار التراث المدينة المنوره- مؤسسة علوم القرآن- بيروت- دمشق ١٤٠٣هـ.
* المدينة المنورة-اقتصاديات- المكان- السكان- المورفولوجية- د.عمر فاروق- السيد رجب -ط١- دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة جدة ١٣٩٩هـ.
* المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ- د.عاصم حمدان على حمدان- النادي الأدبي بالمدينة المنورة ١٤١٢هـ.

* المدينة المنورة بين الماضي والحاضر- إبراهيم بن على العياشي- ط١- المكتبة العلمية- المدينة المنورة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
* المدينة المنورة-تطورها العمراني- تراثها المعماري- صالح لمعي مصطفى- ط١-دار النهضة العربية بيروت ١٤٠١هـ.
* المدينة المنورة-دراسة سكانية - د عمر الفاروق السعيد (السيد رجب) بحوث المؤتمر الجغرافي الأول- المجلد الخامس- أشرف على طباعته- إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الراض.
* المدينة المنوره عبر التاريخ الإسلامي- الشريف أحمد محمد صالح الحسيني- ط٢- مكتبة دار العروبة - الكويت ١٤٠١هـ.
* المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى- د محمد السيد الوكيل -ط١-دار المجتمع للنشر والتوزيع- جده١٤٠٦هـ.
* المدينة في التاريخ- عبد السلام هاشم حافظ-ط٣- منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤٠٢هـ.
* المدينة المنورة في رحلة العياشي- دراسة وتحقيق- محمد أمحزون- ط١- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
* المدينة المنورة في صدر الإسلام- د محمد العيد الخطراوي- ط١- مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة- ومؤسسة علوم القرآن - بيروت - دمشق ١٤٠٤هـ.
* المدينة المنورة وأول بلدية في بلاد الإسلام- صدقة حسن خاشقجي- ومحمد عبد الجليل النمر- بلدية المدينة المنورة.
* المدينة المنورة اليوم- محمد صالح البليهشي -ط١- من منشورات النادي الأدبي بالمدينة المنورة.
* مرآة جزيرة العرب (ج١/٢) - أيوب صبري باشا- ط١- دار الرياض للنشر والتوزيع- الرياض ١٤٠٣/١٩٨٣م- ترجمة وتعليق د.أحمد فؤاد متولي

ود.الصفصافي أحمد المرسي.
* مرآة الحرمين - اللواء إبراهيم رفعت باشا- ط١- دار الكتب المصريه- القاهرة ١٣٤٤/١٩٢٥م.
* المسجد النبوي عبر التاريخ- د.محمد السيد الوكيل - موسوعة المدينة المنورة التاريخيه/٤-دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ.
* مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- محمد الكرماني بن فضل الله العمري- تحقيق د.أحمد زكي- دار الكتب المصريه- القاهرة ١٣٤٢هـ.
* مصر في عهد الإخشيديين- د.سيدة اسماعيل الكاشف- دار النهضة - القاهرة ١٩٧٠م.
* مصادر تاريخ جزيرة العرب- مجموعة من الباحثين - جامعة الملك سعود - الرياض ١٣٩٩هـ. (بحوث الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربيه).
* معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد- منير محمد الغضبان. دار القلم - دمشق ١٤٠٠هـ.
* معجزة فوق الرمال - المؤلف نفسه - بيروت ١٣٩٢/١٩٧٢م.
* معجم البلدان - ياقوت الحمودي - دار الفكر - بيروت د.ت.
* معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة- ط٥- مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٥هـ.
* معجم معالم الحجاز- عاتق بن غيث البلادي- نادي الطائف الأدبي-١٣٩٨هـ.
* المعالم الأثيرة في السنة والسيرة- محمد محمد حسن شراب - دار العلم - دمشق ١٤١١هـ.
* معالم دار الهجرة- يوسف عبد الرزاق- ط٢- المكتبة العلمية- المدينة المنورة ١٤٠١هـ.
* المغانم المطابة في معالم طابة- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز

آبادي- ط١- تحقيق- حمد الجاسر- دار اليمامه- الرياض ١٣٩٨هـ.

* المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام- د.جواد علي- دار العلم للملايين- بيروت ١٣٧٦هـ.

* مقتطفات من رحلة العياشي (ماء الموائد) - حمد الجاسر- دار الرفاعي للنشر- الرياض ١٤٠٤هـ.

* مقاتل الطالبين- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ- د.أحمد إبراهيم بركات- دار الفكر العربي ١٩٦٥م.

* مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري- سنولا هورخونية - ترجمة محمد بن السرياني وآخرون- نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤١١هـ.

* ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري- محمد على مغربي- تهامة- جدة ١٤٠٢هـ.

* مملكة الحجاز - طالب محمد وهيم- مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ١٩٨٨م.

* المنتظم- عبد الرحمن بن علي الجوزي- تحقيق- محمد عبد الوهاب فضل- دار الأمان- القاهرة ١٤٠٥هـ.

* من نفحات طيبة- على الطنطاوي- دار الفكر- دمشق ١٣٨٩هـ/١٩٦٠م.

* المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي- يوسف بن تغري بردي الأثابكي- تحقيق د.محمد محمد أمين - و د.سعيد عبد الفتاح عاشور- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٨٤م.

* موارد الخطيب البغدادي- د.أكرم ضياء العمري- دار القلم- دمشق١٣٩٥هـ.

* ماضي الحجاز وحاضره- حسن محمد نصيف -ط١-القاهرة ١٣٤٩هـ.

(ن)

* نثر الدر - للوزير الكاتب - منصور بن حسين الأدبي- تحقيق- محمد على قرنه- الهيئة المصرية العامه للكتاب- القاهرة د.ت.

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- جمال الدين ابو المحاسن بن تغري بردي- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٣٨٣هـ.
* نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان - للخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي- تحقيق -د حسن حبشي- دار الكتب- القاهرة١٩٧٠م.
* نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين- السيد جعفر بن السيد اسماعيل المدني البرزنجي-ط١-المطبعة الجمالية- مصر.
* نهاية الأدب في فنون الأدب- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري- الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة د ت.

(و)

* الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي- د محمد ماهر حمادة- مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٤م.
* الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول- د محمد ماهر حمادة- ط ع-مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٩هـ.
* الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتالية د محمد ماهر حمادة ط٣ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٦هـ.
* الوثائق السياسية والادارية لعهود الفاطميين والأتابكة والأيوبيين -د محمد ماهر حماده- مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٠هـ.
* وثائق شبه الجزيرة العربيه.
* الوثائق العثمانية- دارة الملك عبد العزيز- الرياض.
* وفيات الأعيان - ابن خلكان- تحقيق- محمد محي الدين عبد الحميد- مكتبة النهضة- القاهرة ١٣٦٧هت.
* وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى- نور الدين على بن عبد الله السمهودي- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد -ط٤- دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* ولاة مصر - محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي - تحقيق - د.حسين نصار- دار صادر- بيروت ١٣٧٩هـ.

(ي)

* يثرب قبل الإسلام- د.محمد السيد الوكيل- ط١- دار المجتمع للنر والتوزيع- جده ١٤٠٦هـ.

* اليمن الخضراء ومهد الحضارة - محمد بن علي الحوالي - القاهرة ١٣٩١هـ.

فهرس الجزء الثالث

المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري

الحياة العلمية في المدينة المنورة في العهد العثماني

المدينة المنورة في العهد الهاشمي

المدينة المنورة في العهد السعودي